

الوجوه والنظائر

لأبي هلال العسكري
(ت ٤٠٠ هـ)

حققه وعلق عليه
محمد عثمان

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

تصحيح

الوجوه والنظائر

لأبي هلال العسكري
(ت ٤٠٠ هـ)

حقيقه وعلق عليه
محمد عثمان

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة

٧ طبع في مادة (قد) مواضع اعتراضية

٢٩٧٦ (المعنى ليست من القدر)

اعتزال اليات المؤلف رحمه الله

٢٣ (فصل القرآن)

تصحيح

الوجوه والنظائر

لأبي هلال العسكري

(ت ٤٠٠ هـ)

الطبعة الاولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧
حقوق الطبع محفوظة للنشر
التأشير
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة
ت/ ٢٥٩٢٢٦٢٠ - ٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية للعلمة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

العسكري، الحسن بن عبد الله بن سعيد، ٩٠٦-٩٩٣
الوجوه والتظفر / لامي هلال
العسكري، حقة وعلى عليه محمد عثمان
ط ١ - القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٧
٤٢٠ ص، ٢٤ سم

تكمك : 1-341-341-977
١- اللغة العربية المترادفات والاضداد
١- عثمان، محمد مطلق
ب- العنوان

ديوى : ٤١٢

رقم الايداع : ١٤٦٣١ / ٢٠٠٧

مقدمة

في علم الوجوه والنظائر

تعريف علم الوجوه والنظائر :

تعرف كلمة الوجوه بأنها اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان .

فإذا كان اللفظ الواحد يحتمل معان متعددة فإنه يُحْمَلُ عليها إذا كانت غير متضادة ، ولا يُقْتَصَرُ به على معنى واحد إلا إذا كان سياق الآية يفرضه .

وأما النظائر فتعرف بأنها الألفاظ المتواطئة ، أي الألفاظ المختلفة التي تعبر عن معنى واحد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وقال شيخ الإسلام بن تيمية : الوجوه في الأسماء المشتركة والنظائر في الأسماء المتواطئة وقد ظن بعض أصحابنا المصنفين في ذلك أن الوجوه والنظائر جميعا في الأسماء المشتركة فهي نظائر باعتبار اللفظ ووجوه باعتبار المعنى .

وقال ابن الجوزي في كتابه نزاهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة وأريد بكل مكان معنى للكلمة غير معناها في المكان الآخر ، وتفسير كل كلمة بمعنى يناسبها غير معنى الكلمة الأخرى هذا ما يسمى الوجوه ، أما النظائر فهو اسم للألفاظ وعلى هذا تكون الوجوه اسما للمعاني ، ومن هنا كان الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر .

وقال السيوطي في الإتقان : الوجوه : اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ، والنظائر : الألفاظ المتواطئة . وقيل النظائر في اللفظ ، والوجوه في المعاني .

وضعف لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة ، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة ، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام ، والنظائر نوعاً لآخر .

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر .

وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً : " لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة " .

قلت^(١) : هذا أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفاً ، ولفظه : " لا يفقه الرجل كل الفقه " .

وقد فسر بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معان متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد .

وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة وعدم الاختصار على التفسير الظاهر .

وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قال : " إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً " . قال حماد : فقلت لأيوب : رأيت قوله : حتى ترى للقرآن وجوهاً ، أهو أن ترى له وجوهاً فتهاهب الإقدام عليه ؟ قال : نعم هو هذا .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال : اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ، ولكن خاصمهم بالسنة .

وأخرج من وجه آخر أن ابن عباس قال له : يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم ، في بيوتنا نزل قال : صدقت ، ولكن القرآن حال ذو وجوه ، تقول ويقولون ، ولكن

(١) أي السيوطي في الإتيان .

مخاصمهم بالسنن ، فإنهم لم يجلوا عنها عيصا ، فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة .

أمثلة للوجوه والنظائر :

ومن أمثلة ذلك العلم ما جاء في كتابنا هذا أن " الأمر " في القرآن يأتي على سبعة عشر وجها :

الأول : الدين ، قال الله تعالى : ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [سورة التوبة آية ٤٨] . يعني : دينه .

الثاني : القول ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ [سورة الكهف آية ٢١] .

الثالث : وقت الوعيد ، قال : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ [سورة هود آية ٤٠] . أي : حضر وقت وعيدنا .

الرابع : العذاب ، قال : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة إبراهيم آية ٢٢] . أي : وجب العذاب .

الخامس : تمام العذاب وبلوغ المراد منه ، قال : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة هود آية ٤٤] .

السادس : بمعنى الشيء ، قال : ﴿ وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا ﴾ [سورة البقرة آية ١١٧] . أي : إذا أراد إحكام شيء لم يتعذر عليه .

السابع : هزيمة الكفار وقتلهم بيد ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّكْوِينِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ ، ثم قال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [سورة الأنفال آية ٤٤] أراد هزيمة الكفار وأسرهم جزاء لهم على كفرهم ونصرة المؤمنين عليهم .

الثامن : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة غافر آية ٧٨] . يعني : القيامة .

التاسع : فتح مكة ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة التوبة آية ٢٤] . قالوا : أراد فتح مكة .

العاشر : قتل قريظة وجلاء النصير ، قال الله وحده : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾ [سورة البقرة آية ١٠٩] .

الحادي عشر : بمعنى القضاء ، قال الله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية ٥] .

الثاني عشر : الوحي ، قال الله : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية ٥] .

الثالث عشر : بمعنى النصر والسلطان ، قال : ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٥٤] . يعني : أن الغلبة لأولياء الله .

الرابع عشر : الذنب ، قال الله تعالى : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ [سورة الطلاق آية ٩] أي : جزاء ذنبها .

الخامس عشر : الأمر خلاف النهي ، قال الله : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [سورة الإسراء آية ١٦] . أي : أمرناهم بالطاعة فعصوا .

السادس عشر : إظهار أمر المنافقين ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ أَمَرَ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [سورة المائدة آية ٥٢] .

السابع عشر : العلم ، قال الله تعالى : ﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . قيل : يعني : العلماء^(١) .

(١) قال أبو هلال العسكري في كتابه هذا : وقيل : يعني : السلطان ، وإنما تجب طاعة السلطان إذا كان محقا . وقال ابن عباس : أولو الفقه في الدين .

وقال أبو علي رحمه الله : هم الأمة وأمرائهم ، وليس هم العلماء إلا أن يكونوا أمراء . وقال : ﴿ مُرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرُّسُولِ ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . أي : إلى الكتاب والسنة ، لأنها من الله ورسوله ، وفيه دليل على أن

وكذلك "الأمة" في القرآن جاءت على عشرة أوجه :

أولها : الجماعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ قُرَيْشٍ أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٨] ، أي : جماعة ،

الثاني : الملة ، قال الله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٣] .
يعني : أهل أمة واحدة .

الثالث : أهل الإسلام بعينه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ [سورة يونس آية ١٩] ، يعني : حالمهم على عهد آدم ، وما كانوا عليه في سفينة نوح .

الرابع : قوله : ﴿ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [سورة الأنبياء آية ٩٢] . أي : ملتكم ، فهي هاهنا الملة بعينها .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ﴾ [سورة هود آية ٨] . يعني : سنين .

الإمامة ليست بحجة ، وفيه دليل أيضا على صحة القياس وذلك أن جميع ما يتنازع فيه المتنازعان لا يوجد في القرآن والسنة مشروحا ، ولكن يوجد أصل كل شيء فيها أو في أحدهما ، فأمر بحمل الفروع على الأصول الموجودة فيها ليظهر أحكامها ، ولا يأتي ذلك إلا بالقياس .

والآية عموم في وجوب الرد إلى الكتاب والسنة في حياة الرسول وبعد وفاته .

والذي يقتضيه فحوى الكلام الرد إليهما فيما لا نص فيه ، لأن المنصوص عليه لا احتمال فيه لغيره ولا يقع فيه التنازع من الصحابة مع علمهم باللغة ومعرفتهم بما فيه احتمال مما لا احتمال فيه .

وأما الأمر في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [سورة الطلاق آية ١] . فهو تفسير الرجعة . وذلك أنه إذا طلقها طلاق السنة ملك رجعتها .

وطلاق السنة عند الكوفيين يعتبر فيه معنيان :

أحدهما : الوقت . والآخر : العدد .

فالوقت : أن يطلقها طاهرا من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها . والعدد : ألا يزيد في الطهر الواحد على تطليقة واحدة ، فأما من لا عد عليها فيطلقها متى شاء في حيض أو طهر بغير المدخول بها .

السادس : قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةً هِيَ أَرْثَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾ [سورة النحل آية ٩٢] ،
يعني : قوما يكونون أرثى من قوم ؛ أي : أكثر عددا ، ومنه الربا ؛ لأنه زيادة في أصل المال .
السابع : الإمام ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾ [سورة النحل آية ١٢٠] . أي : إماما يقتدى به في الخير .

الثامن : أمة كل رسول ؛ يعني : من بعث إليه الرسل من أمثال عاد ، وثمود ، وقوم لوط ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا ﴾ [سورة الحجر آية ٥ ، المؤمنون ٤٣] ،
يعني : من هذه الأمم لم تسبق أجلها في العذاب .

التاسع : قوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] .
يعني : أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة .

العاشر : قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . يعني : الكفار من أمة محمد صلى الله عليه .

هذان مثالان للوجوه والنظائر في القرآن الكريم والأمثلة كثيرة ولكن نترك ذلك للقارئ ليتعرف على كل هذا عند مطالعته لهذا الكتاب القيم .

المؤلفات التي ألفت في هذا العلم :

ومن المؤلفات في هذا العلم :

- ١- الوجوه والنظائر في القرآن العظيم ، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت : ١٥٠)
- ٢- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، هارون بن موسى (ت : ١٧٠)
- ٣- التصاريف ، ليحيى بن سلام (ت : ٢٠٠)
- ٤- تحصيل نظائر القرآن ، للمحكيمة الترمذي (ت : ٣٢٠)
- ٥- وجوه القرآن ، للحيري (ت : ٤٣٠)
- ٦- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، للدماغاني (ت : ٤٧٨)
- ٧- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لابن الجوزي (ت : ٥٩٧)

٨- متخبط قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لابن الجوزي (وهو مختصر من الذي قبله) .

٩- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ، لابن العماد المصري (ت: ٨٨٧) ..

ترجمة المصنف .

(أبو هلال العسكري)

اسمه : الحسين بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران

(ت ٢٧٧ هـ)

كنيته : أبو هلال

نسبه : العسكري نسبة إلى عسكر مكرم^(١) .

مولده :

ولد أبو هلال العسكري في عسكر مكرم وهي كورة من كور الأهواز وفيها نشأ وترعرع وتلمذ على يد خاله أبي أحمد وهو الذي يغلط فيه كثير من المؤرخين .

التفرقة بين أبي هلال وأبي أحمد :

قال الصفدي في الوافي بالوفيات في ذكر بعض الأسماء الملتبسة على المؤرخين : الحسن بن عبد الله أبو أحمد ، والحسن بن عبد الله العسكري أبو هلال صاحب كتاب الأوائل ، كلاهما الحسن بن عبد الله العسكري ، والأول توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاث مائة والثاني كان موجوداً في سنة خمس وتسعين وثلاث مائة ، فاتفقا في الاسم واسم الأب والنسبة والعلم وتقاربا في الزمان ولم يفرق بينهما إلا بالكنية لأن الأول أبو أحمد والثاني أبو هلال

(١) بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء وهو مُفْعَل من الكرامة وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء الحارث أحد بني جعونة بن الحارث بن نعيم بن عامر بن صعصعة وقال حمزة الأصبهاني : رُسْتُبَادَ تعريب رستم كُوَاد وهو اسم مدينة من مدن خوزستان خربها العرب في صدر الإسلام ثم اختطت بالقرب منها المدينة التي كانت مُعَسْكَر مكرم بن معزاء الحارث صاحب الحجاج بن يوسف وقيل بل مكرم مولى كان للحجاج أرسله الحجاج بن يوسف لمحاربة خَرْزَاد بن باس حين عصى ولحق بإيْدَج وتحصن في قلعة تعرف به فلما طال عليه الحصار نزل مستخفياً ليلحق بعبد الملك بن مروان فظفر به مكرم ومعه درتان في قلنسوته فأخذه وبعث به إلى الحجاج ، وكانت هناك قرية قديمة فبناها مكرم ولم يزل يبنى ويزيد حتى جعلها مدينة وسماها عسكر مكرم .

والأول ابن عبد الله ابن سعيد بن إسماعيل والثاني ابن عبد الله بن سهل بن سعيد ولهذا كثير من أهل العلم التاريخ لا يفرقون بينهما ويظنون أنهما واحد .

قال أبو طاهر السلفي : وكان لأبي أحمد تلميذ وافق اسمه اسمه ، واسم أبيه اسم أبيه ، وهو عسكري أيضاً ، فربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن بن عبد الله العسكري الأديب ، فهو أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي العسكري ، سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردي - رحمه الله - بهمدان عنه ، فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه معاً وقال : كان يبرز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل ، وذلك فيه فضلاً هو في سؤالاتي عنه ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر .

وذكر أن أبا هلال هو ابن أخت أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري وتلميذه .

وكان عالماً عفيفاً يتبزز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر .

شيوخه :

أكثر ما أخذ أبو هلال وتعلم على خاله أبي أحمد ، وحمل عنه .
وعن أبي القاسم بن شيران وغير واحد .
وما أظنه رحل من عسكري مكرم .

تلاميذه :

ذكر الصفدي في الوافي بالوفيات أن ممن روى عنه :

أبو سعد السمان الحافظ بالري .

وأبو الغنائم بن حماد المقرئ إملاء .

وأبو حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان العسكري .

ومظفر بن طاهر الأستري . وآخرون

مصنفاته :

- ١ . كتاب التلخيص في اللغة .
- ٢ . كتاب صناعتي النظم والنثر ؛ وهو مفيد .
- ٣ . وكتاب جمهرة الأمثال .
- ٤ . وكتاب معاني الأدب .
- ٥ . وكتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة .
- ٦ . وكتاب التبصرة وهو كتاب مفيد .
- ٧ . وكتاب شرح الحماسة .
- ٨ . وكتاب الدرهم والدينار .
- ٩ . وكتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات .
- ١٠ . وكتاب العمدة .
- ١١ . وكتاب فضل العطاء على العسر .
- ١٢ . وكتاب ما تحلن فيه الخاصة .
- ١٣ . وكتاب أعلام المعاني في معاني الشعر .
- ١٤ . وكتاب الأوائل .
- ١٥ . وكتاب ديوان شعره .
- ١٦ . وكتاب الفروق بين المعاني .
- ١٧ . وكتاب نوادر الواحد والجمع .

تسمية
لكتاب

أما كتابنا هذا وهو تصحيح الوجوه والنظائر فقد ذكر أكثر المفهرسين والمؤرخين أن هذا الكتاب لأبي أحمد شيخ أبي هلال فقد ذكر الصفدي في ترجمة أبي أحمد : وكان أحد الأئمة في الأدب ، وهو صاحب أخبار ونوادر . وله رواية متسعة وتصانيف مفيدة منها : كتاب

التصنيف ، وراحة الأرواح ، والحكم والأمثال ، وتصحيح الوجوه والنظائر ، والزواجر والمواعظ ، وصناعة الشعر ، والمختلف والمؤتلف .

وذكر الزركلي في الأعلام : من كتبه (الزواجر والمواعظ) و (التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم - ط) و (الحكم والأمثال) و (راحة الأرواح) و (تصحيفات المحدثين - خ) لعله كتابه المطبوع باسم (شرح ما يقع فيه التصحيف والتجريف) و (تصحيح الوجوه والنظائر) و (المصون - ط) في الأدب ، و (صناعة الشعر) وهو خال أبي هلال (الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري) الآتي ذكره ، وأستافه .

وقال ياقوت الحموي في معجم الأديباء : ومن جملة : كتاب صناعة الشعر رأيته ، كتاب الحكم والأمثال ، كتاب راحة الأرواح ، كتاب الزواجر والمواعظ ، كتاب تصحيح الوجوه والنظائر .

وقال أبو طاهر السفلي : إن أبا أحمد هذا كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم ، والتبحر في فنون الفهوم ، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف ، ومن جملة : كتاب " صناعة الشعر " . كتاب " الحكم والأمثال " . كتاب " التصنيف " . كتاب " راحة الأرواح " . كتاب " الزواجر والمواعظ " . كتاب " تصحيح الوجوه والنظائر " .

والذي جعلنا ننسب الكتاب لأبي هلال ما وجدناه على نسخته المخطوطة وفي بدايته حيث قال الناسخ : قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمة الله عليه . كذا ص ٤ وذكر أيضا في متن كتابه عند الكلام على الوجه الرابع في " الجعل " : وكان بعض العرب يذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، فرد الله ذلك بهذا القول ، وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير . وقد كرر ذلك مرارا .

وقال أيضا : وبيان ذلك مشروح في كتابنا في الفروق . وكتاب الفروق معروف لأبي هلال العسكري .

فكان هذا ما دفعنا أن ننسب الكتاب لأبي هلال ، ولعل ما كتبه المفهرسون والمؤرخون كان لبسا منهم بين مصنفات أبي أحمد ومصنفات أبي هلال . والله أعلم .

شيء من سيرته :

قال الصفدي في الوافي بالوفيات : وكان يتبزز احترازا من الطمع والدناءة والتبذل .

قلت وقد ذكره الباخري في كتاب : دمية القصر ، فقال : بلغني أن هذا الفاضل كان يحضر السوق ، ويحمل إليها السوق ، ويحلب در الرزق ويمتري ، بأن يبيع الامتعة ويشتري .

ومن شعره :

جلوسي في سوقٍ أبيع وأشتري دليلٌ على أن الأنام قـرود
ولا خير في قومٍ يذل كرامهم ويعظم فيهم نذلهم ويسود
وتهجوهم عني رثاءة ملبسي هجاء قبيحاً ما عليه مزيد

ومنه :

إذا كان مالي مال من يلقط العجم وحالي فيكم حال من حاك أو حجم
فأين انتفاعي بالأصالة والحجى وما ربحت كفي على العلم والحكم
ومن ذا الذي في الدهر يبصر حالتي فلا يلعن القرطاس والخبر والقلم

وقال السيوطي في طبقات المفسرين : كان عالماً عفيفاً يتبزز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر .

وقال أبو طاهر السلفي : سألت أبا المظفر الأبيوردي رحمه الله عن أبي هلال العسكري فأثنى عليه ووصفه بالعلم والعفة معا ، وقال : كان يتبزز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل .

وقال أبو هلال أيضا :

لا يغرنكم علمو لثيم فعلو لا يستحق سفال
فارتفاع الغريق فيه فضوح وعلو المصلوب فيه نكال

ومن شعره أيضا :

ما بال نفسك لا تهوى سلامتها وأنت في عرض الدنيا ترغبها
دارُ إذا جاءت الآمال تعمرها جاءت مقدمة الأجل تحرقها
أراك تطلب دنيا لست تدركها فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

وفاته :

قال ياقوت : وأما وفاته ؛ فلم يبلغني فيها شيء غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملأ هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة .

وذكر بعض المؤرخين أنه توفي في حدود الأربعمائة . فالله أعلم .

مصادر الدراسة والترجمة :

- ١ . الإتقان في علوم القرآن للسيوطي .
- ٢ . الوافي بالوفيات للصفي .
- ٣ . طبقات المفسرين للسيوطي .
- ٤ . الطبقات السنية في تراجم الحنفية للتقي الغزي .
- ٥ . الأعلام للزركلي .
- ٦ . معجم المؤلفين لعمر كحالة .
- ٧ . تاريخ دمشق لابن عساكر .
- ٨ . تاريخ الإسلام للذهبي .
- ٩ . هدية العارفين للباباني .
- ١٠ . دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي .
- ١١ . كشف الظنون لحاجي خليفة .

١٢ . معجم المطبوعات .

وصف النسخة الخطية : .

نسخة كتبت بخط نسخ جميل مشكول تظهر فيها العناوين بخط أسود بارز ولكن يعيبها في بعض الأحيان سوء التخزين حيث نجد بعض الطمس على جوانبها وفي مواضع متفرقة من صفحاتها .

وتقع النسخة في ١٩١ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا .

وهي نسخة مصورة محفوظة بمعهد المخطوطات بالقوائم غير المفهرسة .

وقد قمنا بنسخ المخطوط ثم مطابقة ما نُسخ على الأصل المخطوط ليتم استدراك ما فات من سهو أو انتقال نظر أثناء النسخ ، ثم عمدنا إلى العمل التحقيقي في الكتاب من إحالة إلى جذور وشرح الكلمات وتحرير الأحاديث والآيات وغير ذلك مما استجده في الكتاب .

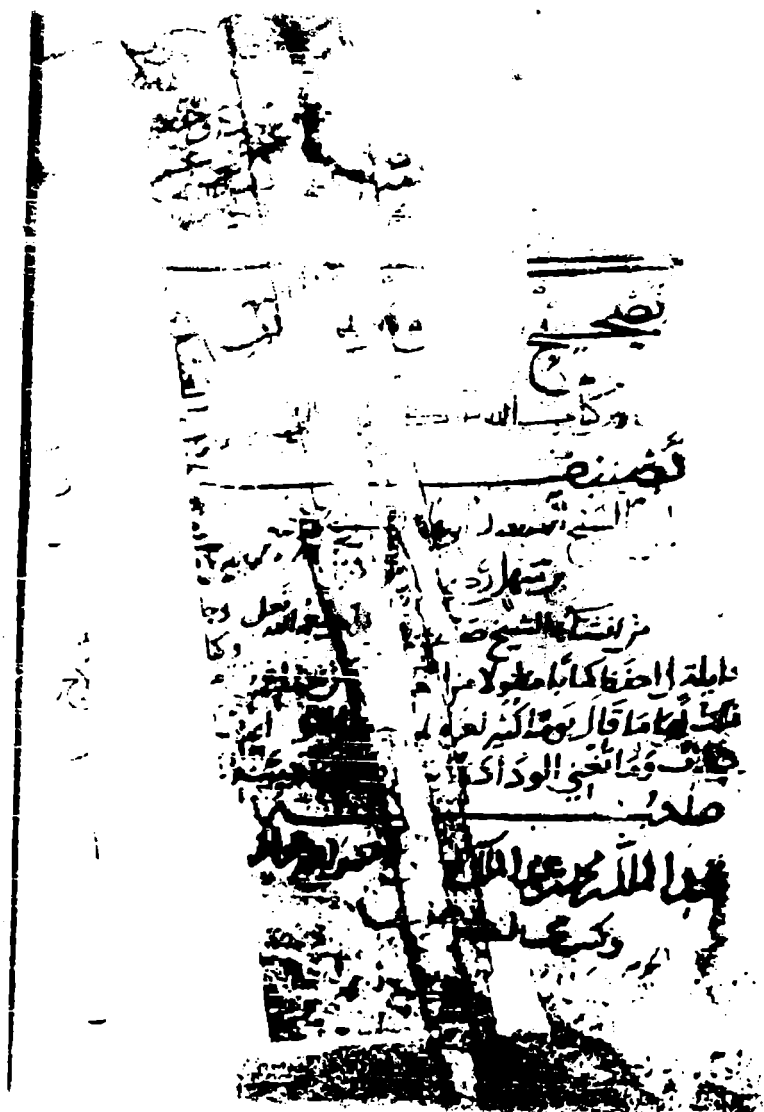
وقدما ذلك كله بدراسة لعلم الوجوه والنظائر مشيرين إلى أهم الكتب التي تحدثت في هذا المجال .

ثم ألحقنا ذلك بترجمة لأبي هلال العسكري وفرقنا بينه وبين خاله أبي أحمد والذي قد يخطأ كثير من المؤرخين فيها كما قدمنا قبل .

وهذا الكتاب كتاب جليل فيه فوائد جمّة نسأل الله أن يتفعلنا وإياكم بما فيه .

آمين

صور المخطوط



ورقة الغلاف من المخطوط

سيرة من جرحنا وصارت ابوانه فبما جرحنا
 دكر اضرب كفه منه واسفاهما والوقية ليكرهه
 به ويحرم على من جرحه من شجر يستر الى يقول ان الطوبى من
 نواعه ويستعمل من شجر من اجنابه فليست فيه ما كان
 في قوله الف اجلتم اورايد من ما كان في قوله الف
 الراجح اجزوف والله الثعير على فافيد رضاء وهو حبان

للبيبي

الباح

مناخام الفخرو النجدي المولى الف

الام

قال الشيخ طوق ولا في الحشر من عبد الله بن قيس
 رحمه الله ان الامام ائمة القصد من الامام ائمة
 القصد قصده في افعاله وقيل الخليفة الامام ائمة
 اوله ينفذ في جميع ارضه والظن بان ائمة القصد قد ائمت
 اذا قصدت واضل النعمان وهو قتل من ذلك وامر امره
 وهو ابن القريب والعبد واول النعمان ائمة يرجع الى هذا
 كل من يرد الشئ فاما قصده ائمة في قوله في قوله
 الجلال وان النماذج الجلية الرقة والوجه في قوله
 انما لان له فاني عفا في شجرة

الله أو ما يجاب فرب في النار أو على العرش لاله فواله عليه السلام
 إذا جلت في جنته ما لله وأصديق قوا والتميز خلت ما يسمو فيه
 الصديق والكذب من الكلام دوزخه وهي في القرآن على
 ثلثه أوجه أولها معنى القبر قال تعالى لا تأخذكم
 الله باليقظة إيمانكم **والثاني** القبر قال تعالى لا تأخذكم
 منه باليقظة أي لا تقمن منه يقظة ومعنى ذلك أنا قادر ونعظم
 ومنه قول الشاعر

إذا ما زايه رفعت لك تلقاه عرابه وبالبحر

ومنه قوله تعالى والشعوان مطويات بميمه أو يقدره
 ويجوز أن يكون المعنى بالبحر المطاوعة كما قال خلق في يدي
والثالث معنى الموت أو الملك قال تعالى وما

ملكتم يسبكم ما آفا الله عليكم يحيى ما جعل لكم من نعمه وخير

وما يملككم إيمانكم قد أنبنا الأبواب التي تفتح من هذا الشرط في

أول الكتاب وشرحه مضمونها ما احتاج إلى الشرح في غير

اختار ولا اقرب وربنا الله عز وجل في النفع بها عاجلا

وأجلا وهو قول المنية بذلك أرسنا الله وحسنا الله وهو الوكيل

الوكيل وصلواته على نبيه وآله الخ يا رب وكنت عبدك لافق لا فقت

دفع منه في شهر ربيع الآخر سنة ٩٥٠ واربعمائة

جامد الله تعالى وعطاه بيبته في الله الطاهر الطاهر على الدنيا في سنة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين ، وعليه أتوكلُ

الحمد لله ذي النعمِ الجليلةِ والمِنَّنِ الجزيلةِ ، الداعي إلى الرشادِ ، والهادي إلى السدادِ ، ذي الفضلِ الجسيمِ والإحسانِ العميمِ ، الشاملِ لطفه ، الكريمِ عطفه ، الغالبِ سلطانه ، الواضحِ برهانه ، المتم نوره : ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة التوبة آية ٣٢] ، المعلي دينه ولو رغم المنافقون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي له الأسماء الحسنی والصفات العلی ، وبيده الآخرة والأولى ، وما عنده خير وأبقى ، لا يجلب الخير إلا بمعونته ، ولا يدفع الضر إلا بمغوثته .

وأشهد أن محمدا عبده المجتبی ورسوله المرتضى ، صلى الله عليه وعلى آله الذين اصطفى ، وبعد

فإنك - سددك الله - ذكرت أنك طالعت الكتب المصنفة في الوجوه والنظائر من كتاب الله جل ثناؤه ، فوجدت فيها تأويلات تطرد على أصول أهل الحق من القائلين بالتوحيد والعدل .

(الاعتراض)

فأردت أن يرد كل شيء منها إلى حقه ، وألفت في معانيها ما يدخل بعضه في بعض ، فالتصمت إيراد كل نوع منها على وجهه ، وتوخيت أن يكون ما تفرق منها مجموعا في كتاب واحد على وجه يقرب استخراج ما يراد منه عند الحاجة إليه ، ويزاد عليه ما كان من جنسه مما لم تتكلم فيه السلف .

فعملت كتابي هذا مشتملا على أنواع هذا الفن ، محمولا على ما طلبت ، ومسلوكا به طريق ما سألت ، قد نفي اللبس عن جميعه ، وبيّن الصواب في صنوفه ، وميزت وجوهه تميزا صحيحا ، وقسمت أبوابه تقسيما مليحا .

وذكر أصل كل كلمة منه واشتقاقها في العربية ؛ لتكثر فائدتك به ، ونظم على نسق حروف المعجم ؛ ليتيسر الوصول إلى المطلوب من أنواعه ، ويتسهل نيل ما ينبغي من أصنافه .

فأبتدئ منه بما كان في أوله ألف أصلية أو زائدة ، ثم بما كان في أوله باء ، ثم كذلك إلى آخر الحروف .

والله المعين على ما فيه رضاه ، وهو حسبنا ونعم الحسيب .

٢٧

الباب الأول

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

إمام

قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله :

الإمام أصله : القصد^(١) :

(١) الإمام : الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعاً . ينظر التعريفات للجرجاني (أ م م) .
وأما الهمزة وللميم فأصل واحد ، يتفرع منه أربع أبواب ، وهي الأصل ، والمرجع ، والجماعة ، والدين ، وهذه الأربعة متقاربة ، وبعد ذلك أصول ثلاثة ، وهي القامة ، والحين ، والقصد ، قال الخليل : الأم الواحد والجمع أمهات ، وربما قالوا أم وأمات . قال شاعرٌ وجمع بين اللغتين :

إذا الأمهات قَبِخْنَ الوجوه *** فَرَجَتْ الظلَامُ بَأَمَاتِكَا

وتقول العرب : "لا أم له" في المندح والذم جميعاً . قال أبو عبيدة : ما كنت أماً ولقد أتممت أمومة . وفلانة تؤم فلاناً أي تغذوه ، أي تكون له أماً تغذوه وتربيته .
وتقول أم وأمة بالهاء . قال :

تَقَبَّلْتَهَا مِنْ أُمِّهِ لَكَ طَالَمَا *** تَتَوَزَّعُ فِي الْأَسْوَاقِ عَنْهَا جَارُهَا

قال الخليل : كلُّ شيء يُقَسَّمُ إليه ما سواه عما يليه فإن العرب تسمي ذلك الشيء أماً . ومن ذلك أم الرأس وهو الدماغ . تقول أمت فلاناً بالسيف والعصا أماً ، إذا ضربته ضربة تصل إلى الدماغ . والأميم : المأموم ، وهي أيضاً الحجارة التي تُشَدَّخُ بها الرؤوس ، والشجعة الآمة : التي تبلغ أم الدماغ ، وهي المأمومة أيضاً . قال :

يَجُجُّ مَأْمُومَةٌ فِي قَعْرِهَا بَجَفَّ *** فَاسَتْ الطَّيِّبُ قَدْذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ

قال الخليل : أم التناهب أشدها وأبعدها . وأم القرى : مكة ؛ وكل مدينة هي أم ما حولها من القرى ، وكذلك أم رُحِمٍ وأم القرآن : فاتحة الكتاب . وأم الكتاب : ما في اللوح المحفوظ . وأم الرمح : لواؤه وما لفَّ عليه . قال :

وَسَلَبَ الرُّمَحَ فِيهِ أُمُّهُ *** مِنْ يَدِ الْعَاصِي وَمَا طَالَ الطُّوْلُ

وتقول العرب للمرأة التي يُتَزَلَّ عليها : أم متوى ، وللرجل أبو متوى . قال ابن الأعرابي : أم مرزم الشال ، قال :

إِذَا هُوَ أَمْسَى بِالْحَلَاةِ شَاتِيَا *** تَقَشَّرُ أَعْلَى أَنْفِهِ أُمُّ مِرْزَمٍ

وأم كلية الحمى . ففيه قول النبي صلى الله عليه وسلم لزيد الخليل : "أبرح فتى إن نجا من أم كلبة" . وكذلك أم ملذم ، وأم النجوم : السماء . قال تالط شراً :

يَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسُ الْأَنْبَسَ وَيَتَدَي *** بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ

انظر معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس مادة (أ م م) .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

وسمي الإمام إماماً ؛ لأنك تقصد قصده في أفعاله .

وقيل للخليفة : إمام ؛ لأنك تقصد قصد أوامره ، أو لأنه يتقدم ، فتبوع أثره .

والطريق^(١) : إمام ؛ لأنه يقصد . وقد أمت ، إذا قصدت .

وأصل التيمم : التأتم ، وهو تفعل من ذلك . وأمر أمم : قصد ، وهو ما بين القريب والبعيد .

وأم الشيء : أصله ، ترجع إلى هذا ؛ لأن كل من يريد الشيء فإنها يقصد أصله ، فيتدنى به في أكثر الحال .

وأم الدماغ : الجلدة الرقيقة التي تجمعها .

وسميت الأم أما ؛ لأن ولدها يتبعها .

وسميت سورة الحمد : أم الكتاب ؛ لأنها تتقدم الكتاب ، فهو تابع لها كما يتبع الولد أمه .

والإمام في القرآن على أربعة أوجه :

أولها : بمعنى القائد ، قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٤] ، أي : قائدا في الخير مقتدى بك .

(١) الإمام : الطريق ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا لِمَا مَنِى ﴾ . والأمام : بمنزلة القُدَام ، وفلان يؤم القوم ، أي : يَقْدُمُهُمْ . وتقول : صَدْرُكَ أَمَامُكَ ، تَرْفَعُهُ ، لَأَنَّكَ جَعَلْتَهُ أَسْماً ، وتقول : أَخُوكَ أَمَامُكَ ، تنصب ، لأن أَمَامَكَ صفة ، وهو موضع للأخ ، يُعْنَى به ما بين يديك من القرار والأرض . العين مادة (أ م م) .

وقال الألوسي في روح البيان ١٠ / ٥٨ : إن القول الأول كذلك أيضاً لأن الأخبار عن مدينة قوم لوط عليه السلام بأنها ﴿ لِيَأْتِيَهُمْ مُبِينٌ ﴾ أي لطريق واضح يتكرر مع الأخبار عنها آنفاً ، بأنها لبسيل مقيم على ما عليه أكثر المفسرين ، وجمع غيرها معها في الأخبار لا يدفع التكرار بالنسبة إليها وكأنه لهذا قال بعضهم : الضمير يعود على لوط وشعب عليها السلام أي وانها لطريق من الحق واضح .

وقال الجبائي : الضمير لخبر هلاك قوم لوط وخبر هلاك قوم شعيب ، والإمام اسم لما يؤتم به وقد سمي به الطريق والروح المحفوظ ومطلق اللوح المعد للقراءة وزيج البناء ويراد به على هذا اللوح المحفوظ .

والجعل هاهنا بمعنى القضاء ، أي : قاض لك بالتقدم على الناس بالنبوة ليقنتوا بك ، : ﴿ قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٤] ، يجوز أن يكون سؤالاً : أن يجعل من ذريته أنبياء ، ويجوز أن يكون استخباراً ، فقال : ﴿ لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٤] ، أي : ينال عهدي المؤمنين من ذريتك دون الظالمين لأنفسهم .

والمعهد هاهنا : النبوة والوحي ، وقيل : الرحمة ، وقيل : الوعد ، والأول الوجه .

ومثله : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [سورة الفرقان آية ٧٤] ، أي : الطف بنا حتى نصير من التقوى والصلاح بحيث يقتدي بنا المتقون . ويجوز أن يكون المعنى : حتى نكون يوم القيامة من أئمة المتقين نتقدمهم في المضي إلى الجنة ويتبعونا .
وقال : إماما ، وأراد أئمة ، ساهم بالمصدر .

أم يؤم إماما وإمامة ، كما تقول : جل جلالا وجلالة ، ومثله : الكتاب والكتابة ، وقيل : معناه : اجعلنا للمتقين بالالتزام بهم ، أي : اجعلنا أتباعا لهم .

ونحوه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قَلِيلٌ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [سورة هود آية ١٧] ، الأحقاف ١٢] ، يعني : التوراة يقتدى بها .

الثاني : الكتاب ، قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ﴾ [سورة الإسراء آية ٧٢] ، أي : بكتابتهم الذي فيه أعمالهم . وقيل : بداعيهم الذي دعاهم إلى الهدى أو الضلالة .
وقيل : بدينهم .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة يس آية ١٢] ، يعني : اللوح المحفوظ ، والشاهد قوله : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ﴾ [سورة يس آية ١٢] ، أي : نكتب ما سلف من أعمالهم ، وما أثروه في الدنيا من سنن الخير أو الشر ، ثم قال : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ أي : وكتبنا كل شيء في اللوح المحفوظ ؛ لتعتبر الملائكة بما يكون من ذلك لأوقاته ، لا لمخافة النسيان ؛ لأن النسيان لا يجوز على الله .

٣٠ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

الرابع : الطريق ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الحجر آية ٧٩] . أي :
بطريق واضح تمرّون عليها في أسفاركم ، يعني : القريتين المهلكتين ؛ قرية قوم لوط
وأصحاب الأيكة .

الامة^(١)

راجعة إلى القصد ، وهي : الجماعة التي تقصد الأمر بتضافر وتعاون . وقولنا : أمة محمد صلى الله عليه ، معناه : الجماعة القاصدة لتصديقه ، المتفقة في أصول دينه ، وإن اختلفت في الفروع .

ويموز أن يكون أصل الكلمة الجمع . فليل للرجل : أمة ؛ لأنه يسد مسد الجماعة . والإمام : إمام ؛ لاجتماع القوم عليه . والأم ؛ لجمعها أمر الولد^(٢) .

والأمة : الدهر ؛ لأنها جماعة شهور وأعوام ، وهو قوله : ﴿ وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [سورة يوسف آية ٤٥] . وقيل : يريد بعد حين أمة فحذف .

وأمة : إذا قصد الاجتماع معه . وفلان حسن الأمة ، أي : القامة ؛ وذلك لاجتماع خلقه على الاستواء .

والأمة : قيل : من الأمة الجماعة ، أي : على أصل ما عليه الأمة ، وقيل : هو من الأم . وهي في القرآن على عشرة أوجه :

(١) الامة : الجماعة ، وتكون واحدا إذا كان يقتضي به في الخير ، ومنه قوله تعالى : " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله " ، وقال صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل : (يبعث أمة وحده) لانه لم يشرك في دينه غيره ، والله أعلم .

وقد يطلق لفظ الامة على غير هذا المعنى ، ومنه قوله تعالى : " إنا وجدنا آباءنا على أمة " أي على دين وملة ، ومنه قوله تعالى : " إن هذه أمتكم أمة واحدة " . وقد تكون بمعنى الحين والزمان ، ومنه قوله تعالى : " وادكر بعد أمة " أي بعد حين وزمان . ويقال : هذه أمة زيد ، أي أم زيد .

والامة أيضا : القامة ، يقال : فلان حسن الامة ، أي حسن القامة ، قال : وإن معاوية الاكرمين ؟ حسان الوجوه طوال الاسم وقيل : الامة الشجة التي تبلغ أم الدماغ ، يقال : رجل مأموم وأميم . [القرطبي : ١٢٧/٢] .

(٢) تأويل ذلك كان آدم على الحق إماما لذريته ، فبعث الله النبين في ولده . ووجهوا معنى " الأمة " إلى طاعة الله ، والدعاء إلى توحيده واتباع أمره ، من قول الله عز وجل (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا) [سورة النحل : ١٢٠] ، يعني بقوله " أمة " ، إماما في الخير يقتدى به ، ويُتبع عليه . ينظر تفسير الطبري ٢٧٦/٤ .

أولها : الجماعة ، قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ فُرَيْتًا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٨] ، أي : جماعة ، ومثله : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿أُمَّةً قَانِئَةً﴾ [سورة آل عمران آية ١١٣] ، وقوله : ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةً﴾ [سورة المائدة آية ٦٦] ، وقوله : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ [سورة الأعراف آية ١٥٩] .

الثاني : الملة ، قال الله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة البقرة آية ٢١٣] . يعني : أهل أمة واحدة ، أي : ملة ؛ فحذف لبيان المعنى^(١) ، كما قال : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف آية ٨٢] .

وسميت الملة أمة ؛ لاجتماع أهلها عليها ، ويموز أن يقال : أنها سميت أمة ؛ لأنها تقصد وتتبع .

والمراد أن الناس كانوا على الكفر فيما بين آدم ونوح ، أو فيما بين نوح وإبراهيم ، فبعث الله النبيين عليهم السلام بالأوامر والنواهي والبشارات والزواجر ، : ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٣] ، أي : الذي فيه الحق ؛ ليكون فصلا بين المختلفين بها فيه من التمييز بين الصواب والخطأ ، وهو مثل قولك : ذهب به ، وخرج به ، وما أشبهه^(٢) .

(١) وأصل "الأمة" ، الجماعة تجتمع على دين واحد ، ثم يكتفى بالخبر عن "الأمة" من الخبر عن "الدين" ، لدلائلها عليه ، كما قال جل ثناؤه : (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) [سورة المائدة : ٤٨] سورة النحل : ٩٣ ، يراد به أهل دين واحد وملة واحدة . فوجه ابن عباس في تأويله قوله : "كان الناس أمة واحدة" ، إلى أن الناس كانوا أهل دين واحد حتى اختلفوا .

(٢) جازئ أن يكون كان ذلك حين عرض على آدم خلقه . وجازئ أن يكون كان ذلك في وقت غير ذلك - ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة على أي هذه الأوقات كان ذلك . فغير جازئ أن نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل : من أن الناس كانوا أمة واحدة ، فبعث الله فيهم لما اختلفوا الأنبياء والرسل . ولا يضربنا الجهل بوقت ذلك ، كما لا ينبغي العلم به ، إذا لم يكن العلم به لله طاعة ، غير أنه أي ذلك كان ، فإن دليل القرآن واضح على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة ، إنها كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به . وذلك إن الله جل وعز قال في السورة التي يذكر فيها "يونس" : (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [يونس : ١٩] . فتوعد جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع ، ولا على كونهم أمة واحدة ، ولو كان اجتماعهم قبل الاختلاف كان على الكفر ثم كان الاختلاف بعد ذلك ، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان ، ولو كان ذلك كذلك

الثالث : أهل الإسلام بعينه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ [سورة يونس آية ١٩] ، يعني : حالهم على عهد آدم ، وما كانوا عليه في سفينة نوح . ومثله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة النحل آية ٩٣] ، ومثله في المائدة ، أي : لو شاء الله لجعلكم متفقين على الإسلام قهرا ، كما قال تعالى : ﴿ فَظَلْتُ أَغْنَاهُمْ هَٰذَا خَاضِعِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية ٤] .

الرابع : قوله : ﴿ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة الأنبياء آية ٩٢] . أي : ملتكم ، فهي هاهنا الملة بعينها ، وفي الأول : الجماعة المتفقة على الملة الواحدة كما بينا .

قال الزجاج : ﴿ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ، : ﴿ أُمَّتُكُمْ ﴾ رفع ؛ لأنه خبر هذه ، المعنى : أن هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق ، فإذا افرقت فليس من خالف الحق داخلا فيها ، فنصب : ﴿ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ على الحال .

وقرى : (أمة واحدة) على أنها خبر بعد خبر ، ومعناه : إن هذه أمة واحدة سورة ليست آية أمما ، ويموز أن يكون نصب : ﴿ أُمَّتُكُمْ ﴾ على التوكيد كأنه قال : إن أمتكم كلها أمة واحدة .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ [سورة هود آية ٨] . يعني : سنين .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [سورة يوسف آية ٤٥] . أي : بعد حين .

وسمي الحين أمة ؛ لأنه جماعة أوقات وشهور . وقيل : هو على حذف : أي : بعد حين أمة ، أي : جماعة .

لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته ، ومحال أن يتوعد في حال التوبة والإنابة ، ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك .

وقرئ : بعد أمة ، أي : بعد نسيان . وقيل : ﴿إِلَى أُمَةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ ، أي : جماعة معدودة ، بأنه ليس فيها من يؤمن ، فإذا صارت كذلك أهلكك بالعذاب .

السادس : قوله تعالى : ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [سورة النحل آية ٩٢] ، يعني : قوما يكونون أربى من قوم ؛ أي : أكثر عددا ، ومنه الربا ؛ لأنه زيادة في أصل المال .

ومثله : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [سورة الحج آية ٣٤] . أراد أنه جعل لكل أمة من الأمم التي خلت فيها الرسل منسكا ؛ وهو الذبائح التي كان أمرهم أن يقتربوا بها إلى الله - وتكلم في ذلك فيما بعد إن شاء الله - ولم يرد جميع الأمم ؛ لأنه لم يجعل للمجوس وعباد الأصنام مناسك^(١) .

السابع : الإمام ، قال الله تعالى : ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِنًا﴾ [سورة النحل آية ١٢٠] . أي : إماما يقتدى به في الخير .

وقيل الأمة : الرجل العظيم ، وسمي بذلك ؛ لأنه يؤم في الحوائج ؛ أي : يقصد .

(١) لما ذكر تعالى الذبائح بين أنه لم يخل منها أمة ، والامة القوم مجتمعون على مذهب واحد ، أي ولكل جماعة مؤمنة جعلنا منسكا . والمنسك الذبيح وإراقة الدم ، قاله مجاهد : يقال : نسك إذا ذبح ينسك نسكا . والذبيحة نسكة ، وجمعها نسك ، ومنه قوله تعالى : " أو صدقة أو نسك " (١) [البقرة : ١٩٦] . والنسك أيضا الطاعة .

وقال الأزهري في قوله تعالى : " ولكل أمة جعلنا منسكا " : إنه يدل على موضع النحر في هذا الموضع ، أراد مكان نسك . ويقال : منك ومنسك ، لثقتان ، وقرئ بهما . قرأ الكوفيون إلا عاصبا بكسر السين ، الباقون يفتحها .

وقال الفراء : المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير أو شر . وقيل مناسك الحج لترداد الناس إليها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي .

وقال ابن عرفة في قوله : " ولكل أمة جعلنا منسكا " : أي مذهبا من طاعة الله تعالى ، يقال : نسك نسك (٢) قومه إذا سلك مذهبهم . وقيل : منسكا عيدا ، قاله الفراء . وقيل : حججا ، قاله قتادة .

والقول الاول أظهر ، لقوله تعالى : (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبح ما رزقهم .

فأمر تعالى عند الذبيح بذكره وأن يكون الذبيح له ، لانه رازق ذلك .

ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم إلى إخبار الحاضرين بها معناه فالاله واحد لجميعكم ، فكذلك الامر في الذبيحة إنها ينبغي أن تخلص له .

الثامن : أمة كل رسول ؛ يعني : من بعث إليه الرسل من أمثال عاد ، وثمود ، وقوم لوط ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ [سورة الحجرات آية ٥ ، المؤمنون ٤٣] ، يعني : من هذه الأمم لم تسبق أجلها في العذاب .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [سورة فاطر آية ٢٤] . يعني : الأمة من هذه الأمم ؛ لأن الفرس والسند والهند والزنج أمم ولم يبعث فيها نذير ، وإنما كانوا متعبدين بتصديق من بعث في غيرهم من الأنبياء ، على حسب ما يعبدوا بتصديق محمد صلى الله عليه وآله ، ولم يبعث فيهم .

التاسع : قوله : ﴿ كُتِّمَ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . يعني : أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة آية ١٤٣] . أي : عدلا . وهو من واسطة القلادة ، وليس من قولهم : هذا شيء وسط . إذا كان بين العالي والمنحط ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله : " أنا أوسط قريش نسبا " .

وله وجه آخر : وهو أن الوسط : العدل ، وسمي بذلك ؛ لأنه بين غلو الغالي وتقصير المقصر^(١) .

(١) وأما "الوسط" ، فإنه في كلام العرب الخيار . يقال منه : "فلان وَسَطُ الحسب في قومه" ، أي متوسط الحسب ، إذا أرادوا بذلك الرفع في حبه ، و"هو وَسَطُ في قومه ، وواسط" ، كما يقال : "شاة يابسة اللبن ويسة اللبن" ، وكما قال جل ثناؤه : (فَأَضْرِبْ لَهُمْ مَطَرِيْقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا) [سورة طه : ٧٧] ، وقال زهير بن أبي سلمى في "الوسط" :

هُمُ وَسَطُ تَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ . . . إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

قال أبو جعفر : وأنا أرى أن "الوسط" في هذا الموضع ، هو "الوسط" الذي بمعنى : الجزء الذي هو بين الطرفين ، مثل "وسط الدار" محرّك الوسط مثله ، غير جاتز في "سينه" التخفيف .

وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسط" ، لتوسطهم في الدين ، فلا هم أهل غلو فيه ، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب ، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هم أهل تقصير فيه ، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله ، وقتلوا أنبياءهم ، وكذبوا على ربهم ، وكفروا به ؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه . فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها .

وأما التأويل ، فإنه جاء بأن "الوسط" العدل . وذلك معنى الخيار ، لأن الخيار من الناس عدوهم .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

ومعنى الآية على هذا : إنكم لم تغلوا في الأنبياء غلو النصارى في عيسى ، إذ قالوا : إنه إله . ولم تقصروا فيهم تقصير اليهود ، إذ قالوا : إنه كذاب .

ومن الأول قولهم : فلان وسيط في حربه ، أي : هو الكامل المتناهي .

وفي الآية دليل على أن الأمة لا تجتمع على الباطل .

والوسط بالإسكان : الموضع .

والوسط بالتحريك : ما بين طرفي كل شيء ، وأصل الكلمة العدل ، فالمكان لا يمتد إلى المسافة إلى أطرافه .

والرجل الأوسط في قومه : الذي تكلله الشرف من نواحيه .

العاشر : قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . يعني : الكفار من أمة محمد صلى الله عليه ، وقد تقدم ذكر الأمم والرسل في القرآن ، فعطف قوله : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ ﴾ . على أولئك الرسل ، فكانه قال : كما أرسلنا إلى أمم رسلا من قبل أرسلناك إلى أمة ، يعني : هذه الأمة ، و : ﴿ خَلَتْ ﴾ . أي : مضت ولم تبق منهم باقية .

وفي هذا التزهيد في الدنيا والحث على الاعتبار بمن سلف . ثم قال : ﴿ لِيَتْلُو عَلَيْهِمْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . أي : لتتلوه عليهم وتدعوهم إلى العمل به فحذف ذلك .

وقوله : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . موصول بقوله : ﴿ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ ﴾ . الكفر بالرحمن دينهم .

والأصل في هذا كله واحد إلا أن موضع الاستعمال يختلف^(١) .

ذكر من قال : "الوسط" العدل . ينظر تفسير الطبري ٣/ ١٤٠ - ١٤١ .

(١) قال الخليل : الأمة : الدين ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف ٢٢] .

وحكى أبو زيد : لا أئمة له ، أي لا دين له . وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل : "يُبْعَثُ أُمَّةٌ وَخَدَهُ" .

وما هنا وجه آخر ، وهو قوله : ﴿ وَمَا مِنْ قَلِيَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِفَةٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٣٨] . لما جعلها أمثالهم في الخلق والموت والبعث جعلها أمما .

وكذلك كل من كان على دين حق مخالف لسائر الأديان فهو أمة . وكل قوم نسبوا إلى شيء وأضيفوا إليه فهم أمة ، وكل جيل من الناس أمة على حدة .

وفي الحديث : "لولا أن هذه الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها ، ولكن اقتلوا منها كل أسود بهيم" .
فأما قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [البقرة ٢١٣] ، فقيل كانوا كفاراً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . وقيل : بل كان جميع من مع نوح عليه السلام في السفينة مؤمناً ثم تفرقوا . وقيل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل ١٢٠] ، أي إماماً يُتَدَيَّ به ، وهو سبب الاجتماع . وقد تكون الأمة جماعة العلماء ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ [آل عمران ١٠٤] .

وقال الخليل : الأمة القائمة ، تقول القرب إن فلاناً أطويل الأمة ، وهم أطوال الأمم ، قال الأعشى :

وإن معاوية الأكرمين *** حسان الوجوه أطوال الأمم

قال الكسائي : أمة الرجل بدنه ووجهه . قال ابن الأعرابي : الأمة الطاعة ، والرجل العالم .
قال أبو زيد : يقال إنه لحسن أمة الوجه ، يغزؤون السنة ، ولا أمة لبني فلان ، أي ليس لهم وجه يقصدون إليه لكنهم يخطئون بخط عشواء .

قال اللحياني : ما أحسن أمة أي خلقه . قال أبو عبيد : الأمتي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جيلة الناس لا يكتب ، فهو [في] أنه لا يكتب على ما ولد عليه .

قال : وأما قول النابغة :

* وهل يأتين ذر أمة وهو طائع *

فمن رفعه أراد سنة ملكه ، ومن جعله مكسوراً جعله ديناً من الائهام ، كقولك اتيم بفلان أمة .

والأمة في قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف ٤٥] ، أي بعد حين .
والإمام : كل من اقتدي به وقُدِّم في الأمور . والنبي صلى الله عليه وسلم إمام الأمة ، والخليفة إمام الرعية ، والقرآن إمام المسلمين . قال الخليل : الإمة النعمة . قال الأعشى :

* وأصاب غزوك إمة فآزالها *

انظر مقاييس اللغة مادة (أم م) .

الأخذ^(١)

أصله : الجمع ، ومنه يقال للموضع الذي يجتمع فيه ماء السماء : الأخذ ، والجمع إخاذ ، ويقال له : وخذ أيضاً ، ويقال : ولي على الشام وما أخذ إخذته ؛ أي : اجتمع مع أعماله . وماخذ الطير : مصائدھا ؛ لأنها تجتمع فيها ، والاتخاذ : أخذ الشيء لأمر يستمر . واستعمل في القرآن على ستة أوجه :

أولها : القبول ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤١] . أي : اقبلوه . وقوله : ﴿ وَيَأْخُذْ الصَّدَقَاتِ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٤] . أي : يقبلھا ، ومعنى قبوله لها إثابته عليها . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَغْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ٧٠] . أي : لا يقبل منها فدية ، والعدل : الفدية ، وسنذكره إن شاء الله .

ومثله قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾^(٢) [سورة الأعراف آية ١٩٩] . أي : اقبل الفضل من أموالهم .

(١) الفرق بين الأخذ والاتخاذ : أن الأخذ مصدر أخذت بيدي ويستعار فيقال أخذه بلسانه إذا تكلم فيه بمكره ، وجاء بمعنى العذاب في قوله تعالى " وكذلك أخذ ربك " وقوله تعالى " فأخذتهم الصيحة " وأصله في العربية الجمع ومنه قيل للمغدير وخذ وأخذ جعلت الهمة واوا والجمع وخاذ وإخاذ ، والاتخاذ أخذ الشيء لأمر يستمر فيه مثل الدار يتخذها مبيتاً والدابة يتخذها قعدة ، ويكون الاتخاذ التسمية والحكم ومنه قوله تعالى " واتخذوا من دونه آلهة " أي سموها بذلك وحكموا لها به [الفروق اللغوية : ٢٩/١] .

(٢) قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال بعضهم : تأويله : (خذ العفو) من أخلاق الناس ، وهو الفضل وما لا يجهدهم . ذكر من قال ذلك : حدثنا ابن حبان قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن مجاهد ، في قوله : (خذ العفو) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحمس . حدثنا يعقوب وابن وكيع قالوا حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله : (خذ العفو) قال : عفو أخلاق الناس ، وعفو أمورهم .

حدثنا يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : حدثني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه في قوله : (خذ العفو) ، . . الآية . قال عروة : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس : (خذ العفو وأمر بالعرف) ، الآية .

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : بلغني عن مجاهد : (خذ العفو) ، من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحمس .

- قال : حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان ، عن ابن الزبير : (خذ العفو) قال : من أخلاق الناس ، والله لأخذته منهم ما صحبتهم .

- قال : حدثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : إنها أنزل الله : (خذ العفو) ، من أخلاق الناس .

- حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (خذ العفو) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم ، من غير تحمس أو تمسك ، شك أبو عاصم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : خذ العفو من أموال الناس ، وهو الفضل . قالوا : وأمر بذلك قبل نزول الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نُسِخ . ذكر من قال ذلك :

- حدثني المثنى قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (خذ العفو) ، يعني : خذ ما عفا لك من أموالهم ، وما أنوك به من شيء فنخذه . فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات إليه .

- حدثني محمد بن الحسين . قال : حدثنا أحمد بن الفضل قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : (خذ العفو) ، أما "العفو" : فالفضل من المال ، نسختها الزكاة .

- حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ يقول : حدثنا عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاک ، يقول في قوله : (خذ العفو) ، يقول : خذ ما عفا من أموالهم . وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة .

وقال آخرون : بل ذلك أمر من الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين ، وترك الغلظة عليهم قبل أن يفرض قتالهم عليه . ذكر من قال ذلك :

- حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله : (خذ العفو) قال : أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة . قال : ثم أمره بالغلظة عليهم ، وأن يقعد لهم كل مَرَصَد ، وأن يحصرهم ، ثم قال : (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) ، [سورة التوبة : ٥ ، ١١] الآية . كلها . وقرأ : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) ، [سورة التوبة : ٧٣ / سورة التحريم : ٩] قال : وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم ، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) ، [سورة التوبة : ١٢٣] بعدما كان أمرهم بالعفو . وقرأ قول الله : (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) ، [سورة الجاثية : ١٤] ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام أو القتل ، فنسخت هذه الآية العفو .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : خذ العفو من أخلاق الناس ، واترك الغلظة عليهم وقال : أمر بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم في المشركين . وإنا قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمة نبيه صلى الله عليه وسلم لمحاجته المشركين في الكلام ، وذلك قوله : (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) ، وعقبه بقوله : (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمُ فِي النَّفْسِ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) ، فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيه صلى الله عليه وسلم في عشرتهم به ، أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين . [جامع البيان : ١٣ / ٣٢٧-٣٢٩] .

٤٠ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

قال ابن عباس : العفو ما عفا من أموالهم ؛ وهو الفضل منها بعد الكل والعيال ، ثم نزلت آية الزكاة ، وهو قول مقاتل ،

وقال الحسن ومجاهد : أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

والعفو هو التيسير والتسهيل ، والمعنى : استعمال العفو ، وقبول ما سهل من الأخلاق ، وترك الاستقصاء في المعاملات ، وقبول العذر من المذنب ، وإلى نحو هذا ذهب أبو علي رضي الله عنه .

وقال بعضهم : خذ ما أتاك عفوا من إيمان قومك وغيرهم ، وينبغي أن يكون هذا قبل فرض السيف .

وقوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [سورة الحشر آية ٧] . أي : اقبلوه واعملوا به .

الثاني : الحبس ، قال الله تعالى : ﴿ فَخُذْ أَسْرَافًا مِّمَّا كَانَتْ ﴾ [سورة يوسف آية ٧٨] . أي : احبس ، : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ ﴾ [سورة يوسف آية ٧٩] . أي : نحبس ، ومثله : ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ [سورة يوسف آية ٧٦] . وذلك أنه إذا حبس فقد حصل محصل الأسير ، [والأسير] يقال له : الأخيذ .

الثالث : العقاب ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَتِفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [سورة غافر آية ٥] . أي : عاقبتهم . وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى ﴾ [سورة هود آية ١٠٢] . أي : عقابه . وقوله : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية ٤٠] . أي : عاقبنا ، وفي هذا دليل على أن من لم يفعل ما وجب عليه فقد فعل ذنباً .

الرابع : القتل ، قال الله تعالى : ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ [سورة غافر آية ٥] . أي : ليقتلوه . كذا قيل ، والصواب : ليتمكنوا منه ، فلما أن يقتلوه ، أو يخرجوه ، أو يجسوه ، وذلك أن ما أخذه فقد تمكنت منه .

الخلاصة : الأسر ، قال الله تعالى : ﴿ وَخُذُوهُمْ وَأَخْضَرُوا مِنْهُمْ ﴾ [سورة التوبة آية ٥] .
 أي : أسروهم واحبسوهم عن وجوههم فإن أسلموا وإلا فاقتلوهم ، وإنما أمر بقتلهم
 وأسروهم وحبسهم ليخافوا النكال فيؤمنوا .

والأشهر الحرم في هذه الآية : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ؛ فواحد منها
 فرد ، وثلاثة متوالية ، وليست هذه الأشهر الأربعة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَسِيحُوا فِي
 الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ [سورة التوبة آية ٢] . لأن آخر تلك انقضاء عشر من شهر ربيع
 الأول ، وانقضاء الأشهر الحرم انقضاء المحرم والأربعة الأشهر الأولى ، وهي أشهر العهد ،
 والكلام في هذا طويل ليس ذا موضع ذكره .

السادس : الإصابة بالمكروه ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ ﴾ [سورة الحجر آية
 ٧٣] . كنا قيل ، والصحيح أنه بمعنى الإهلاك ؛ أي : أهلكتهم هذه الصيحة ، ويجوز أن
 يكون نظير قوله : ﴿ فَأَخَذْتُمُ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ ؛ لأن الصيحة عقاب .

الاعتداء

أصله تجاوز الحد ، ومنه قيل : عداء جاوزه إذا جاوز قدره ، وسمي العدو عدواً لتجاوز حد السعي والمشي ، ويجوز أن يكون أصله من الميل ، ومنه قيل : عدوة الوادي وهي جانبه ، وفي القرآن : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ﴾^(١) [سورة الأنفال آية ٤٢] .

(١) قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيقنوا ، أيها المؤمنون ، واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بينه لكم ربكم ، إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر ، إذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله "إذ أنتم" ، حيثن ، "بالعدوة الدنيا" ، يقول : بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة "وهم بالعدوة القصوى" ، يقول : وعدوكم من المشركين نزول بشفير الوادي الأقصى إلى مكة "والركب أسفل منكم" ، يقول : والعير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا" ، قال : شفير الوادي الأدنى ، وهم بشفير الوادي الأقصى "والركب أسفل منكم" ، قال : أبو سفيان وأصحابه ، أسفل منهم . حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى" ، وهما شفير الوادي . كان نبي الله بأعلى الوادي ، والمشركون أسفل "والركب أسفل منكم" ، يعني : أبا سفيان ، [انحدر بالعير على حوزته] ، حتى قدم بها مكة .

- حدثنا ابن حيد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى" ، من الوادي إلى مكة "والركب أسفل منكم" ، أي : عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا لينعوها ، عن غير ميعاد منكم ولا منهم .

- حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : "والركب أسفل منكم" ، قال : أبو سفيان وأصحابه ، مقبلون من الشام تجاراً ، لم يشعروا بأصحاب بدر ، ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ، ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه ، حتى التقى على ماء بدر من يسقي لهم كلهم . فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأسروهم .

- حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه . - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحاق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . واختلفت القراءة في قراءة قوله : "إذ أنتم بالعدوة" . فقرأ ذلك عامة قراءة المذنيين والكوفيين : (بِالْعُدْوَةِ) ، بضم العين . وقرأ بعض المكيين والبصريين : (بِالْعُدْوَةِ) ، بكسر العين .

قال أبو جعفر : وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد ، فأبتهما قرأ القارئ فمصيب ، يُنشد بيت الراعي : وَعَيْنَانِ هُمَزَ مَا قَبِيهَا كَمَا نَظَرَ الْعُدْوَةَ الْجَوْدَرُ بكسر العين من "العدوة" ، وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر : وَقَارِسَ لَوْ تَحُلُّ الْحَيْلُ عُدْوَتَهُ وَلَوْ أَسْرَاعًا ، وَمَا هُمَا بِإِقْبَالٍ [جامع البيان : ١٣ / ٥٦٤-٥٦٥] .

ومن ذلك قيل : العدو ليله عمن يعاديه ، وسمي الظلم اعتداء ؛ لأنه ميل عن الحق ، كما سمي جورا ؛ لأنه ميل .

وهو في القرآن على وجهين :

أولهما : التجاوز ، قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [سورة البقرة آية ٢٢٩] . أي : لا تجاوزوها إلى غيرها ، : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية ٢٢٩] أي : يتجاوزها ، ومثله : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [سورة الطلاق آية ١] .

الثاني : الظلم ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] . أي : فمن ظلمكم فجازوه بظلمه ، فسمي الجزاء على الظلم ظلما .

قال الشاعر :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

لم يفتخر هذا الشاعر بالجهل وإنما أراد الجزاء على الجهل .

والجهل هاهنا : ركون الرأس في الشر ، وليس هو ضد العلم .

وأول الآية : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] .

والمعنى : أن المشركين سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن القتال في الشهر الحرام ، فأنزل الله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ كَبِيرٌ [وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٧] . فأرادوا أن يغزوه في الشهر الحرام طمعا أن تكف عنهم فسألوا منه ، فأنزل الله : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ . أي : إن استحلوا منك في الشهر الحرام شيئا فاستحل منهم مثله فيه ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ . أي : لا يجوز ذلك بالمسلمين إلا قصاصا . ثم قال : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] . والمعنى : إنهم إن اعتدوا فقاتلوكم في الشهر الحرام فلا تقصروا عن قتالهم فيه ، فيكون الاعتداء من المشركين الظلم ، ومن المسلمين الانتقام .

وقوله : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة المائدة آية ٩٤] . اي : فمن

قبل الدية ثم قتل فله العذاب ؛ لأنه ظالم . وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ . طليل
على أن الحر يقتل بالعبد ؛ لأن من قتل وليه فقد اعتدى عليه .

الامر بالمعروف^(١)

يعبر عن كل شيء بالامر، وأصله في اللغة : الظهور ، ومنه قيل للعلامة : أماره ؛ لظهورها ، والإمرة ؛ لظهور أمرها ، والامير ظاهر الامر على ما يعلم ، وأمر الشيء إذا كثر ، ومع الكثرة ظهور الشأن .

والمعروف كله : ما تقبله النفس ونحبه ، والمنكر كل ما تكرهه وترده .

وأصل العرفان والمعروف واحد ؛ وهو الطمأنينة والسكون ، وذلك أنك إذا عرفت الشيء سكنت إليه إن كان محبوبا ، وإن كان مكروها عملت في إزالته لتسكن .

والعرف الريح الطيبة ؛ لأن النفس تسكن إليها .

والعرف الصبر ؛ لأنه يعقب ما يسكن معه ، ورجل عروف : صبور ، والعرف

والمعروف سواء ، والعرف ، عرف الدابة معروف .

(١) امر : الأمر : تَقْبُضُ النَّهْيُ ، والجَمِيعُ الْأُمُورُ . وَاتَّصَرَ الرَّجُلُ انْتِخَاراً : اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ . وَلَا يَأْتِمُرُ رُشْداً : أَي لَا يَأْتِيهِ . وَأَمَرْتُ فَلَاناً أَمْرَهُ : أَي أَمَرْتُهُ بِمَا يَنْبَغِي . وَإِنَّهُ لِأُمُورٍ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ قَوْمٍ أَمِيرٌ . وَالْأَمْرَةُ : الْبَرَكَةُ وَالنَّهْيُ . وَأَمْرَاءُ أَمْرَةٍ : مُبَارَكَةٌ عَلَى رَوْحِهَا .

وَأَمِيرُ الشَّيْءِ وَالْقَوْمِ : كَثُرُوا ؛ أَمَارَةً وَأَمراً ؛ فَهُوَ أَمِيرٌ ، وَكَذَلِكَ إِذَا وَلَدَتْ نَعْتَهُمْ . وَأَمْرَتُهُ : أَكْثَرَتُهُ ؛ وَأَمْرَتُهُ : مِثْلُهُ . وَمَالُهُمْ أَمَارَةٌ كَثِيرَةٌ . وَزَرْعُ إِمْرٍ : كَثِيرٌ ؛ وَأَمْرٌ بِالتَّخْفِيفِ ؛ وَأَمْرٌ بِوَزْنٍ كَبِيدٍ . وَ" فِي وَجْهِ مَالِكٍ تَعْرِفُ أَمْرَتَهُ " : أَي زِيَادَتَهُ وَخَيْرَهُ ، وَفِي الدُّعَاءِ إِذَا أَرَادُوا بِالرَّجُلِ خَيْراً : أَلْقَى اللَّهُ فِي مَالِكِ الْأَمْرَةَ . وَأَمْرُهُ مَالُهُ فَهُوَ مَأْمُورٌ وَأَمْرُهُ فَهُوَ مُؤَمَّرٌ : أَي كَثُرَ . وَفِي الْحَدِيثِ : " خَيْرُ الْمَالِ سَكَنَةٌ مَأْمُورَةٌ أَوْ مُهَرَّةٌ مَأْمُورَةٌ " وَهِيَ الْكَثِيرَةُ السَّاجِدَةُ . وَمِثْلُ : " مَنْ أَمَرَ قُلٌّ " أَي مَنْ كَثُرَ غَلَبُ .

وَالْأَمْرَةُ بِنَاءٌ كَالرَّايَةِ ، وَالْجَمِيعُ الْأَمْرُ . وَالْإِمْرَةُ : الْإِمَارَةُ ، وَأَمِيرٌ مُؤَمَّرٌ ، وَأَمْرٌ عَلَيْنَا فَلَانٌ : قَلْبِي ، وَلَكَ عَلَيَّ أَمْرَةٌ مُطَاعَةٌ . وَالْأَمَارُ : الْمَوْعِدُ . وَالْأَمَارَةُ : الْعَلَامَةُ ، وَالْأَمْرَةُ : مِثْلُهُ . وَأَمْرٌ أَمْرَةٌ وَأَمَارَةٌ : أَي صَبْرٌ عِلْماً ، وَأَمْرٌ تَأْمِيناً : مِثْلُهُ . وَالْإِمْرُ : الصَّحِيبُ مِنَ الْأُمُورِ . وَالْإِمْرُ : الصَّغِيرُ مِنَ الْأَوْلَادِ الصَّانِ ، وَالْأُنْثَى إِمْرَةٌ . وَقِيلَ : الْإِمْرَةُ الرَّجُلُ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا رَأْيَ ، وَمِنْهُ قَوْلُ السَّاجِعِ :

إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ سَفَرًا *** فَلَا تُرْسِلُ فِيهَا إِمْرَةً وَلَا إِمْرًا

وقيل : هُوَ الْأُنْثَى مِنَ الْخِمْلَانِ . وَيَسَانُ مُؤَمَّرٌ : أَي مُخَدَّدٌ .

وَالْمُؤَامَرَةُ : الْمُشَاوَرَةُ ، أَمَرْتُ الرَّجُلَ ، وَمُرْنِي : أَي أَهَيَّزْ عَلَيَّ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : " إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ " . وَالْمُفْعَرَةُ : الْمَشُورَةُ . وَالْمُؤَمَّرُ مِنْ أَسْمَاءِ الشُّهُورِ : الْمُحَرَّمُ ، وَجَمْعُهُ مُؤَمَّرَاتٌ .

وَالْأَمِيرُ : اسْمُ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَجُوزِ ، وَشُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْحَدَرِ مِنْهُ . وَالْمُؤَمَّرُ : الْيَوْمُ الثَّانِي ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِمُرُ بِالنَّاسِ أَي يُؤْذِنُهُمْ بِبَرْزِهِ . [المحيط في اللغة : ٢ / ٤٤٤] .

وهو في القرآن على وجهين :

الوجه الأول : الأمر بتوحيد الله ، [سورة والنهي آية عن] الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ اتِّخَاذُ اللَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا ۚ لِّلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ ۚ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . جاء في التفسير أنه أراد توحيد الله ، : ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . يعني : الشرك بالله ، ومثله قوله : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ اصْلُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة لقمان آية ١٧] . أي : بتوحيد الله : ﴿ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة لقمان آية ١٧] . أي : عن الشرك .

الوجه الثاني : قيل : هو اتباع الرسول ، قال الله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ۖ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٣] ، ثم قال : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٤] . أي : باتباع الرسول ، : ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٤] . أي : عن التكذيب به ، هكذا قالوا .

قال أبو هلال رحمه الله : وعندنا أن أحد هذين الوجهين داخل في الآخر ، وهما جميعا يكونان الأمر بوجوه المحاسن والطاعات كلها .

والنهي عن المنكر : النهي عن المعاصي والقبائح جميعها .

أدنى

أفعل ، من اللغو وهو القرب ، وتأنيت أدنى : دنيا ، وتجمع : دنى ، مثل : كبرى وكبر ، وسميت الدنيا دنيا ؛ لأنها تؤدي إلى آخرة .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

أحدها : بمعنى : أجدر ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَذْنِيَّ أَلَا تَرْتَابُوا ﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٢] . أي : أجدر أن لا تشكوا إذا رأيتم خطوطكم يخاطب الشهود . وقال : ﴿ ذَلِكَ كُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٢] . يعني : الكتب . وأقسط : أعدل ؛ لأنه أبعد من التظالم وأقوم للشهادة ؛ يعني : أنها إذا كانت مكتوبة كانت أثبت وأبعد من اعتراض شك فيه ؛ لأن صاحبها إذا رأى خطه به لم يشك في صحتها في أكثر الحال .

ومثله : ﴿ أَذْنِيَّ أَلَا تَعُولُوا ﴾ [سورة النساء آية ٣] . أي : أجدر ألا تجوروا وتميلوا ، والعول : الميل عن الحق ، والعول : النفقة على العيال ، عالم عولا .

وأول الآية : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء آية ٣] الآية ، والمراد : أن أحدهم كان فيما مضى يتزوج عشر نسوة فتعظم المؤونة عليه ، فيمد يده إلى مال اليتامى الذي يلي أمرهم وهو مشفق من ذلك ، فقيل له : كما خفت على نفسك في أموال اليتامى فخف عليها في حقوق النساء ، فإنهن أيضا إلى الضعف والحاجة إلى ما هن ، ولا يتزوج منهن أكثر مما يتسع له ، ثم قال : ﴿ ذَلِكَ أَذْنِيَّ أَلَا تَعُولُوا ﴾ . أي : تزوجكم الواحدة أقرب ألا تجوروا .

وقيل : كانوا يتزوجون العشر من اليتامى رغبة في ما هن ، فربما عجزوا عن التسوية بينهم في النفقة والفراش ، فقال الله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ﴾ [سورة النساء آية ٣]

(١) (د ن و) : (دَنَا) مِنْهُ قَرَّبَ وَأَدْنَاهُ غَيْرُهُ (وَمِنْهُ) أَذْنَتْ الْمَرْأَةُ قُرْبَاهَا إِذَا أَرْخَتْهُ وَتَسَرَّتْ بِهِ (وَفِي التَّنْزِيلِ) ﴿ يُنْزِلْنَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَذْنِيَّ ﴾ أي أَوْلَى مِنْ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يَتَعَرَّضْنَ لَهُنَّ (وَرَجُلٌ ذَنِيٌّ) خَبِيرٌ (وَالذَّنِيَّةُ) النَّقِيسَةُ (وَمِنْهَا) قَوْلُ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ اللَّهَ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ فَلَمْ نُعْطِ (الذَّنِيَّةَ) فِي دِينِنَا [المغرب : الدال مع النون] .

٣. أي : في نكاح اليتامى ؛ فحذف النكاح ودل عليه بقوله : ﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء آية ٣] . يعني : من هؤلاء اليتامى ، ولم يقل : ما طاب لكم منهن ؛ لأن لا يظن أن الخطاب مقصور عليهن دون سائر النساء ، وأراد أن يبين أن هذا ينبغي أن يستعمل فيهن وفي غيرهن من النساء ، وإذا ذكر النساء دخل اليتامى فيهن ، وإذا ذكر اليتامى لم يدخل فيه غيرهن .

الثاني : بمعنى : أقرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَتَذَيِّقُنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى ﴾ [سورة السجدة آية ٢١] . يعني : الجوع والضر والخوف في الدنيا ، : ﴿ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ [سورة السجدة آية ٢١] في الآخرة وهي النار . هكذا قالوا ^(١) .

وهو عندنا بمعنى أيسر ؛ لأنه جعله مع أكبر ، وقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [سورة النجم آية ٩] . أي : أقرب لا غير .

الثالث : بمعنى : أقل ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ ﴾ [سورة المجادلة آية ٧] . أي : أقل .

الرابع : بمعنى : أخون ، قال الله تعالى : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [سورة البقرة آية ٦١] . أي : الأرفع وهو المن والسلوى بالأوضع ، هو ما طلبوه من نبات

(١) قوله تعالى : ﴿ وَلَتَذَيِّقُنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى ﴾ وفيه ستة أقوال .
أحدها : أنه ما أصابهم يوم بدر ، رواه مسروق عن ابن مسعود ، وبه قال قتادة ، والسدي .
والثاني : سنون أخذوا بها ، رواه أبو عبيدة عن ابن مسعود ، وبه قال النخعي . وقال مقاتل : أخذوا بالجوع سبع سنين .

والثالث : مصائب الدنيا ، قاله أبي بن كعب ، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة ، وأبو العالية ، والحسن ، وقاتدة ، والضحاك .

والرابع : الحدود ، رواه عكرمة عن ابن عباس .

والخامس : عذاب القبر ، قاله البراء .

والسادس : القتل والجوع ، قاله مجاهد .

قوله تعالى : ﴿ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ أي : قَبْلَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ؛ وفيه قولان .

أحدهما : أنه عذاب يوم القيامة ، قاله ابن مسعود .

والثاني : أنه القتل ببدر ، قاله مقاتل . [زاد المسير : ١١٧/٥] .

الأرض ، و : ﴿ خَيْرٌ ﴾ هاهنا بمعنى أقبل ؛ وجعل المن والسلوى أرفع من غيرهما ، إذ لم يكن في نيلهما تعب ولا إثم .

الإسلام

أصله السكون ، ومنه قيل : أسلم خلاف الحرب ؛ لما فيها من السكون . ثم استعمل في الخضوع ، فقيل : أسلم الرجل واستسلم إذا خضع وتواضع ؛ لأن مع الخضوع سكون الأطراف ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [سورة الحجرات آية ١٤] .

(١) [سلم] السَلَمُ : صَرَبٌ مِنَ الدَّلَاءِ مُسْتَطِيلٌ لَهَا عُزْوَةٌ وَاحِدَةٌ . وَلَذُعُ الْحَيَّةِ ، وَالْمَلْدُونُغُ : سَلِيمٌ وَمُسْلُومٌ . وَرَجُلٌ سَلِيمٌ : سَالِمٌ ؛ سَلِيمٌ سَلَامَةٌ .

وقَوْلُهُمُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ : أَيِ السَّلَامَةِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . وَالسَّلَامُ : السَّلَادُ ، مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : " وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا " أَيِ صَوَابًا . وَقِيلَ : سَلِيمٌ مِنَ الْعَيْبِ . وَقَوْلُهُ : " اللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ " ، السَّلَامُ : اللَّهُ ، وَدَارُهُ : الْجَنَّةُ . وَقِيلَ : هِيَ السَّلَامَةُ . وَقُرِئَ : " وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ " أَيِ خَالِصًا . وَالْمُسْلِمُ : الْمُخْلِصُ لِلَّهِ عِبَادَتَهُ . وَالسَّلَامُ : الْحِجَارَةُ ، وَالوَاحِدَةُ سَلَمَةٌ .

وَالسَّلَامُ : صَرَبٌ مِنْ دِقِ الشَّجَرِ . وَالسَّلَامَى : عِظَامُ الْأَصَابِعِ وَالْأَشَاجِعِ وَالْأَكَارِجِ ، وَالْجَمِيعُ سَلَامِيَّاتٌ . وَهُوَ آخِرُ مَا يَتَقَى مِنَ الْمَخِّ فِي السَّلَامَى وَالْعَيْنِ . وَالسَّلَمُ : صَرَبٌ مِنَ الشَّجَرِ ، الْوَاحِدَةُ سَلَمَةٌ . وَالْمُسْلُومُ : الْمَذْبُوحُ بِهِ . وَأَزْهَرُ مُسْلُومَاتِهِ : كَثِيرَةُ السَّلَمِ . وَالْإِسْلَامُ : الْإِسْتِغْلَامُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِثْقَاءُ لِعَاطِيهِ . وَيَقُولُونَ : سَلَمْنَا لِلَّهِ رَبِّنَا : أَيِ اسْتَسْلَمْنَا لَهُ وَأَسْلَمْنَا . وَالسَّلَمُ - أَيْضًا - : الْإِسْلَامُ .

وَالْمُسْلِمُ : الْمُسْتَسْلِمُ . وَالْمَسَالِمُ : جَمْعُ الْمُسْلِمِ . وَكَانَ كَافِرًا ثُمَّ تَحَنَّنَ : أَيِ اسْلَمَ . وَأَسْلَمْتُ فَلَانًا : خَذَلْتُهُ . وَأَسْلَمْتُ إِلَيْهِ تَوْبًا ، وَسَلَّمْتُ لَهُ وَالِيهِ . وَيَقُولُونَ : الْمَطْلُومُ عِنْدَنَا يُسَلِّمُ ظَلَمَتَهُ : أَيِ يُغْفِي ظَلَمَتَهُ . وَتَسَلَّمْتُ حَاجَتِي مِنْ فَلَانٍ : أَيِ نَجَزْتُ وَقُضِيَتْ . وَلَا يُسْتَلَمُ عَلَى سُخْطِهِ : أَيِ لَا يُسْطَلَّحُ عَلَى مَا يَكْرَهُهُ . وَكُلُّ تَارِكٍ لِنَهْيٍ فَهُوَ مُسْلِمٌ لَهُ . وَاسْتِغْلَامُ الْحَجَرِ : تَنَاوُلُهُ بِالْيَدِ أَوْ بِالْقَبْلَةِ . وَالسَّلْمُ وَالسَّلْمُ وَالسَّلَامُ وَالسَّلَامُ وَالسَّلَامَةُ : وَاحِدٌ ، وَهُوَ الصَّلُوحُ . وَأَخَذَهُ سَلَمًا : أَيِ اسْتَرَهُ . وَإِنَّهُ لَحَسَنُ السَّلَمِ : أَيِ الْإِسْلَامِ وَالِدِينِ . وَالسَّلَمُ - بِفَتْحَتَيْنِ - : الْأَسْرُ . وَهُوَ الْأَسِيرُ أَيْضًا .

وَأَسْلَمَ الرَّجُلُ بَعْدَ جُنُونِهِ : إِذَا تَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ جُنُونِ الشَّيْءِ . وَيَقُولُونَ لِلرَّجُلِ الْكَاذِبِ : " مَا تَسَلَّمَ خِيَلًا كَذِبًا " .

وَكَلِمَةُ سَالِمَةَ الْعَيْنَيْنِ : أَيِ حَسَنَةٍ .

وَالسَّلَمُ : مَا اسْلَفَتْ فِيهِ . وَفِي الْحَقِيقَةِ : " لَا بَأْسَ بِالسَّلَمِ " ، يُقَالُ : اسْلَمَ فِيهِ . وَالسَّلْمُ : السَّيْرُ ، وَالْمَرْقَى ، وَالْجَمِيعُ السَّلَامِيَّةُ . وَالسَّلْمُ : كَوَائِبُ اسْفَلٍ مِنَ الْعَانَةِ عَنْ يَمِينِهَا . وَالسَّلِيمُ مِنْ حَافِرِ الْقَرْسِيِّ : يَتَقَى الْأَمْعَرِ وَالصَّخْرِ مِنْ بَاطِنِهِ . وَالْأَسْلِيمُ : عِزْقٌ فِي الْيَدِ . وَالْأَسْلُومُ : بَطْنٌ مِنْ حِمَيْرٍ . وَامْرَأَةٌ سَلِيمَةٌ وَسَلِيَّةٌ : إِذَا كَانَتْ لَبَنَةَ الْأَطْرَافِ نَاعِمَتَهَا . وَفَلَانٌ مُسْتَلَمٌ الْقَدَمَيْنِ : أَيِ لَيْبِنَهَا . وَاسْتَسْلَمَ نَكَمَ الطَّرِيقِ : أَخَذَهُ وَلَمْ يُحِطْ بِهِ . وَأَبُو سَلَمَانَ : أَكْظَمُ الْجِعْلَانِ ذُو رَأْسٍ عَظِيمٍ . وَأَبُو سَلَمَى : هُوَ الْوَرَعُ .

وَالسَّلَامَانَةُ : مِثْلُ الْأَلَامَةِ ، وَتُجْمَعُ عَلَى السَّلَامَانِ ، وَقَدْ سَمِيَ الْعَرَبُ سَلَامَانًا ، وَقِيلَ : هُوَ شَجَرٌ أَهْوَلُ مِنَ الشَّجَرِ . وَالسَّلَامُ - أَيْضًا - : شَجَرٌ . [المحيط في اللغة : ٢ / ٢٦٥] .

ثم استعمل في الإخلاص ، فيقال : أسلم الرجل إذا أخلص لله ، وسلم الغلام في صناعة كذا إذا أخلصه لها ، وسلم فلان على فلان كأنه عرفه خلوص سريره ، وقد سلم العبد أمره لله ؛ أي : فوضه إليه وأخلص التوكل فيه عليه .

والسلامة : الخلاص من الشر ، وقوله : ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية ٢٠] . أي : أخلصت ديني .

ومثله : ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [سورة لقمان آية ٢٢] . أي : يخلص دينه له . وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

أولها : الإخلاص ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ﴾ [سورة البقرة آية ١٣١] . أي : أخلص ، : ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ ﴾ [سورة البقرة آية ١٣١] . أي : أخلصت .

الثاني : الإقرار ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [سورة آل عمران آية ٨٣] . أي : أقر بالعبادة طوعاً باللسان أو كرها ؛ لما فيه من الدلالة على صنع الله فيه ، على سبيل ما قال الحكماء : كل صامت ناطق . وهذا يقوم مقام الإقرار وإن لم يكن به .

وقال تعالى : ﴿ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾^(١) [سورة التوبة آية ٧٤] . أي : إقرارهم بالإسلام ؛ يعني : المنافقين ، فسمى الإقرار إسلاماً ؛ لأنه من شرائط الإسلام .

(١) قال أبو حيان : نزلت في أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل وفيها ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، فغيروه وكفروا بعد إيمانهم بنبوته ، قاله الحسن وروى عطية قريباً منه عن ابن عباس وقال مقاتل : في عشرة رهط ارتدوا فيهم الحارث بن سويد الأنصاري ، فندم ورجع ، ورواه أبو صالح عن ابن عباس ، وذكر مجاهد ، والسدي : أن الحارث كان يظهر الإسلام ، فلما كان يوم أحد قتل المجدر بن زياد يدم كان له عليه ، وقتل زيد بن قيس ، وارتد ولحق بالمشركين ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر أن يقتله إن ظفر به ، ففاته ، ثم بعث إلى أخيه من مكة يطلب التوبة ، فنزلت إلى قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ فكتب بها قومه ، إليه فرجع تائباً .

ورواه عكرمة عن ابن عباس ، ولم يسمه ، ولم يذكر سوى أنه رجل من الأنصار ارتد فلحق بالمشركين ، وخرجه النسائي عن ابن عباس مطولاً وقيل : لحق بالروم وقيل : ارتد الحارث في أحد عشر رجلاً ، وسمى

الثالث : الخضوع والاستسلام ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [سورة الحجرات آية ١٤] وخضعنا مخافة السبي والقتل ، وهذه الآية خاصة في قوم من الأعراب ، وإن كان لفظها عاما فيهم ، إذ كان منهم من أخلص ، كما قال : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٧٣] . وإنما قال لهم ذلك نفر ، وقيل : بل رجل واحد .

منهم الزمخشري : طعمة بن أبيرق ، والحارث بن سويد بن الصامت ، ووحوح بن الأسلت ، وذكر عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ، وسمى منهم : أبا عامر الراهب ، والحارث ووجوهاً . وقال النقاش : نزلت في طعمة بن أبيرق . ألفاظ الآية تعم كل من ذكر وغيرهم . وقيل : هي في عامة المشركين وقال مجاهد : حل الآيات إلى الحارث رجل من قومه فقرأها عليه فقال له الحارث : إنك والله ما علمت لصدوق ، وإن رسول الله لأصدق منك ، وإن الله تعالى لأصدق الثلاثة . قال فرجع الحارث فأسلم وحسن إسلامه .

كيف : سؤال عن الأحوال ، وهي هنا للتعجب والتعظيم لكفرهم بعد الإيـان ، أي : كيف يستحق الهداية من أتى بها يتأفها بعد التباسه بها ووضوحها ؟ فاستبعد حصولها لهم مع شدة الجرائم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « كيف تفلح أمة أدمت وجه نبيها » ؟ . وقال الزمخشري : كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ؟ انتهى . وهذه نزعة إعترالية ، إذ ليس المعنى عنده : إن الله يخلق الهداية فيهم كما لا يخلق الضلال فيهم ، بل هما مخلوقان للعبد .

وقيل : الاستفهام هنا يراد به الجحد ، والمعنى : ليس بيدي ، ونظيره قول الشاعر :
فهذي سيف ، يا صدي بن مالك *** كثير ، ولكن : أين بالسيف ضارب ؟
وقول الآخر :

كيف نومي على الفراش ولما *** يشمل الشام غارة شعواء ؟

والهداية هنا هي إلى الإيـان واتباع الحق ، وأبعد من زعم أن المعنى : لا يهديهم إلى الجنة إلا إن تجوز ، فأطلق السبب على السبب ، لأن دخول الجنة مسبب عن الإيـان ، فيعود إلى القول الأول . [البحر المحيط : ٣/٣١١] .

الإيمان

أصل الإيمان السكون والطمأنينة ، ومن أمثك فقد سكن إليك ، ولهذا لا يصح أن يقال : إن الله يأتمن أنبيائه إذ لا يوصف بأنه يسكن إليهم ، ولا يوصف الأنبياء بأنهم يأتمنونه ، كما لا يوصفون بأنهم يسكنون إليه .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ [سورة يوسف آية ١٧] . أي : بساكن إلينا .

والمؤمن في أسماء الله بمعنى أنه يؤمن عباده من ظلمه ، ويسكن قلوبهم حتى لا يخافوا ذلك منه .

ثم استعمل الإيمان بمعنى التصديق ؛ لأنك لا تصدق الرجل إلا وقد سكنت إلى خبره . ويكون المؤمن في أسماء الله تعالى بمعنى أنه مصدق لأوليائه ، وتصديقه لهم تسكين عباده إلى قولهم ، ويقال : آمنت لرجل إذا صدقته ، ومنه قول الشاعر :

وَمِنْ قَبْلُ أَمَّا وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ مَتَا يُصَلُّونَ الْأَوْثَانَ قَبْلَ مُحَمَّدًا

ويجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ [سورة يوسف آية ١٧] . أي : بمصدق قولنا .

وقوله تعالى : ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ ﴾ [سورة طه آية ٧١] مفارق لقوله : ﴿ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٣٧] . معنى : ﴿ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ : صدقتموه . ومعنى : ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ ﴾ : أظهرتم ما أظهرتموه من عجزكم عن معارضة إعانة له لأمر توافقتم عليه ، ولستم تعرفون صدقه .

(١) الفرق بين الاسلام والايمان : لا يخفى أن الاسلام أهم من الايمان مطلقا ، كما نطقت به الاخبار الصحاح ، والروايات الصراح المروية عن أهل بيت العصمة ، صلوات الله عليهم ، وهي كثيرة جدا ، فلا يلتفت أحد إلى قول من قال من المتكلمين : إنها مترادفات ، فمنها ما رواه ثقة الاسلام في موثقة سماعه قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام : أخبرني عن الاسلام والايمان أهما مختلفان ؟ فقال : " إن الايمان يشارك الاسلام ، والاسلام لا يشارك الايمان . [الفروق اللغوية : ٣١٧/١] .

وهذا كما تقول : فعلت ذلك لفلان . أي : ميلا إليه وإعانة له ، وإنما قال فرعون هذا القول ليوهم غيرهم أنهم على اعتقاد التكذيب لموسى ؛ لأن لا يكون ما ظهر منهم داعية لغيرهم إلى الإيمان به .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بمعنى : الإقرار باللسان من غير اعتقاد ؛ قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ [سورة المنافقون آية ٣] . يعني : أقرروا علانية وكفروا سرا . وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ [سورة يَأْيَا آية الَّذِينَ آمَنُوا] لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة المتحنة آية ١٣] هكذا جاء في التفسير .

ويموز عندنا أن تكون المخاطبة في هذه الآية وما قبلها مخاطبة للمؤمنين حقا يأمرهم بخشوع القلوب وترك تولي المغضوب عليهم فيما يستقبل من أعمارهم .

وقيل : قوله : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الحديد آية ١٦] أن هؤلاء قوم من المؤمنين قصرُوا بعض التقصير ولم يظهر عليهم أثر الإسلام ؛ خشوعه ووقاره فاستعيبهم الله بهذه الآية .

وقال بعضهم : كانوا بمكة مجتهدين فلما هاجروا أصابهم الزيف ففتروا عما كانوا عليه ، وأن الشيء يبين ، وأنى يأتي بمعنى دنا .

الثاني : التصديق سرا وعلانية ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [سورة البينة آية ٧] .

الثالث : التوحيد ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ [سورة المائدة آية ٥] ، قالوا : أراد بالتوحيد ، والمعنى على هذا : ومن يكفر بالله الموحّد ، ويموز [أن يكون] الكفر هاهنا الجحد : أي : من جحد الإيمان بهذه الأحكام التي تقدم ذكرها فقد حبط عمله ، وفيه دليل على أن من نذر طاعة ثم ارتد بطل نذره .

الرابع : إقرار المشرك ببعض ما يوافق المسلم ، قال [الله تعالى] : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [سورة يوسف آية ١٠٦] أي : إذا سألتهم عن خالقهم قالوا : الله .

وهم بعد ذلك لا يعبدونه ويعبدون الأصنام ، [ونحو ذلك] قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة لقمان آية ٢٥] ، وسمى بعض المفسرين هذا القول منهم إيماناً .

ونحن لا نطلق عليه اسم الإيمان ؛ لأنه لو كان إيماناً لكان صاحبه مؤمناً بالإطلاق ، ولكننا نقول : إنه إقرار بالله والمقر بالله يجوز أن يكون كافراً ولا يجوز أن يكون المشرك مؤمناً ، وكل ما كان من أسماء الدين مدحاً فإنه لا يطلق إلا على من يستحق الثواب ، مثل المؤمن والمسلم والمتقي ويجري على غيره مقيداً ، فيقول : إن اليهودي مؤمن بالله وهو متق لكذا .

الاستغفار^(١)

أصله في اللغة الستر ، ومنه قيل : للكفة من الزرد مغفر ؛ لأنها تستر الرأس ، وقد غفرت الشيء سترته ، وفي الحديث عن عمر رضي الله عنه " حصنوا المسجد فإنه أغفر للنخامة " وفي هذا جواز التنخم [في المسجد] .

والغفر منزل من منازل القمر ، وذلك أن القمر إذا نزل به ستره بضوئه .

والغفر أيضا النكس في المرض ؛ لأنه يحول بين صاحبه وبين العافية فكأنه سترها عنه .

والغفارة من الشعر الضفيرة ، عن أبي مالك ؛ لأنها تستر ما تحتها ، وقال غيره : الغفارة خرقة حمراء تشد على العمام ، والجمع غفائر وهذا أصح .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : التوبة ، قال : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [سورة نوح آية ١٠] . أي : توبوا إليه ، وجعل الاستغفار التوبة ؛ لأن في التوبة الاستغفار .

والتوبة على الحقيقة : هي الندم على ما مضى والعزم على ترك مثله في المستقبل ، ولو قلت : إن الندم توبة . لم تقرنه بشيء آخر صح ؛ لأنه لا يجوز أن يندم على ما فات وهو يعزم

(١) غفر : المَغْفَر : وقاية للرأس . وَغَفَرَ الثَّوبُ إِذَا نَارَ زَبْرُهُ غَفْرًا .

وَالْغِفَارَةُ : المَغْفَر ، وَمَغْفَرُ الْبَيْضَةِ : رَفْرَفُهَا مِنْ حَلَقِ الْحَدِيدِ قَالَ الْأَعْمَشُ .

وَالشُّطْبَةُ الْقَوْدَاءُ تَط *** فَرِ الْمَدَجِجِ ذِي الْغِفَارِ

وَالْغِفَارَةُ : خِرْقَةٌ تَضَعُهَا الْمَرْأَةُ لِلدُّخَانِ عَلَى هَامَتِهَا .

وَالْغِفَارَةُ : خِرْقَةٌ تُلْفُ عَلَى سِيَةِ الْقَوْسِ تُلْفُ فَوْقَهَا إِطْنَابَةُ الْقَوْسِ ، وَهُوَ سَيْرُهُ الَّذِي يَشْدُ بِهِ ، وَحِجْلٌ يُسَمَّى رَأْسُهُ غِفَارَةً . وَاصِلُ الْغَفْرِ التَّغْفِيَةُ .

وَالْمَغْفُورُ : دَوْدٌ يَخْرُجُ مِنَ الْعَرْقِطِ حَلْوٍ يَضِيحُ بِالْمَاءِ فَيَشْرَبُ . وَصَمَغُ الْإِجَاصَةِ مُغْفُورٌ . وَخَرَجُوا يَتَمَغْفَرُونَ أَيِ يَطْلُبُونَ الْمَغَافِرَ .

وَالْغِفَارَةُ : الرِّبَاةُ الَّتِي تُغْفَرُ السَّيِّئَاتُ عَلَيْكَ أَيِ تُغْفَى لَهَا تَحْتَ الْغَيْثِ ، فَهِيَ تَسْتَرُهُ عَنْكَ . وَجَاءَ الْقَوْمُ جَاءَ الْغَفِيرِ أَيِ بَلْفِهِمْ وَلَقِيفِهِمْ وَالْغَفْرُ : وَلَدُ الْأَرْوَةِ ، قَالَ ذُو الرِّمَةِ :

وَقَبَّحَ أَبَا أَنْ يَسْلِكَ الْغَفْرُ يَنَّهُ *** سَلَكْتَ قَرَانِي مِنْ قَرَاسِيهِ سُنْرَا

وَالْغَفِيرُ : الْأَرْوَةُ ، وَيُقَالُ لَهَا : أُمُّ غَفْرٍ . وَالْغَفْرُ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ .

وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَالْغَفَارُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ مَغْفِرَةً وَغَفْرَانًا وَغَفْرًا . [العين : باب الغين والراء والباء] .

على معاودة مثله ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [سورة هود آية ٣] .
 الاستغفار هاهنا التوبة وإنما فصل بينهما للتوكيد ، وتكرير الالفاظ على المعنى الواحد توكيد ،
 و : ﴿ ثُمَّ ﴾ على هذا التأويل بمعنى الواو ، وهو قول الأخفش .

ويجوز [سورة أن آية يكون] قوله : ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ . أي :
 استغفروهم استغفاراً بعد استغفار ، وعن علي عليه السلام أنه قال : الحمد لله ثم الحمد لله أي :
 الحمد لله مرة بعد أخرى .

ويجوز أن يكون المراد : أنكم كلما ذكرتم الذين استغفروا منه ، ويجوز أن يكون المعنى :
 أن استغفروا عما مضى وتوبوا مما توقعون في المستقبل .
 والفرق بين الاعتذار والتوبة ؛ أن التوبة ندم على ذنب تقر بأنه لم يكن لك في إتيانه عذر ،
 والاعتذار إظهار ندم على ذنب تذكر أنه كان لك في إتيانه عذر .

الثاني : الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [سورة آل عمران آية
 ١٧] ، وقال : ﴿ وَيَا أَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [سورة الناريات آية ١٨] هكذا جاء في
 التفسير .

ويجوز أن يكون معناه أنهم يصلون الليل ويستغفرون بالأسحار ، فجعل استغفارهم
 بالأسحار دليلاً على صلاحهم بالليل ولم يذكرها .

وقالوا في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٣] أنه
 يعني : يصلون كذا قيل .

ويجوز أن يكون المراد أن الله لا يبعث عليهم العذاب الذي طلبوه في قوله : ﴿ أَمْطِرْ عَلَيْنَا
 حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٢] وأنت فيهم وليس بالصلاح لك ولهم أن يأمرك
 بالخروج عنهم ولا ينزل بهم العذاب أيضاً ، ومنهم من يتوب في المستقبل . والاستغفار
 التوبة .

قال مجاهد : يستغفرون يسلمون أي : في المستقبل .

الثالث : طلب المغفرة وهو الأصل ، قال : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ [سورة يوسف آية ٩٧] والمعنى : سل الله أن يقبل استغفارنا ؛ لأنه لا يجوز أن يفتنوا هم ويستغفر لهم غيرهم إلا إذا تابوا ، وليس ذلك إلا سؤال قبولهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾^(١) [سورة يوسف آية ٢٩] . قالوا : معناه استغفري زوجك ؛ لأنها كانت مشركة ، وكانوا مع الإشراف يحرمون الزنا ، ويجوز عنتنا أن يكون أمرها باستغفار الله ذنبها وإن كانت مشركة ؛ لأن المشرك يقال له ذلك لأجل شركه ولغير شركه من ذنوبه ، وعلى أنه لا يقال : استغفرت إلا الله واستغفرت الرجل ليس بمعروف ، وإن كان صحيحا في العربية .

(١) قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : استغفري زوجك لئلا يعاقبك ، قاله ابن عباس .

والثاني : توبي من ذنبك فإنك قد أئمت .

وفي الشاغل لهذا قولان . أحدهما : ابن عمها . والثاني : الزوج . [زاو المسير : ٣ / ٤٢١] .

الأجل^(١)

أجل الشيء : وقته ، وحد الأجل هو الوقت المضروب لانقضاء الأمد ، [فهو أجل يجعل] جاعل له ، وما علم أنه يكون في وقت فلا أجل له إلا أن يحكم بأنه يكون فيه .

فأجل الإنسان هو وقت انقضاء عمره ، وأجل الدين محله ، وأجل الموت هو وقت حلوله ، وأجل الآخرة هو الوقت لانقضاء ما تقدم قبلها قبل ابتدائها ، هكذا وجدته عن بعض العلماء .

وأصله من التأخير ، وقد أجلته إذا أخرته .

والأجل نقيض العاجل ، والأجل : القطيع من بقر الوحش ، وذلك لتأخير بعضه على بعض حتى يجتمع .

وأجل المال يأجله أجلاً إذا حبسه في المرعى كما يحتبس الأجل من البقر بعضه على بعض حتى يجتمع .

وأجل عليهم شراً : إذا جنّاه ؛ لأنه حبسه عليهم لإلحاقه بهم ، والمأجل حوض واسع يؤجل فيه الماء حتى يجتمع ثم يفجر في الزرع .

وللأجل في القرآن ثمانية مواضع :

الأول : أجل الدنيا ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجْلاً ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢] أي : أجل الدنيا ، : ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢] يعني : أجل الآخرة ، وقال الحسن

(١) [أجل] : الأجل : غَايَةُ الْوَقْتِ فِي الْمَوْتِ . وَأَجَلَ الشَّيْءُ يُأَجَّلُ ، وَهُوَ أَجَلٌ : يَقْبِضُ الْعَاجِلُ . وَالْأَجَلُ : الْمُرُجَى إِلَى وَقْتٍ . وَالْأَجَلَةُ : الْآخِرَةُ . وَالْأَجَلُ : مُضَدُّ قَوْلِهِمْ أَجَلُوا مَا لَمْ يَأْجِلُوهُ أَجْلاً : أَيِ حَبْسُوهُ فِي الْمَرْعَى . وَهُوَ الْقَبْضُ أَيْضاً . أَجَلَ عَلَيْهِمْ شَرًّا : أَيِ جَنَاهُ وَيَحْتَهُ ، أَجْلاً . وَهُوَ يَأْجِلُ لِعِيَالِهِ : أَيِ يَكْسِبُ . وَالتَّأْجِلُ : الْإِقْبَالُ وَالْإِدْبَارُ . وَالْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ فِي قَوْلِ لَبِيدٍ . وَالْإَجْلُ : وَجَعٌ فِي الْعُنُقِ . وَأَجَلَ يَأْجِلُ أَجْلاً . وَهُوَ إِجْلٌ فَأَجَلُونِي : أَيِ دَاوُونِي مِنْهُ ، وَأَجَلُونِي : مِثْلُهُ . وَالْقَطِيعُ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ : إِجْلٌ ، وَاجْتِمَاعُ الْأَجَالِ . وَتَأْجَلُ الصَّوَارِثُ : صَارَ قَطِيعاً . وَالْأَجَلُ : مِنْ قَوْلِكَ مِنْ أَجَلٍ كَذَا . وَقَعَلْتَهُ مِنْ أَجَلٍ كَذَا : أَيِ مِنْ جَزَاكَ ، وَمِنْ إِجْلِكَ : لُغَةً ، وَمِنْ أَجْلَاكَ ؛ وَأَجَلَ أَتَكَ فَعَلْتَهُ . وَالْمُؤْجَلُ : شِبْهُ حَوْضٍ وَاسِعٍ يُؤْجَلُ فِيهِ مَاءُ الْبَيْرِ إِيَّاماً ثُمَّ يُفَجَّرُ فِي الزَّرْعِ ، وَاجْتِمَاعُ الْمَآجِلِ . وَرُويَ قَوْلُ أَبِي النَّجْمِ : مَنْ عَبَسَ الصَّيْفُ قُرُونُ الْأَجَلِ . أَيِ الْأَجَلِ . . . [المحيط في اللغة : ١٣٨/٢] .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف
والضحك وقتادة : هو أجل الحياة إلى الموت ، وأجل الموت إلى البعث ، وهذه الآية دليل على
صحة البعث ؛ لأن الذي قدر على الابتداء قادر على الإعادة .

وأولها : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ ^(١) [سورة الأنعام آية : ٢] أي : خلق آدم الذي
أنتم ولده من الطين ، كما تقول لقريش اليوم : أنتم أصحاب يوم الفجار ، أي : أبائكم
أصحابه وليس هذا انقضاء ؛ لقوله : ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ [سورة السجدة آية : ٨] ،
لأنه أراد بذلك ولد آدم .

وقيل : أجلا أي : وقتا تحيون فيه ، : ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ يعني أجل الساعة ،
وجعله عنده ؛ لأنه لا يعرفه غيره ، كما تقول : خبر فلان عندي . أي : أنا العالم به دون
غيري .

وقيل : ﴿ أَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ يعني أوقات حياتكم في الآخرة وجعله عنده ؛ لأنه حيث
لا يحكم فيه غيره أيضا ، وقيل : قضى أجل الماضين ، وأجل مسمى عنده للباقيين .

وقيل : أجل انقضاء الدنيا ، وأجل ابتداء الآخرة ، : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ ﴾ [سورة
الأنعام آية : ٢] أي : خلقكم من طين ، وجعل الظلمات والنور ، وضرب لكم هذه الأجل
وأنتم مع هذا تشكون فيه فيعبدون غيره .

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ في معناه قولان : أحدهما ، وهو الأشهر ، وبه
قال الجمهور أن المراد آدم عليه السلام ، وأخرج مخرج الخطاب للجميع ، لأنهم ولده ونسله . الثاني ، أن
يكون المراد جميع البشر باعتبار أن النطفة التي خلقوا منها مخلوقة من الطين ، ذكر الله سبحانه خلق آدم وبنيه
بعد خلق السموات والأرض إتباعاً للعالم الأصغر بالعالم الأكبر ، والمطلوب يذكر هذه الأمور دفع كفر
الكافرين بالبعث ، وردة لجمهورهم بما هو مشاهد لهم لا يمترون فيه

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ يعني آدم
﴿ ثُمَّ قَفًّى أَجَلًا ﴾ يعني أجل الموت ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ أجل الساعة والوقوف عند الله . وأخرج ابن
أبي شيبه وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، عنه في قوله : ﴿ ثُمَّ
قَفًّى أَجَلًا ﴾ قال : أجل الدنيا ، وفي لفظ أجل موته ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ قال : الآخرة لا يعلمه إلا الله .
وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عنه ﴿ قَفًّى أَجَلًا ﴾ قال : هو اليوم يقبض فيه الروح ، ثم يرجع إلى
عصاه من اليقظة ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ قال : هو أجل موت الإنسان . [فتح القدير : ٣٨٩ / ٢ - ٣٩٠] .

والامتراء الشك ، وأصله من المري ؛ وهو استخراج اللبن من الضرع ، مرى الناقة يمرها مربا ، ومنه ماراه إذا استخرج ما عنده بالفتاظرة ، وامترى امتراء إذا استخرج الشبه الموجبة له ، ونظيره : ﴿ وَيُرْسِلُ الْآخَرَىٰ [إِلَىٰ أَجَلٍ] مُّسَمًّى ﴾ [سورة الزمر آية ٤٢] . يقول : إلى أجل الموت .

الثاني : أجل العذاب قال : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَةٍ أَجَلٌ ﴾ [سورة الأعراف آية ٣٤] . إن لم يؤمنوا إليه نزل عليهم العذاب . ومثله : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [سورة نوح آية ٤] . أي : أجل العذاب .

ومعنى أجل الله ، أي : الأجل الذي ضربه الله ، ولا يكون الأجل أجلا إلا بالإخبار والتوقيت ، وليس وقت كل شيء أجله ، إنها سمي وقت الشيء أجلا إذا كان على ما وصفنا .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [سورة لقمان آية ٢٩] . قالوا : يعني : أن مطالع الشمس والقمر لها غاية ، ولا يتجاوزاه في شتاء ولا صيف ، ويجوز أن يكون المراد أن لها أجلا مسمى يتهيان إليه وهو الساعة .

الرابع : محل الديون ، قال الله تعالى : ﴿ إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ [سورة البقرة آية ١٨١] . أي : اكتبوا الأجل لأن لا يدعى فيه التقديم والتأخير غلطا أو عمدا ، وقد تكلمنا في ذلك

الخامس : قوله [تعالى] : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [سورة الحج آية ٣٣] . يقول : إلى أن تقلد فإذا قلدت لم تركب ولم تشرب ألبانها ، يعني : البدن .

السادس : أجل الولادة . قال [الله] تعالى : ﴿ وَتُفَرِّقُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [سورة الحج آية ٥] . أي : إلى وقت الولادة .

السابع : انقضاء العدة ، قال الله تعالى : ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٢] . والمخاطبة لأولياء النساء .

وبلوغ الأجل انقضاء العدة ، أي : لا تمنعهن التزويج إذا انقضت عدتهن من مطلقتهن .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألفه

قال بعض الفقهاء : فيه دلالة على أن النكاح لا يصح إلا بولي ، ولو صح بغير ولي لم يكن لمخاطبة الولي بهذا الخطاب فائدة .

والعضل : المنع من التزويج ثم كثر حتى قيل : عضل الرجل امرأته إذا ضارها ؛ لأن مضارته إياها منع لها مما ينبغي عنده .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنُ أَجْلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣١] . فالأجل هاهنا مقاربة الخروج من العدة ، أي : إذا طلقتموهن تطليقة أو تطليقتين فقاربن الخروج من العدة فأمسكوهن بمعروف ، أي : إن أردتم حيثن مراجعتهم فراجعوهن وأمسكوهن بجميل من الفعل أو خلوهن حتى تنقضي عدتهن فيتزوجن .

ومثل الأول : ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٥] . والعزم : إيجابك فعل الشيء على غيرك أو على نفسك ، ويقال : عزمت عليك لتفعلن ، وقد وصف الله به ، فقيل : إن الله يجب أن يؤخذ برخصه كما يجب أن يؤخذ بعزائمه . وهو مفارقة للإرادة عند أبي علي رضي الله عنه ؛ لأنك تريد خروج زيد ولا يجوز أن تعزم على خروجه . والعزم أيضا يصح على الإرادة ولا يجوز أن تريد الإرادة .

الثامن : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [سورة الشورى آية ١٤] . لأن لا يعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال لأنزل بهم العذاب ، والكلمة : الساعة ، وهو قوله : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ [سورة القمر آية ٤٦] . والأجل المسمى هو الساعة أيضا ، فكانه قال : فلولوا أي جعلت موعد الانتقام منكم الساعة لانقمت منكم الآن .

وقال الله تعالى لهم : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [سورة الأعراف آية ٢٦] . قالوا أنزل : ﴿ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنًا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٢] .

إقام الصلاة

الأصل : إقامة الصلاة ، فأسقطوا الماء تخفيفاً ، ولا تسقط إلا عند الإضافة ليس .
يقال : أقام الصلاة إقاماً ، ويموز أن يكون معنى إقامة الصلاة إدامتها ، من قوله تعالى : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ ^(١) [سورة آل عمران آية ١٨] . أي : مديباً لفعله ، وفلان يقيم أرزاق الجند أي : يجريها على إدامة . ويحتمل أن يكون عنى به اشتغالهم بها دون غيرها من قولهم : قامت الصلاة . أي : وقع الاشتغال بها .

وقيل : إقامتها إتمام الركوع والسجود ومراعاة المواقيت .

وقيل : هو مثل قوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الزَّوْزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة الرحمن آية ٩] . والإقامة والتقويم سواء ، وهما خلاف الميل والاعوجاج .

وأصل الصلاة : الدعاء ، وسميت صلاة ؛ لما فيها من الدعاء .

والصلاة أيضاً الترحم ؛ لأنه دعاء ، ومنه : الصلاة على الميت ؛ لأنها دعاء لا ركوع فيها ولا سجود ، وصلى فلان على فلان إذا دعا له .

قال الأعشى :

وَقَابَلَهَا الرَّيْـحُ فِي دِيْنِهَا وَصَلَّى عَلَى دِيْنِهَا وَأَزْتَسَمَ

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الإقرار بالصلاة مع التصديق وغير التصديق ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [سورة التوبة آية ٥] . أي : فإن أقروا بها ، ولم يرد أنهم إذا أقاموها على اعتقاد صحيح فخلوا سبيلهم ؛ لأن ذلك لا يعلمه إلا الله ، وحقيقة

(١) قال الخازن : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل نصب على الحال والقطع أو المدح ومعناه أنه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال : فلان قائم بأمر فلان يعني أنه مدير له ومتعهد له ومتعهد لأسبابه ، وفلان قائم بحق فلان ، أي أنه مجاز له فالله مدير أمر خلقه وقائم بارزاقهم ومجاز لهم بأعمالهم . [الباب التأويل في معاني التنزيل : ٣٥٢/١] .

٦٤ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

المراد دخولهم في الإسلام ، وإنما ذكر الصلاة والزكاة ؛ لأنها من أجل شرائع الإسلام وأشهرها ومثله مع قوله : ﴿فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [سورة التوبة آية ١١] .

الثاني : إتمام الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [سورة النور آية ٥٦] . أي : أتموها في أوقاتها ، وقوله تعالى : ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [سورة البقرة آية ٣] . ونحوه كثير .

الاستطاعة

الاستطاعة : استفعال ، من الطوع ، وهو خلاف الكره ، وذلك أن الفعل يقع بها طوعاً ولا يجوز أن يسمى الله مستطيعاً ؛ لأنه من قولك : استطاع له الفعل بعد أن لم يكن كذلك ، وهذا لا يجوز على الله . والطوع بمعنى : الانقياد ، والانقياد بمعنى : الذل ، يقال : طاع له طوعاً وأطاعه إطاعة : إذا انقاد له . والطاعة الانقياد لمن يعتمد تعظيمه .

(١) [طوع] : طاع يطوع طوعاً فهو طائع . والطَّوْعُ : نقيض الكَرْه ، تقول : لَتَطَعَلَنَّهُ طوعاً أو كَرْهاً . طائعاً أو كارهياً ، وطاع له إذا انقاد له .

إذا مَقَى في أمرِكَ فقد أطاعَكَ ، وافقَكَ فقد طاعَكَ . قال يصف دلوّاً :

أَحْلَفُ بِاللّهِ لَتُخْرِجَنِي
كَارِهَةً أَوْ لَتَطَوِّعَنِي
أَوْ لَتَرْتِنَّ بِهَا الْمِرْنَةَ

أي : الصّائحة .

والطّاعة اسم لما يكون مصدره الإطاعة ، وهو الإنقياد ، والطّواغية اسم لما يكون مصدره المطاوعة . يقال : طاعَتِ المرأة زوجها طواعيةً حَسَنَةً ، ولا يقال : للرعية ما أحسن طواغيتهم للرّاعي ، لأنّ فعلهم الإطاعة ، وكذلك الطّاقة اسم الإطاعة والجباية اسم الإجابة ، وكذلك ما أشبهه ، قال :

حَلَفْتُ بِالْبَيْتِ وَمَا حَوْلَهُ *** من عاقِذٍ بالبيت أو طاعي

أراد : أو طائع قلبه ، مثل قسبيّ ، جعل الباء في طائع بعد العين ، ويقال : بل طرح الباء أصلاً ، ولم يُعِدّها بعد العين ، إنّها هي : طاع ، كما تقول : رجلٌ مالٌ وقال ، يراد به : مائل ، وقائل ، مثل قول أبي ذؤيب :

وسود ماء المردِّ فاها فلونه *** كلُّون الرِّماد وهي آدماء سائرُها

أي : سائرُها . وقال أصحاب التصريف : هو مثل الحاجة ، أصلها : الحاجة . ألا ترى أنّهم يردونها إلى الحوائج ، ويقولون : اشتقت الاستطاعة من الطّوع .

ويقال : تطاوَّعَ لهذا الأمر حتى تستطيعه . وتطوَّع : تكلف استطاعته ، وقد تطوَّع لك طوعاً إذا انقاد ، والعرب تحذف التاء من استطاع ، فتقول : استطاع يَستطيع بفتح الباء ، ومنهم من يضمّ الباء ، فيقول : يُستطيع ، مثل عريق .

والتطوُّعُ : ما تبرّعت به ممّا لا يلزمك فريضته . والمطوَّعة بكسر الواو وتنقيص الحرفين : القوم الذين يتطوَّعون بالجهاد يخرجون إلى المرباطات . ويقال للإبل وغيرها : أطاع لها الكلال إذا أصابت فأكلت منه ما شاءت ، قال الطرمّاح :

فما سرُّ أبكارٍ أطاعَ لِسَرِّهِ

والفَرَس يكون طوعَ العنان ، أي : سلس العنان . وتقول : أنا طوَّعُ يديك ، أي : منقاد لك ، وإنّما لَطَوَّعُ الضَّجيج . والطَّوْعُ : مصدرُ الطائع . قال :

طَوَّعَ الشَّوَامِيتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدٍ . [العين : طوع] .

والاستفعال في الأصل للطلب ثم استعمل في غير ذلك ، فقليل : استحسِن الشيء واستبجحه . وقيل : فعلته طوعا ، أي : فعلته في سهولة ، ومثله : ﴿ فَعَلَوْعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٠] . أي : سهلته عليه ، ومن هذا الوجه أيضا لا يقال لله مستطيع ، كما لا يقال : أن هذا الفعل سهل عليه ، ومن أجل أن استطاع طلب ذلك ولا يوصف الله بأنه يطلب القدرة على الفعل ويطلب السهولة أو انطباع الفعل .

وقيل : طوعت : حسنت وزيّنت ، وهذا على المعنى وليس على اللفظ .

وقيل : طوعت : شجعت ، وطوعت السقاء ملائته ، وهو طواع الكف ، أي : ملؤها ، وطاع له الشيء إذا أتاه طوعا ، وقيل : طوعت : له أطاعته وتابعت ، وقرئ : ﴿ فَعَطَاوَعَتْ ﴾ .

والاستطاعة في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : السعة في المال ، قال الله تعالى : ﴿ وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [سورة التوبة آية ٤٢] . أي : لخرجنا معكم إلى تبوك ، يعنون سعة ذات اليد للخروج وتخفيف النفقة للعيال . وقوله تعالى : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [سورة آل عمران آية ٩٧] . وتدخل في هذا سعة ذات اليد ، وصحة البدن ، وأمن الطريق ، وتأم الوقت .

وقال : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ [سورة النساء آية ٩٨] . أي : لا يجدون سعة يستعينون بها على الهجرة ، ويميز أن يكون أراد عدم الصحة والقوة على السفر ، أو عني أنهم ممنوعون من الخروج ببعض الموانع الكائنة من جهة الكفار .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا ﴾ [سورة النساء آية ٢٥] . والطول : السعة ، وتطول الرجل أفضل من سعة وليس فيه طائل يرجع إلى هذا ، أي : إذ لم تستطيعوا نكاح الحرائر لتعذر النفقة عليكم فانكحوا الأيامى ليقع الانتفاع لكم بهن وتكون نفقتهن على مواليهن ويقل مهرهن .

وقال بعضهم : لا يجوز نكاح الأمة مع وجود الطول . وليس كذلك ؛ لأن القدرة على نكاح امرأة لا تحرم نكاح أخرى ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] فعم .

الثاني : الطاقة ، قال تعالى : ﴿ وَيُذْعِنُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [سورة القلم آية ٤٢] . فلو كانت الاستطاعة مع الفعل لكانوا عاجزين إذ لم يفعلوا ؛ لأن الفعل معدوم ، وإذا عدم الفعل عدم الاستطاعة ، ولكن أيضا من وجد الزاد والراحلة وتمام الوقت ، وهو صحيح البدن وعطل الحج ثم مات لكان معذورا ؛ لأنه كان عاجزا وإنما يكون مستطيعا عند خصومنا في وقت وجود الحج ولا لوم على العاجز .

وقد أخبر الله تعالى أنهم لا يستطيعون السجود في الآخرة ، فدل على أنهم كانوا يستطيعونه في الدنيا ؛ لقوله : ﴿ وَهُمْ سَالُونَ ﴾ [سورة القلم آية ٤٣] . وإلا فليس للكلام معنى يفهم .

وقوله تعالى : ﴿ قَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ ﴾ [سورة الذاريات آية ٤٥] . أي : لم يطيقوا القيام لعذاب الله ، ومثله : ﴿ قَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ [سورة الكهف آية ٩٧] .

وقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن آية ١٦] . واسطاعوا : لغة في استطاعوا ، يقال : استطعت الشيء واستطعته .

وقوله : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء آية ١٢٩] . أي : لا تطيقون ذلك في الحد ، هذا في الرجل له زوجتان وثلاث وأربع ، قال : وليس يستطيع أن يسوي بينهن في الشهوة ، فتشتهي هذه كما تشتهي تلك ؛ لأن الشهوة ليست من فعله فعذره فيما لا يستطيع واسع ، وليس كما يذهب إليه المجبرة في أنه تعالى كلفه العدل بينهن ، وهو لا يستطيعه ، ألا ترى أن قوله : ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ ﴾ [سورة النساء آية ١٢٩] . دلالة على أنه في بعض الميل معذور ، وهو الذي لا يستطيع خلافه ، والمعنى النهي عن إثارة إحداهن للشهوة فيها والانصراف عن الأخرى حتى تصير كالمعلقة لا المتزوجة ولا المطلقة .

وقال : ﴿ قَتَا يَسْتِطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ [سورة الفرقان آية ١٩] . قال أبو علي رضي الله عنه : الخطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين بقوله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ [سورة الفرقان آية ١٩] . أي : كذبوك بما تقول من توحيد الله فلا يستطيعون صرف العذاب عن أنفسهم والانتصار لها .

وقال غيره : الخطاب للكفار يريد أن هؤلاء الذين اتخذوهم آلهة إذا سئلوا هل كان عبادتكم إياها بدعاء منكم لها ، : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [سورة الفرقان آية ١٨] . فظهر لهم حيثئذ أنهم لا يقدرّون على صرف العذاب عنهم ولا على نصرهم عما يراد إنزاله بهم .

الثالث : الاستقبال ، قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ [سورة هود آية ٢٠] . أي : كانوا يستقبلون استماع القرآن والأمر بالإيمان ، وهو كقولك : لا أستطيع أن أسمع كلام فلان . أي : يتقبل علي ذلك ، وهذا معروف .

الرابع : الاستطاعة ، بمعنى سؤال الفعل وطلبه ، قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [سورة المائدة آية ١١٢] . والمعنى : سؤال النزول كما تقول : هل يستطيع فلان أن يقوم معنا . وأنت تعلم أنه يستطيع ولكنك تجعل ذكر الاستطاعة سؤالاً للقيام ؛ لأنه ألطف وقرئ : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ . أي : هل تقدر على أن تسأل ربك ، وكانوا يعلمون أنه قادر على سؤال ربه ، ولكن قالوا ذلك ؛ لأنه ألطف في السؤال ومجازه هل يجوز أن تسأل ربك . . .

وهذا الوجه من الاستطاعة هو الذي مرّ في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ . والمعنى : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء . وهذا الوجه من الاستطاعة هو الذي مرّ في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ . والمعنى : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء . وهذا الوجه من الاستطاعة هو الذي مرّ في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ . والمعنى : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء .

الأحزاب^(١)

جمع حزب ، وهو : الجماعة المتصلوة ، ومنه تحزب القوم إذا اجتمعوا وتعاونوا .

قال الراجز :

وكيف أضوي وبلال حزبي

أي : مغِيثي .

وأصل الكلمة من الشدة ، ومنه يقلل : حزني إذا استبد علي ، والاسم : حزابة ، وأمر حازب وحزيب أي : شديد .

والأحزاب في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة ، وهو قوله : ﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ [سورة الرعد آية ٣٦] . هذا قول بعض المفسرين .

وقال غيره : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ [سورة الرعد آية ٣٦] . النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون . والكتاب : القرآن ، أي : هم يفرحون به ، : ﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ أي : هم الباقون . وقال : منهم : ﴿ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ وهو المواضع التي تحالف دينهم ، وكانوا لا ينكرون ما فيه من الحكم والأمثال والدعاء إلى المكارم ، وليس في العقلاء من ينكر ذلك .

وسماهم أحزابا ؛ لاختلاف مذاهبهم ، وذلك أن اليهود فرقة ، والنصارى فرقة وعباد الأوثان فرقة .

(١) [حزب] : حَزَبْتِي الْأَمْرُ يَحْزُبُنِي حَزْبًا إِذَا نَابَكَ . وَأَمْرٌ حَازِبٌ وَحَزِيبٌ أَيُّ شَدِيدٍ . وَالْحِزْبُ أَصْحَابُ الرَّجُلِ مَعَهُ عَلَى رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ ، وَالْجَمْعُ الْأَحْزَابُ . وَتَحَزَّبَ الْقَوْمُ اجْتَمَعُوا فَصَارُوا أَحْزَابًا . وَحَزَبُهُمْ فَلَانٌ . وَحَازَبْتُهُ كُنْتُ مِنْ حِزْبِهِ . وَفَلَانٌ يَحْزِبُ لِفُلَانٍ أَيُّ يَغْضِبُ بِهِ وَيَنْصُرُهُ . وَهَذَا يُسَمَّى السَّلَاحَ الْحِزْبُ ؛ تَشْبِيهَا وَسَعَةً . وَالْحِزْبُ الْوَزْدُ مِنَ الْقُرْآنِ . وَالْحِزْبِيُّونَ الْعَجُوزُ ، وَالتَّوْنُ زَائِدَةٌ . وَهِيَ مِنَ التَّوْنِ الشَّدِيدَةِ . وَالْحِزْبِيَّةُ أَرْضٌ حَزَنَةٌ ، وَالْجَمْعُ الْحَزَابِي . وَالْحَزَابِيَّةُ فِي وَصْفِ الْجَاهِلِ اسْتِدَارَةٌ خَلْفَهُ . وَرَكَّبَ حَزَابِيَّةً ضَخْمَةً . [المحيط في اللغة : الحاء والطاء والراء] .

وقوله : ﴿ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾ [سورة ص آية ١١] . جاء في التفسير أنه عنى هؤلاء المذكورين أولاً .

والوجه أن يكون من يحارب النبي صلى الله عليه من فرق المخالفين .

وفيه بشارة له عليه السلام ، أي : هؤلاء جند مهزوم بعد قليل ، وأنت هازم لهم وظافر بهم . و" ما " في قوله : ﴿ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ ﴾ . تأكيد ، كأنه قال : هم جند . وأتى جندهم وعظم أمرهم ليكون أعظم لأمر هازمهم ؛ لأن غلب العدو القوي أبلغ في الملاح .

الثاني : النصارى ، قال الله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ [سورة الزخرف آية ٦٥] .

الثالث : قوم عاد وثمود وشعيب وفرعون ، وهو قوله تعالى : ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ ﴾ [سورة غافر آية ٥] . ويجوز أن يكون المعنى بذلك جميع من كذب الرسل من هؤلاء ومن غيرهم من بعدهم . وقال : ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ [سورة ص آية ١٢ ، ١٣] . ومثله : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ [سورة غافر آية ٣٠] . يعني : هؤلاء .

الرابع : أبو سفيان وأصحابه يوم الخندق ، قال : ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا ﴾ [سورة الأحزاب آية ٢٠] . يعينهم .

الأمر

قد مضى القول في أصله :

وهو في القرآن على سبعة عشر وجها :

الأول : الدين ، قال الله تعالى : ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [سورة التوبة آية ٤٨] . يعني : دينه ، وقوله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ ﴾ [سورة المؤمنون آية ٥٣] . أي : الدين الذي جاء به نبيهم ، فنسبته إليهم ؛ لأنهم المتصلون به والمندوبون إليه ، والمعنى : أن الله أعلمهم أن أمر الأمة واحد ، وأن دينه واحد وهو الإسلام وهم قد تقطعوا واختلفوا .

الثاني : القول ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَنَزَّهُونَ يَتَهَمُّ أَمْرَهُمْ ﴾ [سورة الكهف آية ٢١] . قال : ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ يَتَهَمُّ وَأَسْرُوا النَجْوَى ﴾ [سورة طه آية ٦٢] . أي : يتنازعون القول فيما يريدون العمل عليه ؛ لأن مثل ذلك الأمر لا يتنازع وإنما يتنازع القول فيه .

الثالث : وقت الوعيد ، قال : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ [سورة هود آية ٤٠] . أي : حضر وقت وعيدنا ، ويموز أن يكون على ظاهره أي : حتى جاء أمرنا بالعذاب ، أي : حتى أمرنا بتعذيبهم .

الرابع : العذاب ، قال : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة إبراهيم آية ٢٢] . أي : وجب العذاب ، ويموز أن يكون قضاء الأمر هاهنا فضل الحساب ووقوف كل فريق على ما له عند الله من الخير والشر . ومثله : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة مريم آية ٣٩] . أي : وجب العذاب .

(١) قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ ﴾ أي : خوف كفار مكة ﴿ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ يعني : يوم القيامة يتحسر المسيء إذ لم يتحسّن ، والمقصر إذ لم يترقّد من الخير .

وموجبات الحسرة يوم القيامة كثيرة ، فمن ذلك ما روى أبو سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، قيل : يا أهل الجنة ، فيشربون وينظرون ، وقيل : يا أهل النار فيشربون وينظرون ، فيجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيقال لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : هذا الموت ، فيلبيح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ؛ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

الخامس : تمام العذاب وبلوغ المراد منه ، قال : ﴿ وَغِيَصَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة هود آية ٤٤] .

السادس : بمعنى الشيء ، قال : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ [سورة البقرة آية ١١٧] . أي : إذا أراد إحكام شيء لم يتعذر عليه .

ومثله : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [سورة الشورى آية ٥٣] أي : تصير الأشياء إلى حيث لا يحكم فيه سواه ولا يقدر عليه غيره .

وجاء في التفسير أنه أراد بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ . عيسى عليه السلام أنه يكون من غير أب .

السابع : هزيمة الكفار وقتلهم بيد ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يُبَكِّمُهُمْ إِذْ تُكَيِّدُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَيْلًا ﴾ ، ثم قال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [سورة الأنفال آية ٤٤] أراد هزيمة الكفار وأسرهم جزاء لهم على كفرهم ونصرة المؤمنين عليهم .

الثامن : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة غافر آية ٧٨] . يعني : القيامة ، وقيل : أراد به قتل الكفار بيد . والأول الوجه .

" . قال المفسرون : فهذه هي الحسرة إذا ذُبِح الموت ، فلو مات أحد فرحاً مات أهل الجنة ، ولو مات أحد حزناً مات أهل النار .

ومن موجبات الحسرة ، ما روى علي بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يموتني يوم القيامة بناسي إلى الجنة ، حتى إذا دُتُّوا منها واستشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها ، نودوا : أن اصرفوهم عنها ، لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة ما رَجِعَ الْأَوَّلُونَ بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تُرَبَّنَا ما أربنا كان أهون علينا ، قال : ذلك أردت بكم ، كنتم إذا خَلَوْتُمْ بارزتموني بالعظام ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ، تراوون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابوني ، وأجلتكم الناس ولم تُجَلوني ، تركتم للناس ولم تتركوا لي ، فاليوم أفيقكم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب " . ومن موجبات الحسرة ما روى عن ابن مسعود قال : ليس من نفس يوم القيامة إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة ، وبيت في النار ، ثم يقال : يعني لهؤلاء . لو عملتم ، ولأهل الجنة : لولا أن من الله عليكم . ومن موجبات الحسرة : قطع الرجاء عند إطباق النار على أهلها . [زاد المسير : ٢٧٥ / ٢ - ٢٧٦] .

وقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [سورة النحل آية ١] . يعني : القيامة والإتيان هاهنا بمعنى الدنو كقول الشاعر :

وقيل المنادي أصبح القوم أدجوا

أي : ذنا الإصباح .

ومثله قوله : ﴿ وَغَرَّكُمُ الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [سورة الحديد آية ١٤] .

التاسع : فتح مكة ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة التوبة آية ٢٤] . قالوا : أراد فتح مكة ، ويجوز أن يكون المراد ظهور الإسلام وقوة أهله .

العاشر : قتل قريظة وجلاء النضير ، قال الله وحده : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٠٩] . جاء في التفسير أنه أراد ذلك ، ويجوز أن يكون المراد القيامة أيضا ، ويجوز أن يكون أراد : اصفحوا عنهم إلى أن يأمركم الله بقتالهم فتتقموا منهم .

الحادي عشر : بمعنى القضاء ، قال الله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية ٥] ، وقال : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [سورة يونس آية ٣] . أي : يقضي القضاء .

الثاني عشر : الوحي ، قال الله : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية ٥] . قال أهل التفسير : يعني : الوحي . وقال : ﴿ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [سورة الطلاق آية ١٢] . يعني : الوحي .

الثالث عشر : بمعنى النصر والسلطان ، قال : ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٥٤] . يعني : أن الغلبة لأولياء الله .

الرابع عشر : الذنب ، قال الله تعالى : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ [سورة الطلاق آية ٩] . أي : جزاء ذنبها .

وأصل الوبال من الطعام الوبل ، وهو الوخم الذي لا يمري ، وقيل : الوبل الشديد ، وأصله من الكراهة ، يقال : استوبلت المنزل إذا كرهته لقلته موافقته لك ، قال الله : ﴿ فَذَاقُوا

وَبَيَّالٌ أَمْرِهِمْ ﴿ [سورة التغابن آية ٥] . أي : جزاء فنيهم ، وقال : ﴿ لِيَدُوقَ وَبَيَّالٌ أَمْرَهُ ﴾ [سورة المائدة آية ٩٥] .

الخامس عشر : الأمر خلاف النهي ، قال الله : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [سورة الإسراء آية ١٦] . أي : أمرناهم بالطاعة فعصوا ، وقرئ : ﴿ أَمَرْنَا ﴾ . أي : جعلناهم أمراء . وقيل : كثرناهم ، وأمر الشيء : كثر ، وقيل : أمرناه بالتخفيف معناه : كثرنا .

وروى الجرمي عن أبي زيد والأصمعي : أمره وأمره . أي : كثره ، وأمر هو ، فهو أمر ومأمور ومؤمر من أمره ، وأمرته أيضا : كثرته بالتثني ، وهو مأخوذ من أمرته بالتخفيف ؛ لأن فعلت بالتثني من فعلت بالتخفيف مثل : ضربت وضربت ، قال المبرد : ولا تكون ذلك من أمرت .

السادس عشر : إظهار أمر المنافقين ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [سورة المائدة آية ٥٢] . أي : أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وآله بإظهار أمر المنافقين فيعاقبوا ، : ﴿ فَيُضَيِّحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [سورة المائدة آية ٥٢] . ويجوز أن يكون المعنى في هذا : ظهور الإسلام .

السابع عشر : العلم ، قال الله تعالى : ﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . قيل : يعني : العلماء ، وقيل : يعني : السلطان ، وإنما تجب طاعة السلطان إذا كان محقا . وقال ابن عباس : أولو الفقه في الدين .

وقال أبو علي رحمه الله : هم الأمة وأمرؤهم ، وليس هم العلماء إلا أن يكونوا أمراء . وقال : ﴿ قَرُّدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . أي : إلى الكتاب والسنة ؛ لأنها من الله ورسوله ، وفيه دليل على أن الإمامة ليست بحجة ، وفيه دليل أيضا على صحة القياس وذلك أن جميع ما يتنازع فيه المتنازعان لا يوجد في القرآن والسنة مشروحا ، ولكن يوجد أصل كل شيء فيهما أو في أحدهما ، فأمر بحمل الفروع على الأصول الموجودة فيهما ليظهر أحكامها ، ولا يأتي ذلك إلا بالقياس .

والآية عموم في وجوب الرد إلى الكتاب والسنة في حياة الرسول وبعد وفاته .

والذي يقتضيه ضحوى الكلام الرد إليهما فيما لا نص فيه ؛ لأن المنصوص عليه لا احتمال فيه لغيره ولا يقع فيه التنازع من الصحابة مع علمهم باللغة ومعرفتهم بها فيه احتمال مما لا احتمال فيه .

وأما الأمر في قوله تعالى : ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [سورة الطلاق آية ١] . فهو تفسير الرجعة ، وذلك أنه إذا طلقها طلاق السنة ملك رجعتها .

وطلاق السنة عند الكوفيين يعتبر فيه معنيان :

أحدهما : الوقت . والآخر : العدد .

فالوقت : أن يطلقها طاهرا من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها . والعدد : ألا يزيد في الطهر الواحد على تطليقة واحدة ، فأما من لا عد عليها فيطلقها متى شاء في حيض أو طهر بغير المدخول بها .

الأرض^(١)

من الأراضة وهي الخلاقة ، مكان أريض : أي : خليق النبات . وسميت الأرض أرضة ؛ لأنها تكون في بطن الأرض ، وسمي الرعدة أرضا من الأرضة ؛ لأنها إذا وقعت في الخشبة أكلتها فخفت فسميت الرعدة أرضا ؛ لأنها خفة تعري الإنسان .

وتجمع الأرض أرضين على غير قياس . وكان الأصل في الأرض أرضة والشاهد أنها تجمع أرضات ، مثل : تمرة وتمرات ، وأسقطت الأرضة أصلا حتى أنها لا يقال ، وأدخلت الواو والنون في الأرضين عوضا من الساقط وإنما أسقطت ؛ لأن التمر يتفصل كل واحدة منهما بنفسها ، والأرض ليست كذلك ، وإنما هي اسم واحد يجمع أشياء لا يتفصل بعضها من بعض . وقولنا : أرض كقولنا : تمر . اسم للجنس ، وربما جمعت على أرض مثل : تمر وأثمار .

وهي في القرآن على تسعة أوجه :

الأول : أرض الجنة ، قال الله تعالى : ﴿ أَنْ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء آية ١٠٥] . يعني : أرض الجنة ، هكذا قيل . وقيل : إنها أرض الدنيا ، ودليل ذلك أن الأرض إذا جاءت مطلقة ، وهي الأرض المعروفة لا غير ، ولو لم يكن ذلك كذلك ، لم يعرف بإطلاق اللفظ شيء .

الثاني : الأرض المقدسة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ [سورة الأعراف آية ١٣٧] . أي : مشارق أرض الشام ومغاربها ؛ لأنها تعلم أن بني إسرائيل لم يملكوا أرض فارس ولا أرض خراسان ، ومنه قوله

(١) (أرض) : اَرَضٌ وَاَرَضُونَ . وَرَوْضَةٌ اَرِيضَةٌ : لَيْتَةُ الْمَوْطِيءِ وَاسِعَةٌ . وَارَضٌ اَرِيضَةٌ : طَيِّبَةُ الْمَغْفِدِ لَيْتَةٌ ، وَقِيلَ : خَلِيقَةٌ لِلْمَطَرِ وَالْحَقِيرِ . وَكَذَلِكَ رَجُلٌ اَرِيضٌ ، وَمَا اَرَضَهُ لِلْخَيْرِ . وَعَلَيْهِ اَرَاضَةٌ ذَاكَ : أَيِ اِمَارَتِهِ . وَتَأْرَضُ الرَّجُلُ : تَزَلُّ ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَرْضِ . وَهُمْ يَتَأْرَضُونَ مَنَزِلًا : أَيِ يَتَخَيَّرُونَ اَرْضًا اَرِيضَةً لِلتَّزْوِلِ . وَمَا فِي الْحَوْضِ اَرُوضٌ : أَيِ نَهْيٌ يُؤَارِي اَرْضَهُ . وَالْاَرَضُ : كَرَمُ الْاَرْضِي ، اَرَضَتْ تَأْرَضُ اَرْضًا . وَالْاَرَضُ : الرُّغْدَةُ . وَالزُّكَامُ اَبْضًا ، وَرَجُلٌ مَأْرُوضٌ : أَيِ مَرْكُومٌ . وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي يَجْرُكُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ عَلَى غَيْرِ عَنَدٍ . الْمَحِيطُ فِي اللُّغَةِ : ٢٠٢/٢ .

تعالى : ﴿ اَلَمْ خَلَقْنَا الرُّؤْمُ فِي اَٰذْنَى الْاَرْضِ ﴾ [سورة الروم آية ١-٣] . يعني : أرض الشام ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَجِّنَا وَلُوطًا اِلَى الْاَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [سورة الانبياء آية ٧١] . أي : أرض الشام .

الثالث : أرض المدينة خاصة ، قال الله : ﴿ اِنْ اَرْضِي وَاِسْعَةً فَاِيَّايَ فَاَعْبُدُونِ ﴾ [سورة العنكبوت آية ٥٦] . يأمرهم بالهجرة إليها ، ثم فيه دلالة على أن من لا يمكنه عبادة الله في أرض فينبغي أن ينتقل عنها إلى حيث يمكنه ذلك .

والمراد على هذا التأويل أن أرض مكة تسعكم لا تجدون فيها ما تجدون في غيرها من المعاشر فانتقلوا إليها ، ويجوز أن يكون المعنى أن الطرق غير مسدودة عليكم فاخرجوا إلى حيث تتمكنون من عبادة ربكم . ومثله قوله تعالى : ﴿ اَلَمْ تَكُنْ اَرْضُ اللهِ وَاِسْعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . قالوا : يعني : أرض المدينة . وقال : ﴿ وَاِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُوْكَ مِنَ الْاَرْضِ ﴾ [سورة الإسراء آية ٧٦] . وقال : ﴿ وَمَنْ يُّهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْاَرْضِ مُرَآغَةً كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [سورة النساء آية ١٠٠] . أي : مذهبا واسعا ، مأخوذ من الرغام ، والمراغمة أيضا المغايظة والمناغضة ، وأصله من الرغام وهو التراب . ويقال : راغمته إذا هاجرته وعاديته ولم لا تبال رغم أنه أم لا .

الرابع : أرض مكة ، قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْاَرْضِ ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . يعني : أرض مكة ، : ﴿ قَالُوا اَلَمْ تَكُنْ اَرْضُ اللهِ وَاِسْعَةً ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . أي : أليس في أرض المدينة متسع ومحتمل ، فليس لكم عذر في المقام بمكة على ذل وهوان .

الخامس : الأرض التي تفتح لأهل الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ اَوْ لَمْ يَرَوْا اَنَا تَاْتِي الْاَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ اَطْرَافِهَا ﴾ [سورة الرعد آية ٤١] . أي : أو لم تروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما يبين لهم صدق الدعوة ، وذلك أنه كان أخبره بفتحها عليهم ، ففتحها كان بعض

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف المعجزات ، وقيل : ﴿ تَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ ^(١) موت أهلها وينقص ثمارها ، وقيل : موت العلماء والأول الوجه .

السادس : أرض مصر خاصة ، وهو قوله : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ [سورة يوسف آية ٥٥] . وإنما طلب ذلك نظرا للناس ليوسع عليهم وينصفهم في القسمة ، وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة يوسف آية ٥٦] . وقال : ﴿ فَلَنُبْرِئَهُ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [سورة يوسف آية ٨٠] . وقال : ﴿ إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة القصص آية ٤] . وقال : ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة القصص آية ٥] . وقوله : ﴿ أَوْ أَنْ يظْهَرُ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ ﴾ [سورة غافر آية ٢٦] . المعنى بهذا كله : أرض مصر . وكذلك قوله : ﴿ إِنْ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [سورة الأعراف آية ١٢٨] . ويميز أن يكون المعنى في هذا جميع الأرض المسكونة .

السابع : أرض الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ يُنْفِقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٣] قال أهل التفسير : يقاتلون حيث توجهوا من الأرض ولا يتركون فارس في شيء من أرض المسلمين ، وقيل : معناه أن دمائهم مباحة فمن يقتلهم لم يؤخذ بهم ، ويقال : نفيت الشيء نفيا ، والنفاية ما ينفي مثل : النحاتة والبراية .

الثامن : جميع الأرضين ، قاله الله : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [سورة هود آية : ٦] ، وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ ﴾ [سورة

(١) قال الشوكاني : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا ﴾ يعني أهل مكة ، والاستغهام للإنكار ، أي : أولم ينظروا ؟ أنا تأتي الأرض تَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ أي : تأتي أرض الكفر كمكة تنقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها شيئا فشيئا . قال الزجاج : أعلم الله أن بيان ما وعد المشركين من قهرهم قد ظهر ، يقول : أولم يروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم ، فكيف لا يعتبرون ؟ وقيل : إن معنى الآية : موت العلماء والصلحاء . قال القرطبي : وعلى هذا فالأطراف الأشراف . وقد قال ابن الأعرابي : الطرف الرجل الكريم . قال القرطبي : وهذا القول بعيد ، لأن مقصود الآية : أنا أريناهم النقصان في أمرهم ليعلموا أن تأخير العقاب عنهم ليس عن عجز إلا أن يحمل على موت أحبار اليهود والنصارى . وقيل : المراد من الآية خراب الأرض المعمورة حتى يكون العمران في ناحية منها . وقيل : المراد بالآية هلاك من هلك من الأمم . وقيل : المراد نقص ثمرات الأرض . وقيل : المراد جور ولائها حتى تنقص . [فتح القدير : ١٢٣/٤] .

لقمان آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿ إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٤] ، والفرق بين مكننا له ومكنناه أن معنى مكننا له : جعلنا له ما يتمكن به في الأرض ، ومعنى مكنناه : أقدرناه على ملك الأرض .

وقوله : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [سورة الكهف آية : ٤٧] والمراد : أننا نسير الجبال فيحلوا منها وجه الأرض فتراها بارزة أي : ظاهرة لا شيء فيها ، ويموز أن تكون بارزة بمعنى : مبرزة أي : قد أبرز جميع ما في بطنها ، وجاءت على فاعلة على النسبة كما قيل : الحاسة وهي من أحسست على النسبة لا على طلب الفعل ، أي : هي ذات كفا ، ويموز أن يكون المعنى أنك ترى أهل الأرض بارزين كما قال : ﴿ وَيَرْزُؤا اللَّهَ جَمِيعًا ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢١] ، وقال : ﴿ وَيَرْزُؤا اللَّهَ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٤٨] .

التاسع : محي الأرض مثلا ، وهو قوله : ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [سورة هود آية : ١٠٧ ، ١٠٨] . لم يرد أرضا بعينها وإنما هو على حسب قول العرب في معنى الأبد : لا أفعل ذاك ما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وما أقام الجبل وما دامت السموات والأرض .

هذا وإن كان اللفظ الليل والنهار والجبل والأرض والسماء ، فإنما المراد به الأبد ، وإنما جعلوا هذه الأشياء أمثالا في الأبد ؛ لأنها عندهم لا تتغير ، ويموز أن يكون المراد أرض الجنة والنار .

الاشترء

أصل الشراء من الإمالة ومنه الشرى وهو الناحية ، فقولهم : اشترت الشيء . كأنك جعلته في شراك ، أي : ناحيتك ، كما تقول : احتقته إذا جعلته في حقيقتك ، وهو من الأضداد ، اشترته إذا أخذته بشمن واشترته إذا بعته ، وكذلك شريته إنما سمي المشتري والبائع باسم واحد ؛ لأن كل واحد منهما يأخذ شيئاً ويعطي شيئاً فلتماثلهما من هذا الوجه اشتركا في الاسم الواحد ، ويجوز أن يكون من قولك : شريت به . إذا لمحت به ، ومنه يقال : شرى البرق إذا كثر لمعانه كأنه لهج بذلك .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الاختيار ، قال : ﴿ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى ﴾ ^(١) [سورة البقرة آية : ١٦ ، ١٧٥] . أي : اختاروا الكفر على الإيمان ، ومنه : ﴿ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٤] . أي : اختاروا على الإيمان ما نالوه من حطام الدنيا ، وسماه قليلاً ؛ لأن كل شيء من الدنيا قليل لا يقطعاه .

وقال : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَوَ الْحَدِيثِ ﴾ [سورة لقمان آية : ٦] . يعني : يختار باطل الحديث على القرآن .

وعلى هذا التقدير يصح هذا التأويل ؛ لأن الاختيار : إيثار الشيء على غيره وهو ضرب من الإرادة واقع على هذا الوجه ، وإذا لم يقع كذلك لم يسم اختياراً .

(١) قال الخازن : ﴿ الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ أي استبدلوا الكفر بالإيمان وإنما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعاً على سبيل الاستعارة لأن الشراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر . فإن قلت كيف قال اشترى الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى ؟ قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها . والضلالة الجوز عن القصد وقد الاهتداء ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ أي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ أي مصييين في تجارتهم ، لأن رأس المال هو الإيمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى . وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم . [لباب التأويل : ١/١٦] .

وأصله من الخير كأنك تؤثر خير الشينين عندك ، وقالوا : هو الحديث الغناء ؛ لأنه يلهي عن الذكر ، قالوا : نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرى المرأة المغنية .

وقيل : هو جميع ما يلهي عن الذكر ، وقيل : نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة الداري وكان يشتري من كتب الأعاجم فارس والروم ويقرأوها على قريش فيستحسنونها ويمعجبهم ما يسمعون من أخبارهم فيها فيشتغلون بها عن استماع القرآن .

وقوله : ﴿ وَتَخِذْهَا هُزُوءًا ﴾ [سورة لقمان آية : ٦] . يعني : سبيل الله ، ومعناه الإسلام .

الثاني : الابتاع ، قال الله : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةُ ﴾ [سورة التوبة آية : ١١١] . هكذا قيل ، وهو مجاز وحقيقته أنه جعل الجنة ثوابا لهم على بذلهم نفوسهم وأموالهم في سبيل الله ، وسمي ذلك اشتراء ؛ لأنه جعل الجنة بدلا من ذلك كما أن ثمن السلعة بدل منها .

الثالث : بمعنى البيع ، قال تعالى : ﴿ بَشِّرَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] أي : باعوها ، وهذا أيضا مجاز ، ومعناه أنهم أذنبوا فاستحقوا النار فإذا صاروا إليها لم يتفعوا لنفوسهم فكأنهم باعوها ؛ لأن من باع الشيء حرم الانتفاع به .

الأحد^(١)

أصله الانفراد ، يقال : رجل وَّحْد إذا كان منفرداً ، ولهذا قالوا : مررت برجل وحده .
لما أرادوا معنى الانفراد ، كأنهم أرادوا برجل أفرداً ، وأفرداً منصوب نصب المصدر فنصبوا
وحده ؛ لأنه جعل موضع أفراد .

(١) [وحد] : الْوَحْدُ : الْمُتَفَرِّدُ . رَجُلٌ وَحْدٌ ، وَتَوَزَّ وَحْدٌ . وتفسير الرجل الواحد : الذي لا يُعْرِفُ له أَصْلٌ .
قال :

بذي الليل على مُسْتَأْنِسٍ وَحْدٍ

وَالْوَحْدُ - خَفِيفٌ - : حِدَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ . وَالْوَحْدُ : مَنْصُوبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَّأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى الْمَصْدَرِ خُرْجاً مِنْ
الْوَضْفِ ، لَيْسَ بِنَعْتٍ فَيَتَّبِعُ الْأَسْمَ . وَلَيْسَ بِخِيَرٍ فَيُقَصَّدُ إِلَيْهِ دُونَ مَا أَضِيفَ إِلَيْهِ ، فَكَانَ النَّصْبُ أَوَّلَ بِهِ ، إِلَّا
أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ أَضَافَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : هُوَ نَيْبُجٌ وَخِدِهِ ، وَهِيَ نَيْبُجَا وَخِدِهَا ، وَهِيَ نُسْجَاةٌ وَخِدِجُهُمْ ، وَهِيَ
نُسْجَةُ وَخِدِهَا ، وَهِيَ نَسَائِجٌ وَخِدِجُهُمْ : وَهُوَ الرَّجُلُ الْمَصِيبُ الرَّأْيِي . وَكَذَلِكَ قَرِيبٌ وَخِدِيٍّ وَكُطْلُكُ ضَرْفُهُ ،
وَهُوَ الَّذِي لَا يَقَارِعُهُ فِي الْفَضْلِ أَحَدٌ .

وَوَحْدَ الشَّيْءِ فَهُوَ يَحْدُ حِدَّةً ، وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى حِدَةٍ بَائِنٌ مِنْ آخَرٍ . يُقَالُ : ذَلِكَ عَلَى حِدَّتَيْهِمَا وَهِيَ عَلَى حِدَّتَيْهِمَا ،
وَهُمْ عَلَى حِدَّتِهِمْ ، وَالرَّجُلُ الْوَاحِدُ ذُو الْوَحْدَةِ ، وَهُوَ الْمُنْفَرِدُ لَا أُنَيْسَ مَعَهُ ، وَقَدْ وَحْدَ يَوْحُدُ وَحَادَةً وَوَحْدَةً
وَوَحْدًا .

وَالتَّوَحُّيدُ : الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَاللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ذُو التَّوَحُّيدِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ . وَالوَاحِدُ : أَوَّلُ
عَدَدٍ مِنَ الْحِسَابِ . تَقُولُ فِي ابْتِدَاءِ الْعِدَدِ : وَاحِدٌ ، اِثْنَانٌ ، ثَلَاثَةٌ إِلَى عَشْرَةٍ . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : أَحَدٌ ، اِثْنَانٌ ،
ثَلَاثَةٌ ، وَفِي التَّانِيثِ : وَاحِدَةٌ وَاحِدِي . وَلَا يُقَالُ غَيْرُ أَحَدٍ ، وَاحِدِي فِي أَحَدٍ عَشَرَ ، وَاحِدِي عَشْرَةَ . وَيُقَالُ :
وَاحِدٌ وَعَشْرُونَ ، وَوَاحِدَةٌ وَعَشْرُونَ ، فَإِذَا حُلِمَا الْأَحَدُ عَلَى الْمُفَاعَلِ أَجْرِي يَجْرِي الثَّانِي وَالثَّلَاثُ ، وَقَالُوا :
هَذَا حَادِي عَشْرَهُمْ ، وَثَانِي عَشْرَهُمْ وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ وَالْيَوْمُ الْحَادِي عَشَرَ . وَهَذَا مُقْلُوبٌ كَجَلْبَبٍ
وَجَبَدٍ .

وَالْوَحْدَانُ : جَمَاعَةُ الْوَاحِدِ .

وتقول : هو أَحَدُهُمْ ، وهي إِحْدَاهُنَّ ، فإذا كانت امرأةً مع رجال لم يستقم أن تقول : إِحْدَاهُمْ ، وَلَا
أَحْدَهُمْ ، إِلَّا أَنْ تَقُولَ : هي كَأَحَدِهِمْ ، أو هي واحدة منهم .

وتقول : الْجُلُوسُ وَالْقُعُودُ وَاحِدٌ ، وَأَصْحَابُكَ وَأَصْحَابِي وَاحِدٌ .

وَالْمَوْحَدُ كَالْمَثْنَى وَالْمَثْلَثُ ، تقول : جَاءُوا مَثْنً وَمَثْلَثً وَمَوْحَدً ، وَجَاءُوا ثَنَاءً وَثَلَاثَ وَاحِدًا . وَالْمِيْحَادُ
كَالْمِغْشَارِ ، وَهُوَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كَمَا أَنَّ الْمِغْشَارَ عَشْرٌ .

وَالْمُوَاحِدُ : جَمَاعَةُ الْمِيْحَادِ ، وَلَوْ رَأَيْتَ أَكْثَابَ مُنْقَرَدَاتٍ كُلِّ وَاحِدَةٍ بَائِنَةٍ عَنْ الْأُخْرَى كَانَتْ مِيْحَادًا أَوْ
مُوَاحِدٍ .

وتقول : ذَاكَ أَمْرٌ نَسْتُ فِيهِ بِأَوْحَدٍ ، أَي : لَسْتُ عَلَى حِدَةٍ . وَالْحِدَةُ أَصْلُهَا الْوَاحِدُ . [العين : وحد] .

وجاء في كلامهم نسيج وحده ، وعير وحده ، وجعش وحده بالجر ، وإنما هذا مضاف إلى المصدر كأنهم قالوا : نسيج إفراداً لا يوجد مثله ؛ لانفراده بدأبه وعمله .

وقالوا : في جمع أحد آحاد ، وجمع واحد وحادان وأحدان ، ويقولون : أحد الرجلين ولا يقولون : واحد الرجلين ، ولزموا أحداً واحداً في العدد .

ولو استعملوا في أحد وعشرين واحداً وعشرين وواحدة وعشرين كان جائزاً ولكن لما كان باب العدد وباب التعبير لزموا فيه أحداً واحداً وهما مغيران عن الأصل ، وقالوا : واحد ولم يقولوا في الثنية : واحدان ؛ لأن واحداً اسم لما لا ثاني له ، وقالوا : اثنان حين أرادوا أن كل واحد منهما ثان للآخر .

وأحد في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : يعني : الله سبحانه وتعالى ، وهو قوله : ﴿ اِيْحَسْبُ اَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ اَحَدٌ ﴾ [سورة البلد آية : ٥] يعني : أن لن يقدر عليه الله ، أو أن يحسب أن لن يقدر الله أن يبعثه .

وكذا قوله تعالى : ﴿ اِيْحَسْبُ اَنْ لَّمْ يَرَهُ اَحَدٌ ﴾ [سورة البلد آية : ٧] وأول الآية : ﴿ يَقُوْلُ اَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴾ [سورة البلد آية : ٦] أي : أنفقت المال الكثير في وجوه كثيرة ، ومن أحصاه علي فيحاسبني به ، فقال الله : ﴿ اِيْحَسْبُ اَنْ لَّمْ يَرَهُ اَحَدٌ ﴾ أي : لم يره الله .

الثاني : النبي صلى الله عليه وآله ، قال : ﴿ وَلَا تُطِيعُ فَيْكُمْ اَحَدًا اَبَدًا ﴾ [سورة الحشر آية : ١١] يعنون النبي صلى الله عليه وآله ، وكذلك قوله : ﴿ اِذْ تُصْعِدُوْنَ وَلَا تَلُوْنَ عَلٰى اَحَدٍ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٥٣] يعني : على النبي عليه السلام ؛ لأنه ثبت حين انهزموا فمروا على وجوههم ، ولم يقيموا عليه ، ويجوز أن يكون المعنى أن بعضكم لم يقم على بعض .

الثالث : قوله : ﴿ وَمَا لِاَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِّعْمَةٍ تُجْزٰى ﴾ [سورة الليل آية : ١٩] جاء في التفسير أنه عني بلالا مولى أبي بكر رضي الله عنه وأراد أنه لم تكن لبلال نعمة عند أبي بكر يعطيه من أجلها ، وإنما أعتقه لوجه الله ، ويجوز أن تكون الآية فيه وفي غيره ممن يفعل الخير لا ليد مجازي بها ولكنها لله تعالى .

الآل^(١)

أصل الآل من الأول وهو الرجوع ، والآل الشخص يرفع في الصحاري للنظر فيراه ليس بشيء ، وسمي آلاء ؛ لأنه يخفى ثم يرجع فيظهر ، وبه سمي شخص الرجل آلاء ، والآله الشدة من شدائد الدهر ؛ لأنها تذهب ثم ترجع ، قالت الخنساء :

سَأَحِيلُ نَفْسِي عَلَى الْآلَةِ فَـ لِمَا عَلَيَهَا وَإِمَّا لَهَا

والآلة : الحالة ؛ لأنها لا تبقى .

والآل ربما جاء بمعنى الأهل ، وبينهما فرق يقال : أهل العلم وأهل البلد ، ولا يقال : آل العلم وآل البلد ، ويقال : أهل الرجل لأقاربه وهم آله أيضا وآله أتباعه ، فكان الآل من جهة القرابة والصحبة ، والأهل من جهة النسب والاختصاص .

وقيل : العرب تقول في تصغير آل : أهيل فهذا يدل على أن أصل الهمزة في آل هاء .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى الأتباع ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴾ [سورة القمر آية : ٤١] يعني : أتباعه ، والمعنى : جاءته النذر وجاءتهم أيضا ، ومثله : ﴿ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر آية : ٤٦] فاكثف بذكرهم عن ذكره لدلالته عليه ، ومعلوم أنها إذا جاءتهم لأجل كفرهم وهو كافر مثلهم ، فقد جاء به وهذا من الإيجاز المحمود .

الثاني : أهل بيت الرجل ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [سورة القمر آية : ٣٤] وهذا مثل الأول ؛ لأنه نجاه ونجى أهل بيته فاكثف بذكر أهل بيته لبيان المعنى ، ومثله : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٥٩] .

(١) الفرق بين الآل والشخص : أن الآل هو الشخص الذي يظهر لك من بعيد ، شبه بالآل الذي يرتفع في الصحاري ، وهو غير السراب وإنما السراب سبخة تطلع عليها الشمس فتبرق كأنها ماء ، والآل شخص يرتفع في الصحاري للنظر وليست بشيء ، وقيل الآل من الشخص ما لم يشبهه وقال بعضهم " الآل من الاجسام ما طال ولهذا سمي الخشب آلا " . [الفروق اللغوية : ٧/١] .

الثالث : الذرية ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٣] يعني : إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، و : ﴿ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٣] يعني : موسى وهارون ؛ اختارهم على عالمي زمانهم .

والفرق بين الولد والذرية : أن الذرية يقع على أولاد الرجل الذكور والإناث ، وعلى أولاد بنيه وبناته من الذكور والإناث ، والدليل على ذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨٤] ثم عد عيسى مع المذكورين ، وولد الرجل هم من ولدكم لا يدخل أولاد البنات فيهم ؛ لأن أولاد البنات منسوبون إلى آبائهم ، قال الشاعر :

بَنُونَا بَنُوا أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْإِبْعَادِ

فأما تسميته الحسن والحسين عليهما السلام ولدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك شيء خاص به دون غيرهما تكريماً لهما واختصاصاً .

أوى^(١)

أصله الميل ، وأوى الرجل منزله الذي يميل إليه ويقيم فيه ، أويت أنا وأويت غيري إذا ضمته إليك كأنك أملتة إليك بعطفك ورحمتك .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الضم ، قال : ﴿ وَأَوْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] أي : ضمهما .

الثاني : الانتهاء ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ أَوْنَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ [سورة الكهف آية : ٦٣] ، وقال : ﴿ فَأَوُّوْا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ [سورة الكهف آية : ١٦] أي : انتهوا ، ويجوز أن يكون أراد الميل في الوجهين ، : ﴿ وَأَوْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ أملناهما ، : ﴿ إِذْ أَوْنَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ ملنا ، : ﴿ فَأَوُّوْا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ مالوا . والمعين : الماء الطاهر التي تناله العين وهو من قولك : عته إذا أبصرته واختار لهم الربوة ؛ لأنها أبعد من اللثق وما يكون فيها من الماء والخضرة فهو أحسن والعرب تقول : أحسن من رياض الحزن ، قال الأعشى :

مَارَوْسَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْتَبَرَةٌ خَضِرَاءُ جَارَ عَلَيْهَا مَسْبَلٌ هَطْلٌ

والحزن : ما ارتفع من الأرض في غلط .

(١) [أوى] : تقول العرب : أوى الإنسان إلى منزله يأوي أوتياً وإواء والأوي : أحسن ، وأوتيت ليواة . والتأوي : التجمع . . . وتأوت الطير ، إذا انضمت بعضها إلى بعض ، فهن أوي ، ومثاويات قال العجاج : كما تداني الجدأ الأوي يصف الأثافي ، وقد شبه كل أنفية بجدأة بوزن فعلة .

وتقول : أويت لفلان أوي أوية وآية وماوية وماواة إذا رحته ورثيت له ، قال :
على أمرٍ من لم يُشعِرني حُرَّ أمره *** ولو أنني استأوتت ما أوى ليا
وابن أوى : لا يصرفل على حال ، ويحتمل على أفعل مثل : أخوى . [العين : أوى] .

الأول^(١)

أول كل شيء ما ابتدئ فيه واشتقاقه من الأول ، وهو الرجوع ، كأن كل شيء ترجع صفته إلى ما بدئ منه ، والأول في أسماء الله تعالى بمعنى أنه لا شيء قبله .
وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : أول من كفر من أهل الكتاب ، وهو قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤١] أي : أول من كفر به من أهل الكتاب ؛ لأن قريشا كفروا به قبلهم ، ودلهم هذا على أن جميع من كفر منهم بعد فإنه سببه ويلزمهم مثل وزره .
قال أبو العباس المبرد : أول يضاف إلى ما بعده على وجهين :
أحدهما : أن يكون ما بعده متصلا به .

والآخر : أن يكون مقدرًا لذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ﴾ إنها قال هذا للمخاطبين ؛ لأنهم قبل غيرهم ممن يلزمهم ما يلزمهم فقبل لهم : أنتم أيها المخاطبون لا تكفروا بما سمعتم فيكون بعدكم الكافر والمؤمن فلا تكونوا أول الكفار ، وكافر في موضع الجماعة إذا كانوا واحدا واحدا ، وقبيلًا قبيلًا ، يقول : كل رجل في الدار فأعطه درهما ، أي : أعطهم رجلا رجلا حتى يعطي كلهم ، ولو قال قائل : أول من يأتيني فله درهم فأتاه واحد ولم يأت غيره لوقع عليه اسم الأول ؛ لأنه في التقدير أن يأتي غيره ، ولو قال : آخر رجل يأتيني وآخر عبدا ملكه لم يعلم إلا بعد موته ؛ لأن الأول مقدر لما بعده ، والآخر لا يقع عليه هذا الاسم ، وكذلك إذا قال : أول عبد لي حر فأول عبد يشتريه يعتق ، فإذا قال : آخر عبد لم يعلم ذلك إلا بعد موته .

(١) (أول) : الرجوع وقولهم ألت الضربة إلى النفس أي رجعت إلى إهلاكها يعني أدى أكثرها إلى القتل يقال طبعث النيد حتى آل الثان منّا واجدا أي صار وفعلت هذا عاما أول على الوصف وعام الأول على الإضافة وقوله أي رجل دخل أول فله كذا وكذا مني على الضم كما في من قبل ومن بعد ومعناه دخل أول كل أحد وقيل كل أحد وموضعه باب الواو وألينا في (ف ج) . [المغرب : الهزمة مع الواو] .

الثاني : النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨١] قيل : أول الموحدين لله من أهل زمانه ، ومثله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة الزمر آية : ١٢] أي : ابتدئ بإظهار الإسلام ليتلو في الناس .

الثالث : أول المؤمنين ، أي : أول المؤمنين بذلك ، ويجوز أن يكون معناه أنه أول المؤمنين بهذا وبغيره مما هو من دين الله ليس أنه لم يكن مؤمنا به قبل ذلك وإنما أراد أنه يجدد له إيمان بعد إيمان قبل أن يتجدد ذلك لغيره فهو أول فيه .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٥١] أي : أول المؤمنين من اتباع فرعون ، وقيل : كانوا أول مؤمني أهل دهرهم ، وذلك غلط ؛ لأن موسى وهارون عليهما السلام كانا مؤمنين قبلهم ، وقوله تعالى : ﴿ فَارْسِلْ مُعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٠٥] دليل على أن موسى كان قد علم أن من بني إسرائيل من هو مؤمن ، وكان فرعون يتعبد لهم فطلب منه إرساله إياه .

الاستئناس^(١)

أصله طلب الأنس ، والإناس من الرؤية يفيد الأنس بما يراه المؤمن ، ولهذا لا يقال لله تعالى يؤنس كما يقال : أنه يرى .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الاستئذان ، قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [سورة النور آية : ٢٧] ونسق التلاوة يدل على أنه أراد الاستئذان ، وهو قوله : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [سورة النور آية : ٥٩] .

وقرأ ابن عباس رحمه الله : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ ، وقال : غلط الكاتب وإنما سمي استئذانهم استئناسا ؛ لأنهم إذا استأنسوا أنس بعضهم ببعض .

(١) الأَنَسُ : جَمَاعَةُ النَّاسِ ، وَهُمْ الْإِنْسُ . وَالْإِنْسُ : جَمَاعَةُ النَّاسِ ؛ وَجَمْعُ الْإِنْسِ أَيْضاً - بِمَنْزِلَةِ إِجْلٍ وَأَجَالٍ - .

وقيل : سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِنْشَانًا لظُهُورِهِمْ وَإِفْرَاقِ الْبَصَرِ لِيَاهِهِمْ ، وَهُوَ فِعْلَانٌ ، وَمُصَفَّرٌ : أَتَيْتَانِ وَأَتَيْتَيْنِ . وَيَقُولُونَ : هَذِهِ إِنْشَانَةٌ لِلْمَرْأَةِ . وَطَبَقَ قَوْلُ فِي الْإِنْسَانِ : إِنْشَانٌ - بِالْيَاءِ - ، وَيُجْمَعُ أَيَّيْنِ .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ : " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَكَ " أَيَّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، يُقَالُ : مَا هُوَ مِنَ الْإِنْسَانِ : أَيَّ مِنَ النَّاسِ . وَتَأْنَسُ الْأَرْضُ : تَبَثَّتْ .

وَفِي الْمَثَلِ الْخَالِصِ بِأَخِيهِ قَوْلُهُمْ : " فَلَانِ ابْنُ أَتْسٍ فَلَانِ " . وَالْإِنْسَانُ : الْإِنْمَلَةُ . إِنْسِي الْقَدَمَ : مَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ . وَإِنْسِي الْإِنْسَانُ : شِقُّهُ الْإِيْتَرُ . وَالْإِنْسُ : الْإِسْتِنَاسُ وَالْإِنْسُ ، وَقَدْ أُنْسْتُ بِفُلَانٍ وَأُنْسْتُ بِهِ - بَفَتْحِ التَّوْنِ -

وَالْإِنْسَةُ : الْجَارِيَةُ الْعَلِيَّةُ النَّفْسِ الَّتِي تُحِبُّ حَدِيثَهَا . وَيَقُولُونَ : كَيْفَ أَنْتُكَ وَإِنْشُكَ ، وَ " كَيْفَ تَرَى ابْنَ أَنْتِكَ " أَيَّ نَفْسِكَ ، وَقِيلَ : هُوَ خَاصَّةٌ وَخَلِيلُهُ . وَيُقَالُ لِلسَّلَاحِ : الْمُونَسَاتُ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَسْتَأْنِسُ بِسَلَاحِهِ .

وَأَنْتُ قَرْعاً وَشَخْصاً وَضِعْفاً مِنْ مَكَانٍ : أَيَّ رَأَيْتُ . وَكَلِمَتُكَ أَنْتُ : إِذَا أَحْسَنْتَ شَيْئاً . وَابِلَازِي يَتَأْنَسُ : إِذَا جَلَّى وَنَظَرَ رَافِعاً رَأْسَهُ . وَالْإِنْسَةُ : النَّازِلَةُ لِأَهْلِهَا أَنْسُ الْأَشْيَاءِ ، وَقِيلَ : هُوَ مَنْ أَتَاهَا تُؤْنَسُ أَيَّ تَبَصَّرَ .

وَعُزِّضَ مَا تَوَسَّسَ : فِيهِ إِنْسٌ وَالْإِسْتِنَاسُ : الْإِسْتِذْنَانُ . وَتَأْنَسَ لِلشَّيْءِ : إِذَا تَسَمَّعَ لَهُ . [المعيط في اللغة : ٢٧٩/٢] .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

وفي قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ جواز الدخول بعد الاستئذان وإن لم يكن صاحب الدار أذن ، ولذلك قال مجاهد : هو التحم والتحنج كأنه أراد أن يعلمهم بدخوله .

وهذا الحكم ثابت فيمن جرت عادته بالدخول من غير إذن ومعلوم أن الإذن مشروط في إباحة الدخول ، ويدل عليه أيضا قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٢٨] فحظر الدخول إلا بالإذن .

الثاني : طلب الأنس بالحديث ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٣] ، وقال عمر رضي الله عنه : أأستأنس يا رسول الله ، فقال له : أأستأنس يعني : أستأنس الحديث .

ومستأنسين نصب على الحال من مخوف ، أي : فلا تدخلوها مستأنسين أو لا تجلسوا بعد الفراغ من الأكل ، وقيل : موضعه خفض مستأنسين على اتباع : ﴿ نَاطِرِينَ إِنَاءً ﴾ .

الآية^(١)

أصل الآية العلامة الثابتة من قولك : تأييت بالمكان إذا أقمت به وثبت فيه ، ومن ثم يقال : لأجعلنك آية ، أي : علامة ، وسميت الآية من القرآن آية ؛ لأنها بمفارقتها كلام البشر علامة على صدق الدعوة ، وقيل : الآية جماعة حروف من قولهم : خرج القوم على أيّتهم أي : بجمعاعتهم .

وهي في القرآن على وجهين :

الأول : العبرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] أي : عبرة يعتبر بها ، وتكون علامة لصدقه وشاهدا على أن الله تعالى قادر على ما يريد ، ويجوز أن يكون قولهم : لأجعلنك آية من ذلك أي : عبرة ، ومثله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٥] ولم يقل : وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين ؛ لأن الأمر فيهما يؤول إلى شيء واحد .

الثاني : العلامة ، قال : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ [سورة يس آية : ٤١] ، وقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة الروم آية : ٢٥] ، وقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الشورى آية : ٢٩] ، الروم :

(١) الآية : العلامة ، وجمعها أيّ ثم آيات . والجماعة من الناس ، وخرج القوم بأيّتهم . والغاية . والآيات من القرآن ، والجميع الآي ، وآية مؤنثة وقد أُنثيت ، وسميت آية لأنها علامة لانقطاع الكلام ، وقيل : لأنها عَجَبٌ ، وإذا أَصَفْتَ إلى آية قُلْتَ : آوَيْتُ وَآيَيْتُ . وآية الرجل : شخصه ، يقال : تأييتُ آيته : أي تعمّدت شخصه . وآي الدار : علاماتها .

والآء : الواحدة آءة شجرة لها حمل تأكله النعام ، وتَمَرُهَا آء ، وتَصْفِيرُهَا أَوْنَاءٌ بوزن عُونَةٍ . وأَرْض مائة على مفعلة .

والتأيي : التظنر والثبوت ، تأيا الرجل يتأيا ، وليست بدارتية : أي انتظار للمقام بها . وتأيت بالمد : تعمّنت .

وتأيت القوم : لحقتهم وأدركتهم وتلاقيتهم .

وتأيت الأثر : التمسته وتعرّفته .

وآياتا : في الزجر ، أُنثيت بالإيل أُنثي تأية ، وآيا يأني تأية . [المحيط في اللغة : ٤٩٠ / ٢] .

[٢٢] ، وقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾^(١) [سورة الروم آية : ٢١]
أي : ومن العلامات على ربوبيته ..

والوجهان متقاربان يصلح استعمال أحدهما في موضع الآخر ، وإنما أوردناهما على
حسب ما جاء في التفسير .

(١) قال الشوكاني : ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ قال المفسرون : يعني النساء فإنه خلق حواء
من ضلع آدم . أو المعنى : خلق لكم من جنسكم أزواجاً لتتأنسوا بها ، لأن الجنس يأنس إلى جنسه ،
ويستوحش من غير جنسه ، ويسبب هذه الأنسة يقع بين الرجال والنساء ما هو سبب للنسل الذي هو
المقصود بالزواج ، ولهذا قال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً﴾ . [فتح القدير : ٢٤٢ / ٤] .

الآخرة

سميت الآخرة آخرة ؛ لأن الدنيا تؤدي إليها ، وآخر الشيء خلاف أوله ، فأوله ما بدئ منه وآخره ما يتقطع عند تمامه .

وقد يجوز مع ذلك أن يجعل أول الشيء آخره ، وآخر الشيء أوله إذ قدر غير التقدير الأول ، وقد استقصينا ذلك في كتاب الفرق .

وأخر الشيء منه كما أن أوله منه ، وليست الآخرة من الدنيا على أنه لولا الدنيا لم يقل آخره ، وأنت الآخرة على تأنيث الدار .
وهي في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٠ ، المؤمنون : ٧٤] يعني : القيامة .

الثاني : الجنة بعينها ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] أي : ما لهم في الجنة من نصيب ، والخلق النصيب وسمي خلافا ؛ لأنه قدر لصاحبه ، وأصل الخلق التقدير وسنذكره ، وقال تعالى : ﴿ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٥] ، وقال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [سورة القصص آية : ٨٣] ، ونظير الأول قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ [سورة الشورى آية : ٢٠] .

الثالث : جهنم خاصة ، قال : ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ ﴾ [سورة الزمر آية : ٩] أي : يحذر جهنم .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ يُبْتِئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٧] وجاء في التفسير أنه أراد القبر حين يأتيه منكر ونكير ، ويجوز أن يكون معناه القيامة يشبه الله فيها على الصراط .

سبعة

البيان الأول

البيان الأول

البيان الأول

البيان الأول

البيان الأول

البيان الأول

الخامس : قوله تعالى : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ ^(١) [سورة ص آية : ٧] وهي
ملة عيسى عليه السلام ، كذا قيل ، ويميز عندنا أن يكون معناه : ما سمعنا أن مثل ما تأتي به
يكون في آخر الزمان .

والمعنى

(١) قال ابن الجوزي : ﴿ في المِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ وفيها ثلاثة أقوال :

أحدها : النصرانية ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وإبراهيم بن المهاجر عن مجاهد ، وبه قال محمد بن
كعب القرظي ، ومقاتل .

والثاني : أنها ملة قريش ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وبه قال قتادة .

والثالث : اليهودية والنصرانية ، قاله الفراء ، والزجاج ، والمعنى أن اليهود أشركت بعزير ، والنصارى
فماثلت : ثالث ثلاثة ، فلهذا أنكرت التوحيد . [زاد المسير : ٥ / ٢٢٧] .

الأخ^(١)

أصل الأخ أخو على وزن فعل ، ودليل ذلك أنك تقول في التثنية أخوان ، وكذلك الأب ؛ لأنك تقول في تثنيته أبوان .

قال المبرد : إنما حذفوا الواو من أخ علامة للتضمين ، ومعنى التضمين عندنا أنك إذا قلت : أخ فقد ضمنت شيئاً معلوماً وهو أخ آخر ، وكذلك إذا قلت : أب وابن وليس كذلك في مثل قولك : رأس ؛ لأنك إذا قلت : رأس جاز أن تريد رأس عصا ورأس رجل ورأس بقرة ، وليس يدك قولك : رأس على شيء بعينه ، والمضمون في قولك : أخ وابن معلوم ، وأصل اشتقاق الأخ من القصد ، ومن ثم قيل : توخيت الشيء إذا قصدته وأصله تأخيت

(١) الأخ ، وكان أصل تأليف بنائه على بناء فعل بثلاث حركات ، وكذلك : الأب ، فاستقلوا ذلك وفيها ثلاثة أشياء : حرف وصوت وصرف ، فربما ألقوا الواو والياء لصرفها وابقوا منها الصوت فاعتمد الصوت على حركة ما قبله فإذا كانت الحركة فتحة صار الصوت معها ألفاً ليفه ، وإن كانت ضمة صار معها واو لينة ، وإن كانت كسرة صار معها ياء لينة ، فاعتمد صوت واو الأخ على فتحة فصار معها ألفاً لينة : أخا ، وكذلك أبا كالف رمى وغزا ونحوهما .

ثم ألقوا الألف استخفافاً لكثرة استعمالهم إياها وبقيت الخاء على حركتها فَجَرَتْ على وجوه النحو لقصر الاسم .

فإذا لم يضيفوه قَوَّوه بالتثوين ، وإذا أضافوه لم يحسن التثوين فقَوَّوه بالمد في حالات الإضافة ، فإذا ثنوا قالوا أخوان وأبوان ، لأن الاسم متحرك الحشو فلو نصر حركته خلفاً من الواو والساقطة كما صارت حركة الدال في اليد ، وحركة الميم في الدم ، فقالوا يداً ودمان ، لأن حشوها ساكن فصار تحرك الدال والميم خلفاً من الحرف الساقط ، فقالوا : دمان ويدان ، وجاء في الشعر دميان ، قال :

فلو أنا على حَجَرٍ دَبَحْنَا *** جَرَى الدَّمِيانِ بِالْحَقِيرِ اليَقِينِ

وإنما قالوا : دميان على الدماء كقولك : دمي وَجْهٌ فلان أشد الدماء ، فحرك الحشو ، وكذلك قالوا إخوان ، وهم الإخوة إذا كانوا لأب ، وهم الإخوان إذا لم يكونوا لأب . وفي القرآن : " فاصلحوا بينَ أَخَوَيْكُمْ " . والتأخي : اتِّخَاذُ الْأَخَوَانِ بَيْنَهُمَا إِخَاءً وَأُخُوَّةً .

والأخت : كَانَ حَدُّهَا أخته والأعراب على الهاء والخاء في موضع الرفع ولكنها انفتحت لحال هاء التأنيث ، لأنها لا تعتمد إلا على حرف متحرك بالفتحة ، وأسكنت الخاء فعول صرفها على الألف ، وصارت الهاء تاء كانها من أصل الكلمة ، ووقع الإعراب على التاء ، وألزم الضمة التي كانت في الخاء الألف ، وكذلك نحو ذلك .

أخ : فارسية يتوجع بها عند التوجع من شيء . [العين : الخاء والقاف] .

الشيء وتأخيت أخا للفرق بين المعنيين ، ويموز أن يكون توخيت الشيء مأخوذاً من الوحي ، وهو الطريق القاصد وهذا أجود الوجهين .

وهو في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الأخ من الأب والأم ، قال : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٠] ، وقال : ﴿ فَأَوَارِي سَوْءَةَ أَخِي ﴾ [سورة المائدة آية : ٣١] ونحوه كثير ، وسماها سواة ؛ لأنها جيفة .

الثاني : الأخ في النسب ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٦٥] ، وقوله : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٧٣] ، وقوله : ﴿ وَإِلَى مَذْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٥] ، وقال : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] فإن قيل : فلم سمي ولي الدم أخا القاتل في هذه الآية ، والقاتل فاسق والفاسق لا يكون أخا لمؤمن ، قلنا : سماه بذلك كما سمي هودا أخا عاد ، والقوم إذا كانوا من جيل واحد وقبيلة واحدة سموأخوة ؛ لأنهم يتشبهون إلى أب واحد قريب أو بعيد ، وسنفسر هذه الآية فيما بعد إن شاء الله .

الثالث : الأخ في الكفر والشرك ، قال الله : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ﴾^(١) [سورة الأعراف آية : ٢٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُبْتَلِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٢٧] ، ونحوه : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٨] .

(١) قال الخازن : ﴿ وإخوانهم ﴾ يعني وإخوان الشياطين من المشركين ﴿ يمدونهم ﴾ أي يمدهم الشياطين ﴿ في الغي ﴾ قال الكلبي لكل كافر أخ من الشياطين يمدونهم أي يطيلون لهم في الإغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزدونهم في الضلالة ﴿ ثم لا يقصرون ﴾ يعني لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لأن المؤمنين إذا أصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فترع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي . وقال ابن عباس : لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الإنس والشياطين جميعاً . [الباب الثاني : ١٥٠/٣] .

الرابع : الأخ في الإسلام ، قال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات آية : ١٠] ، وقال : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٠٣] .

الخامس : الأخ في المودة ، قال في وصف أهل الجنة : ﴿ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٧] .

السادس : الأخ بمعنى الصاحب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً ﴾ [سورة ص آية : ٢٣] ، وقوله : ﴿ أَلَيْسَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [سورة الحجرات آية : ١٢] أي : لحم صاحبه .

ويجوز أن يكون معناه الأخ في الدين ، فجعل الغيبة أكل اللحم ، قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال : " ذكر أخيك بما يكره " ، قال : قلت : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : " إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته " (١) .

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٢٥٩١) ، وأخرجه الترمذي أيضا (١٩٣٤) ، وأخرجه أبو داود (٤٨٧٤) ، وأخرجه أحمد (٨٧٥٩) ، وأخرجه الدارمي (٢٧١٤) .

الإثم^(١)

الإثم عند العرب الذنب ، وسميت الخمر إثمًا لأنها توقع في الذنوب ، ويقال : إثم فهو إثم وأثيم مبالغة كما تقول : علم فهو عالم وعليه مبالغة .

وقال ابن السكيت : إن الإثم في قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٣] يعني : به : الخمر ، وأنشد :
شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي كَذَلِكَ الْإِثْمُ يَذْهَبُ بِالْعُقُولِ
وجاء في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الكذب ، قال تعالى : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرِّبَايُونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٦٣] أي : الكذب بأن عزيزا ابن الله وأن يد الله مغلولة .

الثاني : المعصية ، قال الله تعالى : ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣] أي : مائل إلى المعصية ، والجنف الميل .

وقال بعض الفقهاء : الإثم أن يأكل منه أكثر مما يحتاج إليه لسد جوعه ، وقال غيره : له أن يأكل منه ما يريد ويتزوده فإذا استغنى عنه طرحه ، والضرورة المذكورة في الآية تدفع ذلك ، والأول قول أصحابنا .

وقال : ﴿ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٣] ولا يكون البغي إلا بالحق ، وإنما هو مثل قولك : بغى علي ظلما ، ولا يجوز أن يبغى عليه عدلا ، وإنما هو تأكيد في الكلام .

(١) [إثم] : أَيْمٌ : وَقَعَ فِي الْإِثْمِ . وَتَأْتَمُّ : تَخَرَّجَ مِنْهُ وَخَفَّ عَنْهُ . وَالْإِثْمُ : عُقُوبَةُ الْإِثْمِ ، وَالْإِثْمُ جَمْعُهُ . وَفُلَانٌ مُؤْتِمٌّ : أَيِ ادَّعَى الْإِثْمَ . وَالْإِثْمُ وَالْإِثْمَةُ : فِي كَثْرَةِ رُكُوبِ الْإِثْمِ . وَالْإِثْمُ : الْفَاعِلُ . وَيَقُولُونَ : لَا يَأْتِمُنِي اللَّهُ فِي كَذَا وَلَا يُؤْتِمُنِي بِمَعْنَى وَاحِدٍ : أَيِ لَا يَتَّخِذُنِي الْإِثْمَ .
وَالْإِثْمُ : مِنْ أَشْيَاءِ الْخَمْرِ ؛ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : " مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ " .
وَالْمُؤْتِمُّ : الَّذِي يَكْذِبُ فِي السَّيْرِ . [المحيط في اللغة : ٤٢٤ / ٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢] هو الإثم وكذلك البغي .

وإنما كرر المعنى بغير لفظه أراد التأكيد على ما بيننا ، ومثله : ﴿ وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٠] يعني : ظاهر المعصية وباطنها .

وقال بعضهم : أراد الزنا وليس له أن يقصره على الزنا وحده إلا بدليل وللدليل فإن كان ما روي أن العرب كانت تحل الزنا باطنا وتحرمه ظاهرا فأخبر الله تعالى بأن ذلك كله محرم صحيحا فهو الدليل .

الثالث : الحرج والضيق ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٣] أي : إن نفر الحاج من مكة اليوم الأول من أيام التشريق أو الثاني أو تأخر بعنى إلى اليوم الثالث فلا حرج عليه : ﴿ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ أي : لمن توخى التقوى .

وهذا دليل على أن أعمال البر لا تنفع إلا مع الإيمان والتقوى والإثم الحرام ، قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴾ [سورة النساء آية : ٢٠] أي : حراما بينا ، والبهتان : الباطل الذي يتحير في بطلانه ، وأصله من قولهم : بهت الرجل إذا تحير ، وقال الله : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٨] .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصِي جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٢] جاء في بعض التفسير أنه أراد بالإثم الخطأ ، وقيل : الجنف هاجنا الخطأ ، وقيل : المعنى من علم من الموصي ميلا إلى ما هو إثم وجور في الوصية مما يعود بالضرر على ورثته فسيبيله أن يصلح بينه وبينهم حتى يرجع أمرهم إلى السداد ، ولما قال : ﴿ جَنَفًا ﴾ دل على معدول عنه ومعدول إليه ، وهم الموصي والورثة ، فقال تعالى : ﴿ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٢]

١٠٠ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

والفرق بين الجنف والحيف : أن الجنف هو العدول عن الحق والحيف الحمل على الشيء حتى تنقصه ، وتحيف الشيء تنقصه من حافاته^(١) .

فإن قيل : لم قال : ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٢] وهو محسن ؟ قلنا : لأن المتوسط من أنهن لا يعدم أن ينقص أحدهما بعض حقه الذي في ذلك من الصلاح ، والصلح لا يكون إلا كذلك فبين أنه لا إثم عليه في التقصان والزيادة .

(١) الْجَنْفُ : الْمَيْلُ فِي الْكَلَامِ ، وَفِي الْأُمُور كُلِّهَا ، تَقُولُ : جَنْفَ فَلَانٌ عَلَيْنَا ، وَاجْتَنَفَ فِي حُكْمِهِ ، وَهُوَ شَيْءٌ بِالْحَيْفِ ، إِلَّا أَنَّ الْحَيْفَ مِنَ الْحَاكِمِ خَاصَّةً ، وَالْجَنْفُ عَامٌّ . وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : " فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصِيٍّ جَنْفًا " . وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ " غَيْرُ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ، أَيِ مُتَمَائِلٍ مُتَعَمِدٍ " . [العين : الجنف] .

أنى

يكون على وجهين :

يكون بمعنى كيف في قوله تعالى : ﴿ أَنى يُجِيبى هَـذَا اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٩] أي : كيف يجيبها ؟ ! ، وقوله : ﴿ فَأَتُوا خَزَائِكُمْ أَنى شِئْتُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٣] إلا أنه في القبل لقوله : ﴿ فَأَتُوا خَزَائِكُمْ ﴾ ، ولقوله : ﴿ نَسْأَلُكُمْ خِزْيَ لَكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٣] إذ لا تعبر عن الدبر بالخرث ، ويكون المعنى من أين في قولك : أنى لك هذا ، أي : من أين لك هذا ، وقوله : ﴿ أَنى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠١] ، وقوله : ﴿ قَاتِلْهُمْ اللهُ أَنى يُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٠] .

والمعنيان متقاربان يجوز أن يتأول كل واحد منهما على ما يتأول عليه الآخر .

قال الكميّ :

أَنى وَمِنْ أَيْنَ أَبَكَ الطَّرَبُ مِنْ حَيْثُ لَا صَبُوءَ وَلَا رَيْبَ
فجاء بالمعنيين .

(١) " أنى " بمعنى " كَيْفَ " كقوله جلّ ثناؤه : " أَنى يُجِيبى هَـذَا اللهُ ؟ " .

وتكون بمعنى : " مِنْ أَيْنَ " كقوله : " أَنى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ؟ " أي من أين . والأجود أن يقال في هَذَا أيضاً كَيْفَ . قال الكميّ :

أَنى وَمِنْ أَيْنَ أَبَكَ الطَّرَبُ *** مِنْ حَيْثُ لَا صَبُوءَ وَلَا رَيْبَ

فجاء بالمعنيين جميعاً . [الصاحبي في فقه اللغة : باب أنى] .

أو

قالوا : تحييء في القرآن على ثلاثة أوجه ، وتأتي في غير القرآن للشك تقول : رأيت عبد الله أو محمدا ، أو تكون للتخير بين الشيئين كقوله : ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٨٩] ، وقوله : ﴿فَقَدَيْتُمْ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٦] .

قالوا : وتحييء بمعنى واو النسق ، قال الله : ﴿فَالْمَلَقِيَّاتِ ذِكْرًا عُدْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [سورة المرسلات آية : ٥ ، ٦] ، وقوله : ﴿وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آتِيًا أَوْ كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان آية : ٢٤] ، وليس كذلك .

قال المبرد : أصل أو في الكلام واحد ثم تنقسم قسمين التخير والإباحة ، والتخير قولك : خذ مني دينارا أو ثوبا فإنه وفاء بحقك وليس لك أن تأخذهما ، وقولك : اضرب زيدا أو عمرا أي : كل واحد منهما أهل أن يضرب وأنت مخير في واحد لا تزيد عليه ، وكذلك إذا شك المخير فقال : جاءني زيد وعمرو ولم يرد أنهما جاءه إلا أنه يعلم أن أحدهما جاء فهذا باب واحد .

والإباحة قولك : جالس زيدا أو عمرا أو خالدا وارو عن الحسن أو ابن سيرين ، أي : جالس هذا الضرب وارو عن هذا الضرب من الناس ، وإذا جالس واحدا منهم أو جالسهم جميعا فقد أطاعني ؛ لأنني أردت هذا الضرب ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آتِيًا أَوْ كَفُورًا﴾ ولو قال : وكفورا فأطاع أحدهما ولم يطع الآخر لم يكن عاصيا ، وإذا قال : أو كفورا صار كل واحد منهما لا يطاع على حياله ، وأما قوله : ﴿عُدْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ فمعناه أن الملقيات ذكرا تجمع بين الإعذار والإنذار فتعذر في وقت وتنذر في وقت كما نقول : جاءني زيد وعمرو فتعلم بذلك أن كل واحد يجوز أن يحييء إلا أن قصدي في هذه الحال واحد منهما ﴿عُرْفًا﴾ [سورة المرسلات آية : ١] أي : تباعا بعرف الفرس ، و : ﴿الْمَلَقِيَّاتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة ، وقيل : ﴿عُدْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ جمع عذير ونذير ، قال حاتم :

وقد عذرتني في طلائكم العُدْر

قال : وتقول في الاستفهام : أتأخذ دينارا أو ثوبا ، وليس معناه أن يلزمه أحدهما ، ولكن معناه أتأخذ هذين ؟ فجواب هذا لا أو نعم ، ولو أراد أن يلزمه واحدا لا محالة ، يقال : أتأخذ دينارا أو درهما فجواب هذا لا يكون لا ولا نعم ، ولكن تقول : دينارا أو درهما ، وتقول : لا دينارا آخذ ولا درهما ، وتكون أو بمعنى بل في قول الفراء وأبي عبيدة قال : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٧] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [سورة النحل آية : ٧٧] ، وقوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَقْنًى ﴾ [سورة النجم آية : ٩] ، وأنشد شاهدا على ما تقدم :

قَضَى عَنْكَمَا شَهْرَيْنِ أَوْ نِصْفَ ثَا لِيْثٍ إِلَى ذَاكَ مَا قَدْ غَيَّبْتَنِيْ غِيَابِيَا

أي : ونصف ثالث لا يجوز هاهنا بل وكذلك في قوله : ﴿ عُنْذَرَا أَوْ نُذْرَا ﴾ ، وقيل : ﴿ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ أي : أو يزيدون في تقليدكم إذ رآهم رأيي ، قال هولا : ﴿ مِائَةِ آلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ فهذا هو القول ؛ لأنه على أصل ، أو وكذلك قوله : ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [سورة النحل آية ٧٧] أي : لو رأى الراعي قدرة الله على إماتة الخلق وإحيائهم ، لقال : وذلك يكون في قدر لمح البصر أو أقل ، والساعة اسم لإماتة الخلق وإحيائهم وليس يذكر أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر .

وكذلك يقال : أو أدنى أقل عندكم لو رأيتموه لقلتم أنه كذلك ، والمراد أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب أن يرى جبريل صلوات الله عليه على صورته الحقيقية ، وكان يهبط للوحي على صورة رجل فاستوى جبريل في الأفق على صورته فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ ثُمَّ كُنَّا فَتَلَدَّى ﴾ [سورة النجم آية : ٨] جبريل فصار بينه وبين النبي صلوات الله عليهما القدر المذكور .

والمراد أنه دنا فتلى فزاد قريبا ، وقيل : دنا فتلى أي : تلى فدنا على القلب ، وهو في كلامهم واسع .

أم

إذا قلت : أزيد في الدار أم عمرو ؟ فأنت لا تدري أيها في الدار ، ولا تدري أن أحدهما فيها أو لا ، ويصلح في جوابه لا ونعم ؛ لأنك تسأل عن الكينونة هل حصلت في الدار أم لا فإذا علمت أن أحدهما في الدار ولست تدري أيها هو قلت : أزيد في الدار أم عمرو ، ولا يصلح في جوابه لا ولا نعم ؛ لأنك تسأل عن أحد الكائنين ففيه معنى أيها .

قيل : وأم في القرآن على وجهين :

الأول : يكون بمعنى أو ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْ أَمِثُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٩] . وقوله تعالى : ﴿ أَمْ أَمِثُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [سورة الملك آية : ١٧] .

قال بعض أهل العربية : هي في هذين الموضعين بمعنى أو ، والمراد التحذير ، أي : لا تأمنوا ذلك واحذروه ما دمتم على الشرك .

الثاني : مجيء بمعنى ألف الاستفهام ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، والاستفهام هاهنا بمعنى النهي ، وقال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُ الْنبَاتُ وَلَكُمُ الْبُنُوتُ ﴾ [سورة الطور آية : ٣٩] أراد له النبات ، وهذا الاستفهام بمعنى الزجر والتبكيك ، قال : وليس من هذا : ﴿ أَمْحَنَّاهُمْ سَخِرَ بِنَا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾ [سورة ص آية : ٦٣] فإن قيل : لم سوى بين السخري وبين زاغت الأبصار عنهم ؟ ، قلنا : لأن المعنى أظلمناهم بما قلنا فيهم وبما سخرنا منهم أم هم مستحقون له وقد زاغت أبصارنا عنهم وهم في النار ، فهذا حق التسوية .

والصحيح في هذه الآيات أنه لما جاء بلفظ الاستفهام في أول الكلام جاء بأم بعده لأنه للاستفهام ، والمراد بالاستفهام فيها التبكيك أو التعريف والتوقيف على ما ذكرناه ، وقال :

(١) " أم " : حَرْفٌ فِي مَعْنَى " أَوْ " ، وَيَكُونُ فِي الْمَعْنَى كَأَنَّهُ اسْتِفْهَامٌ بَعْدَ اسْتِفْهَامٍ . وَيَكُونُ فِي مَعْنَى " بَلْ " . وَيَقُولُونَ : أَمْ عِنْدَكَ غَدَاةٌ حَاضِرَةٌ : وَأَنْتَ تُرِيدُ : أَعِنْدَكَ ؟ . وَيَكُونُ مُبْتَدَأَ الْكَلَامِ فِي الْحَقِيرَةِ . وَيَكُونُ زَائِدًا كَقَوْلِكَ : جَاءَكَ أَمْ زَيْدٌ : مَعْنَاهُ جَاءَكَ زَيْدٌ . [المحيط في اللغة : ما أوله ألف] .

﴿الْم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلَىٰ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾
 [سورة السجدة آية : ١ - ٣] ، ولم يتقدم في الكلام أيقولون كذا فنرد عليه أم يقولون ،
 وقيل : إنما أراد أيقولون افتراه ، والصحيح أن أم هانئا بمعنى بل فرد قولهم ، ثم قال : ﴿هُوَ
 الْحَقُّ﴾ .

قال المبرد : لأم موضعان ، وكلاهما استفهام ، فأحدهما : أن تسأل عن شيء من شيئين أو
 أكثر من ذلك تدعي من الاثنين والجميع واحدا ولا تدري أيهما هو وذلك قولك : أزيد في
 الدار أم عمرو ، وأزيد أفضل أم خالد ، وعبد الله عندك أم عمرو وأنت الآن مدع أن أحدهما
 عنده ولا تدري أيهما هو ، ولا يصلح في جوابه لا ولا نعم على ما تقدم قبل ، وإنما جوابه أن
 تقول : فلان عندي أو تقول : كلاهما عندي ، أو تقول : لا زيد عندي ولا عمرو فإذا قلت :
 ليت شعري أزيد في الدار أم عمرو فإنما أخبرت أنها قد استويا عندك في الكون هناك ،
 وكذلك قولك : لا أبالي عمرا ضربت أم زيدا وسواء ذلك علي إن أدبر زيد أم أقبل .

وكل هذا تسوية وعلم في تقديره أنه سيقع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ
 السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [سورة النازعات آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَيْعٍ﴾ [سورة
 الدخان آية : ٣٧] خرج مخرج التوقيف والتوبيخ ، قال : واعتبر هذا يأتي فإنها تكون لأحد
 شيئين أو لأحد أشياء تقول : ما أبالي أي : ذلك كان وسواء علي أي : ذلك كان ، وعلمت
 أي : ذلك كان ، وأتى غير عامل فيها ما قبلها وإنما هي كقولك قد علمت أزيد في الدار أم
 عمرو .

وإذا قلت : أيهما في الدار فمعناه هذا أم هذا فمن ذلك قوله تعالى : ﴿أَيُّ الْحَزِينِ
 أَخْصَى﴾ [سورة الكهف آية : ١٢] ، وأما قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ
 يَنْقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء آية : ٢٢٧] فأَي منصوبة بينقلبون ، كما يقول : علمت أيهم في
 الدار .

والوجه الثاني : أن أم تحيء للإضراب عن الشيء إلى الشيء فتكون منقطعة عما قبلها
 خبرا كان أو استفهاما وذلك يكون لوجهين :

أحدهما : الشك .
في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

والآخر : ترك خبر إلى خبر من غير شك أو غلط ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ
افْتَرَاهُ ﴾ ، وقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، وقوله : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَخْلَافُهُمْ بِهَذَا ﴾ [سورة الطور آية : ٣٢] وقوله : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ﴾ [سورة الطور آية :
٤٠] ، وقوله : ﴿ أَمْ اتَّخَذَ عِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٦] ، وفي هذه
الوجوه ومع ما ذكرنا أنه يترك خبراً إلى خبر آخر معنى التوبيخ والتوقيف .

ومثله قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة
فصلت آية : ٤٠] .

ومثله قولك للرجل : السعادة خير أم الشقاء ، وإنما يراد بذلك التنبيه على ترك اختيار ما
يصيره إلى الشقاء .

الإذن

أصله من العلم ، أذنت الشيء إذا علمته ، وأذنته غيري أي : أعلمته ، وفي القرآن : ﴿ قُلْ أَذْنُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠٩] ، ثم استعمل في الاستفهام لما يقع من الاستماع من العلم ، أذن له إذا استمع له ، قال الشاعر وهو عدي بن زيد :

وَسَمَاعٍ بِأَذْنِ الشَّيْخِ لَـهُ وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَا ذِي مُشَارِ

ومن الأول : الأذان ؛ لأنه إعلام بالصلاة .

وهو في القرآن على وجهين :

(١) أذن : الأذن : موضع السمع . وأذنته لفتنا : صرّيت أذنه . ودجّل أذن وامرأة كذلك : إذا استمع من كل

الأذن : عروّة الكوز ونحوه . وسمع من العرب : أذنته ؛ في الأذن .

ودجّل أذنان : عظيم الأذن . وكبش أذن ونعجة أذنته .

وفي القلب أذنان : وهما زنتان في أحلامه . وجاء نائبراً أذنته : إذا جاء طامعاً .

وفي مثل : " أنا أخرف الأرتب وأذنتها " .

والأذن : مصدر قولك أذنت للشيء أذناً : إذا تسمعت له وأصغيت إليه .

وأذنت أيضاً : علّمت ، وما أذنتي : أي ما أخلّفتي ، وقطعه بأذني .

وإذا أذنت له في النحول ، والأذن : الحاجب .

والأذن : اسم التأقين . والمثقة : المنارة .

والتأذن : من قولك لأفعلن كذا ، من قوله عز وجل : " وإذا تأذنت ربكم " .

والأذنة : تسل المال وصغار المائبة والصبيان ما داموا يرصعون .

وأذنته من بهم : غصن البتة .

وفي المثل : " لكل جايه جورة ثم يؤذن " أي يمنع ، ويؤذن : يؤذن .

وتأذن القوم بإرسال إبلهم : أي تكلموا به ، وهو التأذين . وأذّنوا به أيضاً .

وكل من تقدّم : فقد تأذن . والأذين : الرعيّم . وأذنته : اسم ملك العماليق .

ذين : مهمل عنده .

الحارزنجي : فانه يذنته : إذا عابه . وهو الذان والذام .

ذون : أيضاً مهمل عنده .

الذونون : تبت مشتطيل ، وجمعه ذائين . وخرجوا يتذائنون . ومن أمثالهم : " أطرثوث ولا رمنة ، أدونون

ولا شوك له " ، وله حديث . [المحيط في اللغة : الذال والباء] .

الأول : العلم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٠٢] يعني : والله يعلم ذلك ، وهو مجاز لهم عليه .

الثاني : الأمر ، قال الله تعالى : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٣] أي : فدل الله المؤمنين إلى الحق من جملة ما اختلفوا فيه فلزموه بأمره ، وقيل : بعلمه ، وقال أبو علي رحمه الله : هداهم بإذنه أي : هداهم فاهتدوا بإذنه ؛ لأن هدايته فعله ، والله لا يفعل بإذن فحذف فاهتدوا لدلالة قوله : ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ عليه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٤٥] والمعنى : أنهم لا يموتون دون الأجل فلا تجنبوا عن الجهاد ، وفي الآية دليل على أن غير الله لا يقدر على الموت ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢١] أي : بأمره الذي استلوه ، وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد آية : ٣٨] ، وقوله : ﴿ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ١] ، وقال : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٣] أي : بأمره وإذنه في ذلك ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٦٤] أي : بأمره ، وذلك أنه أمر أن يطاع ، وقيل : أرسله لأن يطاع ؛ لأنه يقول ما يقول بإذن الله ، وقيل : بإذنه بجميل صنعه وحسن توفيقه .

إلا

قالوا : هي على أربعة أوجه :

أولها : الاستثناء ، كقوله تعالى : ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٦٧] فاستثنى المتقين ؛ لأنهم ليسوا بأعداء .

الثاني : بمعنى لكن ، في قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٠٥] أي : لكن الذين ظلموا يحتاجون عليكم بغير حجة لجهلهم ، وقيل : معناه لكن الذين ظلموا فلا تخشوهم .

قال أبو عبيدة : إلا هاهنا بمعنى الواو وإليه ذهب أبو علي رحمه الله ، أي : ولا الذين ظلموا عليكم حجة وهم من جملة الناس إلا أنه خصهم لشدة عبادهم كما خص النخل والرمان لفضلها على غيرها ، وقال المبرد : هنا خطأ ؛ لأن الواو للمعطف ، والإشراك ، وإلا للاستثناء ولا يدخل أحدهما في باب الآخر .

قال : والأول صحيح ؛ لأن حق الاستثناء أن يكون كله على معنى لكن ، وفيه كلام كثير ليس هنا موضع ذكره .

واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر :

إِلَّا كَنَاشِرَةَ الْأَلْدِي ضَيَّعْتُمْ كَالْفُضْنِ فِي غُلَوَائِهِ الْمُتَنَبِّتِ

قال المبرد : معنى هذا لكن ناشرة الذي ضيعتم والكاف زائدة ، وناشرة اسم رجل أي : خرج عنكم وادعى في بني أسد فتركتموه يخاطب بني مازن .

واحتج أبو عبيدة أيضا بقول الأعشى :

إِلَّا كَخَارِجَةِ الْمُكَلَّفِ نَفْسِهِ وَإِنِّي قُيِّصَةٌ أَنْ أُغَيَّبَ وَتَشَهَّدَا

قال : يعني وكخارجة ، وقال المبرد : أراد ولكن كخارجة المتكلف خلاف ما عليه العشرة .

وقال في قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لكن الذين ظلموا يقولون أن لهم حجة فالمعنى أنه لا أحد له حجة ، والظالم يحتج بها لا حجة له فيه ، قال : ومن كلامهم : ما لأحد علي سبيل إلا من بغى فتأويله أنه لم يستثنه من باب سبيل ، ولكن معناه لكن من بغى مخطئ ببغيه فلا يكون هذا الباب منفردا من الأول البتة .

وقوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ﴾ [سورة يونس آية : ٩٨] ، وقوله : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ [سورة النساء آية : ١٤٨] أي : لكن من ظلم ، ومثله كثير .

الثالث : بمعنى غير ، قال الله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء آية : ٢٢] أي : غير الله ، وقوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي : لا إله غيره ، هكذا جاء في التفسير .

والفرق بين إلا وغير أن إلا حرف وغير اسم وينوب مناب إلا في الاستثناء ، وقد يكون صفة ، تقول : هذا درهم غير قيراط معناه : إلا قيراطا ، وغير قيراط على الصفة ولا يكون إلا مضافا ، ولا معنى له إلا مخالفة ما يضاف إليه ، ويكون فاعلا ومفعولا وظرفا ووصفا

(١) قال ابن الجوزي : قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ أي : أهل قرية . وفي «لولا» قولان : أحدهما : أنه بمعنى : لم تكن قرية آمنت ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ أي : قُبِلَ منها ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ﴾ ، قاله ابن عباس . وقال قتادة : لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب ، إلا لقوم يونس . والثاني : أنها بمعنى : فهلاً ، قاله أبو عبيدة ، وابن قتية ، والزجاج . قال الزجاج : والمعنى : فهلاً كانت قرية آمنت في وقت نفعها لإيمانها ، إلا قوم يونس ؟ و«إلا» هاهنا استثناء ليس من الأول ، كأنه قال : لكن قوم يونس . قال الفراء : نُصِبَ القوم على الانقطاع عما قبله ، ألا ترى أن «ما» بعد «إلا» في الجحد يتبع ما قبلها ؟ تقول : ما قام أحد إلا أخوك ، فإذا قلت : ما فيها أحد إلا كلباً أو حماراً ، نصبت ، لانقطاعهم من الجنس ، كذلك كان قوم يونس منقطعين من غيرهم من أسم الأنبياء ، ولو كان الاستثناء وقع على طائفة منهم لكان رفعاً . وذكر ابن الأنباري في قوله : «إلا» قولين آخرين : أحدهما : أنها بمعنى الواو ، والمعنى : وقوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا ، وهذا مروي عن أبي عبيدة ، والفراء ينكره .

والثاني : أن الاستثناء من الآية التي قبل هذه ، تقديره : حتى يروا العذاب الأليم إلا قوم يونس ، فالاستثناء على هذا متصل غير منقطع . [زاد المسير : ٣ / ٣١٠] .

واستثناء ، تقول : جاءني غيرك فيكون فاعلا ، وضربت غيرك يكون مفعول ، ومررت برجل غيرك وصف ، وجاءني زيد غير راكب حال ، وجئتك غير يوم ظرف زمان ، أما من المكان فطلبتك غير موضع ، وجاءني القوم غير زيد ، وما جاءني أحد غير زيد استثناء فتجربها في الإعراب مجرى الاسم الذي يجيء بعد إلا .

الرابع : ابتداء الكلام ، قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [سورة التين آية : ٥ ، ٦] وأسفل السافلين مثل أرذل العمر أي : الكبر ، والمعنى : والذين آمنوا فلهم أجر غير ممنون ، ولا يكون مستثنى ؛ لأن الذين آمنوا قد رد بعضهم إلى الكبر ، وقيل : معنى أسفل سافلين : جهنم ، والذين آمنوا مستثنون ، فأما قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٧٧] . فمعناه لكن ؛ لأن الله لا يستثنى من المخلوقين ، وكذلك : ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبَتُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [سورة الزخرف آية : ٢٦ ، ٢٧] ، وكذلك : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٣٠ ، ٣١] ويميز أن يقال : استثنى إبليس منهم ؛ لأنه كان معهم في الأمر ، وقوله : ﴿ لَا يَخَافُ لَدِيَ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بِغَدُ سُوءٍ ﴾ [سورة النمل آية : ١٠ ، ١١] . أي : لكن من ظلم ، وثم هاهنا بمعنى الابتداء كما تقول : أريد أن أحسن إليك ثم أكرمك ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِيُؤْمِنَ أَنْ يَفْتَلَّ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا ﴾ [سورة النساء آية : ٩٢] .

قال قطرب : معناه إلا ما يسعه ؛ لأن الخطأ واسع له ؛ لأنه لا حيلة له فيه ، وقوله : ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ ^(١) [سورة النجم آية : ٣٢] مستثنى صحيح ومعناه إلا أن يكون العبد قد ألم

(١) قال ابن الجوزي : اللمم في كلام العرب : المقاربة للشيء . وفي المراد به هاهنا ستة أقوال .

أحدها : ما ألما به من الإثم والفواحش في الجاهلية ، فإنه يُغْفَرُ في الإسلام ، قاله زيد بن ثابت .

والثاني : أن يُلَمَّ بالذنب مرة ثم يتوب ولا يعود ، قاله ابن عباس ، والحسن ، والسدي .

والثالث : أنه صغار الذنوب ، كالنظرة والقبلة وما كان دون الزنا ، قاله ابن مسعود ، وأبو هريرة ، والشعمي ، ومسروق ، ويؤيد هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تشتهي وتتمنى ، ويصدق ذلك ويكذبها الفرج ، فإن تقدم بفرجه كان الزنا ، وإلا فهو اللمم " . والرابع : أنه ما يسم به الإنسان ، قاله محمد بن الحنفية .

بفاحشة ثم تاب ، ويجوز أن يكون معناه إلا أن يلم بذنب ويحسب أنه صغير أو يلم بذنب ويحسب أنه ليس بذنب ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ ثم قال : ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٤] معناه أن أصحاب إبراهيم تبرأوا من كفار قومهم وعادوهم على الدين ما خلا : ﴿ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ فإن ذلك كان : ﴿ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ ﴾ [سورة التوبة آية : ١١٤] فقول إبراهيم هو استثناء من قول أصحابه ، كأن معنى قوله : إذ قالوا لقومهم قولهم لقومهم .

وقيل : معناه لكن قال إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ، المعنى أن إبراهيم لم يقل ما قالوه ولكن قال : ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ ، وقوله : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾ [سورة الدخان آية : ٥٦] والموتة الأولى لم تكن في الجنة ، ولكن المعنى على البذل كأنه قال : لا يذوقون إلا الموتة الأولى كما تقول : لقيت زيدا في الدار ولقيت عمرا فلما كررت الفعل جاز أن لا يكون عمرو ملقيا في الدار وإذا لم تكرر وقلت : ظننت زيدا في الدار وعمرا لم يميز أن يكون عمرو إلا مظنونا في الدار كذلك .

قال قطرب : وفيه نظر .

وأما قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [سورة مريم آية : ٦٢] وهذا أيضا يدل على البذل ولا يكون استثناء ؛ لأن اللغو ليس بسلام كأنه قال : لا يسمعون فيها إلا سلاما .

ومثله قول سعد بن مالك :

والحربُ لا يبقى لجناحاً حميها التخيُّلُ والمِـرَاحُ
إلا الفتى الصَّبَّارُ في النَّـ حِجْدَاتِ والفرسُ الوقَّاحُ

والخامس : أنه ألم بالقلب ، أي : خَطَر ، قاله سعيد بن المسيب .

والسادس : أنه النُّظَر من غير تعمُّد ، قاله الحسين بن الفضل . فعل القولين [الأولين] يكون الاستثناء من الجنس ، وعلى باقي الأقوال ليس من الجنس . [زاد المسير : ٤٤٤ / ٥] .

كانه قال : لا يبقى إلا الفتى وليس باستثناء ؛ لأن الفتى ليس من التخييل والمراح ، وأما قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ [سورة النساء آية : ١٥٧] وليس العلم من اتباع الظن فمعناه إلا أنهم يتبعون الظن ، وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَمُقُوبَ قَضَاهَا ﴾ [سورة يوسف آية : ٦٨] فمعنى ذلك : لكن حاجة ، وكذلك قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا ﴾ [سورة يس آية : ٤٣ ، ٤٤] أي : لكن رحمة .

وقال المبرد : لكن أن يرحمهم ، وقوله : ﴿ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾ [سورة الغاشية آية : ٢٢ ، ٢٣] أي : لكن من تولى فإنك مسلط عليه بالقتل ، وكذلك قوله : ﴿ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٢] أي : لكن لك على من اتبعك سلطان ، ويموز أن تكون إلا في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾ بمعنى التوالى عند من يقول بذلك ، وقوله : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ [سورة هود آية : ٤٣] معناه : لا معصوم من أمر الله إلا من رحم يريد المؤمنين الذين مع نوح عليه السلام في السفينة كأنه قال : لا معصوم اليوم : ﴿ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي : من عذابه إلا المؤمن ، وفاعل بمعنى مفعول كثير في العربية يقولون : سر كاتم أي : مكتوم ، والراحلة بمعنى مرحولة ، وأمر عارف بمعنى معروف ، ويقولون : العارضة لما تعرض له داء من الذكارة والإناث وإنما هي معروض لها ، وكذلك تطلقه بآئنة أي : مبانة ، والعائد الذي يعود بها ولها ، وعيشة راضية أي : مرضية ، وجاء الأشر بمعنى الماشورة ، ومثل هذا يجيء في مواضع لا يقع فيها التباس ، ويموز أن يكون المراد بإلا من رحمه الله أي : لا عاصم غير الله ، ويموز أن يكون المراد به نوح ؛ لأنه يعصم بأمر الله كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ وَأُخِييَ الْمُؤْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٩] .

قال المبرد : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ أي : لا عاصم يعصم الناس من أمر الله إلا من رحم فإنه تناله الرحمة ، والعاصم الفاعل ، ومن رحم معصوم ، ولكن لذكره العصمة فهم المعنى ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾

١١٤ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف
[سورة النساء آية : ١٥٩] فاستثنى من لفظه ، والمعنى : إن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن
به ، قال الراجز :

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهِمَا لَمْ نَشَمِ يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمَيْتَمِ

أي : لو قلت ما في قومها أحد يفضلها ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [سورة الليل آية : ١٩ ، ٢٠] أي : لا يقصد لذلك ، ولكنه
يقصد ابتغاء وجه ربه .

ومما يجري مع هذا الباب ما قاله المبرد : أن الاختيار في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْمُكُمْ إِلَّا أَنْ
قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٤٧] أن يكون الاسم ما بعد إلا وليس
مثل قوله : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْلِيَةً ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٥] ؛
لأن مكاء نكرة مصدر ، والاسم فيما مضى معرفة والخبر معرفة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ مَا
كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ [سورة الجاثية آية : ٢٥] : ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ
قَالُوا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَسْمِعُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ [سورة
الأنعام آية : ٢٣] وذلك أن إلا موجهة فاختاروا أن يجعلوا الموجب الاسم وهذا كله جائز إلا
إذا كان الاسم والخبر معرفتين ، وينشدون بيت الفرزدق :

وَقَدْ شَهِدَتْ قَيْسٌ قَمَا كَانَ نَضْرُهَا قُتَيْبَةً إِلَّا عَضُّهَا بِالْأَبَاهِمِ

على الوجهين .

إلى

قال سيويه : إلى متهى لابتداء الغاية ، تقول : من كذا إلى كذا ، ويقول الرجل : إنما أنا إليك أي : أنت غايتي ، وتقول : قمت إليه فتجعله متهاك من مكانك .

وقال غيره : تقول : سرت إلى الكوفة فجائز أن تكون بلغت إليها ولم تدخلها ، وجائز أن تدخلها ولم تجاوزها ؛ لأن إلى غاية وما بعده شيء فليس بغاية .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : غاية ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ ^(١) [سورة الشورى آية : ٥٣] أي : تصير إلى حيث لا يحكم غيره .

الثاني : على ما قيل : بمعنى مع ، قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ٢] أي : مع أموالكم كذا قيل .

والوجه أن يقال : لا تضيفوها إلى أموالكم فتأكلوها معها ولم يتح لهم أن يأكلوها مفردة وإنما هو نهي عام كما تقول : لا تشتم زيدا فيمن يشتمه ، والمعنى : لا تشتمه مشاركا في شتمه ولا منفردا به ، وأنه راجع إلى الأكل أي : أكله حوب كبير ، والحوب : الإثم والمصدر الحوب حاب يحوب حوبا ، وذكر الأكل وأراد النفقة ؛ لأن أكثر النفقة وأشهرها يكون فيما يؤكل ، وسأهم بعد البلوغ يتامى بالاسم الأول .

والأصل أن يسقط عنه اسم اليتيم عند البلوغ ، واليتيم في الناس من قبل الأباء وفي البهائم من قبل الأمهات .

(١) قال الطبري : قوله جل ثناؤه : (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) يقول جل ثناؤه : ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم في الآخرة ، فيقضي بينكم بالعدل .

فإن قال قائل : أوليست أمورهم في الدنيا إليه ؟ قيل : هي وإن كان إليه تدبير جميع ذلك ، فإن لهم حكاما وولاة ينظرون بينهم ، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره ، فلذلك قيل : إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه ويده قضاؤها وتدبيرها في كل حال . [جامع البيان : ٢١ / ٥٦١] .

الاستواء

أكثر ما يستعمل في الاستقامة وتتكلم في أصله بعد إن شاء الله .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : القصد ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [سورة فصلت آية : ١١] أي : قصد لإخراجها من كونها دخاناً إلى ما هي عليه من صلابة الخلقة ، قال ابن عباس : استوى هاهنا علا أمره .

(١) [سوي] : سَوِيَ الشيء فاستوى وقوله في البيع : لَا يَسْوَى وَلَا يَسَاوِي ، أي : لَا يكون هذا مع هذا سَوِيًّا من السواء . وسأويت هذا بهذا ، أي : رفعت حتى بلغ قدره ومبلغه ، كما قال الله عز وجل : " حتى إذا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَقَيْنِ " ، أي : الجليلين ، أي : ردم طريقهما بأجوج وماجوج بالقطر ، أي سَوَى أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ ، أيك رفعه حتى بلغ طولهُ طُولَهَا .

والمساواة والاستواء واحدٌ ، فأما يَسْوَى فإثنا نادرة ، لَا يُقال منه سَوِيٌّ وَلَا سَوَى ، وكما أَنَّ تَكَرَّرَ جَاءَتْ نادرة ، وَلَا يُقال منه يَنْكُرُ ، وإذا رَجَعُوا إِلَى الْفِعْلِ قالوا : يُنْكَرُ ، كذلك إذا رَجَعُوا إِلَى الْفِعْلِ مِنْ يَسْوَى قالوا : سَاوَى ، وقال بعضهم : يُسَاوِي وَيَسْوَى واحدٌ ، إِلَّا أَنَّ يَسْوَى مُؤَلَّدٌ ، وَلَا يُقال منه فَعَلَ وَلَا يَفْعَلُ ، وَلَا يَصْترَفُ وَيُجْمَعُ السَّيِّئُ : أسواء ، كما قال :

الناس أسواء وشقي في الشَّيْمِ *** وكلهم يجمعهم بيت الأدم

أي : على اختلاف أخلاقهم ، أي : هم كبيت فيه الأدم فتمه الجيد والوسط والزدي .
والسَّواء ، محدود : وسط كل شيء .

وسوى ، مقصور ، إذا كان في موضع غير ففيها لغتان بكسر السين ، مقصور ، ويفتحها محدود .
ويقال : هما على سَوِيَّةٍ من الأمر ، أي : على سَوَاءٍ وَتَسْوِيَةٍ واستواء .

والسَّيِّئُ : موضع بالبادية أملس .

والسَّوِيَّةُ : قَنْبٌ أعجميٌّ للبعير ، والجميعُ : السَّوَايَا .

والسَّوِيُّ : الذي سَوَّى الله خلقه ، لَا دَمَامَةَ فِيهِ وَلَا دَاءَ .

وقوله جلَّ وعزَّ : " مَكَانًا سَوًى " ، أي : معلماً قد عَلِمَ الْقَوْمُ بِهِ ، وقال الضَّرِيرُ في قوله تعالى : " مَكَانًا سَوًى " : سَوًى وَسَوًى واحدٌ ، أي : مُسْتَوًى تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ .

وتصغير سواء وسوى : سَوِيٌّ ، وَيُجْمَعُ عَلَى سَوَاسِيَةٍ وَأَسْوَاءٍ . [العين : سوى] .

(٢) قال أبو جعفر : اختلفوا في تأويل قوله : " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ " .

فقال بعضهم : معنى استوى إلى السماء ، أقبل عليها ، كما تقول : كان فلان مقبلاً على فلان ، ثم استوى عليّ يشانني - واستوى إليّ يشانني . بمعنى : أقبل عليّ وإليّ يشانني . واستشهد على أَنَّ الاستواء بمعنى الإقبال .

الثاني : الاستيلاء ، قال الله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه آية : ٥] ،
ومنه قول الشاعر :

فَلَمَّا عَلَوْنَا وَاسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمْ تَرَكْنَاهُمْ صَرْعَى لِنِيرٍ وَكَاسِيرٍ

الثالث : الاستقرار ، قال الله : ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [سورة هود آية : ٤٤] أي :
استقرت .

الرابع : التماثل ، قال الله : ﴿لَا يَسْتَوِي الْحَقِيبُ وَالطَّيِّبُ﴾ [سورة المائدة آية : ١٠٠]
أي : ليسا مثليين ، وأما قوله تعالى : ﴿فَوَمِرَةٌ فَاسْتَوَى﴾ [سورة النجم آية : ٦] أي : استوت

وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوّل ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول : كان الخليفة في أهل
العراق يواليهم ، ثم تحوّل إلى الشام . إنها يريد : تحوّل فعله . [وقال بعضهم : قوله : "ثم استوى إلى السماء"
يعني به : استوت]

وقال بعضهم : "ثم استوى إلى السماء" ، عمد لها . وقال : بل كلّ تارك عملا كان فيه إلى آخر ، فهو مستويا
عمد له ، ومستويا إليه .

وقال بعضهم : الاستواء هو العلو ، والعلو هو الارتفاع . ومن قال ذلك الربيع بن أنس . ثم اختلف متأولو
الاستواء بمعنى العلو والارتفاع ، في الذي استوى إلى السماء . فقال بعضهم : الذي استوى إلى السماء وعلا
عليها ، هو خالقها ومنشئها . وقال بعضهم : بل العالي عليها : الدُّخَانُ الذي جعله الله للأرض سماء (٥) .
قال أبو جعفر : الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه : منها انتهاء شباب الرجل وقوته ، فيقال ، إذا
صار كذلك : قد استوى الرَّجُلُ . ومنها استقامة ما كان فيه أَوْدٌ من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى
لفلان أمره . إذا استقام بعد أَوْدٍ .

وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه : "ثم استوى إلى السماء فسواهن" ، علا عليهن وارتفع ، فدبرهن بقدرته ،
وخلقهن سبع سموات .

والمعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله : "ثم استوى إلى السماء" ، الذي هو
بمعنى العلو والارتفاع ، حرباً عند نفسه من أن يلزمه بزعمه -إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك- أن يكون إنما
علا وارتفع بعد أن كان تحتها - إلى أن تأوله بالجهول من تأويله المستكر . ثم لم يَنْجُ مما هَرَبَ منه ! فيقال له :
زعمت أن تأويل قوله "استوى" أقبل ، أفكان مُنْبِرًا عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال
فعل ، ولكنه إقبال تدبير ، قيل له : فكذلك قُلْ : علا عليها علوُّك وسُلْطَان ، لا علو انتقال وزوال . ثم
لن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله . ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ،
لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولاً لقول أهل الحق فيه مخالفاً . وفيما بينا منه ما يُشْرِفُ بذِي الفهم
على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى . [جامع البيان : ١ / ٤٣٠] .

١١٨ _____ في ما نحاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

صورته يعني : جبريل فرآه النبي صلى الله عليه على ما هو عليه من استواء الصورة إلا كما ينزل
بالوحي على صورة رجل .

الاستفهام^(١)

أصل الاستفهام الاستخبار بما جاء بمعنى التوقيف والإنكار فأما الإنكار^(٢) فقوله تعالى : ﴿ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ [سورة الكهف آية : ٧١] والدليل على أنه إنكار قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٧١] ، وهكذا قوله : ﴿ أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَزِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ [سورة الكهف آية : ٧٤] ، ومثله كثير .

وأما التوقيف والتعريف فقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [سورة الشرح آية : ١] وتأويله أنا قد فعلنا ذلك ، ولولا ذلك لم يعطف على : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ، قوله : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴾ [سورة الشرح آية : ٢] ؛ لأن لم عامله لا يقع على الفعل الماضي .

ومن التقرير قوله عز وجل : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ [سورة النحل آية : ١٧] ، وأنزل تعالى قبل ذلك : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨٧] ثم قال : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ وجاء على وجه التوبيخ ، وذلك أنه لما كان البنون مرغوبا فيهم والبنات مكروهات ونسبوا إلى الخالق ما يكرهون ويجهم فقال : ﴿ أَمْ اتَّخَذَ بَمَا

(١) قال الجرجاني : الاستفهام : استعلام ما في ضمير المخاطب ، وقيل : هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن ، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين ، أو لا وقوعها ، فحصولها هو التصديق ، وإلا فهو التصور . [الترميزات : أسماء الأفعال] .

(٢) قال المناوي : التوقيف العلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع أو هو صفة توجب تمييز الابل بمحمل النقيض أو هو حصول صورة الشيء في العقل والاول اأخص وفي البصائر المعرفة ادراك الشيء بتفكر وتدبر لآثره وهى أخص من العلم والفرق بينها وبين العلم من وجوه لفظا ومعنى أما اللفظ ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد وفعل العلم يقتضى مفعولين وإذا وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة وأما من جهة المعنى فمن وجوه أحدها ان المعرفة تتعلق بلمات الشيء والعلم يتعلق بأحواله والثانى أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه فإذا أدركه قبل عرفه بخلاف العلم فالمعرفة نسبة الذكر النفسى وهو حضور ما كان غائبا عن الذاكر ولهذا كان ضدنا الإنكار وضد العلم الجهل والثالث أن المعرفة علم لعين الشيء مفصلا عما سواه بخلاف العلم فإنه قد يتعلق بالشيء مجملا ولهم فروق أخر غير ما ذكرنا وقوله (وعلم هو في نفسه) هكذا في سائر النسخ وصريحه انه كسمع لانه لم يضبطه فهو كالاول وعليه مشى شيخنا في حاشيته فانه قال وانه يتعدى بنفسه في المعنيين الاولين والصواب أنه من حد كرم كما هو في المحكم ونصه وعلم هو نفسه . انظر تاج العروس (ع ل م) .

١٢٠ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَيِّنِ ﴿[سورة الزخرف آية : ١٦] والدليل على أنه أراد التوبيخ قوله في مثل هذه القصة : ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الصافات آية : ١٥٤] ، [١٥٥] .

وقوله للمسيح : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾ [سورة المائدة آية : ١١٦] تقرير وتوبيخ لقومه ، وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٨] توقيف له وإخبار ببطلان دعوى هذا المحاج .

الباب الثاني

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله باء

البوء^(١)

باؤوا : أصل البوء الرجوع ، ومبوا الرجل : منزله الذي يرجع إليه إذا فرغ من أموره ، ثم كثر حتى سمي الإنزال التبوئة ، قال الله تعالى : ﴿ مَبُوءًا صِدْقٍ ﴾ [سورة يونس آية : ٩٣] ، وقال عمر بن معدي كرب :

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأَتْهُ يَدَيَّ لِحْـ____دا

ثم كثر حتى سمي التسوية بين الشينين : بواء ، يقال : هذا بواء لهذا إذا كان مثله ، وفلان بواء بفلان ، إذا قتل به فرضي .

وجاءت هذه الكلمة وما يتصرف منها في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : ﴿ قَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] أي : احتملوا وزرا على وذر . وقيل : استوجبوا غضب الله . والغضب من الله : العقاب ، وقال : ﴿ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٦٢]

الثاني : الرجوع ، قال الله تعالى : ﴿ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٩] أي ترجع إلى الله بإثم قلتي ، وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك .

(١) (ب و هـ) : بَاءَ يَبُوءُ وَجَعٌ وَبَاءَ يَحْتَفِ اعْتَرَفَ بِهِ وَبَاءَ بِذَنْبِهِ ثَقُلَ بِهِ وَالبَاءَةُ بِالْمَدِّ النِّكَاحُ وَالتَّرْوُجُ وَقَدْ تُطْلَقُ البَاءَةُ عَلَى الْجَمَاعِ تَفْصِيَةً وَيُقَالُ أَيْضًا البَاءَةُ وَرَأَى الْعَاهَةَ وَالبَاءُ بِالْأَلْفِ مَعَ الْهَاءِ وَابْنُ قُتَيْبَةَ يَجْعَلُ هَذِهِ الْأَجْزَاءَ تَضْجِيفًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ حَكَاهَا الْأَزْمَرِيُّ عَنْ ابْنِ الْأَثْبَارِيِّ وَتَعْصُمُهُمْ يَقُولُ : الْهَاءُ مُبْدَلَةٌ مِنَ الْهَمْزَةِ يُقَالُ فُلَانٌ حَرِيصٌ عَلَى البَاءَةِ وَالبَاءِ وَالبَاءِ بِالْهَاءِ وَالْقَصْرِ أَيْ عَلَى النِّكَاحِ قَالَ يَغْنِي ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ البَاءُ الْوَاحِدَةَ وَالبَاءُ الْجَمْعُ ثُمَّ حَكَاهَا عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَيْضًا وَيُقَالُ إِنَّ البَاءَةَ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي تَبُوءُ إِلَيْهِ الْإِبِلُ ثُمَّ جُعِلَ عِبَارَةً عَنْ التَّنَزُّلِ ثُمَّ كُنِيَ بِهِ عَنْ الْجَمَاعِ إِمَّا لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي البَاءَةِ غَالِيًا أَوْ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَتَبَوَّأُ مِنْ أَهْلِهِ أَيْ يَسْتَكِينُ كَمَا يَتَبَوَّأُ مِنْ قَارِهِ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ ﴾ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ وَالتَّقْدِيرُ مَنْ وَجَدَ مَوْنُ النِّكَاحِ فَلْيَتَرَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَيْ مَنْ لَمْ يَجِدْ أَهْبَةً فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ . [المصباح المنير : الباء مع الواو] .

ويموز أن يكون المعنى في هذا ، وفي قوله : ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] واحدا وسمي الحصول في القيامة جوعا إلى الله تعالى ، وحقيقة ذلك الرجوع في الخلقة ، لأنهم يخلقون في القيامة بعد الفناء .

الثالث : التبوء من النزول قال تعالى : ﴿مُبِىَّاً صِدْقٍ﴾ [سورة يونس آية : ٩٣] ، وقال : ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [سورة يوسف آية : ٥٦] ، في "الحشر" : ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ [سورة الحشر آية : ٩] ، قالوا : معناه أوطنوا ، وهذا قريب من الأول

البصر^(١)

أصله من الوضوح . ومنه : أبصرته لمحا بأصرا ، أي : بصرا واضحا ، وقيل : نظرا صائبا بتحدق . ومن ثم سمي ضرب من الحجارة أبيض رخو بصرة ، لما في البياض من الوضوح . وبه سميت البصرة .

والبصرة : العلم . لأن الأشياء تتبين بها وتصح وجوهاها عند العالم . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٢] أي : مشرقه واضحة . وقيل : معناه : مبصرا ، أي : مضيئا .

(١) [بصر] : البَصَرُ : الْعَيْنُ - مُذَكَّرٌ - . وَنَفَادٌ فِي الْقَلْبِ . وَالْبَصَارَةُ : مَصْدَرُ الْبَصِيرِ ، أَبْصَرَ يُبْصِرُ ، وَأَبْصَرْتُ الشَّيْءَ ، وَبَصُرْتُ بِهِ وَبَصُرْتُ . وَأَبْصَرَ الطَّرِيقَ وَالصَّبْحَ وَالنَّهَارَ : إِذَا أَبْصَرْتَهُ . وَبَصُرْتُهُ : أَي رَمَقْتُهُ .

وَأَسْتَبْصَرَ فِي أَمْرِهِ وَدِينِهِ : إِذَا كَانَ ذَا بَصِيرَةٍ وَتَحْقِيقٍ مِنْ أَمْرِهِ . وَاجْعَلْنِي بَصِيرَةً عَلَيْهِمْ : أَي شَهِيداً . وَرَأَى لِمَحَا بِأَصْرًا : أَي أَمْرًا مُفْزِعًا . وَإِذَا فَتَحَ الْحَزْرُ عَيْنَهُ قُلْتُ : بَصُرْتُ تَبْصِيرًا . وَيُقَالُ لِلْفَرَّاسَةِ الصَّادِقَةِ : ذَاتُ الْبَصَائِرِ وَذَاتُ الْبَصِيرَةِ . وَالْبُصْرُ : الْقَطْلُ . وَالْقَشْرُ أَيْضًا . وَالْعَيْنُ تَفْسُهَا فِي قَوْلِ أَبِي زَيْدٍ :

كَالْجَمْرَتَيْنِ التَّيْبَرُ

ويقولون : لَقِينَهُ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا : أَي بَارِضٍ خَلَاءَ مَا بَهَا أَحَدٌ . وَيُسَمُّونَ اللَّحْمَ : الْبَاصُورَ ، أَي أَنَّهُ جَدٌ لِلْبَصْرِ يُزِيدُ فِيهِ . وَالْمُبْصَرُ : الَّذِي يُوشِي بِحِفْظِ الشَّيْءِ . وَالْبَصِيرَةُ : الدَّرْعُ . وَبَصَائِرُ الدِّمِ : طَرَائِقُهَا عَلَى الْجَسَدِ . وَالْبَصِيرَةُ : مَا يَتَنَسَّقِي الْبَابَ ، وَجَمْعُهَا بَصَائِرُ . وَهِيَ الْعَبْرَةُ - أَيْضًا - فِي قَوْلِهِ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ *** مَنْ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

وهي الْفَرَّاسَةُ أَيْضًا .

وَالْبُصْرُ : غِلْظُ الشَّيْءِ ، كَبُصْرِ الْجَبَلِ وَالسَّمَاءِ . وَهُوَ جِلْدُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَجَمْعُهَا أَبْصَارٌ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَغَلِيظُ الْبُصْرِ : أَي جِلْدُ الْوَجْهِ . وَهُوَ مَغْضُوبُ الْبُصْرِ وَالْبَصْرِ .

وَالْبَصْرُ : أَنْ يَقْسَمَ أَوَّيْمٌ إِلَى أَدِيمَيْنِ يُحَاطَانِ ، يُقَالُ : بَصُرْتُ الْأَدِيمَيْنِ أَبْصُرُهُمَا . وَبَصَرَهُ بِالسَّيْفِ : قَطَعَهُ .

وَالْبَصْرَةُ : أَرْضٌ حِجَارَتُهَا جَمَصٌ ، وَهِيَ الْبَصْرَةُ وَالْبَصِيرَةُ أَيْضًا ، وَجَمْعُهَا بَصَارٌ . فَإِذَا حَذَفَتِ الْمَاءُ قُلْتُ : بِصُرَ - بِالْكَسْرِ - ؛ وَيُضَرُّ : لُغَةً فِيهِ . وَأَرْضُ بَنِي فُلَانٍ بَصْرَةٌ : إِذَا كَانَتْ طَيِّبَةً حَرَاءً . وَالْبَصِيرَاتُ : الْأَرْضُونَ ذَاتُ الْبَصِيرَةِ . وَأَرْضُ بَصِيرَةٍ : فِيهَا حِجَارَةٌ يَنْقُصُ . وَبَصُرْتُ وَأَبْصَرْتُ : أَتَيْتُ الْبَصْرَةَ . وَالْبَصْرَتَانِ : الْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ . وَالْبَاصُورُ : رَجُلٌ ذُو الْقَطْعِ ، وَهُوَ عِيدَانٌ تُقَابِلُ شَيْئَةً بِأَقْتَابِ الْبُخْتِ . وَالْبَاصِرُ : قَتَبٌ صَغِيرٌ ، وَيُجْمَعُ بَوَاصِرَ . [المحيط في اللغة : بصرا] .

وقيل إذا صار الناس يبصرون فيه ، فهو مبصر ، كقولك : رجل غبث ، إذا كان أهله خبثاء ، ورجل مضعف : دوابه ضعاف ، والنهار مبصر : أهله بصراء . ومبصر فيه أجود . وهو كقولهم : أحق الرجل ، إذا جاء بأولاد حمقى ، وأصرم للنخل ، إذا أذن بالصرام وألين الرجل صار ذا لبن .

ويموز أن يكون أصل الكلمة من الصلابة وبصر الشيء : حيث يغلظ ، تقول : هذا بصر الجبل والحائط ، وبصر السماء ؛ لأنه أقرب ما يبصر منها وهو أغلظها في رأى العين . ويصائر الدم : طرائقه على الجسد .

والبصر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : البصر بالقلب ، قال الله : ﴿ أَفَأَنْتَ عَمْدِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة يونس آية : ٤٣] يعني : عمى القلب وبصر القلب .

ونحوه قوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ [سورة غافر آية : ٥٨] ، يعني : المؤمن الذي يعلم والكافر الذي لا يعلم ، ويموز أن يكون بصر العين وعماها ، ويكون المراد التنبيه على المنفعة بالإيمان ، لأنه مشبه بالبصر ، والمضرة بالكفر ، لأنه مشبه بالعمى .

الثاني : بصر العين ، قال : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [سورة الإنسان آية : ٢] . وقال : ﴿ فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ [سورة يوسف آية : ٩٠] .

الثالث : البصر بالحجة ، وهو راجع إلى الوجه الأول ، قال تعالى : ﴿ لِمَ حَضَرْتَنِي أَهْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [سورة طه آية : ١٢٥] . جاء في التفسير أنه أراد : لم جعلتني أعمى عن الحجة ، وكنت في الدنيا بصيرا بها ، ويموز أن يكون من بصر العين ، وأن الله يحشره أعمى العين ليضعه نكالا لمن خلفه .

الباء

هي للإصاق الشيء بالشيء وخلطه به ، فإذا قلت : مررت بزيد ، فقد أضفت المرور إلى زيد ، وألصقته به . وجائز أن يكون معه استعانة كقوله : كتب بالقلم .

وتزاد في خبر المنفي تأكيداً وتثبيتاً ، كقولك : ليس زيد بقاتم . وجاءت زيادة في قولك : حسبك بزيد . هذا قول الفراء ومن يقول بقوله .

وعندنا أنها دخلت على معنى قولك : اكتف بزيد ، لأن معنى قولك : حسبك هذا ، أي : اكتف به ، وأحسبني الشيء : كفاني . وستكلم في ذلك .

قالوا : وهو في القرآن على الوجهين :

الإلصاق ، والزيادة في قول الفراء .

وعلى تقدير الإلصاق كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَهْوِذْ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [سورة الفلق آية : ١] ، كأنك ألصقت الاستعانة به ، وقوله : ﴿ وَيَا آخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤] ، كأن إيقافهم التصق بالآخرة . ومثله كثير .

وأما الزيادة على قول من يقول بذلك ، فقوله : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [سورة النساء آية : ٧٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِذْ فِيهِ يُلْحِقْهُ يَظْلَمٌ ﴾ [سورة الحج آية : ٢٥] ، قال : المعنى : ومن يرد فيه إلحاداً ، وقوله : ﴿ تَنَبَّأَ بِالدَّهْنِ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٢٠] معناه : تنبأ الدهن .

والصحيح أن ذلك لمعان ، وليس بزيادة . فأمّا قوله : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ فمعناه : اكتف بالله شهيداً ، وكذلك : حسبك بزيد ، أي : اكتف بزيد ؛ لأن حسبك بمعنى يكفيك فالباء تدخل في هذا على التقدير . وقوله : ﴿ وَمَنْ يُرِذْ فِيهِ يُلْحِقْهُ ﴾ فإنما تحمل هذا على مصدره ، والمراد : من كانت إرادته واقعة بالإلحاد ، فدخلت الباء للمصدر . وكذلك : ﴿ تَنَبَّأَ بِالدَّهْنِ ﴾ معناه : تنبأ نبتها بالدهن ، وقوله : ﴿ وَأَمِزْتُ لَأَنْ أَكُونَ ﴾ [سورة الزمر آية : ١٢] أي وقع الأمر لأن أكون .

وقال سيويه : بحسبك زيد . ومعنا - على ما ذكرنا - أي : اكف بزيد ، ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ ﴾ : إنما تنبت ما يكون منه الدهن ، وهو ثمرها ، والتقدير : تنبت ثمرها بالدهن ، أي : ومعه الدهن .

ومعنى الباء هناك كمعناه في قولك : أذهبت ، إذا حملته على أن يذهب به . ويجوز أن يجعل أنبت هاهنا بمعنى نبت على ما يقوله أهل اللغة ، كما قال زهير :

حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ

وَأَنْبَتَ وَنَبَتَ عِنْدَنَا لَفْتَانِ فَصِيحَتَانِ .

البأس^(١)

أصله : الشدة . وفي القرآن : عذابا بئسا ، أي : شديدا .

وأكثر ما جاء عن العرب : البأس في الحرب ، والبؤس : الشدة في المعيشة . وكذلك البأساء .

وفي القرآن : ﴿ مَسْتَهُمُ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٤] ذكرهما للتوكيد ، وهما واحد ، كما قال : العدل والإحسان . هذا قول .

وأجود منه أن يقال : البأساء : الشدة في الحرب ، والضراء : الشدة في المعيشة ، والعدل : الإنصاف في الحكم والإحسان في ذلك ، وفي غيره من الأفعال الحسنة .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة هود آية : ٣٦] ، وسورة يوسف آية : ٦٩] أي : لا تفزع . والابتئاس : حزن في استكانة .

والبأس في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : العذاب ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [سورة المؤمن آية : ٨٤] أي : عذابنا ، وقال : ﴿ فَلَمَّا أَحْسَوْا بَأْسَنَا ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٢] وقال : ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ ﴾ [سورة غافر آية : ٢٩]

الثاني : الحرب ، قال الله في البقرة : ﴿ وَجِئَ الْبَاسُ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٧] يعني : الحرب .

(١) [بأس] : البأس : الحرب ، رَجُلٌ بَتِيسٌ ، قد بَوَسَ بَاسَةً : وهو الشجاع . والبأساء : اسمٌ للحَرْبِ ، والمَشَقَّةُ ، والفَقْرُ . [المحيط في اللغة : بأس] .

الفرق بين البأس والخوف : أن البأس يجري على العدة من السلاح وغيرها ونحوه قوله تعالى " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد " ويستعمل في موضع الخوف مجازا فيقال لا بأس عليك ولا بأس في هذا الفعل أي لا كراهة فيه [الفروق اللغوية : ٨٩ / ١] .

الثالث : السطوة والنكاية ، قال تعالى : ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ

كَفَرُوا﴾ [سورة النساء آية : ٨٤].. وقوله : ﴿نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة

النمل آية : ٣٣] أي : أولو سطوة ونكاية في العدو .

البطلان^(١)

أصله من الذهاب . وسمي الباطل باطلا ؛ لأنه لا ثبات له مع الحق ، على حسب قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٨١] .
ورجل بطل : شجاع ، لأنه إذا قاوم قرنا لم يقم له القرن . والبطل والباطل سواء .
وهذا الحرف وما يتشعب منه في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الكذب ، قال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [سورة فصلت آية : ٤٢] يعني : الكذب ، إذا لم يكن قبله كتاب يشهد بتكذيبه ، ولا يجيء بعده كتاب يكذبه . ويموز أن يكون معناه : إن الله يحفظه من أن ينقض ؛ فيأتيه الباطل من بين يديه ، أو يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه . وعلى هذا تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٩] .

الثاني : الإحباط ، قال : ﴿ لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٤] [أي : لا تحبطوها] بلمن والأذى وقال : ﴿ لَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ٣٣]

والثالث : خلاف الحق ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٨١] وقيل : يعني : به هاهنا الشرك . فإذا جعلته خلاف الحق كان أعم .
والمراد على القول الأول أن الإسلام قد جاء فهلك الكفر وذهب . والزهوق والزهق : الهلاك ، : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٨١] أي : من شأن الباطل إذا جاء الحق أن يذهب ويبطل ولا يثبت ، وذلك من شأنه في ما تقدم ، فكان هنا يفيد ما قلناه .

(١) [بطل] : بَطَلَ الشيءَ يُطِلُّ بَطْلًا ، أي : ذهب باطلاً .

والباطلُ : تقيضُ الحق ، قال النابغة :

لعمري ، وما عمري عليَّ بجيئ . . . لقد نَطَقْتُ بَطْلًا عليَّ الأفارغُ

وأبطلته : جعلته باطلاً . وأبطلتُ : جئت بكذبٍ ، وأدعيتُ غيرَ الحق .

والبَطْلُ : فعلُ البطالة ، وهو اتباعُ اللهو والجهالة . [العين : بطل] .

الرابع : ما يعبد من دون الله ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٥٢] . وقال : ﴿ أَفَيُضِلُّونَ ﴾ [سورة النحل آية : ٧٢] وسماه باطلا ، لأنه لا حجة لأهله يشبتون عبادتهم إياه بها .

والخامس : الظلم ، قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٨] أي : بالظلم . وبطلان الشيء : ذهابه ، فسمي الظلم باطلا ، لأن الله حكم فيه بأن يبطل ولا يثبت .

والمعنى على ما قال الحسن : هو أن يكون للرجل على صاحبه حق فإذا طالبه دعه إلى الحاكم ، فيحلف له ، ويبطل حقه ، والحاكم يحكم على الظاهر . وأصل الإدلاء : إلقاء الدلو في البئر . ويقال : أدليت الدلو ، إذ أنزلتها في البئر ، وفي القرآن : ﴿ فَأَذَلَّ دَلْوُهُ ﴾ [سورة يوسف آية : ١٩] ثم صار كل إلقاء إدلاء ، يقال : ألقى فلان حجته ، إذا أرسلها على صحة ، ودلوت الدلو ، إذا أخرجتها من البئر ، ومنه دلى فلان إلى فلان ، إذا توسل به ، قال الشاعر :

فَقَدْ جَعَلَتْ إِذَا مَا حَاجَبَةً عَرَضَتْ بِيَابِ دَارِكَ أَذْلُوها بِأَفْسَواَمِ

البر

أصله : السعة . ومنه : البر ، خلاف البحر . ثم استعمل في الزيادة ، فقيل : أبر فلان على فلان ، إذا زاد عليه . والجواد المبر : السابق لكل ما سبقه ، كأنه اتسع لما يتسع له غيره .
وقيل : رجل بار وبر . وفعل بمعنى فاعل معروف . مثل رجل سمح ، ويوم قر . ونحوه : رجل نذب ، أي : متدب للأمور . ثم استعمل في القبول ، فقيل : بر حجتك ، أي : قبل ، وصدقت وبررت تأكيد للصدق .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الصلة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُوا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٤] يعني أن تصلوا القرابة . وقيل : معنى : ﴿ أَنْ تَبَرُوا ﴾ أن لا تبروا . وقيل : لا يجوز أن يكون حذف لا وإثباتها سواء في شيء في الكلام .

وإنما المعنى أنه نهاهم عن كثرة الإيثار ، وعن الجراة على الله ، ليكونوا برة أتقياء ، والمعنى : لأن تبروا . وكانوا ربما حلفوا ألا يبروا أقرباءهم ، ولا يتكلموا في صلح لأمر معرض لهم . فالذي تشتمل عليه الآية أمران :

أحدهما : النهي عن أن يجعل يمينه مانعة من البر والتقوى والإصلاح بين الناس ، فإذا طلب منه ذلك قال : قد حلفت ، والذي ينبغي في هذا أن يفعل ما حلف عليه ، ويكفر عن يمينه .

(١) [بر] : البر : خلاف البحر . وإنه لجبر مبر . وأبر وأبحر : ركب البر والبحر . والبرية : الصخراء . وعرجت براً : وهو ضد الكين .
ويقولون : " من أصلح جوائيه أصلح الله برائيه " أي من أصلح سريرته أصلح الله علانيته .
والبر : الباء بذوي قرابته ، وقوم برة وأبرار ، والمصدد : البر .
وصدقت وبرزت ، وبرت يمينه ، وأبرها الله : أي أمضاها على الصدق . وبر حجتك فهو مبرور . وهو ببر : أي يمينه .

والبر : الحق ، في قوله : عليهن شفت عامدون لبرهم وبره : اسم للبر معرفة . [المحيط في اللغة : ٢ / ٤٢٨] .

وثانيهما : كثرة الأيمان ، وهو ضرب من الجرأة على الله ، وابتذال لاسمه في كل حق وباطل ، وتقول : هذا الشيء عرضتي ، إذا كنت لا تزال معرض له ، وهو عرضة للناس ، إذا كانوا لا يزالون يقعون فيه ، والناقة عرضة أسفار ؛ إذا كان صاحبها لا يزال يسافر عليها ، وقال حسان :

هُمُ الْأَنْظَارُ عُرْضَتُهَا اللَّقَاءُ

وقال الله في الممتحنة : ﴿ أَنْ تَبْرُوهُمْ ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٨] .

الثاني : بمعنى الطاعة ؛ قال الله : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [سورة المائدة آية : ٢] ، أي : على طاعة الله ، ومثله : ﴿ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [سورة المجادلة آية : ٩] ، أي : بالطاعة دون المعصية ، وقال : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ [سورة مريم آية : ٣٢] ، أي : مطيعا لها ، وقال : ﴿ كِرَامَ بَرَرَةٍ ﴾ [سورة عبس آية : ١٦] ، أي : المطيعين ، وقال : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ ﴾ [سورة المطففين آية : ١٨] ، أي : المطيعين ، كنا جاء في التفسير ، وهو وجه ، ولو جعلت ذلك بمعنى الصلة واللفظ .

الثالث : بمعنى الثواب ، قال الله : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٩٢] ، يعني : الثواب .

الرابع : التقوى ، قال : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٧] ، يعني : التقوى ، وأراد توكيد ما احتج به على سفهاء أهل الكتاب في إنكارهم على المسلمين توجيههم إلى الكعبة بعد توجيههم إلى بيت المقدس ، فقال : ليس البر كله في التوجه إلى المشرق والمغرب في الصلاة : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٧] ، أي : البر بر من آمن بالله ، وهو التقوى ، هكذا جاء في التفسير .

وليس بعيد أن يكون البر هاهنا بمعنى الطاعة ، ويسمى الطاعة برا في قولهم : هذا من أعمال البر ، أي : مما يطاع الله به ، وحذف لبر الثاني لبيان المعنى ، كما قال الشاعر :

وَكَيْفَ تُحَالِلُ مَنْ أَضْبَحَتْ خِلَالَتُهُ كَأَبِي مَرْجَبٍ

أي كخلال أبي مرجب .

وهكذا في قوله : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، أي : ولكن البر بر من اتقى ،

وأول الآية : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، وهو مثل ضربه الله للمشركين في تأخيرهم أشهر الحرم فأخبر الله أن ذلك عكس البر ، كما أن من أتى البيت من ظهوره ؛ فقد عكس أمر الدخول .

وقيل : إن قوما من قريش وثقيف وخزاعة وطائفة من عامر بن صعصعة ؛ كانوا إذا حرموا لا ياقطون الأقط ، ولا يأكلون السمن ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ؛ ولكن من ظهورها وأديارها ، وظهورها : سيطوحها ، فسموا حماه ، والأحمى : المتشدد في دينه ، فأخبر الله أن ذلك ليس من البر ، وأن البر بر من اتقى معاصي الله .

البرهان^(١)

قال علي بن عيسى رحمه الله - : البرهان : شاهد صدق في نفسه وشهادته .

والبرهان : حق في نفسه وشهادته .

والبرهان : بيان صدق يظهر به صحة أمر .

والبرهان : ما ثبت المعنى في النفس على ثقة به ، وذلك بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما فصل الحق من الباطل ، وميز الصحيح من الفاسد بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما أوجب الثقة وأزال التهمة بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما أوصل النفس إلى إدراك الحق بالبيان الذي فيه ؛ فكأن البرهان آلة بها يتم إدراك النفس للحق .

وقيل : جاء البرهان بمعنى الدليل والدلالة .

والفرق بين الدلالة والبرهان أن الدلالة : ما أحضر المعنى النفس ، والبرهان : ما ثبت المعنى في النفس بالبيان الذي فيه ؛ فكأن الدلالة آلة الإحضار ، والبرهان آلة لتشيته في النفس

(١) قال البحر جاني : البرهان : هو القياس المؤلف من اليقنيات ، سواء كانت ابتداءً ، وهي الضروريات أو بواسطة ، وهي النظريات . والحد الأوسط فيه لا بد أن يكون علةً لنسبة الأكبر إلى الأصغر ، فإن كان مع ذلك علةً لوجود تلك النسبة في الخارج أيضاً ، فهو برهان لمي ، كقولنا : هذا متعفن الأخلاط ، وكل متعفن الأخلاط عموم ، فهذا عموم ، فتعفن الأخلاط ، كما أنه علة لثبوت الحمى في الذهن ، كذلك علة لثبوت الحمى في الخارج ، وإن لم يكن كذلك كان لا يكون علة للنسبة إلا في الذهن ، فهو برهان إني ، كقولنا : هذا عموم ، متعفن الأخلاط ، فهذا متعفن الأخلاط ، فالحمى ، وإن كانت علةً لثبوت تعفن الأخلاط في الذهن ، إلا أنها ليست علة له في الخارج ، بل الأمر بالعكس .

وقد يقال على الاستدلال من العلة إلى المعلول : برهان لمي ، ومن المعلول إلى العلة : برهان إني .

البرهان التطبيقي : هو أن تفرض من المعلول الأخير إلى غير النهاية جملةً ، ومما قبله ، بواحد مثلاً ، إلى غير النهاية ، جملة أخرى ، ثم تطبق الجملتين ، بأن تجعل الأولى من الجملة الأولى بإزاء الأول من الجملة الثانية ، والثاني بالثاني ، وهلم جراً ، فإن كان بإزاء كل واحد من الأولى واحد من الثانية ، كان الناقص كالزائد ، وهو محال ، وإن لم يكن فقد يوجد في الأولى ما لا يوجد في إزائه شيء في الثانية ، فتقطع الثانية وتنتهي ، ويلزم منه تنافي الأولى ، لأنها لا تزيد على الثانية بقدر متناهٍ ، والزائد على المتناهي بقدر متناهٍ يكون متناهياً بالضرورة . . [التعريفات : البرهان] .

على جهة الثقة به ، وكل برهان ففيه معنى الدلالة ، وليس كل دلالة فيها معنى البرهان ، ألا ترى أن الاسم دلالة على معناه ؛ وليس ببرهان على معناه ، وكذلك هداية الطريق دلالة عليه وليس ببرهان عليه ، وسمعت من يقول إنه فارس معرب ، ولا أعرف ما صحة ذلك .

ويجوز أن يكون أصله من البرهة ، وهي القطعة من الدهر ، كأن البرهان قطعة من القول ، أو هو قطع بين الحق والباطل وفصل ، كما أن البرهة فصل بين الزمانين ، والنون فيه زائدة ، كما زيدت في "السلطان" ؛ وهو من السليط .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : الحجة ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١١١] ، أي : حججكم بأن معه آلهة ، وفي النمل : ﴿ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة النمل آية : ٦٤] .

الثاني : الآية ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَأْنِيكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [سورة القصص آية : ٣٢] ، أي : آيتان ، وقال : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٤] ، يعني آية من آيات ربه .

البعل^(١)

أصله من القيام بالأمر ، ومن ثم قيل للنخلة التي تستغني بباء السماء عن سقي العيون : بعل . وقد استعمل النخل : صار بعلا .

وهو في القرآن على وجهين :

أحدهما : الزوج^(٢) ، قال : ﴿ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ [سورة هود آية : ٧٢] ، والزوجة : بعلة ، ولا يقال : هو بعلمها حتى يدخل بها ، وهو زوجها على كل حال . وكذلك القول

(١) [بعل] : البَعْلُ : الزَّوْجُ . يقال : بَعْلٌ يَبْعُلُ بَعْلًا وَيُعَوِّلُهُ فهُوَ بَعْلٌ مُسْتَبْعِلٌ ، وامرأة مُسْتَبْعِلَةٌ ، إذا كانت تَحْتَضِيْ عِنْدَ زَوْجِهَا ، وَالزَّجْلُ يَتَعَرَّسُ لَامْرَأَتِهِ يَطْلُبُ الْحَقْلَوَةَ عِنْدَهَا . والمرأة تَبْعُلُ لَزَوْجِهَا إذا كانت مطيعة له .

والبَعْلُ : أَرْضٌ مَرْتَفَعَةٌ لَا يُصْبِيْهَا مَطَرٌ إِلَّا مَرَّةً فِي السَّنَةِ . قال سلامة بن جندل :
إذا مَا عَلَوْنَا ظَهَرَ بَعْلٌ غَرِيْبَةٌ *** تَحَالُ عَلَيْنَا قَيْصٌ يَنْضِيْ مُفْلَقٌ
ويقال : البَعْلُ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي لَا يَتَلَفُّهَا الْمَاءُ إِنْ سَقِيَ إِلَيْهَا لَارْتِفَاعِهَا .
ورجلٌ بَعِيْلٌ ، وقد بَعِيْلٌ يَبْعُلُ بَعْلًا إذا كَانَ يَصِيرُ عِنْدَ الْحَرْبِ كَالْمَبْهُوتِ مِنَ الْفِرْقِ وَالذَّمَشِ . قال أَعْنَى هَمْدَان :

فجَاهَدَ فِي فُرْسَانِهِ وَرَجَالِهِ *** وَنَاهَضَ لَمْ يَبْعُلْ وَلَمْ يَنْهَبْ

وامرأة بَعْلَةٌ : لَا تُحْسِنُ لِبَسِّ الْغِيَابِ .

والبَعْلُ مِنَ النَّخْلِ : مَا شَرِبَ بِعُرْوَةٍ مِنْ غَيْرِ سَقْيِ سَاءٍ وَلَا غَيْرِهَا . قال عبد الله بن رَوَاحَةَ :

هناك لَا أَبْلِي سَقْيَ نَخْلٍ *** وَلَا بَعْلٌ وَإِنْ عَطَمَ الْإِنَاءُ

الْإِنَاءُ : الثَّمَرَةُ . وَالبَعْلُ : الْمَذْكُورُ مِنَ النَّخْلِ ، وَالنَّاسُ يَسْتَمُونَهُ : الْفَعْلُ . قال النَّابِغَةُ :

مِنَ الْوَارِدَاتِ الْمَاءُ بِالْقَاعِ تَسْقِي *** بِأَذْنَابِهَا قَبْلَ اسْتِقَاءِ الْحَنَاجِرِ

أَرَادَ بِأَذْنَابِهَا : الْعُرُوقُ .

والبَعْلُ : صَنَمٌ كَانَ لِقَوْمِ الْيَاسِ . قال الله عز وجل : اتَدْعُونَ بَعْلًا .

والتَّبَاعُلُ وَالْمُبَاعَلَةُ وَالْبِعَالُ : مُلَاعَبَةُ الرَّجُلِ أَهْلَهُ ، تَقُولُ : بَاعَلَهَا مُبَاعَلَةً ، وَفِي الْحَدِيثِ : أَيَّامُ شَرَبٍ وَبِعَالٍ . [العين : بعل] .

(٢) الفرق بين البعل والزوج : أن الرجل لا يكون بعلا للمرأة حتى يدخل بها وذلك أن البعل التكاثر والملاعبة ومنه قوله عليه السلام " أيام أكل وشرب وبعال " وقال الشاعر :

وكم من حصان ذات بعل تركتها *** إذا الليل أَدَجَى لم تَجِدْ مِنْ تَبَاعُلِهِ

وأصل الكلمة القيام بالامر ومنه يقال للنخل إذا شرب بعروقه ولم يحتج إلى سقي بعل كأنه يقوم بمصالح نفسه . [الفروق اللغوية : ١ / ١٠٤] .

فيها ، والشاهد قولهم : باعلها ، أي : جامعها ، وفي الحديث : "أيام أكل وشرب ويعال" ،
أي : جامع .

والآخر : بمعنى الرب ، قال : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ [سورة الصافات آية : ١٢٥] ، أي :
ربا غير الله .

(١) أخرجه مسلم من حديث نيشة بن عبد الله وكعب بن مالك (١١٤٤) ، من غير كلمة "بعال" ،
وأخرجه الترمذي من حديث عقبة بن عامر (٧٧٣) ، وأخرجه أبو داود من حديث عقبة (٢٤١٩) ،
وأخرجه الدارقطني بلفظه في السنن من حديث عبد الله بن حذافة (٢٣٨٢) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده
من حديث أم عمرو بن سليم (٢٤٢٠) .

بل

أصلها في العربية : الإضراب عن الأول ، وإثبات الثاني ، تقول : لقيت زيدا بل عمرا . فتركت الأول ، وأخذت تذكر شيئا آخر ، غلطت في الأول ، أو بدا لك فيه ، فتداركت كلامك بـ "بل" فجعلت الأمر للثاني ، وأخرجت الأول مما دخل فيه الثاني .

ثم جاء في القرآن لغير الغلط والاستدراك والبداء ، ولكن لترك قصة إلى أخرى ، كأنه قال : دع هذا مع تمام فائدته إلى فائدة أخرى ، ومثل هذا يكون منا أيضا ، يقول أحدنا : جاءني الحاجب بل الأمير ، أي : دع مجيء الحاجب مع أفدتك به ، فالأمير هذا أمره . وينقسم في القرآن على وجهين :

أحدهما : قوله تعالى : ﴿ بَلِّغْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٥] ، كأنه قال : دع ما تقدم ذكره من أمرهم ، وخذ في أنهم قالوا : إن القرآن أضغاث أحلام ، وأضغاث الأحلام : مختلطاتها التي لا تأويل لها ، ثم حكى عنهم فقال تعالى : ﴿ بَلِّغْ أَفْتَرَاهُ بَلِّغْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٥] ، والمراد أنه اختلط عليهم أمرهم ، فكذبوا أنفسهم ، وخرجوا من شيء إلى شيء ، وهذا على سبيل الإضراب عن الأول وإثبات الثاني .

ومثل الوجه الأول قوله : ﴿ بَلِّغْ إِذَا دَارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلِّغْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلِّغْ مِنْهَا عَمَّوْنَ ﴾^(١) [سورة النمل آية : ٦٦] ، فـ : ﴿ إِذَا دَارَكَ ﴾ لفظ ماض ومعناه الاستقبال ، أي : بل يتكامل علمهم في الآخرة إذا حصلوا فيها ، ويوقنون أن ما وعدوا منها في الدنيا حق .

(١) قال الطبري : قوله : ﴿ بَلِّغْ إِذَا دَارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر وعامة قراء أهل الكوفة : ﴿ بَلِّغْ إِذَا دَارَكَ ﴾ بكسر اللام من "بل" وتشديد الدال من "ادراك" ، بمعنى : بل تدارك علمهم أي تابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أم لا ثم أدغمت التاء في الدال كما قيل : (أَتَأَقْلَسُمُ إِلَى الْأَرْضِ) .

وقرأته عامة قراء أهل مكة : ﴿ بَلِّغْ أَذْكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ بسكون الدال وفتح الألف ، بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة . وكان أبو عمرو بن العلاء يُنكر فيها ذكر عنه قراءة من قرأ : ﴿ بَلِّغْ أَذْكَ ﴾ ويقول : إن "بل" إيجاب والاستفهام في هذا الموضع إنكار . ومعنى الكلام : إذا قرئ كذلك "بَلِّغْ أَذْكَ" لم يكن ذلك لم يدرك علمهم في الآخرة ، وبالإستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذي ذكرت أن أبا عمرو أنكره . وينحو الذي ذكرت عن المكين أنهم قرءوه ، ذكر عن مجاهد أنه قرأه ، غير أنه كان يقرأ في موضع بل : أم .

وأصل : ﴿ اِدَارَكَ ﴾ : تدارك كأنه قال : قد يدرك بعض علمهم بعضاً في الآخرة حتى يتكامل ، ثم قال : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، وهذا إخبار عن الدنيا ، كأنه قال : دع ما تقدم ذكره من تكامل علمهم في الآخرة بأن ما وعدوا منها حق مع ما أفدتك بذلك ، وخذ في أنهم في الدنيا شاكون في البعث ، ثم قال : ﴿ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، أي : دع ما تقدم من ذكر شكهم ، وخذ في أنهم عمون عنه ، أي : جاهلون ، والشاك في الشيء بمنزلة الجاهل به ، وقوله : ﴿ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، تأكيد لقوله : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، وهذا كقولك : فلان جاهل بكذا ، بل هو أعمى عنه ، تريد تأكيد ما وصفته به من الجهل .

وأما "بلى" فليس من "بل" في شيء ، و"بلى" لا يكون إلا جواباً لما كان فيه حرف جحد ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧٢] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٠] ، الزمر : ٧١] ، ثم قال في الجواب : ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧٢] ، وهو مخالف لنعم لأن نعم لا يكون إلا جواباً للاستفهام بلا جحد ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤٤] ، وكذلك جواب الخبر ، إذا قال : فعلت ذلك ، قلت : نعم لعمري قد فعلته .

وقال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ "بَلْ أَذْرَكَ" القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، وهو أن معناه : إذا قرئ كذلك (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون ، فلا ينفعهم علمهم به حيثذ ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شك ، بل هم منها عمون .

وإنما قلت : هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، على القراءة التي ذُكرت ؛ لأن ذلك أظهر معانيه . وإذا كان ذلك معناه ، كان في الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ظهر منه عنه ، وذلك أن معنى الكلام : وما يشعرون أيان يُبعثون ، بل يشعرون ذلك في الآخرة ، فالكلام إذا كان ذلك معناه ، وما يشعرون أيان يبعثون ، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة ، بل هم في الدنيا في شك منها . وأما على قراءة من قرأه ﴿ بَلْ أَذْرَكَ ﴾ بكسر اللام وتشديد الدال ، فالقول الذي ذكرناه عن مجاهد ، وهو أن يكون معنى بل : أم ، والعرب تضع أم موضع بل ، وموضع بل : أم ، إذا كان في أول الكلام استفهام . [جامع البيان : ١٩ / ٤٨٨ - ٤٨٩] .

وقال الفراء : وإنما امتنعوا أن يقولوا في جواب الجحود نعم لأنه إذا قال الرجل لصاحبه : أمالك علي شيء ؛ فلو قال الآخر : نعم ، كان كأنه صدقه ، كأنه قال : نعم ليس لي عليك شيء ، فإذا قال : بلى ؛ فإنما هو رد لكلام صاحبه ، أي : بلى لي عليك شيء . فلذلك اختلف نعم وبلى .

الباب الثالث

في ما جاء من الوجوه والتظاير في أوله تاء

التأويل^(١)

أصل التأويل من الأول ، وهو : الرجوع ، يقال : آل الشيء ؛ إذا رجع ، وأول الكلام تأويلاً ، إذا رده إلى الوجه الذي يعرف منه معناه ، وقوله : ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، أي : يأتي ما يؤول إليه أمرهم في البعث ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، أي : ما يرجع إليه معناه ، وقيل : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، أي : بالبعث ، وليس بالوجه ؛ لأنه ليس للبعث هاهنا ذكر .

والتأويل في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، قال أبو علي رضي الله عنه يعني تفسير المتشابه به كله على حقائقه ، وذلك أن في القرآن أموراً مجملة ، مثل أمر الساعة وأمر صفائر الذنوب التي شرط غفرانها بإجتتاب الكبائر ، واستدل على هذا بقوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، فجعل الموعود الذي وعدهم إياه في القرآن تأويلاً للقرآن .

(١) قال المرحوماني : التأويل في الأصل : الترجيع . وفي الشرع : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله ، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة ، مثل قوله تعالى : " يخرج الحي من الميت " إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً ، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر ، أو العالم من الجاهل ، كان تأويلاً .

وقال أيضاً في موضع آخر : والفرق بين التأويل والبيان ، أن التأويل ما يذكر في كلام لا يفهم منه معنى محصل في أول وهلة ، والبيان ما يذكر فيها يفهم ذلك لنوع خفاء بالنسبة إلى البعض . [التعريفات : التأويل ، وبيان التفسير] .

وجاء في التفسير أن التأويل هاهنا منتهى صفة ملك أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن اليهود حسبوا ليعلموا ذلك ، فأعلمهم الله أنه لا يعرف ذلك بالحساب ، وإنما يعرف من قبل الله تعالى .

والتأويل والتفسير واحد ، لأن معنى التأويل يعود إلى التفسير ، ويفرق بينهما من وجه ذكرناه في "كتاب الفروق" وهو أن التفسير هو الإخبار عن أفراد أحاد الجملة ، والتأويل : الإخبار بمعنى الكلام ، وقيل : التفسير أفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل ، والتأويل : الإخبار عن غرض المتكلم بكلامه .

والثاني : عاقبة الأمر وما يؤول إليه ، وهو قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، يذكر قوما أوعدوا بالعذاب ، فطلعموا عاقبة ما أوعدوا به رادين له ، فقال : هل ينظرون إلا تأويل ذلك المصير وتلك العاقبة ، أي : مرجعه ومآبه .

وقوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [سورة يونس آية : ٣٩] ، أي : لم تأتهم عاقبة ما وعدهم في القرآن أنه كائن في الآخرة من الوعيد ، ولم يعن أنه لم يأتهم العلم وتفسيره ، لأن جميع ما في القرآن مفهوم المعنى ، ولو كان فيه شيء لا يفهم معناه لم يكن لإنزاله وجه .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء آية : ٥٩] ، [الإسراء : ٣٥] ، أي : عاقبة .

والثالث : تعبير الرؤيا ، قال : ﴿ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [سورة يوسف آية : ٦] ، يعني : تعبير الرؤيا . وقال : ﴿ تَبَيَّنَّا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ [سورة يوسف آية : ٣٦] ، وقال : ﴿ أَنبَأَكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ﴾ [سورة يوسف آية : ٤٥] ، وقال : ﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠١] ، يعني : بجميع ذلك تعبير الرؤيا ، وسميت الرؤيا أحاديث ؛ لأن منها ما يصح ، ومنها ما لا يصح ، مثل الأحاديث التي يتحدث بها صدقا وكذبا . فأما رؤيا الأنبياء عليهم السلام خاصة فيقين .

الرابع : التحقيق ، قال : ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠٠] ، جاء في التفسير أنه أراد : تحقيق رؤيائي ، وهو حسن ، ويموز أن يكون معناه : تفسير رؤيا و : ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ بالكسر على حذف ياء الإضافة ، ويموز بالفتح على حذف الألف المنقلبة عن ياء الإضافة ، وأجاز الفراء الضم ، ولم يجره الزجاج ، إلا أن التاء عوض عن ياء الإضافة ، وقال علي بن عيسى : هو جائر ، لأن العوض لا يمنع من الحذف .

الخامس : قوله : ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ [سورة يوسف آية : ٣٧] ، جاء في التفسير أنه أراد بالواته قبل أن يأتكما ، والمراد بتسميته بالواته وصفاته ؛ كأنه يفسره لهما ، فلهذا سماه تأويلا ، وسمي تفسير الشيء تأويلا ، لأنه مأل لبيان معناه ، و : ﴿ نَبَأُكُمَا ﴾ [سورة يوسف آية : ٣٧] ، أخبرتكما ، والنبا : الخبر العظيم ، لا يكون إلا كذلك .

وخرج لنا بعد وجه آخر ، وهو قوله : ﴿ وَأُخْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء آية : ٥٩] ، الإسرائ : ٣٥] ، قال مجاهد : أي : جزاء قلنا : وذلك أن الجزاء هو الشيء الذي آلوا إليه .

تولى

يقال : ولي الشيء يليه ، إذا قرب منه ، وداري يلي دارك ، وولاية الأعمال ، من فلك ، وكذلك : الولي ، وهو : المطر الذي يلي الوسمي ، والوسمي أول مطر يحىء ، والولي : الذي يليه ، ومنه : الولي ، خلاف العدد ، لأنه يقرب منك ، ثم قيل : ولي عنه ، وتولى عنه ، إذا أعرض وبعد .

والتولى في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الانصراف ، قال : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ [سورة القصص آية : ٢٤] ، دل على أنه كان في الشمس فانصرف إلى الظل ، ومثله : ﴿ ثُمَّ قَوْلَ هَئِهِمْ ﴾ [سورة النمل آية : ٢٨] ، أي : انصرف ، ومثله : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيَتْهُمْ تَقْيُضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ [سورة التوبة آية : ٩٢] .

والثاني : بمعنى الامتناع ، قال : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَلَا تُمْرُوا بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَغْضٍ ذُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٩] ، معناه : فإن امتنعوا من الإيمان بك والرضا بحكمك ، وقوله : ﴿ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَغْضٍ ذُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٩] ، أي : لما امتنعوا من ذلك أراد الله عقوبتهم ، فعجل بعضها لهم في الدنيا ، والإصابة بالذنب : الإصابة بعقوبة الذنب ، كما قال : ﴿ وَحَاقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة هود آية : ٨] ، أي : حاق بهم جزاؤه ، وقوله : ﴿ حَتَّىٰ تُمَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ [سورة النساء آية : ٨٩] ، أي : فإن امتنعوا من الإيمان والهجرة ، وكان هؤلاء قوم من المنافقين زعموا أنهم احتوا المدينة واستأذنوا النبي صلى الله عليه وآله في الخروج منها إلى البدو ، فأذن لهم ، فخرجوا ولحقوا بالمشركين ، فأمر الله أن يؤخذوا ويقتلوا حيث وجدوا ، لأنهم كفار ، إلا أن يرجعوا إلى المدينة .

والثالث : الإعراض ، قال الله : ﴿ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾ [سورة النساء آية : ٨٠] ، وقال : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [سورة يونس آية : ٧٢] ، وقال : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ [سورة الناريات آية : ٥٤] ، كل هذا بمعنى الإعراض على ما قالوا وهو الأصل ، ويكون الإتيان الأوليان من هذا الوجه بمعنى الامتناع .

والرابع : قالوا : الهزيمة ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تُولَوْهُمْ الْأَكْبَارَ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٥-١٦] ، يعني : الهزيمة عنهم ، ومصدر هذا التولية ، وليس بالتولي ، نهى الله تعالى المؤمنين أن يولوا الكفار أديارهم في القتال إلا أن ينحرف أحدهم من موضع لا يمكنه فيه الضرب والطمع إلى موضع يمكنه فيه ذلك ، أو أن يضيق عليه فليلتجئ إلى جماعة من المسلمين ، فيضافوا معه على مدافعة العدو ، ومن يولي عن العدو على غير هذين الوجهين فقد باء بغضب من الله ، أي : استحق الغضب من الله مقابلة بقبیح فعله ، وهو من البواء في القتل ، وهو أن يقتل بالرجل كفوه .

قال أبو بكر الرازي رحمه الله : " وهذا الحكم عندنا ثابت ما لم يبلغ عدد جيش المسلمين اثني عشر ألفا ، فإذا بلغ ذلك فليس لهم أن ينهزموا عن مثلهم إلا متحرفين لقتال " ، والحجة حديث ابن عباس عنه عليه السلام " خير الأصحاب أربعة ، وخير السرايا أربعة مائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة " ، وسأل رجل مالكا ، فقال : أيسعنا قتال من خرج من أحكام الله وحكم بغيرها ، فقال مالك : إن كان معك اثنا عشر ألفا مثلك لم يسعك التخلف ، وإلا فأنت في سعة من ذلك .

وقال بعضهم : هذه الآية في أهل بدر ؛ وليس الفرار من الزحف كبيرة ، وهذا غلط ، لأن النفي عام ، وليس لأحد تخصيصه ، ولا يكون المجمل إلا على العموم ، وقيل : هذا الوعيد لازم لمن فر عن الزحف حبا للحياة ، فأما من لم يجد بدا من الفرار فهو في سعة .
والزحف : السير الثقيل ، وبه يوصف العساكر ، لأنها إذا دنت من العدو ، سارت على تعبته ، وسير الجماعة المعبأة رويدا .

الخامس : بمعنى ولاية الأمر ، قال : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة النور آية : ١١] ، بالكسر ، أي : تولى الإثم فيه ، كأنه صار صاحب الإثم فيه ، وقرئ كبره ، أي : معظمه ، وكبر الشيء : معظمه ، وكذلك كبره : لفتان ، وقيل كبر : مصدر الكبير من الأمور ، وكبر : مصدر الكبير السن ، مثل : الكبر ، والكبر : الكبير أيضا .

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس (٢٧١٣) ، والدارمي (٢٤٣٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٧١٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٩/ ١٥٦ .

والسادس : بمعنى الولاية ، خلاف العداوة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهم مِنْكُمْ فَإِنَّهٗ مِنْهُمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥١] ، وقوله : ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة المتحنة آية : ١٣] ، يأمرهم بعداوتهم أن لا يناصحوهم .

التقى

أصل التقى : أن تجعل بينك وبين من تخافه حاجزا ، قال النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ فَكَلَّكَ وَانْتَقَتْنَا بِالْيَدِ

ثم كثر حتى قيل : توقيته ، إذا هبت الإقدام عليه ، ويقال : تقاه يتقيه ، واتقاه يتقيه وتوقاه يتوقاه ، والمتقي في أساء الدين : هو الذي يؤدي الفرائض ، ويحْتَبِ المحارم ، ويجعل ذلك بينه وبين النار جنة ، ولا يستحقه مطلقا إلا المستحق للثواب ، ويجري على غيره مقيدا ، وقال الشاعر يصف سيوفا :

جَلَّاهَا الصَّيْقِلُونَ فَأَخْلَصُوا جَعَانَا كَلَّهَا يُتَّقَى بِأَثَرِ

والأثر : والأثر ماء السيف وفرنده ، كأنها تجعل ذلك بينها وبين من يريد عيها ، والإقدام عليها حاجزا ، وذلك أنه إذا رأى أثرها لم يعيها ، أو ترك الإقدام على أصحابها . وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الخشية ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ١ ، الحج : ١ ، لقمان : ٣٣] ، أي : اخشوا عقابه ، واجعلوا الإيمان بينكم وبينه ، وقال : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٠٦] ، ومثله كثير .

الثاني : بمعنى العبادة ، قال الله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٦٥] ، أي : أفلا تعبدون ، وقال : ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٢] ، هكذا جاء في التفسير ، ويكون ذلك أيضا بمعنى الخشية ؛ لأنه إذا قال :

(١) (ت في ي) : رَجُلٌ تَقِيُّ أَيُّ زَكِيٍّ وَقَوْمٌ أَتَقِيَاءُ وَتَقِيٌّ يَقْتَضِي مِنْ بَابِ تَعَبٍ تَقَاءَ وَالتَّقَى جَمْعُهَا فِي تَقْدِيرِ رُطِيٍّ وَرُطَبٍ وَاتَّقَاهُ اتَّقَاهُ وَالْإِسْمُ التَّقْوَى وَأَصْلُ النَّاءِ وَأَوَّلُ لِكَيْتَهُمْ قَلْبُوا . [المصباح المنير : الناء مع القاف]

والفرق بين التقى والمتقى والمؤمن : أن الصفة بالتقى أمدح من الصفة بالمتقى لانه عدل عن الصفة الجارية على الفعل للمبالغة والمتقى أمدح من المؤمن لان المؤمن يطلق بظاهر الحال والمتقى لا يطلق إلا بعد الخبرة وهذا من جهة الشريعة والاول من جهة دلالة اللغة ، والايمان تقيض الكفر والفسق جميعا لانه لا يجوز أن يكون الفعل إيمانا فسقا كما لا يجوز أن يكون إيمانا كفرا إلا أن يقابل التقيض في اللفظ بين الايمان والكفر أظهر . [الفروق اللغوية : ١/ ١٣٧] .

أنا ريكتم ، فقد أخبر أنه القادر عليهم ، وإذا كان كذلك فينبغي أن يخشى عقابه ، ولا يعصى ، ويرغب في ثوابه ، فيعبد ويطاع .

الثالث : الإيمان . قال تعالى : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ [سورة نوح آية : ٣] ، أي : أن توحده ، ودليل ذلك قوله : ﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَآ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة النساء آية : ١٣١] ، ووضعه الكفر بإزاء التقوى دليل على أن المراد بالتقوى : الإيمان .

والرابع : الإخلاص ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [سورة الحج آية : ٣٢] .

والخامس : الانتهاء إلى المأمور به ، وترك تجاوزه ، قال : ﴿ وَآتُوا الْيُّوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، أي : انتهوا إلى أمره في ذلك ، ولا تتجاوزوه . وكل هذه الوجوه متقاربة ، يجوز قيام بعضها مقام بعض .

التمني^(١)

يقال : تمنى الرجل الشيء ، إذا قدر في نفسه بلوغه ، ومنه : منى الله لك كذا ، أي : قدره ، وقال الشاعر :

ما تمنى لك الأمانى

ومنيما من فلان بكذا ، أي : ابتلينا ، ولا يقال ذلك إلا في المكروه .

وسميت المنية منية ، لأنها مقدرة ، وقيل للمني مني ، لأن الولد مقدر منه ، والتمني : قول الرجل : يا ليتني كنت كذا .

والتمني في القرآن على وجهين :

(١) قال الجرجاني : التمني : طلب حصول الشيء سواء كان ممكناً أو ممتنعاً . [التعريفات : ٢١ / ١] .
الفرق بين التمني والارادة : أن التمني معنى في النفس يقع عند فوت فعل كان للمتمني في وقوعه نفع أو في زواله ضرر مستقبلاً كان ذلك الفعل أو ماضياً ، والارادة لا تتعلق إلا بالمستقبل ، ويجوز أن يتعلق التمني بما لا يصح يتعلق الارادة به أصلاً وهو أن يتمنى الإنسان أن الله لم يخلقه وأنه لم يفعل ما فعل أمس ولا يصح أن يريد ذلك ، وقال أبو علي رحمه الله : التمني هو قول القائل ليت الامر كذا فجعله قولاً وقال في موضع آخر التمني هو هذا القول وإضمار معناه في القلب ، وإلى هذا ذهب أبو بكر بن الاخشاد ، والتمني أيضاً التلاوة قال الله تعالى " إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته " .

وقال ابن الانباري : التمني التقدير قال ومنه قوله تعالى " من نطفة إذا تمنى " ، وتضمن كذب وروي أن بعضهم قال للشعبي : أهذا مما رويته أو مما تمنيت أي كذبت في روايته ، وأما التمني في قوله تعالى " فتمنوا الموت إن كنتم صادقين " فلا يكون إلا قولاً وهو أن يقول أحدهم ليت مات ، ومتى قال الإنسان ليت الآن كذا فهو عند أهل اللسان متمن غير اعتبارهم لضميره ويستحيل أن يتحداهم

بأن يتمنوا ذلك بقلوبهم مع علم الجميع بأن التحدي بالضمير لا يعجز أحداً ولا يدل على صحة مقالته ولا فسادها لأن التحدي بذلك يمكنه أن يقول تمنيت بقلبي فلا يمكن خصمه إقامة الدليل على كذبه ، ولو إنصرف ذلك إلى تمنى القلب دون العبارة باللسان لقالوا قد تمنينا ذلك بقلوبنا فكانوا مساوين له فيه وسقط بذلك دلالة على كذبهم وعلى صحة ثبوته فلما لم يقولوا ذلك علم أن التحدي وقع بالتمني لفظاً .

الفرق بين الشهوة والتمني : قيل التمني : معنى في القلب وليس هو من قبيل الشهوة ، ولا من قبيل الارادة ، لأن الارادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه . والشهوة لا تتعلق إلا بما مضى . والارادة والتمني قد يتعلقان بالماضي .

وقيل : الفرق بين التمني والارادة : أن الارادة من أفعال القلوب ، والتمني قول القائل : ليت كان كذا ولبت لم يكن ، ويؤيده أن أهل اللغة ذكروا التمني في أقسام الكلام . [الفروق اللغوية : ١ / ١٤٢ ، ٣٠٦]

الأول : هذا القول ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة الجمعة آية : ٦] ، وذلك أن اليهود قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فقال الله لهم : إن كنتم كذلك فتمنوا الموت لتموتوا ، فتصبروا إلى الثواب عاجلا ، ثم أخبر أنهم لا يتمنونوه أبدا بما قدمت أيديهم من الذنوب ، فكان هذا خبر غيب دالا على صدق الدعوة ، فلم يكن فيهم أحد يقول : إني تمنيت ولم أمت ، وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير .

والثاني : القراءة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [سورة الحج آية : ٥٢] ، يقال : تمنى الرجل إذا قرأ ، قال الشاعر :
تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرَهَا لَا فِي حِمَامِ الْمَقَادِيرِ

والرسول والنبي واحد ، وإنما أراد التوكيد فكرره كما تقول : أحب كل مؤمن ومسلم ، والمؤمن والمسلم سواء ، وعلى هذا فإن بين المؤمن والمسلم فرقا في العربة ، وكذلك بين الرسول والنبي ، وأما في أسماء الدين فكل ذلك سواء ، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا قرأ القرآن غلط الغلط الذي يجوز مثله على القارئ ، وكان الله ينهيه على الصواب ، فيرجع إليه ، فعاب ذلك عليه أعداؤه ، وليس فيه عيب ؛ لأن البشر لا يخلو من السهو والغلط ، وجعل الله تنبيهه إياه على الغلط نسخا له ، ورده إلى الصواب إحكاما لآياته .

وأما ما روي أنه صلى الله عليه وآله قرأ : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، تلك الغرائق العلى ، منها الشفاعة تترحمي ، ثم سجد ، وسجد المشركون ، وقالوا : قد رجع إلى دينكم ، فإن ذلك كذب ، لأن القارئ لا يغلط بمثل هذا ، ولا يجوز أن يقوله النبي صلى الله عليه وآله تعمدا ، لأنه كفر ، ولا يقع الكفر من الأنبياء .

وأخرى فإنه لا خلاف بين الرواة أنه صلى الله عليه وآله كان لا يمكنه الصلاة عند الكعبة ظاهرا ؛ لما كان المشركون ينالونه به من المكروه ، فكان يصلي عندها ليلا حين لا يطلع عليه أحد منهم ، فكيف سجدوا لقراءته ، وهذه حاله عندهم ، حتى كأنهم كانوا على ميعاد منه ؟ ! .

التوفي^(١)

أصل الوفاء : التمام وشيء واف : تام ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٠] ، أي : قوموا بأوامري على التمام أعطكم جزاء أعمالكم على التمام .

وتوفيت حقي ، واستوفيته ، إذا أخذته بتمامه ، ومعنى توفي الله الأنفس : قبضها عند تمام آجالها ، وقد وفيت الرجل حقه ، وأوفيت له ، إذا تمت عهده ، وخلافه : الغدر ، وهو أن تترك الوفاء به ، وأصل الغدر : الترك ، يقال : غادر الشيء ، وأغدره ، إذا تركه .

والتوفي في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الإثابة ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٠] كأنه يقبض العقل والذهن الذي تميز به الأشياء .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٧] وروى عن الحسن ؛ أنه قال : التوفي هاهنا : رفعه إلى السماء .

ومثله قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٥٥] أي : آخذك من بين بني إسرائيل ، ورافعك إلى السماء حيث لا ينفذ إلا حكمي ، ولا يريد أن الله في السماء ، وشبه رفعه إلى السماء بالموت ؛ لأنه يفقد عند الرفع كي يفقد عند الموت ، وقيل : الرفع هنا رفع المنزلة .

الثالث : قبض الروح ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَرِينَاكَ بِعِصٍّ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ ﴾ [سورة غافر آية : ٧٧] ، وقال : ﴿ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [سورة السجدة آية : ١١] ، وقال : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [سورة النحل آية : ٢٨ ، ٣٢] يعني : أنهم يقبضون أرواحهم .

(١) (وف ي) : وَفَّيْتُ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ أَفِي بِهِ وَفَاءً وَالْفَاعِلُ وَفَى وَالْجَمْعُ أَوْفَاءُ بِمِثْلِ صَدِيقٍ وَأَصْدِقَاءَ وَأَوْفَيْتُ بِهِ إِيْفَاءً وَقَدْ جَمَعَهُمَا الشَّاعِرُ فَقَالَ أَمَّا ابْنُ طَلُوقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النُّجْمِ حَادِيَةً .
وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَوْفَى نَذَرَهُ أَحْسَنَ الْإِيْفَاءِ فَجَعَلَ الرَّبَاعِيَّ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَقَالَ الْقَارَاطِيُّ أَيْضًا أَوْفَيْتُهُ حَقَّهُ وَوَفَّيْتُهُ إِيَّاهُ بِالتَّغْيِيلِ وَأَوْفَى بِمَا قَالَ وَوَفَى بِمَعْنَى وَأَوْفَى عَلَى الشَّيْءِ أَشْرَفَ عَلَيْهِ . [المصباح المنير : الواو مع الفاء]

التسبيح

أصله : التنزيه من السوء على جهة التعظيم .

ولا يجوز أن يسبح غير الله ؛ لأنه صار علما في الدين على مراتب التعظيم ، وذلك لا يستحقه إلا الله الذي لا يعجزه شيء .

(١) السين والباء والحاء أصلان : أحدهما جنس من العبادة ، والآخر جنس من السعي .
فالأول السُّبُحَة ، وهي الصَّلَاة ، ويختص بذلك ما كان نفلا غير فرضي .
يقول الفقهاء : يجمع المسافر بين الصَّلَاتين ولا يُسَبِّحُ بينهما ، أي لا يتنفل بينهما بصلاة .
ومن الباب التَّسْبِيحُ ، وهو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء .
والتَّنْزِيه : التبديد . والعرب تقول : سبحان من كذا ، أي ما أبعد .
قال الأعشى :

أقول لما جاء في فخْرُهُ *** سُبحَان من علقمة الفاخر
وقال قوم : تأويله عجباً له إذا يفخر . وهذا قريب من ذاك لأنه تبعيد له من الفخر . وفي صفات الله جل وعز :
سُبُّوح .

واشتقاقه من الذي ذكرناه أنه تنزّه من كل شيء لا ينبغي له . والسُّبُحات الذي جاء في الحديث : " جلال الله جل ثناؤه وعظمته " .

والأصل الآخر السَّبْحُ والسَّباحة : العوم في الماء . والتابع من الخيل : الحسن مدّ اليدين في الجزري . قال :

فوليت عنه يرقي بك سابع *** وقد قابلت أذنيه منك الأخادع

يقول : إنك كنت تلتفت تخاف الطعن ، فصار أخذك بحذاء أذن فريك .
والتَّسْبِيحُ التَّغْدِيسُ والتَّنْزِيهُ يُقَالُ سَبَّحْتُ اللَّهَ أَي تَزَهَّيْتُ عَنْهُ يَقُولُ الْجَاهِلُونَ وَيَكُونُ بِمَعْنَى الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ .
يُقَالُ فَلَانٌ يُسَبِّحُ اللَّهَ أَي يَذْكُرُهُ بِأَسْمَائِهِ نَحْوُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَهُوَ يُسَبِّحُ أَي يُصَلِّي السُّبُحَةَ فَرِيضَةً كَانَتْ أَوْ نَافِلَةً وَيُسَبِّحُ عَلَى رَاحِلَتِهِ أَي يُصَلِّي النَّافِلَةَ وَسُبُحَةُ الضُّحَى .

وَمِنْهُ ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ أَي مِنَ الْمُصَلِّينَ وَسُمِّيَتِ الصَّلَاةُ ذِكْرًا لِاسْتِغْنَائِهَا عَنْ بَقِيَّةِ .

وَمِنْهُ ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ أَي اذْكُرُوا اللَّهَ .

وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّحْمِيدِ نَحْوُ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ﴾ وَسُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ أَي الْحَمْدُ لِلَّهِ .

وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ وَالتَّعْظِيمِ لِمَا اشْتَمَلَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ نَحْوُ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ إِذْ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ مِنَ الْفِعْلِ الَّذِي خَصَّ عَبْدَهُ بِهِ وَمَعْنَى التَّعْظِيمِ بِكَمَالِ قُدْرَتِهِ .

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (أَي لَوْلَا تَسْتَشْنُونَ قِيلَ كَانَ اسْتِغْنَائُهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ .

وَقِيلَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ لِأَنَّهُ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى . ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والمصباح المنير (س ب ح) .

وسبحان الله : تنزيه له عما لا يليق به ، ونصبه على مذهب المصدر ؛ كأنك قلت : تسبيحا له .

وسبحان : معرفة وعلم خاص ؛ فإن نونه شاعر فللضرورة ، وقوله تعالى : ﴿ إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا ﴾ [سورة آية المزمل : ٧] أي : فراغا كبيرا للنوم ، وقد أوجب الله على العباد أن يسبحوه ويقدموه ، وفي ذلك أوضح الدلالة على أنه لا يجوز إضافة الفواحش إليه .
والتسبيح في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [سورة الروم ، الأنبياء : ١٧ ، ٢٢] ، والسبحة : صلاة التطوع ، وقوله : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٣] أي : المصلين .

(١) قال الشوكاني في فتح القدير : والقاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، أي : فإذا علمتم ذلك فسبحوا الله ، أي نزوه عما لا يليق به في وقت الصباح والمساء وفي العشي ، وفي وقت الظهيرة . وقيل : المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس . فقوله : ﴿ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ : صلاة المغرب والعشاء ، وقوله : ﴿ وَحِينَ تُمْسُونَ ﴾ : صلاة الفجر ، وقوله : ﴿ وَعِشَاء ﴾ : صلاة العصر ، وقوله : ﴿ وَحِينَ تَظْهَرُونَ ﴾ : صلاة الظهر ، وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وغيرهما . قال الواحدي : قال المفسرون : إن معنى ﴿ فسبحان الله ﴾ : فصلوا الله . قال النحاس : أهل التفسير على أن هذه الآية في الصلوات قال : وسمعت محمد بن يزيد يقول : حقيقته عندي : فسبحوا الله في الصلوات ؛ لأن التسبيح يكون في الصلاة . وجملة : ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ معترضة مسوقة للإرشاد إلى الحمد ، والإيدان بمشروعية الجمع بينه وبين التسبيح كما في قوله سبحانه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [الحجر : ٩٨] وقوله : ﴿ وَتَعَزَّزْ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] وقيل : معنى ﴿ وله الحمد ﴾ أي الاختصاص له بالصلاة التي يقرأ فيها الحمد ، والأول أولى . وقرأ عكرمة : « حيناً تمسبون وحيناً تصبحون » ، والمعنى : حيناً تمسبون فيه ، وحيناً تصبحون فيه . والعشي : من صلاة المغرب إلى العتمة . قاله الجوهري ، وقال قوم : هو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر ، ومنه قول الشاعر :

غدونا غداة سحرا بليل ... عشا بعد ما انتصف النهار

وقوله : ﴿ عِشَاء ﴾ معطوف على حين ﴿ وفي السماوات ﴾ متعلق بنفس الحمد ، أي الحمد له يكون في السماوات والأرض ﴿ يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ كالإنسان من النطفة والطير من البيضة ﴿ وَيَخْرُجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ ﴾ كالنطفة والبيضة من الحيوان . وقد سبق بيان هذا في سورة آل عمران . وقيل : ووجه تعلق هذه الآية بالنبي قبلها أن الإنسان عند الصباح يخرج من شبه الموت وهو النوم إلى شبه الوجود وهو اليقظة ، وعند العشاء يخرج من اليقظة إلى النوم ﴿ وَيَخْرُجُ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي يحييها بالنبات بعد موتها بالياس ، وهو

الثاني : ظهور أثر الصنعة والخلق ، وهو قوله : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤٤] يعني : ما ظهر فيها من آثار الصنع الدال على التوحيد .

والثالث : الاستثناء ، وهو قوله : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [سورة القلم آية : ٢٨] أي : تستنون ، وهو قول : إن شاء الله ، وإنما قيل للاستثناء : تسبيح ؛ لأنه تعظيم ، كما أن قول " سبحان الله " تعظيم له ، وكانوا قالوا : قال : ﴿ لَيَبْصِرُهَا مُصْبِحِينَ ﴾ [سورة القلم آية : ١٧] ، ولم يقولوا : إن شاء الله ، وفسر أيضاً على ظاهره ؛ فقيل : لولا تسبحون الله وتقديسونه وتعطون حقوق المساكين .

شبه بإخراج الحي من الميت ﴿ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴾ أي ومثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم . قرأ الجمهور : ﴿ تخرجون ﴾ على البناء للمفعول . وقرأ حمزة والكسائي على البناء للفاعل ، فأسند الخروج إليهم كقوله : ﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ [المعارج : ٤٣] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ أي من آياته الباهرة الدالة على البعث أن خلقكم ، أي خلق أبائكم آدم من تراب ، وخلقكم في ضمن خلقه ؛ لأن الفرع مستمد من الأصل وماخوذ منه ، وقد مضى تفسير هذا في الأنعام ، و " أن " في موضع رفع بالابتداء ، و ﴿ مِنْ آيَاتِهِ ﴾ خبره ﴿ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴾ " إذا " هي الفجائية ، أي ثم فاجأتكم بعد ذلك وقت كونكم بشراً تنشرون في الأرض .

الباب الرابع

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ثاء

الثواء^(١)

الثواء : الإقامة ، يقال : ثوى بالمكان ، وأثوى : لغتان فصيحتان ، قال الحارث بن حلزة :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

ويتصرف هذا الحرف في القرآن على أوجه :

الأول : ﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ [سورة القصص آية : ٤٥] أي : لم تكن مقبلاً فيهم ، فتعلم من أخبارهم ما تخبر به ، وإنما هو وحي ، وإن كان " مدين " عربياً فاستقامة من قولهم : مدن بالمكان إذا أقام به ، والياء فيه زائدة ، والذي أظن : أنه أعجمي الأصل .

الثاني : الثوى بمعنى المأوى ، قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ١٩] ، وقوله : ﴿ فَالنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ ﴾ [سورة فصلت آية : ٢٤] وهو قريب من الأول ؛ بل هو فيه بعينه لأن الثوى : مفعول من ثوى ، وقيل للمنزل والمسكن : مَثْوَى ؛ لأن صاحبه يقيم فيه .

(١) الثَّوَاءُ : طَوَّلَ الإِقَامَةَ ، ثَوَى يَثْوِي . وَالْمَقْبُورُ يُقَالُ : ثَوَى .
والمَثْوَى : الْمَوْضِعُ . وَأَتَرَكْنِي فَاتَّوَانِي ثَوَاءً حَسَنًا . وَالثَّيَّةُ : الثَّوَاءُ بِمَثْوَلَةِ الْعَلْبَةِ ، وَكَذَلِكَ الثَّوَانِيَّةُ .
وَأَكْرَمِي مَثْوَاهُ : أَيِ مَقَامِهِ . وَرُبَّ الْيَتِّ : أَبُو مَثْوَايَ ، وَأُمْتُ مَثْوَايَ : لِلرَّيَّةِ .
وَالثَّوِيَّةُ : امْرَأَةُ الرَّجُلِ الَّتِي يَثْوِي إِلَيْهَا .
وَالثَّوِي : الْيَتُّ فِي جَوْفِ الْيَتِّ . وَقِيلَ : الْيَتُّ الْمُهَيَّأُ لِلضَّيْفِ . وَقِيلَ : الضَّيْفُ نَفْسُهُ .
وَالثَّوِيَّةُ : مَوْضِعٌ إِلَى جَانِبِ الْكُوفَةِ .
وَنَائِيَةُ الْجَزُورِ : مَنَحَرُهَا . وَقِيلَ : هُوَ الْيَتُّ الَّذِي يُؤَلَّدُ فِيهِ الْغَنَمُ وَيَجْمَعُ فِيهِ الْبَهْمُ . وَقِيلَ : الْمَحَلَّةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا مَتَاعُ السَّفَرِ وَالصَّبَاذُونَ يَأْوُونَهَا . وَقِيلَ : الْمَثْوَى الْحَيِّثُ ، وَمِنْ ثَائِيَةِ الضَّبِّ ، وَيَقُولُونَ : قَبَّحَ اللَّهُ ثَائِيَتَكَ .
[المعيط في اللغة : ٢ / ٤٢٥]

الثالث : المنزلة ، قال : ﴿ أَحْسَنَ مَثَوَايَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٣] أي : أهل منزلتني ، ولو أوردنا هذين الحرفين في باب الميم جاز ، وأم المثوى : المرأة التي يتزل بها وبأهلها الضيف ، وأبو المثوى : الرجل ، وتقول : من أم مثواك الليلة ، ومن أبو مثواك ؟ .

الباب الخامس

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جيم

الجبار

أصل الكلمة : الإصلاح ، جبر العظم^(١) ؛ إذا أصلحه وجبر هو ، ثم استعمل في الامتناع ، قليل : نخلة جبارة ؛ إذا امتنعت فقات الأيدي ، وهو راجع إلى الأصل ؛ لأنها إذا فأت اليد صلحت ثمرتها ولم تشعث ، والجبيرة : الدملاج ، وكذلك الجبارة ؛ لأنه يصلح ويسوى ، والجبارة أيضا ، والجمع : الجبار : الخشب الذي يشد على العضو المكسور ، وأجبرت الرجل على الأمر ؛ إذا أكرهته عليه ؛ لأنك تريد بإجبارك إياه إصلاحه ، وإصلاح نفسك - جبار يرجع إلى ذلك .

والجبار^(٢) في أسماء الله - عز وجل - بمعنى أنه لا يتال بالأذى ، وبمعنى الكبرياء والعظمة ، وقال واصل بن عطاء : الجبار في صفات الله تعالى بمعنى أنه يجبر فاقة العبد . وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : القهار ، قال الله تعالى : ﴿ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ ﴾ [سورة الحشر آية : ٢٣] يعني : القهار لخلقها بما أراد ، وقال : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ [سورة ق آية : ٤٥] أي : بمسلط تقهرهم على الإيمان ؛ إنما أنت مذكر ، ويموز أن يكون معناه : إنك لست بمتكبر تياه ، كما قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَّ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم آية : ٤] .

(١) (ج ب ر) : جَبَرْتُ الْعَظْمَ جَبْرًا مِنْ بَابِ قَتَلَ أَصْلَحْتُهُ فَجَبَرْتُ هُوَ جَبْرًا أَيْضًا وَجَبْرًا صَلَحَ يُسْتَعْمَلُ لَازِمًا وَمُعْتَدِيًا وَجَبَرْتُ النِّجْمَ أَغْلَيْتُهُ وَجَبَرْتُ الْيَدَ وَصَعْتُ عَلَيْهَا الْجَبِيرَةَ وَالْجَبِيرَةُ عِظَامٌ تُوَضَعُ عَلَى الْمَوْضِعِ الْعَلِيلِ مِنَ الْجَسَدِ يَنْجَبِرُ بِهَا وَالْجَبَارَةُ بِالْكَسْرِ مِثْلُهُ وَالْجَمْعُ الْجَبَائِرُ . [المصباح المنير : الجيم مع الباء]

(٢) أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنا أبو منصور النضروي ، ثنا أحمد بن نجدة ، ثنا سعيد بن منصور ، ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : « إنما يسمى الجبار لأنه يجبر الخلق على ما أراد » [الأسماء والصفات للبيهقي : الحديث رقم (٤٧)]

الثاني : المتغلب الجابر ، قال الله : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٣٠] أي : متغلبين جبارين ، وقال : ﴿ إِنْ تُرِيدُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة القصص آية : ١٩] وقال بعض أهل التفسير : المراد بالجبار في هذه المواضع : القتال ، والبطش : الأخذ بالغلبة والشدة .

الثالث : المتكبر قال : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيًّا ﴾ [سورة مريم آية : ٣٢] جاء في التفسير أنه عنى المتكبر عن عبادة ربه .

والرابع : العظيم الخلق القوي ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٢] جاء في التفسير : إنه عنى العظام الأجساد الطوال الأقوياء ، زعموا أنه لا يقاومونهم ، وقيل : إنه أراد الممتنعين الغلابين العتاة ، وهذا أصح ؛ لقوله : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٣] كأنهم قالوا : إن فيها قوما من عادتهم غلب أعدائهم ، فقليل لهم : اذهبوا إليهم فإنكم تغلبونهم ، وأعمل إن في القوم وجعل الجبارين من صفتهم ؛ لأن فيها ليس باسم .

قال : ومثله : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَارٍ ﴾ [سورة غافر آية : ٣٥] ، والجبار هاهنا والمتكبر سواء ، وإنما كرر للتوكيد ، ولا يجوز أن يقال أنه يعني : بـ"الجبار" هاهنا : القتال والغلاب ؛ لأن القتل والغلبة لا يضافان إلى القلب ويضاف إليه الكبر ، ويجوز أن تكون هذه الوجوه كلها بمعنى واحد وهو التكبر ، وإنما أوردتها على ما جاء في التفسير .

الجعل^(١)

يقال : جعلت بمعنى أنشأت ولا يتجاوز مفعولا ، ومنه : جعل الله الناس ، وجعل الأرض ، وجعلت أيضا بمنزلة نقلت ، كقولك : جعلت الطين أجرا ، وجعلت الفضة خاتما ، وجعلت بمنزلة ظننت ، تقول : اجعل الأمين خادما وكلمه ؛ أي : ظنه خادما ، وجعلت بمنزلة سميت ، قال : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٩] ، ويقال أيضا : جعلت القرية عن يميني .

والفرق بين الجعل والفعل ؛ أن جعل الشيء يكون بإحداث غيره فيه ، كجعلك الطين خزفا ، وفعل الشيء إحداثه لا غير .

وقال بعضهم : جد الجعل الفعل ولا بد لكل جعل من تعلق بمجعول ومفعول ، أما نفس الشيء الواقع عليه ظاهر اللفظ ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾ [سورة الملك ، النحل ، السجدة : ٢٣ ، ٧٨ ، ٩] أي : خلقهما ، وأما اسمه ووصفه ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾ أي : جعلوا اسمهم اسم الإناث ووصفهم ، وفعلوا ذلك ، وأما حكمه ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُم سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٩] أي : جعلتم حكم هذا كحكم هذا ، وكقولك : جعل الله هذا حلالا وهذا حراما ؛ أي : جعل حكمه حكم ذلك ، وأما علته لما كان المجعول على صفته ؛ كقولك : جعلت المتحرك متحركا ؛ أي : فعلت العلة .

(١) [جعل] : جَعَلَ : بمعنى صَنَعَ ؛ إلا أنه أعم ، يُقال : جَعَلَ يَفْعَلُ كذا ، ولا يُقال صَنَعَ ولا يَصْنَعُ . والجِعَالَةُ والجِعْلَةُ : واحد . وقد جَعَلْتُ له الجُعْلَ . وهو يُجَاعِلُهُ : أي يَرْشُوهُ . وأَجَعَلْتُ لفلانٍ إجمَعَالاً : من الجُعْلِ . والجِعَالُ والجِعَالَةُ : ما يُتْرَلُ به القُدْرُ من خِرْقَةٍ أو غيرها ، وقد أَجَعَلْتُهَا : أَتْرَلْتُهَا به .

وَجِعَالُ الْفَهْمِيِّ : شاعِر . وَكَلْبَةٌ جُعْلٌ : أَرَادَتْ السَّفَادَ . وَمَاءٌ جُعْلٌ وَجُعُولٌ : مَاتَتْ فِيهِ الْجِعْلَانُ ، وَالوَاحِدُ جُعْلٌ : وهي دَابَّةٌ . وَرَجُلٌ جُعْلٌ : لَجُوجٌ . وقد يُقال ذلك لسواوه تشبيهاً بالدابة . وفي مثل : " سَمِكَ به جَعْلُهُ " : أي لَزَقَ به مَنْ يَكْرَهُهُ . والجُعْلُ - واحده جُعْلَةٌ - : النُخْلُ القَصِيرَةُ الصَّغَارُ . [المحيط في اللغة : جعل]

وأما قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٧٣] فمعناه سميناهم بذلك ، ومثله : جعلت فلانا لصا ، وقوله تعالى : ﴿ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ [سورة الفرقان آية : الأنعام : ٣١ ، ١١٢] أي : وصفناهم بهذا الوصف بعد أن عادوا الأنبياء ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٧] أراد الخبر بما في قلوبهم من ذلك ووصفه ؛ فالمجمول هو الخبر ويكون بمعنى اللطف ، وقوله : ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠٠] أي : خلقها ، ويجوز أن يكون مكن يوسف عليه السلام فظهر صدق رؤياه ؛ فالمجمول نفس الرؤيا في الأول وفي الثاني للدلالة على صحته .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [سورة القصص آية : ٤] أي : فرقا ، والجعل راجع إلى ما به كانوا فرقا ؛ وهو الفعل الذي فرق بينهم ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا ﴾ [سورة القصص آية : ٣٥] أي : حجة ؛ وهو قلب الفصاحة .

وقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٠] هؤلاء قوم آمنوا فلحقهم أذى من الكفار وهزوا فكفروا ، وكان يجب أن يدعوا الكفر خوفا من عذاب الله وتركوا الإيمان خوفا من عذاب الناس ؛ فأبدلوا حكم عذاب الناس حكم عذاب الله ؛ فالحكم هو المجمعول ، وقال : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٩١] فالمجمول فعل ما صارت به آية ، وقال : ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٩] أي عبرة ، وفعل ما صار به المسيح عبرة هو المجمعول .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [سورة القصص آية : ٥] فأمره بالافتداء بهم هو المجمعول ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبِّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة هود آية : ١١٨] أي : بالإجبار .

والجعل بعد ذلك في القرآن على ستة أوجه فيما ذكره بعض المفسرين :

الأول : التسمية ؛ قال : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانًا ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٩] ، وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [سورة المائدة آية : ١٣] أي : سميناهم قاسية .

الثاني : بمعنى التخلية ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٥] أي : يخلي بينه وبين ما يخرج به صدره من الكفر ؛ لأن مع الإيمان ثلج الصدور ، وليس ذلك مع الكفر .

وأما الطبع والختم واللعن والأكنة والوقر والعمى والصمم والبكم والرجس ونحو ذلك فإنه ذم وليس بمن ذكره إلا بعد ذكر المعصية ولزمهم هذه الأسماء جزاءا لذنوبهم ، ويجوز أن يكون تسميته إياهم بهذه الأسماء على جهة التمثيل ؛ لأننا نعلم أنه ليس على بصر الكافر غشاوة .

الثالث : منع الإلطاف ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤٥] أي : تمنعه أطفافنا فيعرض عن القرآن ولا يستفح به ؛ فكأننا جعلنا بينه وبينه حجابا ، ولو علم أن أطفافه تنفعه ما منعه إياها ولكنها لا تنفعه فهو بمنزلة من لا أطفاف له ولو كان الطبع والختم وما بسبيلهما منعا لهم عن الإيمان لما قال : ﴿ وَأَنْتَبِهُوا إِلَى رَبِّكُمْ ﴾ [سورة الزمر آية : ٥٤] .

الرابع : بمعنى الوصف ؛ قال : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] و : ﴿ الْجِنِّ ﴾ هاهنا الملائكة سمووا بذلك لاستتارهم عن الأبصار ، وأصل الجن والجنة ، والجنة والجنون الستر ، أي : وصفوا الملائكة بأنهم شركاء الله ، ونحوه قول الرجل لمن يصفه باللصوصية : جعلتني لصا ، أي : وصفتني بذلك ، ونحوه قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٥] ، قال بعض أهل اللغة : الجزء هاهنا بمعنى الإناث ، يقال : أجزئت المرأة إذا ولدت أنثى ، وأنشد :

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْمًا فَلَا عَجَبَ وَقَدْ تَحْزِي الْحُرَّةُ الْمَذْكَارَ أَحْيَانًا

ويجوز أن يكون الجن في قوله تعالى : ﴿ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] . الجن المعروف .

وكان بعض العرب يذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، فرد الله ذلك بهذا القوم وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير .

الخامس : الخلق ، قال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣] ، أي : خلقناه كذلك ، وأحدثناه ومثله : ﴿ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [سورة النمل آية : ٦١] ، أي : خلقها صلبة يمكن الاستقرار عليها ، ومثله : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] ، أي : خلقه من غير ذكر ، فصار عبرة وعلامة .

السادس : الحكم ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾^(١) [سورة الأنعام آية : ١٣٦] ، أي : حكموا بذلك .

والمراد أنهم حكموا بأن الله نصيبا في زروعهم ومواشيهم ولأصنامهم نصيبا فيها ، وسهامهم شركائهم ؛ لأنهم جعلوا بعض أموالهم لها ، ثم كانوا يصرفون عما جعلوه لله إلى أوثانهم فينفقونه عليها ولا يصرفون ما جعلوه لأوثانهم إلى ما يتقربون به إلى الله ، وقيل الأنعام هاهنا البحيرة والسائبة .

فأما قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الفرقان آية : ٣١] ، فمعناه أنه جعل نبيه عدوا له ؛ لأنه فرض عليه محاربتهم ومناصبتهم ، فإذا جعل النبي عدوا لهم ، فقد جعلهم عدوا له ، وليس معنى ذلك أنه أمره بعداوته وأرادها منهم أو خلقها فيهم لأنه لو فعل ذلك لم يذمهم عليه ، وقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْدِيكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٤] ، أي : لا تجعلوا القسم بالله عرضة لإيائكم فتكثروا الحلف ، وكذلك :

(١) قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام لربهم (عما ذرأ) خالقهم ، يعني : مما خلق من الحرث والأنعام . يقال منه : "ذرأ الله الخلق ينزروهم ذرءا ، وذرؤا" ، إذا خلّقهم .
"نصيبا" ، يعني قسما وجزءا .

ثم اختلف أهل التأويل في صفة النصيب الذي جعلوا لله ، والذي جعلوه لشركائهم من الأوثان والشيطان . فقال بعضهم : كان ذلك جزءا من حُرُوثهم وأنعامهم يُفَرِّزُونَهُ لَهَا ، وجزءا آخر لهذا . وقال آخرون : "النصيب" الذي كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه إلى شركائهم : أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسموا الآلهة ، وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه . [جامع البيان :

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [سورة النحل آية : ٩١] ، أي : ضمتموه ثوابكم على
الوفاء بآيائكم فلا تنقضوها .

الجنّاح

أصله الميل ، ومنه قيل : جنحت السفينة ، أي : مالت ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦١] ، وسمي الإثم جناحا ، لأنه ميل إلى هوى النفس ، وجنح الليل حين يميل ، وقيل : حين تميل الشمس للمغيب ، ومنه جناح الطائر ، لأنها في جانبيه ما يلين عن سواء جنبك .

والجنّاح في القرآن على وجهين :

الأول : الإثم ، قال الله : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٥] ، أي : لا إثم عليكم في التعريض للمرأة المعتدة ترغون في نكاحها ، إذا خرجت من العدة ، فأما التصريح بذلك ، فهو إثم .

الثاني : الضرر ، هو قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوتَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : إذا تبايعتم بالنقد فلا ضرر عليكم في ترك الكتاب والإشهاد ، فإن قيل أن قوله : لا جناح عليكم في ترك ذلك في الحاضر ، دليل على أن عليه جناح في تركه في النساء ، قلنا : أراد بالجناح الضرر على ما ذكرنا ، ولم يرد الإثم ، ولو أراد الإثم لكان قوله : ﴿ فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٣] ، رخصة في تركه .

(١) (ج ن ح) : (جَنَحَ) جُنُوحًا مَالَ وَاجْتَنَحَ مِثْلُهُ وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ (وَفِي حَدِيثٍ) عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَاءَ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ (اجْتَنَحَ) بَلَنَّهُ أَمَّا مَالٌ إِلَى الْأَرْضِ مُعْتَمِدًا يَكْفِيهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ صَغِيرِهِ (وَعَنْ) أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالتَّجَنُّحِ فِي الصَّلَاةِ فَشَكَا نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضَّنْفَ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْتَعِبُوا بِالرُّكْبِ ﴾ قِيلَ التَّجَنُّحُ وَالْإِجْتِنَاحُ هُوَ أَنْ يَتَعَمَدَ عَلَى رَاخَتَيْهِ فِي السُّجُودِ مُجَافًا لِيَنْزَاعِيَهُ غَيْرَ مُفْتَرِشِيهَا . [المغرب : الجيم مع النون]

الجهاد

الجهاد اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية ، وهو قتال المشركين خاصة^(١) .

وأصله من الجهد ، وهو است فراغ الطاقة في الأمر ، وهو جهد وجهد لغتان ، ويقال :
الجهد الطاقة نفسها ، وبلغ الرجل جهده ومجهوده ، إذا بلغ أقصى قوته .

والأرض الجهاد اليابسة لأن الرجل لا يحفرها إلا إذا بلغ مجهوده ، والمجهود والجهد
سواء ، مثل : العقل والمعقول .

وجاهدت العدو إذا استفرغت قوتك في دفعه ، والمفاعلة تكون من اثنين إلا في حرف
جاءت نواذر منها طالبت الحاجة ، وحاولت الشيء ، وسافرت في الأرض .

والجهاد في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الجهاد بالقول ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [سورة
الفرقان آية : ٥٢] ، وهذه الآية مكية نزلت قبل الأمر بالكتاب .

وهذا دليل على أنه أراد بها الجهاد بالقول ، فيها دلالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر يلزم على حسب الطاقة ، يقول : ﴿ فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ [سورة
الفرقان آية : ٥٢] ، أي : تترك طاعتك لهم فيما يريدونه من مقاربتك إياهم جهادا كبيرا .

والجهاد هو بذل المجهود في الشيء ، وترك التقصير فيه ، : ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ [سورة
الفرقان آية : ٥٢] ، أي : بالقرآن الذي افتتح به أول السورة ، والأول أجود .

(١) (ج مد) : (جَهْدُهُ) حَمْلُهُ قَوْقَ طَاقِيهِ مِنْ بَابِ مَنَعَ (وَمِنْهُ) قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمُؤَدِّينَ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ وَقَوْلُ سَعْدٍ أَوْ رَجُلٍ يُجَاهِدُ أَنْ يَحْمِلَ سِلَاحَهُ مِنَ الضَّغْبِ عَلَى حَذْفِ الْمُفْعُولِ وَتَقْدِيرُهُ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ أَيْ يَكْلِفُهَا مَشَقَّةَ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ وَأَجْهَدُ لَفَةً قَلِيلَةً وَالْجُهْدُ وَالْجُهْدُ الْمَشَقَّةُ وَرَجُلٌ مَجْهُودٌ ذُو جَهْدٍ وَاجْتَهَدَ رَأْيُهُ وَالْجِهَادُ مَضَدُّ جَاهَدْتُ الْعَدُوَّ إِذَا قَابَلْتُهُ فِي تَحْمِيلِ الْجُهْدِ أَوْ بَدَلُ كُلِّ مَنَكَبًا جُهْدُهُ أَيْ طَاقَتُهُ فِي دَفْعِ صَاحِبِهِ ثُمَّ غَلَبَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ وَنَحْوِهِ . [المغرب : الجيم مع الهاء]

(٢) قال الجرجاني : الجهاد : هو الدعاء إلى الدين الحق . [التعريفات : ٢٦ / ١]

الثاني : الجهاد بالسلح ، قال الله تعالى : ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ [سورة التحريم آية : ٩] ، وقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٩٥] ، ثم قال : ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ ﴾ [سورة النساء آية : ٩٥] كذا قال مقاتل .

وهو غلط ؛ لأن المنافق لا يقاتل ولا يقتل ، لأنه إذا أظهر الإسلام حقن دمه ، وإنما المراد أن جاهد الكفار بالسلح والمنافقين بالغلظة عليهم والتكثير لهم ، وقيل : جاهدكم بإقامة الحدود عليهم ، وكانوا هم الذين تصيوتها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ما كانوا عليه في الجاهلية .

الثالث : الاجتهاد في العمل ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦] ، أي : من يعمل الخير مجتهدا فإنما يعمل لنفسه ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٩] ، أي : عملوا لنا : ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٩] ، أي : يزيدهم إلفا ويزدادون معها من الطاعة فعملوا درجاتهم ، وقال : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [سورة الحج آية : ٧٨] ، أي : اعملوا لله حق العمل ، هكذا فسر هذه الآيات ويجوز أن تكون بمعنى جهاد المشركين .

الجدال^(١)

أصله من الجدل ، وهو الفتل ، يقال : جدلت الحبل جدلا إذا فتلته ، وهو مجدول ، وأصل الكلمة من القوة ، ثم سميت الأرض جداله لقوتها ، وسمي الجدال جدالا لأنك تقوم به حق القيام ، لتقوي مذهبك ، كما أن الحبل يجدل القول ، والأجدل الصقر ، وسمي بذلك لقوته ، ويجوز أن يقال : الجدال هو أن تقتل الخصم عن مذهبه بحجة أو شبهة أو شغب ، ويفتلك عن مذهبك بمثل ذلك .

والجدال في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الخصومة ، قال : ﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد آية : ١٣] ، أي : يخاصمون ، وقال : ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ [سورة غافر آية : ٥] .

الثاني : السؤال ، قال الله : ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [سورة هود آية : ٧٤] ، أي : تسأل رسلنا ويستثبت أمر ما يعذب به قوم لوط ، وقال أبو علي : جادلهم بما استحقوا عذاب الاستئصال ، وهل ذلك واقع بهم لا محالة ، أم هم إخافة ليقبلوا إلى الطاعة ، وهذا يقوي ما تقدم من أنه سؤال .

الثالث : المناظرة على إثبات الحق وإبطال الباطل ، قال تعالى : ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُثِرَتْ جِدَالُنَا ﴾ [سورة هود آية : ٣٢] ، وفي هذا دليل على أن الجدال لإقامة الحجة حسن ، وأنه يقوم به الحجة ولولا ذلك لم يجادل نوح عليه السلام .

وقد يكون المناظران محقين بأن يكون كل واحد منهما يناظر ليعرف الحق ، ولا يكونان متجادلين إلا وأحدهما مبطل أو كلاهما ؛ لأن الجدال هو قتل الخصم عن مذهبه ، وقتل الحق عن الحق باطل ، قال الله تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٨] ،

(١) (ج د ل) : جَدِلَ الرَّجُلُ جَدَلًا فَهُوَ جَدِلٌ مِنْ بَابِ تَعَبٍ إِذَا اشْتَدَّتْ خُصُومَتُهُ وَجَادَلَ مُجَادَلَةً وَجَدَلًا إِذَا خَاصَمَ بِمَا يَشْغُلُ عَنْ ظَهْوَرِ الْحَقِّ وَوُضُوحِ الصَّوَابِ هَذَا أَصْلُهُ ثُمَّ اسْتُعْمِلَ عَلَى لِسَانِ حَمَلَةِ الشَّرْعِ فِي مُقَابَلَةِ الْأَدْلَى لِظَهْوَرِ أَرْجَحِيَّتِهَا وَهُوَ عَمُودٌ إِنْ كَانَ لِلْوُتُوفِ عَلَى الْحَقِّ وَإِلَّا فَمُتْمَرٌ وَيُقَالُ أَوَّلَ مَنْ دَوَّنَ الْجَدَلَ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبْرِيُّ . [المصباح المنير : الجيم مع الدال]

١٦٨ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جيم

وقد عاب الله تعالى من جادل في آياته بقوله : ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ [سورة غافر آية : ٣٥] ، لأن الجدل بها هو الصحيح ، والجدال فيها رد ودفع .

الرابع : المراء ، قال الله : ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٧] ، فنهى عن المراء الواقع بين المترافقين في طريق الحج ، لأن لا يؤديها ذلك إن فعلاه إلى قول ما لا ينبغي تعظيماً لأمر الحج .

وقيل معناه : أن الحج قد تبين وجوهه فلا ينسى ولا يشك فيه ، ونحوه : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة غافر آية : ٤] أي : لا يماري ، والمراء أن تستخرج ما عند خصمك بالمناظرة ، وأصله من المري ، وهو استخراج اللبن من الضرع .

الجن^(١)

أصله الستر ، ومنه الجنة وهي البستان الذي تشتبك فيه الشجر ، حتى يستر من يدخله .
والجنة السلاح ، لأنها تستر عورة صاحبه عن قرنه ، يقال : أعور الفارس إذا انكشف
منه موضع للضرب أو الطعن .

والمجنون المستور على عقله ، وقد جن وأجنه الله ، ولا يقال جنه ، ومثله أجده الله وهو
مجدود ، وقد جد ولا يقال : جده الله وليس مجدود من أحد ، لأن ذلك نقص للأصل ، وإنما
هو على معنى أن ذلك فيه ، وكذلك أجنة الله ، وهو مجنون ، أي : فيه جنون وليس مجنون من
أجن .

والولد ما دام في بطن أمه جنين ، والجمع أجنة ، لأنه مستور ، وفي القرآن : ﴿ وَإِذْ أَنْتُمْ
أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [سورة النجم آية : ٣٢] .

والجان يقع على واحد من الجن ، والجن مثل الإنس يقع على الجمع .
والجن في القرآن على وجهين :

(١) [جن] : الجن : جماعة وَلَدَ الجَانُ ، وجمعهم الْجِنَّةُ وَالْجَنَاتُ ، سُمُّوا به لا سِتْجَانِهِمْ من الناس فلا يُروْنَ .
والجانُ أَبُو الجنِّ خُلِقَ من نار ثم خُلِقَ نَسْلُهُ .
والجانُ : حَيَّةٌ بيضاء ، قال الله عز وجل " تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلِي مُدِيرٌ " .
والمَجَنَّةُ : الجنون ، وَجَنَّ الرجلُ ، وَأَجَنَّهُ الله فهو مَجْنُونٌ وهم مَجَانِينُ .
ويقال به جَنَّةٌ وجَنُونٌ ومَجَنَّةٌ ، قال :

من الدارميين الذين دماؤهم *** شفاء من الداء المَجَنَّةِ والحبل

وأرض مَجَنَّةٌ : كثيرة الجن .

والجَنَانُ : رُوعُ القلبِ ، يقال : ما يستقرُّ جَنَانُهُ من الفَرَعِ .

وَأَجَنَّتِ الحاملُ الجنينَ أي الولد في بطنها ، وجمعُه أَجَنَّةٌ .

وقد جَنَّ الولدُ يَجِنُّ فيه جَنًا ، قال : حتى إذا ما جَنَّ في ماء الرِّجَمِ ويقال : أَجَنَّةُ اللَّيْلِ وَجَنَّ عليه اللَّيْلُ إذا
أظلم حتى يستره بظلمته .

واستَجَنَّ فلانٌ إذا استتر بشيء . [العين : الجيم مع النون]

الأول : الملائكة ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لَكَ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] ، يعني : الملائكة ، وذلك أنهم كلنوا عبدوها ، وسباهم جنا ؛ لأنهم مستورون عن الأبصار .

وذكر بعض المفسرين أنهم الجن ، وليسوا بملائكة ، وكانت العرب تعبد الجن ، وتذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، وفي الخبر أنه لما هدمت العزى خرجت منها جنية منفضة شعرها تدعوا بالويل فحمل خالد بن الوليد عليها فقتلها .

الثاني : الجن المعروف من غير خلاف ، قال الله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات آية : ٥٦] ويموز أن تدخل الملائكة في ذلك ، وقوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الأحقاف آية : ٢٩]

الباب السادس

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله حاء

الحسنة^(١)

أصل الكلمة القبول ، والحسن ما تقبله النفس إذا رآته ، والحسنة الخصلة التي تقبلها النفس .

والإحسان ما تشتهي النفس وتقبله ، ونقيضه الإساءة ، وهي التي تكرهها وتردها ، ويقال : حسن الشيء ، وهو حسن على غير الأصل ، وإنما الأصل حسين كما يقال : قبح وهو قبيح ، ويمجوز أن يقال : حسن أحسن من حسن ، ولا يقال : صدق أصدق من صدق ، ولأن الحسن فاعل ، والفاعل يصح فيه أفعل ، والصدق مصدر ولا يصح في المصادر ذلك ولو لم يكن حسن أحسن من حسن لم يكن للمبالغ في قولهم : ما أحسن زيدا فائدة ، ويقولون هذه الخصلة الحسنى ، والمرأة الحسناء .

ولا يقال في التذكير أحسن ، ولا يمجز أن يوصف الله بالحسن ؛ لأن الحسن حال في الحسن ألا تراه يقبح بعد أن كان حسنا ، ولا يمجز أن يكون الله محلا للأشياء ، ولا يمجز أن يقال بأن الله حسن في العقل أيضا ؛ لأنه لا يتصور للعقول فيحسن فيها كالحكمة والصلاح الحسن في العقول لتصوره لها .

والحسنة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : النصرة والغنيمة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٢٠] يعني : ما كانت لهم من الدولة يوم بدر ، وكذلك المعنى في هذه الآية من

(١) حَسَنُ الشَّيْءِ فَهُوَ حَسَنٌ . وَالْحَسَنُ : الموضع الحسن في البدن ، وجمعه تحاسن . وامرأة حسناء ، ورجل حُتَّان ، وقد يجيء فُعَالٌ نعتاً ، رجُلٌ كَرَامٌ ، قال الله - جل وعز - : " مَكْرَأُ كِبَاراً " . وَالْحُسَّانُ : الْحَسَنُ جَدّاً ، ولا يقال : رجل أحسن . وجارية حُتَّانة .

وَالْمَحَاسِنُ مِنَ الْأَعْمَالِ ضِدُّ الْمَسَاوِي . قال الله - عز وجل - : " لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ " أي الجنة وهي ضِدُّ الشَّرِّ . [العين : حسن]

سورة النساء وبراءة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٢٠] يعني : القتل والهزيمة ؛ هكذا جاء في التفسير .

ويجوز عندنا أن يدخل في الحسنة هاهنا جميع ما ينالهم من المحبوب ، وفي السيئة جميع ما يصيبهم من المكروه .

الثاني : العمل الصالح ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٠] ، وقوله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ [سورة النمل آية : ٨٩] والسيئة التي في هاتين الآيتين بمعنى المعصية ، وقرئ : ﴿ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٠] ، بالإضافة أي : عشر حسنات أمثالها وقرئ : ﴿ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ على أن أمثالها من صفة العشر .

فإن قيل : كيف قال : ﴿ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٠] والمثل مذكر ؟ قلنا : لأنه مضاف إلى مؤنث ، وهي في المعنى أيضا حسنة أو درجة فأنت على المعنى ، وأراد بذكر العشر التكثير ولم يرد عشر بعينها ، كما تقول : إن كلمتي واحدة كلمتك عشرا ؛ وكذلك قوله : ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ [سورة التوبة آية : ٨٠] أراد التكثير ، ولم يرد عددا بعينه ، ألا ترى أنه لو زاد على السبعين لم يغفر الله لهم أيضا .

الثالث : الخصب والسعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ [سورة النساء آية : ٧٨] ، يقول إن أصابهم خير وسعة وخصب نسبوه إلى الله تعالى ، وإن أصابهم ضيق وقحط نسبوه إليك ، وقالوا : إنما نالنا ذلك من شؤمك ، ومثله قوله : ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩٥] ، أي : بدل الضيق بالسعة ، ومثله : ﴿ وَتَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٦٨] ، أي : اخترناهم بالضيق والسعة والبلوى .

والاختبار والتجربة سواء ، وحقيقة معناه فعل ما يحدث معه العلم بالبلو المختبر ، ولا يجوز ذلك على الله ، لأنه عالم بنفسه .

وإنما المراد أنه يكلف عباده ويأمرهم وينهاهم ، لأن الابتلاء والامتحان هو الأمر والنهي ، فسمى الله تكليفه وأمره عباده ابتلاء من هذا الوجه على سبيل التوسع .

ولا يجوز أن يقال أنه يجرد عباده ، وإن كان الابتلاء والتجريد بمعنى واحد ، وذلك أن استعمال الابتلاء في الله مجاز ، والمجاز لا يقاس عليه ، وإنما يقاس على الحقائق ، ولولا أن أهل اللغة استعملوا الابتلاء في الله لم يميز استعماله فيه والعلة التي في الابتلاء ليست في التجربة وهي الاستعمال .

ولو جاز القياس على المجاز لجاز أن تقول : سل الحمار وسل الشاة ، وأنت تريد صاحبها ، كما جاء : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٢] أي : أهلها ، وفي امتناع ذلك دليل على ما قلنا .

الرابع : العافية والسلامة ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَسْتَعْمِلُونَكُم بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ [سورة الرعد آية : ٦] ، يعني : أنهم يريدون تقديم العذاب لهم في الدنيا على ما هم فيه من العافية فيها ، وقوله : ﴿ فَأَمْطِرَ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٢] .

الخامس : العفو والمعروف من القول ، قال : ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٢] ، أي : يدفعون القول القبيح المؤذي بالقول الحسن مرة وبالعفو أخرى ، والمعنى أنهم يتغافلون عنه فينقطع ، وكأنهم دفعوه ، ولو أجابوا عنه زيد فيه .

وقيل : معناه أنهم يدفعون بما يعملون من الحسنات ما تقدم لهم من السيئات ، قاله الزجاج ، وهو غلط لأن ما تقدم لا يدفع ، وإنما يقال ذلك في المستقبل ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة فصلت آية : ٣٤] ، أمره بالصفح والتغافل .

والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة ، ولا دخلت تأكيدا ، و : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، أي : ادفع السيئة ، وما يلحق بما تقدم أن حد الحسن الفعل الذي يدعوا إليه العقل ، وحد القبيح الفعل الذي يزجر عنه العقل ، والإحسان الدفع الحسن ، والإساءة الضرر القبيح .

١٧٤ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جاء

وكل فعل مقصود لا يخلوا من أن يكون حسنا أو قبيحا ، وتدخل في الحسنة الفرائض
والنوافل ، ولا يدخل فيها المباح ؛ لأن الحسنة مرغّب فيها ولا يجوز أن يرغب في المباح ؛ لأن
ذلك قبيح ، والمباح حسن وليس بحسنة .

الحبل

أصله من الإمساك ، ومنه قيل : الخابول للحبل الذي يصعد به في النخلة ، والحباله شبكة الصائد ، والمحتبل الصائد ، وكذلك الحابل .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ ^(١) [سورة آل عمران آية : ١٠٣] ، أي : بكتابه ، وسماه حبلا لما فيه من توكيد الحجج والبيان ، كما يؤكد العهد . والحبل عند العرب العهد .

الثاني : الأمان ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ الْنَّاسِ ﴾ ^(٢) [سورة آل عمران آية : ١١٢] ، أي : بأمان ، قال الأعشى :

وَإِذَا تَجَاوَزَهَا جِبَالٌ قَبِيلَةً أَحَدُ ذلتَ مِنَ الْآخَرَى إِلَيْكَ جِبَالَهَا

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ الحبل لفظ مشترك ، وأصله في اللغة السبب الذي يتوصل به إلى البغية ، وهو : إما تمثيل ، أو استعارة . أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام ، أو بالقرآن ، ونهاهم عن التفرق الثاني عن الاختلاف في الدين ، ثم أمرهم بأن يذكروا نعمة الله عليهم ، وبين لهم من هذه النعمة ما يناسب المقام ، وهو أنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضاً ، وينهب بعضهم بعضاً ، فأصبحوا بسبب هذه النعمة إخواناً وكانوا على شفا حفرة من النار بما كانوا عليه من الكفر ، فآثقتهم الله من هذه الحفرة بالإسلام . [فتح القدير : ٢٥ / ٢]

(٢) قال الرازي : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ الْنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٢] أي بعهد ، وإنها سمي العهد حبلاً لأنه يزيل عنه الخوف من الذهاب إلى أي موضع شاء ، وكان كالحبل الذي من تمسك به زال عنه الخوف ، وقيل : إنه القرآن ، روي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أما إنها ستكون فتنة » قيل : فما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله فيه نأى من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين » وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هذا القرآن حبل الله » وروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله تعالى حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي » وقيل : إنه دين الله ، وقيل : هو طاعة الله ، وقيل : هو إخلاص التوبة ، وقيل : الجماعة ، لأنه تعالى ذكر عقيب ذلك قوله ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ وهذه الأقوال كلها متقاربة ، والتحقيق ما ذكرنا أنه لما كان النازل في البريعتصم بحبل تحرزاً من السقوط فيها ، وكان كتاب الله وعهده ودينه وطاعته وموافقة لجماعة المؤمنين حرزاً لصاحبه من السقوط في قعر جهنم جعل ذلك حبلاً لله ، وأمروا بالاعتصام به . [مفاتيح الغيب : ٣٢٦ / ٤]

ومعنى الآية أن اليهود لا يزالون مقهورين أذلاء إلا أن يأخذوا بحبل الله ، أي : إلا أن يكونوا ذمة للمسلمين ، وعنى بالناس النبي عليه السلام والمسلمين ، وهذا خبر غيب ، وفيه دلالة على صحة الدعوة ، وقال : ﴿ مِنْ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٢] ، أي : من أولياء الله .

ويجوز أن يكون عنى قولك لمن تعاهده إذا فعلت كذا ، فأنت أمين بأمان الله وأمان الرسول .

وقال الفراء : أراد إلا أن يعتصموا بحبل من الله فحذف لبيان المعنى ، وقال الأخفش : هذا مثل قوله تعالى ﴿ لَنْ يَغْرِبَ كُمْ إِلَّا أَدَى ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١١] ، وهو استثناء خارج من أول الكلام ، وهو بمعنى لكن ، وليس بأشد من قوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [سورة مريم آية : ٦٢] .

الحسنى

قد مضى القول فيها قبل .

وجاءت في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الخلف من النفقة في سبيل الله ، وهو قوله : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ ^(١) [سورة الليل آية : ٦] ، ومثله قوله : ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ [سورة الليل آية : ٩] ، أي : بما يخلفه الله عليه في الآخرة .

الثاني : الخير ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٧] ، أي : الخير وتأتيها على معنى الخصلة والحلة والحال ، وهي تأتيه الأحسن فكأنه سمي الخير خصلة أو حلة ، وقد يقع ذلك على الخير والشر ، يقول هذه خصلة محمودة يعني : الخير ، وهذه خصلة مذمومة ، يعني : الشر .

الثالث : الجنة ، قال الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [سورة يونس آية : ٢٦] ، وقال : ﴿ إِنْ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠١] ، يعني : الجنة كذا قيل ، ويموز أن يكون المعنى : الذين سبق لهم من الحسنى العدة الحسنة ، وهم المؤمنون لأن الله وعدهم أحسن العدة .

(١) قال الرازي : قوله : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ فالحسنى فيها وجوه أحدها : أنها قول لا إله إلا الله ، والمعنى : فأما من أعطى واتقى وصدق بالتحديد والنبوة حصلت له الحسنى ، وذلك لأنه لا ينفع مع الكفر إعطاء مال ولا اتقاء محارم ، وهو كقوله : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ [البلد : ١٤] إلى قوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البلد : ١٧] وثانيها : أن الحسنى عبارة عما فرضه الله تعالى من العبادات على الأبدان وفي الأموال كأنه قيل : أعطى في سبيل الله واتقى المحارم وصدق بالشرائع ، فعلم أنه تعالى لم يشرعها إلا لما فيها من وجوه الصلاح والحسن وثالثها : أن الحسنى هو الخلف الذي وعده الله في قوله : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ [سبا : ٣٩] والمعنى : أعطى من ماله في طاعة الله مصداقاً بما وعده الله من الخلف الحسن ، وذلك أنه قال : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٦١] فكان الخلف لما كان زائداً صح إطلاق لفظ الحسنى عليه . [مفاتيح الغيب : ٥٨/١٧]

الرابع : الهداية ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ هُمُ احْسَنَى ﴾ [سورة النحل آية : ٦٢] ، أي : يزعمون مع قبح فعلهم أنهم على الهداية ، وجاء في التفسير أن الحسنى هاهنا اليقين .

والمراد تصف ألسنتهم أن لهم الحسنى بدل ، أي : اليقين ، وهم كاذبون في ذلك ، أي : هم في شك أو شبهة وإن بدل من الكذب المعنى ، وتصف ألسنتهم أن لهم الحسنى ، وذلك الكذب لا جرم أن لهم النار رد لقولهم المعنى جرم فعلهم هذا أن لهم النار ، أي : كسب ، والجرم الكسب .

وقال قطرب : أن في موضع رفع ، والمعنى وجب أن لهم النار ، وأنهم مفرطون مقدمون للنار ، وقرئ ﴿ مُفْرَطُونَ ﴾ بفتح الراء مع التشديد ، أي : متروكون كأنهم جعلوا مقدمين إلى العذاب متروكين فيه ، وقرئ ﴿ مُفْرَطُونَ ﴾ بكسر الراء وتشديده أي : فرطوا في الدنيا :

الحسن

على ثلاثة أوجه :

الأول : قوله عز وجل : ﴿ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١) [سورة البقرة آية : ٨٣] ، وهي قراءة أي : حقا كذا قيل ، ويجوز أن يكون المراد أن قولوا لهم قولاً حسناً ، وهو أولى ؛ لأنه على مقتضى اللفظ .

الثاني : بمعنى المحتسب ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قرضاً حسناً ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٥] ، أي : محتسباً كذا قيل ، ويجوز أن يقال : أن القرض الحسن هو للبر والصلقة التي لا من فيها ، وسمي ذلك قرضاً ؛ لأنه يقرض من المال أي : يقطع منه ، والقرض القطع ، ويجوز أن يكون سباه قرضاً ؛ لأنه يرد عليه جزاؤه ، فكأنه رد عليه بعينه كالقرض يرد على المقرض .

الثالث : الجنة ، قال الله : ﴿ أَقْمِنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا ﴾ [سورة القصص آية : ٦١] ، يعني : الجنة ، ويجوز أن يكون حسناً أي : حسن المسموع .

(١) قال الشوكاني : معنى قوله : ﴿ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ أي : قولوا لهم قولاً حسناً ، فهو صفة مصدر مخدوف ، وهو : مصدر كبرى . وقرأ حمزة ، والكسائي : «حَسَنًا» بفتح الحاء ، والسين ، وكذلك قرأ زيد بن ثابت ، وابن مسعود . قال الأخفش هما بمعنى واحد ، مثل البخل ، والبخل ، والرشد ، والرشد ، وحكى الأخفش أيضاً : «حَسَنَى» بغير تنوين على فعل . قال النحاس : وهذا لا يجوز في العربية ، لا يقال من هذا شيء إلا بالآلف ، واللام نحو الفضل ، والكبرى ، والحسنى ، وهذا قول سيويه . وقرأ عيسى ، بن عمر : «حُسْنًا» بضم السين : والظاهر أن هذا القول الذي أمرهم الله به لا يختص بنوع معين ، بل كل ما صدق عليه أنه حسن شرعاً كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر ، وقد قيل : إن ذلك هو : كلمة التوحيد . [فتح القدير : ١/ ١٢٣]

الحكمة^(١)

أصلها المنع ، يقال : أحكمت الرجل عن كذا ، أي : منعته عنه ، وسميت الكلمة الواعظة حكمة ، لأنها تمنع عن التورط في الجهل ، ومن ثم قيل : حكمة الراية ، وقال جرير :

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكُمُوا سُفَهَاانَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا

وسمي الحكم حكما ؛ لأنه إذا تم منع عن التخاصم ، وسمي العلم حكمة ؛ لأنه يمنح صاحبه من الموارد القبيحة التي يردّها الجاهل .

وتسمية الله بأنه حكيم على وجهين :

أحدهما : يستحقه لذاته ، وهو أنه عالم .

والآخر : يستحقه لفعله ، وهو أن أفعاله محكمة ، وفعل بمعنى مفعول معروف في اللغة ، يقال : سميع بمعنى مسمع ، قال عمرو بن معدى كرب :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ

ويجيء فعيل بمعنى مفعول ، وفي القرآن : ﴿ فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [سورة الدخان آية : ٤] ، وبصير بمعنى مبصر ، وهذا من الأول .

والحكمة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الحلال والحرام والسنن والأحكام ، قال الله : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣١] ، فالكتاب القرآن ، والحكمة ما فيه من وجوه التحليل والتحريم ومعرفة الشريعة كلها ، والدليل على صحة ذلك أنه أتى بذلك بعد بيان الأحكام ،

(١) الحكمة : مَرْجِعُهَا إِلَى الْعَدْلِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ . ويقال : أَخَكَمْتُهُ التَّجَارِبُ إِذَا كَانَ حَكِيمًا . وَأَخَكَمَ فَلَانٌ عَنِّي كَذَا ، أَي : مَنَعَهُ ، قَالَ :

أَلَّا يَحْكُمَ الشُّعْرَاءُ عَنِّي

وَأَسْتَحْكَمُ الْأَمْرُ : وَتَق . وَاحْكَمَ فِي مَالِهِ : إِذَا جَازَ فِيهِ حُكْمُهُ . وَالْأَسْمُ : الْأَحْكَومَةُ وَالْحُكُومَةُ ، قَالَ الْأَعَشَى : وَلَأْتِلُ الَّذِي جَمَعَتْ لَرَبِّبِ الدُّهْرِ يَأْتِي حُكُومَةَ الْمُقْتَالِ أَي لَا تَنْفُذُ حُكُومَةً مِنْ يَحْكُمُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَعْدَاءِ . وَالْمُقْتَالُ : الْمُتَقَاتِلُ مِنَ الْقَوْلِ حَاجَةً مِنْهُ إِلَى الْقَافِيَةِ . [العين : حكم]

وشرح الحلال والحرام ، وسمي ذلك حكمة ؛ لأنه يمنع من الوقوع في المحذور ، ومثله : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٣] .

الثاني : الفهم والعلم ، قال الله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [سورة لقمان آية : ١٢] ، وقال : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَ صَبِيًّا﴾ [سورة مريم آية : ١٢] ، يعنى الحكمة ، وهو الفهم والعلم والحكمة والحكم سواء ، وهو مثل العذر والعذرة ، والقل والقلة ، والنحل والنحلة ، وهي العطية والخير والخيرة .

ومثله : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨٩] ، يعنى : الفهم ، وقال : ﴿وَأَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [سورة يوسف آية : ٢٢] ، ويمجوز أن يكون الحكم هنا القضاء ، أي : جعله قاضيا بين الناس ، وقال : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٣] ، أي : علمناه الخط ، يقال : كتب كتابا ، والحكمة : ما أجري على لسانه من الكلم الداعية إلى الرشد الزاجرة عن الغي ، وقيل : الحكمة هنا الشرائع .

الثالث : النبوة ، قال : ﴿وَأَتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، يعنى : النبوة ، ومثله : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾ [سورة ص آية : ٢٠] ، يعنى : النبوة ، والفصل الذي ينفصل به بين المتخاصمين ، وقيل : فصل الخطاب هو أما بعد وداود أول من قاله ، والأول الوجه . ومثله : ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥١] ، أي : النبوة ، أي : أتى الله داود الملك والحكمة بعد قتل جالوت ، فدل على أن ملك جالوت انتقل إلى داود بعد قتله جالوت أو بعد موت طالوت .

الرابع : تفسير القرآن ، قال : ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٩] ، قالوا : يعنى العلم بتفسير القرآن ، ويمجوز أن تكون الحكمة القرآن نفسه ، ومصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] .

ويمجوز أن تكون النبوة والشاهد قوله : ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، ويمجوز أن يكون العلم والأصالة كقوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ

الحِكْمَةُ ﴿ [سورة لقمان آية : ١٢] ، وجماع الحكمة ، والحكم الرد إلى الصواب فكل ما رد إلى الصواب حكمة وحكمه التامة من ذل ؛ لأنها ترد إلى القصد .

الخامس : القرآن ، قال : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥] يعني القرآن ونظيره : ﴿ ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] ، ويموز أن يكون المعنى في قوله : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥] ، القرآن ، وغيره من الكلم المرشدة الزاجرة ، وكل ذلك تسمى حكمة .

خاتمة

الحشر^(١)

أصل الحشر الجمع مع السوق^(٢) ، قال الله تعالى : ﴿ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٣٦] ، أي : رجالا يجمعون السحرة إليك ، ويقال : حشرت القوم إذا جمعتهم وسقتهم ، ويموز أن يكون أصله من الخفة كأن الذي تحشره يخف لك ، ولهذا قيل : إذن حشرة ، أي : حقيقة ، وسهم حشرات خفيف ، وحشرات الأرض صغار دوابها ، وناقة حشور ملززة الخلق ، وقيل : المتفخخة الجنين العظيمة البطن كأنها من الأضداد .

وفسر الحشر في القرآن على وجهين :

الأول : الجمع ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة يونس آية : ٢٨] ، أي : نجمهم ، قال : ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٤٧] ، ومثله : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [سورة التكاوير آية : ٥] ، أي : جمعت ، وقوله : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ﴾ [سورة النمل آية : ١٧] ، وقال : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٢] ، ولا يكون هذا بمعنى السوق ، لأنه يقال : ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٢-٢٣] ،

(١) [حشر] : الحشُر : حَشَرْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَالْمَحْشَرُ : الْمَجْمَعُ ، وَهُوَ الْمَحْشَرُ أَيْضًا . وَحَشَرْتَهُمُ السَّنَةُ : فَصَّمْتَهُمْ مِنَ النَّوَاحِي ، وَتَهْلِكُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ . وَالْمَحْشَرَةُ : صِغَارُ دَوَابِّ الْأَرْضِ ، وَالْجَمْعُ الْحَشَرَاتُ . وَالْحَشُورُ مِنَ الدَّوَابِّ : كُلُّ مُلَزَّزِ الْخَلْقِ شَلِيلِهِ . وَهُوَ أَيْضًا : الْعَظِيمُ الْجَسَدِ . وَالْحَشَرُ مِنَ الْأَخَانِ وَمَنْ قُبِذَ رِيْشُ السَّهَامِ : مَا لَطَفَ . وَحَشَرْتُ السَّنَانَ فَهُوَ مَحْشُورٌ : رَقَّقْتُهُ . وَالْحَشْرَةُ : الْقِشْرَةُ تَكُونُ عَلَى حَبِّ السَّنْبَلَةِ ، وَمَوْضِعُ ذَلِكَ : الْمَحْشَرَةُ . وَقِيلَ : هُوَ مَا بَقِيَ فِي الْأَرْضِ مِنْ نَبَاتٍ بَعْدَ خَضِّ الزَّرْعِ ، وَيَبْتُ أَخْضَرَ . وَوَطِبَ حَشِيرٌ : اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْوَسَخُ . وَحَشِيرٌ فَلَانٌ فِي رَأْيِهِ وَاحْتَشِيرٌ : كَذَلِكَ . وَعَجُورٌ حَشُورَةٌ : هِيَ الْمَطَرَةُ الْبَخِيلَةُ . [المحيط في اللغة : حشر]

(٢) الفرق بين الحشر والجمع : أن الحشر هو الجمع مع السوق ، والشاهد قوله تعالى " وابعث في المدائن حاشرين " أي ابعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك ، ومنه يوم الحشر لأن الخلق يجمعون فيه ويساقون إلى الموقف ، وقال صاحب المفصل : لا يكون الحشر إلا في المكروه ، وليس كما قال لأن الله تعالى يقول " يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا " . [الفروق اللغوية : ١/ ١٨٨]

يعني : الأصنام ، والأصنام لا تساق ، ولكن يجمع على أنه يقال في الجهاد والأغراض السوق على سبيل المجاز .

الثاني : السوق ، قال الله : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَيُكَيِّمُ أُولَئِكَ فِي شَأْنِهِمْ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٩٧] ، أي : نسوقهم ، وقال : الأول الحشر يعني : سوقهم إلى الشام ، وجعله أولا لأن الناس يحشرون إلى الشام يوم القيامة ، أي : يجمعون ويساقون ، وهؤلاء بنو النضير ، أخرجهم الله من ديارهم واعتمها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لأول الحشر ، أي : هو أول ما حشروا : ﴿ وَأَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٩٥] ، وهذا أصح وأقرب .

الحق^(١)

الحق : العقد على المعنى على ما هو به ، ويدعوا إليه الحكمة ، والحق في الدين ما شهد به الدليل على الصحة فيما طريقه العلم والقوة فيما طريقه غالب الظن .

والحق أعم من الأصلح ، لأن الأصلح حق وإلا دون في الصلاح حق ، ومعنى الحق وقوع الشيء في موقعه .

والصلاح : استقامة الشيء على مقدار ، وأصله من الثبات ، ويقول : تحققت الشيء ، أي : ثبت عندي ، وهذا حقك ؛ لأنه قد ثبت لك ملكه ، والحق من الإبل الذي يثبت للعمل .

والحق خلاف الباطل ؛ لأنه يثبت ، والحق في أسماء الله تعالى بمعنى أنه الدائم الثابت الملك غير زائل السلطان ، وأنا أحق بكذا ، أي : هو أثبت لي ، وفي القرآن : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ﴾ [سورة يونس آية : ٣٥] ، وقال : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨١] .

وفسر الحق في القرآن على عشرة أوجه :

(١) [حق] : الحق نقبض الباطل . حق الشيء يحق حقاً أي وجب وجوباً . وتقول : يحق عليك أن تفعل كذا ، وأنت حقيق على أن تفعله . وحقيق فعل في موضع مفعول .
وقول الله عز وجل - : " حقيق على أن لا أقول " معناه محقق كما تقول : واجب . وكل مفعول رد إلى فعل فمذكروه ومؤنثه بغير الهاء ، وتقول للمرأة : أنت حقيقة للملك ، وأنت محققة أن تظلمي ذلك ، قال الأعشى :

لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبَ لَصَوْتِهِ *** وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانَ مُوَفَّقٌ

والحقيقة من الحق كالتأثير واجب وأخص . تقول : هذه حقني أي حقي .
قال : وحقة ليست بقول الرثمة .

والحقيقة : ما يصبر إليه حق الأمر ووجوبه . وبلغت حقيقة هنا : أي يقين شأنه . وفي الحديث : " لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى لا يعيب على مسلم بغيب هو فيه " .

وحقيقة الرجل : ما كرمه الدفاع عنه من أهل بيته ، والجميع حقائق .
وتقول : أحق الرجل إذا قال حقاً وأدعى حقاً فوجب له وحقق ، كقولك : صدق وقال هذا هو الحق .

[العين : ١/١٢٦]

الأول : يعني : به الله تعالى ، قال : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧١] ، قالوا : معناه لو اتبع الله أهواءهم ، ويجوز أن يكون الحق هاهنا هو الحق في قوله تعالى : ﴿ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧١] ، أي : لو كان التنزيل بما يحبون لفسدت الأمور ، وفسر قوله أيضا : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ [سورة العصر آية : ٣] ، أي : أن الله واحد ، وهذا بعيد ، والصحيح أن بعضهم يوصي بعضا باستعمال الحق وترك تجاوزه .

الثاني : القرآن ، قال الله : ﴿ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٢٩-٣٠] ، يعني : القرآن قالوا : هذا سحر ، وإنما سموه سحرا لحفاء مسلكه عندهم ، وقال : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ [سورة ق آية : ٥] ، وقال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾ [سورة القصص آية : ٤٨] ، أو لم يكتفوا من الدلالة بالقرآن مع عجزهم عنه فطلبوا مثلا آيات موسى فأخبرهم أنهم مع تلك الآيات أيضا كفروا على الحجة في القرآن أبلغ منها في قلب العصا حية ؛ لأن التحدي بالقرآن قد وقع على قوم كان صناعتهم الكلام .

وكان السحر في أيام موسى عليه السلام في القليل من الناس كهو فينا اليوم ، ولأن القرآن يبقى على الأيد ويقف عليه في الأطراف ، من لا يقف على أمر للعصا إلا بالإخبار .

الثالث : الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٨١] ، يعني : مجيء الإسلام وذهاب الشرك ، والزهوq الهلاك ، وقال : ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلُ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٨] ، أي : ثبت الإسلام وبزىل الشرك .

الرابع : العدل ، قال الله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ [سورة النور آية : ٢٥] ، أي : جزاءهم العدل : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [سورة النور آية : ٢٥] ، وقربت منه : ﴿ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، أي : بالعجز ، ويجوز أن يكون اسلم عنى بالصدق ، ويجوز أن يكون الحق هاهنا خلاف الباطل ؛ لأنه قال : ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [سورة النور آية : ٧٠] ، على حسب ما نقول : الحق مر .

الخامس : الصدق ، قال الله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [سورة النساء آية : ١٢٢ ، يونس : ٤ ، لقمان : ٩] أي : صدقا ، وقال : ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [سورة الأنعام آية : ٧٣] ، يعني : الصدق .

السادس : حق بمعنى وجب ، قال الله : ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [سورة السجدة آية : ١٣] ، أي : وجب ، : ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [سورة غافر آية : ٦] ، يعني : وجبت .

السابع : الحق خلاف الباطل قال الله : ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [سورة الحجر آية : ٨٥] ، أي : للحق ، يقول : ليعمل فيها بالحق دون الباطل ، وفيه دليل على بطلان قول المجبرة .

الثامن : قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٢] ، أي : مولاهم على الحقيقة .

التاسع : بمعنى الدين ، قال : ﴿وَلِيُمِلِلَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : الذي عليه الدين ، وإنما يمل الذي عليه الحق ؛ لأنه مشهود عليه وإملاؤه إقراره تشهد به عليه ، : ﴿وَلَيَتَّقِ اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا يَخْشَى مِنْهُ شَيْئًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] أي : ليتق عذاب الله ولا ينقص مما عليه شيئا .

وفي هذا دلالة على أن القول قول المطلوب فيما يقر به ، لأن البخس النقصان ، وقد وعظه الله أن ينقص فدل على أنه إذا بخس ، أو ذكر الزيادة أو نقص الأجل أن القول قوله فيه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٨] ، لما وعظهن الله في الكتمان ، دل على أن القول قولهن في الحمل ، : ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ فَلَئِمِلَ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] أي : فإن كان ضعيف العقل أو عيا لا يستطيع الإملاء ، أمل وليه ، يعني : ولي الصغير والضعيف العقل .

والمراد بالإملاء الإشهاد على نفسه بما حصل على الصغير ، والضعيف العقل لولايته عليهما ؛ لأن الشهادة لا تقع إلا على العاقل ، والشاهد على أنه أراد بالإملاء الإشهاد إجماع الأمة لو أملى غيره الكتاب جاز .

العاشر : بمعنى الحظ ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ [سورة المعارج آية : ٢٤] ، أي : حظ ، وإنما جعله حقا ؛ لأنهم أوجبوه على أنفسهم ، فصار كالدين .

وأما قوله : ﴿ مَا تُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الحجر آية : ٨] ، فمعناه أنه لا تنزل الملائكة إلا بوحى أو بأجل ، وكلاهما حق ، : ﴿ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٨] ، أي : لو نزل الملائكة لم يمهلوا وانقطع التوبة ، فلم يقبلوا ، والفرق بين الإنظار والإمهال أن الإنظار مقرون بمقدار ما يقع فيه النظر ، والإمهال مبهم .

الحساب

أصل الحساب في العربية الكفاية ، يقال : أحسبني الشيء ، أي : كفاني ، وحسبي الله ،
أي : كافي الله ، وفي القرآن : ﴿عَطَاءٌ حِسَابًا﴾^٣ [سورة النبا آية : ٣٦] ، أي : كافيا ، :
﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٢] ، أي : هو العالم لفعلك ، ومجازاتك عليه .

وقيل : الحسب المقتر ، وقيل : الحسب الكافي ، ومعناه كافي إياك الله ، وقيل :
الحسب المحاسب كما يقال للمحافظ الحفيظ ، وللمشارب الشريب ، وفي القرآن : ﴿يَأَيُّهَا
النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٤] ، أي : كافيك الله ، وسمي الحساب حسابا
لأنك تكفي به من وكيلك ومعاملك ، ولا تطلب شيئا بعده .

وهو في القرآن على عدة أوجه :

الأول : الجزاء ، قال الله : ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [سورة
الشعراء آية : ١١٣] ، أي : جزاؤهم ، وقال : ﴿إِنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾ [سورة الغاشية آية :

(١) قال الرازي : قوله : ﴿حِسَابًا﴾ فيه وجوه الأول : أن يكون بمعنى كافياً مأخوذ من قولهم : أعطاني ما
أحسبني أي ما كفاني ، ومنه قوله : حسبي من سؤالي علمه بحالي ، أي كفاني من سؤالي ، ومنه قوله :
فلما حللت به ضمني . . . فأولى جيلاً وأعطى حساباً

أي أعطى ما كفى والوجه الثاني : أن قوله : حساباً مأخوذ من حسبت الشيء إذا أعدته وقدرته فقوله :
﴿عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ أي بقدر ما وجب له فيما وعده من الإضعاف ، لأنه تعالى قدر الجزاء على ثلاثة أوجه ،
وجه منها على عشرة أضعاف ، ووجه على سبعمائة ضعف ، ووجه على مالا نهاية له ، كما قال : ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّ
الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر : ١٠] ، الوجه الثالث : وهو قول ابن قتيبة : ﴿عَطَاءٌ حِسَابًا﴾
أي كثيراً وأحببت فلاناً أي أكثرت له ، قال الشاعر :

ونقفي وليد الحمي إن كان جائعاً . . . ونحسبه إن كان ليس بجائع

الوجه الرابع : أنه سبحانه يوصل الثواب الذي هو الجزاء إليهم ويوصل التفضل الذي يكون زائداً على الجزاء
إليهم ، ثم قال : ﴿حِسَابًا﴾ ثم يتميز الجزاء عن العطاء حال الحساب الوجه الخامس : أنه تعالى لما ذكر في
وعيد أهل النار : ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ ذكر في وعد أهل الجنة جزاء عطاء حساباً أي راعيت في ثواب أعمالكم
الحساب ، لتلايق في ثواب أعمالكم بخص ونقصان ونقصير ، والله أعلم بمراده .

المسألة الرابعة : قرأ ابن قطيب : ﴿حِسَابًا﴾ بالتشديد على أن الحساب بمعنى المحسب كالدرار بمعنى
المدرك ، هكذا ذكره صاحب «الكشاف» . [مفاتيح الغيب : ٣٠٧/١٦]

١٩٠ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جاء

[٢٦] ، جاء في التفسير أنه أراد بهاتين الآيتين الجزاء ، وكذلك قالوا في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ١١٧] ، أي : جزاؤه .

والأجود أن يفسر على الوجه المعروف ، فيقال : أراد أن عليك أن تبلغهم ، وعلينا أن نحاسبهم ، وفي هذا تهديد شديد ، وهو أيضا يرجع إلى معنى الجزاء ، لأنه إذا حاسبهم جازاهم .

الثاني : الحساب المعروف ، قال : ﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٢] ، وأراد بالحساب هاهنا عدد الأيام والأعوام ، ومدد الأعمار والأجال والديون ، وغير ذلك مما يجري مجراه .

ولم يعن حساب الأموال وما بسيلها ، وقال : ﴿ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٢] ، ومعنى ذلك أنه إذا أراد حسابهم لم يتعذر عليه ، وفي هذا دليل على أنه ليس بجسم ؛ لأن الجسم يتعذر عليه حساب الجماعات الكثيرة في حال واحدة .

وقيل الحساب أن تأخذ ما لك ، وتعطي ما عليك ، والله تعالى قد أحصى الأعمال ؛ فهو يجازي عليها من غير تعذر ولا إطالة .

الثالث : بمعنى الكافي ، قال الله : ﴿ عَطَاءَ حِسَابًا ﴾ [سورة النبا آية : ٣٦] ، أي : كافيا على ما ذكرنا .

ووجه رابع : وهو قوله : ﴿ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة غافر آية : ٤٠] ، قال المبرد : المراد أنه يتجاوز بهم جد ما فعلوا ، وعندنا أن هذا موضوعه للكثرة ، يقال : أعطاه بغير حساب ، أي : أعطاه كثيرا ، وذلك أن الحساب للإحاطة والحصر ؛ وكأنه قد أعطاه عطاء لا يحصر كثرة ، ومثله قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٧] ، ويجوز أن يكون تفضل عليه ، بغير استحقاق ، والتفضل غير محسوب .

الحياة

أصلها من الطراة والجلدة ، ومن ثم قيل : والشمس يبضاء حية ، أي : باقية على حالها غير ~~حالة~~ اللون ، وسمي الحياء حياء ؛ لأن اللون يحمر معه ، والحمرة لون الحياة ؛ وسمي الحي من القرب ؛ لأن بعضهم يجيء مع بعض ، وسميت الحية حية ؛ لأنها لا تموت حتى تقتل وإلا فهي حية أبدا تكبر إلى أن تنتهي ثم تبدئ فتصغر حتى تنتهي ثم تكبر وكذلك أبدا إلى أن يصاب هكذا قالوا ، وأنشدوا :

دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ

والحياة في القرآن على ستة أوجه :

الأول : تميز الصورة ونفخ الروح قال : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨] ، أي : كنتم نطفًا فميز صوركم ، ونفخ فيكم الروح كذا قيل ، ويجوز عندنا أن يكون أراد أنكم كنتم نطفًا أمواتا فجعلكم أحياء .

وليس في الكلام دلالة على أنه أراد تميز الصورة ، وسمي النطف أمواتا ؛ لأن كل ما يتفصل من الإنسان سمي ميتا مثل النطفة والدم وما بسيلهما ونحوه ، : ﴿ هُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ﴾ [سورة الحج آية : ٦٦] ، وقوله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ [سورة الروم آية : ١٩] ، قالوا : معناه يخرج الحيوان من النطفة والطارئ من البيضة ، وقيل : يخرج المؤمن من

(١) (ح ي ي) : (حَيٍّ) حَيَاةٌ فَهُوَ حَيٌّ (وَبِهِ سُمِّيَ) جَدُّ جَدِّ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ بْنِ صَالِحٍ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ حَيٍّ (وَيَتَصَفَّرُهُ) سُمِّيَ حَيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْغَافِرِيُّ (وَيَتَأَنَّبُهُ) عَلَى قَلْبِ الْبَاءِ وَأَوَا حَيَوَةً بِنِ شُرَيْحٍ (وَأَسْتَحْيَاهُ) تَرَكَهُ حَيًّا وَمَتَهُ ﴿ وَأَسْتَحْيَاوْا شَرَحَهُمْ ﴾ وَحَيَاةُ الشَّمْسِ بَقَاءُ ضَوْئِهَا وَبَيَاضُهَا وَقِيلَ بَقَاءُ حَرِّهَا وَقُوَّتُهَا وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ بِذَلِكَ عَلَيْهِ الْعَرَفُ وَقَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ يَصِفُ حِمَارَ وَخْشٍ فَلَمَّا اسْتَبَانَ اللَّيْلُ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ حَيَاةُ النَّهْيِ تَقْضِي حُشَاةً تَارِعَ لَا تَرَى كَيْفَ شَبَّ حَالَةُ الشَّمْسِ بَعْدَ مَا دَنَتْ لِلْمَغِيبِ بِحَالِ نَفْسٍ شَارَفَتْ أَنْ تَمُوتَ فِيهَا كَأَنَّهَا تَقْضِي تَيْنَ الْحَيَاةِ وَتَوَدِّي مَا عِنْدَهَا مِنْ وَدِيعَةِ الرَّمَقِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مُشَاهَدَةَ طَلَائِعِ اللَّيْلِ وَمُشَاهَدَةَ أَوَائِلِهِ فَأَيَّنَ هَذِهِ الْحَالَةَ مِنْ بَقَاءِ قُوَّتِهَا وَحَرَازَتِهَا . [المغرب : الحاء مع الباء] .

وقال الجرجاني : الحياة : هي صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر .

والحياة الدنيا : هي ما يشغل العبد عن الآخرة . [التعريفات : ٣١ / ١]

الكافر ، ويجوز أن يكون أراد أنكم كنتم تراباً فجعلكم أحياء ، والجهاد قد تسمى ميتاً على جهة التوسع ؛ لأنه عدم الحس والحركة ..

الثاني : محي الحى بمعنى العاقل العارف ، قال الله : ﴿لِيُنْذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [سورة يس آية : ٧٠] ، ونحوه قول الشاعر :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَن تُنَادِي

أي : لو تنادي عاقلاً ، والمراد أنه لا يستعمل عقله ، ولو لم يكن له عقل أصلاً لم يكن مكلفاً .

الثالث : الحى بمعنى المهتدي ، قال الله : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٢] ، أي : كافراً فهديناه ونحوه قوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [سورة فاطر آية : ٢٢] ، معناه لا يستوي المؤمن ولا الكافر ، فأخرج ما لا يقع عليه الحاسة إلى ما يقع عليه الحاسة ، كما قال : ﴿أَعْمَاهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [سورة إبراهيم آية : ١٨] ، وما كان يجري هذا المجرى ، وهو أعظم في البيان ؛ لأن العيان فضلاً على ما سواه .

الرابع : الحياة بمعنى البقاء ، قال : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٩] ، يعني : أن من يعرف أنه إذا قتل اقتص منه كف عن القتل فبقى .

(١) قال الرازي : اتفق علماء البيان على أن هذه الآية في الإيجاز مع جمع المعاني باللغة باللغة إلى أهل الدرجات ، وذلك لأن العرب عبروا عن هذا المعنى بألفاظ كثيرة ، كقولهم : قتل البعض إحياء للجميع ، وقول آخرين : أكثروا القتل ليقول القتل ، وأجود الألفاظ المنقولة عنهم في هذا الباب قولهم : القتل أنفى للقتل ، ثم إن لفظ القرآن أفصح من هذا ، وبيان التفاوت من وجوه : أحدها : أن قوله : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أخصر من الكل ، لأن قوله : ﴿وَلَكُمْ﴾ لا يدخل في هذا الباب ، إذ لا بد في الجميع من تقدير ذلك ، لأن قول القاتل : قتل البعض إحياء للجميع لا بد فيه من تقدير مثله ، وكذلك في قولهم : القتل أنفى للقتل فإذا تأملت علمت أن قوله : ﴿في القصاص حياة﴾ أشد اختصاراً من قولهم : القتل أنفى للقتل وثانيها : أن قولهم : القتل أنفى للقتل ظاهرة يقتضي كون الشيء سبباً لانتفاء نفسه وهو محال ، وقوله : ﴿في القصاص حياة﴾ ليس كذلك ، لأن المذكور هو نوع من القتل وهو القصاص ، ثم ما جعله سبباً لمطلق الحياة لأنه ذكر الحياة منكراً ، بل جعله سبباً لنوع من أنواع الحياة وثالثها : أن قولهم القتل أنفى للقتل ، فيه تكرار

والمراد أنه يبقى حياً فحقيقة المعنى أن لكم في القصاص بقاء حياة ونحوه ، : ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤١] ، أي : يستبقونهن فتضاعف المحنة عليكم ببقاء النساء مع فناء الرجال ، واستحياء واستبقاء بمعنى واحد فاستبقاه طلب بقاءه ، واستحياء طلب حياته ، ولا يستبقيه إلا وهو يستحيه ، ولكن لفظ الاستبقاء أكثر في الاستعمال فلأجل هذا فسروا الاستحياء بالاستبقاء ، أخرجوا الأغمض إلى الأشهر .

الخامس : مثل قال الله : ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأْتَهَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة آية : ٣٢] ، أي : من استنقذها من الضلال أو أغاثها من المكروه فكأنه أحيا الناس جميعاً ، أي : أجره أجر من أحيا الناس جميعاً وأجر من يحيي الناس جميعاً يتضاعف على قدر ذلك ، ويجوز أن يكون معناه أنه قد أسدى إلى كل واحد منهم يداً ياحياته أخاه المؤمن ؛ فكأنه أحياهم كما تقول للرجل يسدي إليك يداً قد أحيتني ، وإن كان لا يقدر على ذلك .

السادس : الحياة بعد الموت ، قال : ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى يَٰذَا ذِي الْقُرْآنِ﴾ [سورة آل عمران آية ٤٩] ، وقال : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [سورة القيامة آية : ٤٠] .

للفظ القتل وليس قوله : ﴿في القصاص حياة﴾ كذلك ورابعها : أن قول القاتل : القتل أنفى للقتل . لا يفيد إلا الردع عن القتل ، وقوله : ﴿في القصاص حياة﴾ يفيد الردع عن القتل وعن الجرح وغيرهما فهو أجمع للفوائد وخامسها : أن نفي القتل مطلوب تبعاً من حيث إنه يتضمن حصول الحياة ، وأما الآية فإنها دالة على حصول الحياة وهو مقصود أصلي ، فكان هذا أولى وسادسها : أن القتل ظمناً قتل ، مع أنه لا يكون نافياً للقتل بل هو سبب لزيادة القتل ، إنما الثاني لوقوع القتل هو القتل المخصوص وهو انقصاص ، فظاهر قولهم باطل ، أما الآية فهي صحيحة ظاهراً وتقديراً ، فظهر التفاوت بين الآية وبين كلام العرب . [مفاتيح الغيب ٦٩/٣]

حين^(١)

الحين يقع على كل شيء من الأوقات قصير وطويل ، ويكون محدود أو غير محدود ، وأصله من القرب ، ومنه حان الشيء إذا قرب ، والحائن الذي قرب أجله ، والاسم الحين .
والحين في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : السنة ، قال : ﴿ تُوْزِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٥] ، أي : كل سنة ، هذا قول بعض الفقهاء ، وإليه ذهب مقاتل .

وذهب الكوفيون إلى أن الحين هنا ستة أشهر ، وهو من أوان الطلع إلى وقت الضرام ، قالوا : فمن حلف لا يكلم فلانا حيناً ، فهو ستة أشهر ، لأنه قد علم أنه لم يرد أقصر الأوقات ومعلوم أنه لم يرد أربعين سنة ؛ لأن من أراد ذلك حلف على التأيد دون التوقيت ثم كان قوله تعالى : ﴿ تُوْزِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٥] ، لما اختلف السلف فيه كان أقصر الأوقات فيه ستة أشهر أوان الطلع وآخرها وقت الضرام ، وهو أولى من اعتبار السنة ؛ لأن وقت الثمرة لا يمتد سنة ، بل ينقطع حتى لا يكون منه شيء ، وأما الشهران فلا معنى لاعتبارهما إذ قد علم أن الزمان بين ضرام النخل ، وبين ظهور الطلع أكثر من شهرين فلما بطل اعتبار السنة واعتبار الشهرين ثبت اعتبار السنة إلا شهر .

الثاني : متهى الأجال ، قال الله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٣٦] ، وقال : ﴿ وَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [سورة يونس آية : ٩٨] .

(١) [حين : الحين : الهلاك ، حان يحين ، وحيت الله فتحين . والحائنة : النازلة ذات الحين ، والجمع : الحوائن . والحين : وقت من الزمان ، حان يحين حينونة ، ويجمع على الأحيان ؛ ثم على الأحيان ، وحيت : جعلت له حيناً . والحين : يوم القيامة . والتحين : أن تعمل عملاً في حين واحد . وحين الضيفان وأحيونا : أطلعوا في اليوم والليلة مرة . وحيت : تبعد قولك الآن . والتحين : أن تحلب الناقة في اليوم مرة . ومتى حينه نأقتك : أي وقتها الذي تحلب فيه ، وكذلك جلائها بالرطل . والحين - بالفتح - الوجبة . وبلغ عيائ ذاك : أي جاء حينه . والحائن : الأحمق ، وامرأة حائنة . المحيط في اللغة : حين]

الثالث : قال الله : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ ، [سورة الروم آية :

١٧] ، ثم قال : ﴿ وَحِينَ تَضَاهُونَ ﴾ [سورة الروم آية : ١٨] ، يعني : ساعة غروب الشمس ، وساعة طلوعها ، وساعة الظهر ، وأراد بالتسبيح هاهنا ، وجوب الصلاة في هذه الأوقات .

الرابع : زمان غير مؤقت ، قال الله : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [سورة ص آية :

٨٨] ، وكان المراد به ما كان بيد من الدبرة على الكفار ، فلم يؤقت في وقت الإنزال ، وقوله : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [سورة الإنسان آية : ١] .

الحرج^(١)

أصل الحرج من الضيق ، ومكان حرج ضيق ، والحرجة الشجر الملتف .
وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الشك ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ ﴾ [سورة النساء آية : ٦٥] أي : شكا ، وذلك أن الرجل يضيق بالشك صدرا ، والثلج هو مع العلم واليقين ، ومثله : ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١] المخاطبة له والمعنى لامة كما قال في موضع آخر ، : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] .

وقوله : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٥] ، وليس كل ما خاطب به النبيين والمؤمنين أرادهم به ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ، والقصاص في العمد فكأنه أثبت لهم الإيـان مع قتل العمد ، وقتل العمد يطل الإيـان ، وإنما أراد أن يعلمهم الحكم فيمن يستوجب ذلك ، ونحوه قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٣٠] .

الثاني : الضيق ، قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سورة الحج آية : ٧٨] ، أي : من ضيق ، وقيل : من ضيق لا مخرج منه ، وذلك أنه يتخلص من الذنب بالتوبة ، فالتوبة مخرج .

(١) (ح رج) : حَرَجٌ صَدْرُهُ حَرَجًا مِنْ بَابِ تَعَبٍ ضَاقَ وَحَرَجَ الرَّجُلُ أَيَّمْ وَصَدَرَ حَرَجٌ ضَيْقٌ وَرَجُلٌ حَرَجٌ أَيَّمْ وَحَرَجَ الْإِنْسَانُ حَرَجًا هَذَا بِمَا وَرَدَ لَفْظُهُ مُخَالَفًا لِمَعْنَاهُ وَالْمُرَادُ فَعَلَ فِعْلًا جَانِبًا بِهِ الْحَرَجُ كَمَا يَقَالُ تَحَنَّنَ إِذَا فَعَلَ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْحِنْثِ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِلْعَرَبِ أَفْعَالٌ مُخَالَفٌ مَعَانِيهَا أَلْفَاظُهَا قَالُوا تَخْرُجُ وَتَحَنَّنَ وَتَأْتَمُّ وَتَهْجُدُ إِذَا تَرَكَ الْهُجُودَ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا وَرَدَ بِلَفْظِ الدُّعَاءِ وَلَا يُرَادُ بِهِ الدُّعَاءُ بَلِ الْحُثُّ وَالتَّخْرِيفُ كَقَوْلِهِ تَرَبَّثْتَ يَدَاكَ وَعَقْرَى حَلَقَى وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . [المصباح المنير : الحاء مع الراء]

وليس في الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من عقوبته ، ويحتج به فيما اختلف فيه من الحوادث ، فقيل : أن ما أدى إلى الضيق وهو منفي ، وما أوجب التوسعة فهو أولى ، وقال : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٥] ، والمعنى أنه تعالى يمنعهم الطاعة التي ينشرح مع أمثالها قلوب المؤمنين جزاء بما قدموا من الذنوب ، ودليل ذلك قوله في آخر الآية : ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٥] ، فيحلبهم الذنب كما تسمع .

الثالث : الإثم ، قال الله : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحِقُّونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [سورة التوبة آية : ٩١] ، أي : إثم ، وقوله : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، وإذا لم يكن عليه مع العَمَى إثم ، فكيف يكون مع عدم القدرة عليه الإثم والعقاب .

وقال الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وعميانهم في بيوتهم ، ودفعوا إليهم المفاتيح ، وقالوا لهم : أحللتنا لكم أن تأكلوا منها ؛ فكانوا يتخرجون من ذلك فتزل قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٦١] .

وذهب أبو علي رحمه الله إلى أن معنى قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، أنه ليس عليه ضيق في ترك القتال ، والصحيح الذي قلنا ، والدليل على ذلك قوله : ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، فتلى ذكر الأكل بذكر الأكل ، وليس بالوجه أن يتلو ذكر الحرب بذكر الأكل .

حتى

حتى بمعنى الغاية تقارب إلى ، وهي من عوامل الأسماء خاصة ؛ فإذا وقع بعده الفعل أضمرت بينها أن ، فتكون أن مع الفعل اسما ، كقولك : أسير حتى تمنيني ، ويرتفع بعدها الفعل أيضا ؛ وإن ارتفع فهو خبر لمحذوف ، وذلك قولك : مرض حتى تمر به الطائر فترحه ، كأنه قال : حتى أنه هذه حالة ، ويكون أيضا بمعنى كم فينصب ، كقولك : أطع الله حتى يدخلك الجنة ، ويرتفع الفعل بعده ، فيقول : سرت حتى أدخلها ؛ أي : كان مني سير فدخل ، أي : أنا في حالة دخول اتصل به سير ونحوه ، فإن المبدئ رحلة فركوب .

ولها في الرفع موضع آخر ، وهو قولك مرض حتى لا يرجونه ، أي : هو الآن كذلك ، ويقع الاسم بعدها مرفوعا ومنصوبا ومجرورا ، تقول : ضربت القوم حتى زيد وقدم القوم حتى المشاة ، وأكلت السمكة حتى رأسها ، وينشد :

أَلْقَى الصَّيْفَةُ كَيْ يَخْفَ رَحْلُهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلُهُ أَلْقَاهَا

نصبوا نعله وخفضوها ورفعوها فمن نصب جعلها بمنزلة الواو على قولك : ضربت زيدا وعمرا كلمته .

ومن رفع فعل قولك : ضربت زيدا وعمرو كلمته ، ومن خفضها فعل قولك : غاية بمنزلة ، أي : إلى أن أنتهي إلى نعله .

وكذلك القول في أكلت السمكة حتى رأسها ، ورأسها ، ورأسها ، والكلام فيه يطول . وحتى في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى إلى ، قال تعالى : ﴿ تَمَتُّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴾ [سورة الذاريات آية : ٤٣] ، أي : إلى حين ، وقال : ﴿ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية ٥٤] أي : إلى حين ، وقال : ﴿ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [سورة القدر آية : ٥] .

الثاني : بمعنى فلما ، وذلك إذا وقعت مع إذا ، قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ﴾ [سورة يوسف آية : ١١٠] ، وقال : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ [سورة

الانبياء آية : ٩٦] ، وقال : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٦٤] ، وقال : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ [سورة هود آية : ٤٠] .

الثالث : بمعنى إلى أن ، قال تعالى : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ ﴾ [سورة التوبة آية : ٢٩] ، كذا جاء عن أهل التفسير فينبغي أن يحمل هذه الوجوه على الأصول التي ذكرناها في أول الباب ؛ فيصح .

الحرام^(١)

أصله المنع ، ومنه حرمة عظامه حرماناً أي : منعه إياه وحریم الرجل ما يجب عليه منعه وكذلك حرمة ، وهو ذو رحم محرم ؛ لأنه منع عن نكاحها بالنهي والشهر الحرام المنوع فيه عن سفك الدماء ، والبلد الحرام قربت من ذلك .
وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : المنع بالنهي ، وهو قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣] ، وهي ما قد مات من غير تذكية مما شرط علينا التذكية وإباحته ، والدم يعني : المسفوح لأن الكبد والطحال مباحان بالإجماع ، ولحم الخنزير ، وذكر اللحم وأراد جميع أجزائه من شحم وعظم ، وغير ذلك ، لأن اللحم معظمه ، وإذا ذكره فقد دخل فيه غيره ، : ﴿ وَمَا أَهْلَ لغير الله به ﴾ [سورة المائدة آية : ٣] ، وهذا يوجب أن ترك التسمية عليه يقتضي تحريمه ؛ لأنه لا فرق بين التسمية عليه وبين تسمية زيد عليه .

الثاني : عدم الإمكان وهو قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّا نَحْنَمُ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٦] ، ودليل هذا قوله : ﴿ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٦] ، ونظيره قول الشاعر :

إِنِّي امرؤٌ صرعي هَلَيْكَ حَرَامٌ

يخاطب فرسه أي : لا يمكنك صرعي إني جيد الفروسية .

(١) (ح ر م) : حُرِّمَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ حُرْمًا وَحُرْمًا مِثْلُ : عُنُرٍ امْتَنَعَ فَعَلُهُ وَزَادَ ابْنُ الْقُوطَيْبَةِ حُرْمَةً بِضَمِّ الْحَاءِ وَكَثَرَهَا وَحُرِّمَتِ الصَّلَاةُ مِنْ بَابِ قَرَّبَ وَتَبِعَ حَرَامًا وَحُرْمًا امْتَنَعَ فَعَلَهَا أَيْضًا وَحُرِّمَتِ الشَّيْءُ تَحْرِيمًا وَيَأْسِمُ الْمُفْعُولُ سُمِّيَ الشَّهْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الشَّيْءِ وَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ الْأَلِفَ وَاللَّامَ لِحَاكِ الْيَصْفَى فِي الْأَصْلِ وَجَعَلُوهُ عَلَمًا بَيْنَهُمَا مِثْلُ : النَّجْمِ وَالذَّبَّارِ وَتَخَوُّهُمَا وَلَا يَجُوزُ دُخُولُهُمَا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ عِنْدَ قَوْمٍ وَحِينَ قَوْمٍ يَجُوزُ عَلَى صَغِيرٍ وَشَوَالٍ وَجَمَعَ الْحَرَمَ مُحَرَّمَاتٍ وَسَمِعَ أَخْرَفْتُهُ بِمَعْنَى حَرَمْتُهُ وَالْمُنْعُ يُسَمَّى حَرَامًا تَسْمِيَةً بِالْمُضَدِّ وَبِهِ سُمِّيَ وَمِنْهُ أَمْ حَرَامٌ وَقَدْ يَقْصُرُ فَيَقَالُ حَرَمٌ مِثْلُ : زَمَانٍ وَزَمَنٍ وَالْجَزْمُ وَزَانٌ حِلٌّ لِقَعَةٍ فِي الْحَرَامِ أَيْضًا . [المصباح المنير : الحاء مع الراء]

الباب السابع

فيما جاء من الوجوه والنظائر وفي أوله خاء

الخزي^(١)

العيب التي تظهر فضيحتة ويلزم الاستحياء منه ، ومن ثم سمي الحياء خزاية ، يقال : خزي يخزي خزيا من العيب ، وخزي يخزي خزاية من الاستحياء ثم كثر حتى استعمل في الهوان ، فيقال : خزي الرجل ، إذا هان وذل .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بمعنى القتل والجلاء ، قال الله : ﴿ قَمًا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنكُم إِلَّا خِزْيٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ٨٥] ، وإنما سمي خزيا لما فيها من الهوان يعني : قتل قريظة ، وجلاء النضير ، وقال تعالى : ﴿ لَّهُم فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ١١٤ ، المائدة ٤١] ، وفي الحج : ﴿ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ [سورة الحج آية : ٩] ، يعني : القتل يوم بدر هكذا جاء في التفسير ، ويجوز أن يكون الخزي في هذه الآيات الهوان والذل يلحق العاصين في الدنيا .

الثاني : العذاب ، قال الله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَا صَاحِبًا وَالدِّينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾ [سورة هود آية : ٦٦] ، يعني : العذاب لا غير ، وجاء في تفسير قوله : ﴿ وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٨٧] ، وقوله : ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

(١) [خزي] : الخِزْيُ : السُّوء ، خَزِيَّ يَخْزِي خِزْيًا . وأقامه على خَزَيَّة وخِزْرَاء . والخَزَايَةُ : شِدَّةُ الاستحياء . وَرَجُلٌ خَزِيَان ، وامرأة خَزِيَا ، والجميع الخَزَايَا . وخَزَايِي فَخَزَيْتُهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُخْزِيَهُ : أَيِ غَالِبْتُهُ فَغَلَبْتُهُ . وأصَابَتْنا خَزَيَّةٌ : أَيِ خَصَلَةٌ يُسْتَحْيَا مِنْهَا . [المحيط في اللغة : خزي] .
الفرق بين الخزي والذل : أن الخزي ذل مع إفتضاح وقيل هو الانقضاء لقبح الفعل ، والخزاية الاستحياء ، لأنه إنقضاء عن الشئ لما فيه من العيب قال ابن درستويه : الخزي الإقامة على السوء خزي يخزي خزيا وإذا إستحيا من سوء فعله أو فعل به قيل خزي يخزي خزاية لأنها في معنى واحد وليس ذلك بشئ لأن الإقامة على السوء والاستحياء من السوء ليسا بمعنى واحد . [الفروق اللغوية : ٢١٥ / ١]

[سورة آل عمران آية : ١٩٤] ، وقوله : ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ [سورة التحريم آية : ٨] ، أنه أراد العذاب ، ويجوز أن يكون بمعنى الهوان أيضا .

الثالث : الهوان ، قال تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٩٢] ، أي : أهنته ، وقوله : ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة الحشر آية : ٥] ، أي : يهينهم ، وذلك أن اليهود أنكروا قطع المسلمين تحيلهم ، فأخبر الله أن القطع والترك بإذن الله لميزوا غيرهم يتصرفون في أفعالهم فبدلوا .

الرابع : الفضيحة ، قال الله : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ﴾ [سورة هود آية : ٧٨] ، أي : لا تفضحوني .

الخوف^(١)

الخوف خلاف الأمن ، والأمن سكون النفس والخوف انزعاجها وقلقها ، وهو معنى غير العلم ؛ لأن العلم يبقى بعد ذهاب الخوف . وأصله من النقصان ، ومنه قيل : خفت الشيء إذ أنقصته ، ودينار مخوف ناقص الوزن ، وقد يحىء الخوف بمعنى العلم ، قال الله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَا يُقِيِمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٩] ، وكذلك الخشية بمعنى العلم ، قال الله : ﴿فَخَشِيْنَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [سورة الكهف آية : ٨٠] . وقالوا : الخوف كالظن يكون شكا و يقينا ، وأنشد :

أَخَافُ إِذَا مَا مَتَ أَلَا أَذُوقُهَا

أي أعلم ، وموضعه في الظن قولك لصاحبك قد أبقي غلامك ، فيقول : قد خفت ذلك ، ويموز أن يكون هذا من الخوف خلاف الأمن .

والخوف في القرآن على خمسة أوجه فيما زعم بعض المفسرين :

الأول : القتل ، وهو قوله : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٥] ، يعني : القتل ، وليس بالوجه لأن قوله : ﴿وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٥] ، قد تضمن القتل ، ولكن معناه الخوف على الأنفس لكثرة الأعداء ، وذلك كان حال أهل المدينة بعد الهجرة ، وهم مخاطبون بهذه الآية .

الثاني : الحرب ، قال الله : ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٩] ، يعني : الحرب ، وسماها خوفا لما فيها من الخوف كما تسمى الحرب روعا لما فيها من الروع ، والروع والخوف سواء .

(١) (خ و ف) : خَافَ يَخَافُ خَوْفًا وَخِيفَةً وَخِثَافَةً وَخِثْفَةً الْأَمْرُ يَتَعَدَّى بِتَفْسِيهِ فَهُوَ خَوْفٌ وَأَخَافَتِي الْأَمْرُ فَهُوَ مُجِيفٌ بِضَمِّ الْمِيمِ اسْمٌ فَاعِلٌ فَإِنَّهُ مُجِيفٌ مِنْ يَرَاهُ وَأَخَافُ اللَّصُوصُ الطَّرِيقُ فَالطَّرِيقُ مُخَافٌ عَلَى مُفْعَلٍ بِضَمِّ الْمِيمِ وَطَّرِيقٌ مُخَوِّفٌ بِالْفَتْحِ أَيْضًا لِأَنَّ النَّاسَ خَافُوا فِيهِ وَمَالَ الْخَائِطُ فَأَخَافُ النَّاسَ فَهُوَ مُجِيفٌ وَخَافُوهُ فَهُوَ مُخَوِّفٌ وَتَتَعَدَّى بِالْمُتَمَرَّةِ وَالتَّضْعِيفِ فَيَقَالُ أَخَفْتُ الْأَمْرَ فَخَافَهُ وَخَوَّفْتُ إِيَّاهُ فَتَخَوَّفَهُ . [المصباح المنير : الخاء مع الواو]

الثالث : العلم ، قال الله : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٢] ، أي : علم ، وقد تكلمنا في هذه الآية ومثله : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَاقِبَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٩] ، أي : فإن علمتم ، وأول الآية : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُخَافَا أَلَّا يُقْبِلَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٩] ، يعني : أن المهر الذي استحل به الرجل فرجها ؛ لا يحل له أن يأخذه مهرها على الكره ، ولا على سبيل الإلجاء لها إلى دفعه إليه ليتخلص منه ؛ إلا أن يكون الرجل على حال لا تصبر المرأة عليها ، فتفتدي منه بمهرها وله أن يأخذ ذلك منها ، ويسرحها .

وقيل : لا يحل لكم إذا أردتم طلاقهن أن تضاروهن حتى تفتنين أنفسهن بترك مهورهن : ﴿ إِلَّا أَنْ يُخَافَا أَلَّا يُقْبِلَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٩] ، فيما يجد لكل واحد منهما على الآخر ، وقيل : يعني : في النشوز ؛ لأنها إذا نشزت لم يكن على الرجل جناح في أخذ ما اقتدت به نفسها منه ليطلقها ، وفي النساء : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْبِلُوا ﴾ [سورة النساء آية : ٣] ، ومثله : ﴿ وَأَنْذِرِ الَّذِينَ يُخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٥١] .

الرابع : الخوف بعينه ، قال الله : ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٥] ، وقال : ﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ [سورة فصلت آية : ٣٠] ، وقوله : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٦] ، وقوله : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [سورة السجدة آية : ١٦] .

الخامس : التخوف ، وليس هذا بابيه ، وهو التنقص ، قال : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ [سورة النحل آية : ٤٧] ، أي : تنقص أموالهم وثأرهم حتى يهلكهم .

الخسران^(١)

أصله النقصان ، ومنه قيل للتاجر : إذا وضع أنه خسر ثم كثر حتى ، قيل لكل من سعى في شيء فأداه إلى مكروه خاسر ، وقيل : الخسران الضلال .

وهو في القرآن على أربعة أوجه : الأول : بمعنى العجز ، قال الله : ﴿ لَيْسَ أَكْلُهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَحَايَرُونَ ﴾ [سورة يوسف آية : ١٤] أي : عجزه ، ومثله قوله : ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ لَإِنَّكُمْ إِذَا لَحَايَرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٣٤] ، وقال : ﴿ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعْيَاءَ لَإِنَّكُمْ إِذَا لَحَايَرُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩٠] .

الثاني : بمعنى الغبن ، قال : ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [سورة الزمر آية : ١٥] ، أي : غبنوا فصاروا إلى النار ، وأصل الخسران ذهاب رأس المال ، فلما كانت النفس بمنزلة رأس المال وما يستفيدة بعد ذلك بمنزلة الربح ، قال للهالك الذي خسر نفسه ؛ لأنه بمنزلة من ذهب منه رأس المال .

الثالث : الضلال ، قال : ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾ [سورة النساء آية : ١١٩] ، أي : ضل ضلالا بينا ، ويجوز أن يكون بمعنى الحرمان ، أي : حرم الثواب كما إذا حرم الربح ، فقد خسر ، وقال : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [سورة العصر آية : ١-٢] ، أي : في ضلال .

الرابع : النقصان ، قال : ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٨١] ، أي : الناقصين في الكيل والوزن ، وقال جرير :

إِنَّ سَلِيطًا فِي الْخَسَارِ إِنَّهُ أَوْلَادُ قَوْمٍ خُلِقُوا أَقِنَّهُ

أي : فيما ينقصهم حظهم من الشرف .

(١) (خ س ر) : خَسِرَ فِي تِجَارَتِهِ خَسَارَةً بِالْفَتْحِ وَخُسْرًا وَخُسْرَانًا وَيَتَعَدَّى بِالْمَنْزَعَةِ فَيَقَالُ أَخْسَرْتُهُ فِيهَا وَخَسِرَ خُسْرًا وَخُسْرَانًا أَيْضًا هَلَكٌ وَأَخْسَرْتُ الْمِيزَانَ إِخْسَارًا نَقَضْتُ الْوِزْنَ وَخَسَرْتُهُ خُسْرًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ لَفَعًا فِيهِ وَخَسَرْتُ فَلَانًا بِالتَّخْفِيفِ أَعْدَيْتُهُ وَخَسَرْتُهُ نَسَبْتُهُ إِلَى الْخُسْرَانِ يَمْثُلُ : كَذَّبْتُهُ بِالتَّخْفِيفِ إِذَا نَسَبْتُهُ إِلَى الْكُذْبِ وَمِثْلُهُ فَسَقْتُهُ وَفَجَرْتُهُ إِذَا نَسَبْتُهُ إِلَى هَذِهِ الْأَفْعَالِ . [المصباح المنير : الخاء مع السين]

الخلق^(١)

أصله التقدير ، وكل مقدر مخلوق ، وفي كلام بعضهم لا أخلق إلا فريت ولا أهد إلا وفيت ، وأخترت الكلام إذا زوره وقدره ، ورجل مخلق ، حسن القامة ، قد قدر تقديرًا جميلًا وشيء أخلق أملكس لأنه أحسن تقديرًا من الأخشن .

والخلقة خليفة الإنسان ، وهو خلق لهذا أي : شبيه ، وامرأة خليفة ذات جسم وخلق ، وقد خلقت خلقة ، وليس له خلق ، أي : نصيب ، وثوب خلق وأخلاق وخلقًا الجبهة مستواها ، ولا نعرف الخلق في أفعال الإنسان إلا في الأديم ، ولا يجوز إطلاق اسم الخالق في غير تقييد إلا لله تعالى .

والخلق في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الدين ، قال : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [سورة الروم آية : ٣٠] ، أي : لدينه ، والشاهد ذلك قوله : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [سورة الروم آية : ٣٠] ، واللفظ خبر ، والمعنى أمر ، أي : لا تبدلوا دين الله ، وقال : ﴿ وَلَا تُرْهِمُوهُمْ فَلْيَفْزِعُونْهُمْ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء آية : ١١٩] ، معناه أنهم يغيرون دين الله .

لأن الله خلق الخلق على الفطرة ، فمن كفر فقد غير ما خلق له ، وهو مثل قوله : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [سورة الروم آية : ٣٠] ، أي : لدينه ، ويجوز أن يقال : أن الدين سمي خلقًا ؛ لأن الله قدره وبيّنه ، ويجوز أن يقال أنه دخل في قوله : ﴿ لَيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء آية : ١١٩] ، جميع ما حرموه مما أحل الله أو أحلوه مما حرم الله ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [سورة الروم آية : ٢١] ، ثم

(١) [خلق] : الخليفة : الخلق ، والطبيعة . والجميع : الخلائق ، والخلائق : نقر في الصفا . والخلقة : الخلق والخالق : الصانع ، وخلق الأديم : قدرته .

وإن هذا المخلقة للخير ، أي : جدير به ، وقد خلق لهذا الأمر فهو خلق له ، أي : جدير به . وإنه خلق لذلك ، أي : شبيه ، وما أخلقه ، أي : ما أنشبهه .

وامرأة خليفة : ذات جسم وخلق ، وقد يقال : رجل خلق ، أي : تم خلقه ، وخلق المرأة خلقة . أي : تم خلقها وحسن . [العين : خلق]

قال للذين يأتون الرجال : ﴿ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٦٥-١٦٦] ، وقيل : لا تغيروا الدين عن صحته .

والمراد أنه خلق الأنعام ليركبوها ، يأكلوها ، فحرموا على أنفسهم ذلك ، أي : البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ، وخلق الشمس والقمر والأرض والحجارة مسخرة للناس فعبدوها ، وقيل : تغيير خلق الله

الثاني : التخرص ، قال الله : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٣٧] ، وقال : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٧] ، وقال : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ [سورة ص آية : ٧] ، فسمي الكذب اختلاقاً ؛ لأنه يقدر ويزين ليتشبه بالصدق .
الثالث : التصوير ، قال الله : ﴿ أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٩] ، أي : تصوره .

الرابع : على قول بعض المفسرين النطق ، قال الله : ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [سورة فصلت آية : ٢١] ، قال : أنطقكم ، والوجه عندي ، وهو خلقكم أول مرة ناطقين فحذف لما في أول الآية من ذكر النطق .

الخامس : الجعل ، قال : ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٦٦] ، والجعل هاهنا الفعل .

السادس : البعث ، قال : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [سورة يس آية : ٨١] ، أي : على أن يبعث .

الخطأ^(١)

يقال : أخطأ الرجل إذا عمد الصواب ، فأصاب غيره ، وخطئ بخطأ إذا فعل الخطأ على عمد ، والاسم من الأول الخطأ ، ومن الثاني الخطي ، وفي القرآن : ﴿ كَانَ خَطَاً كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣١] ، وعند كثير من أهل اللغة أن الخطأ والخطي سواء .

والإخطاء يكون حسناً وقيحاً ، وذلك أن الإنسان إذا رمي في محذور ، فعمد الإخطاء ، كان ذلك حسناً ، وكذلك الإصابة يقع حسنه وقيحه كالإنسان يصيب في المحذور ، فتكون إصابته قيحة ، ولا يكون الصواب إلا حسناً ؛ لأن الصواب اسم لما وقع على وجهه وحقه ، والخطي أكثر في القراءة .

والخطأ أفشى في كلام الناس ، ولم يجيء الخطي في شيء من الشعر ، إلا في بيت واحد وهو قول الشاعر :

الخطأ فَاِحْشَاءٌ وَالْبِرُّ نَافِلَةٌ كَعَجَبَةِ غُرْسَتْ فِي الْأَرْضِ تُؤْتَبَرُ

وقال أبو عبيدة : خطئت وأخطأت لغتان

فمن قال : خطئت جعل الخطأ مصدراً ، والخطي اسماً .

ومن قال : أخطأت جعل الخطأ والخطي اسمين ، والأخطاء المصدر .

وقال المبرد : الخطأ اسم مفرد كالإثم ، والخطيئة الفئب .

قال أبو عبيدة : يكون الخطأ ما لم تتعمد ، وليس هذا موضعه ، يعني : الآية التي في بني

إسرائيل ، وأنشد :

وإِنْ مُهَاجِرِينَ تَكْتَفَاهُ غَدًا تَعِذْ لَقَدْ خَطَنَّا وَحَابَا

(١) قال الجرجاني : الخطأ : هو ما ليس للإنسان فيه قصد ، وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهد ، ويصير شبهة في العقوبة حتى لا يؤثم الخاطئ ، ولا يؤخذ بهد ولا قصاص ، ولم يجعل عذراً في حق العباد حتى وجب عليه ضمان العدوان ، ووجب به الدية ، كما إذا رمى شخصاً ظنه صيداً أو حرياً ، فإذا هو مسلم ، أو غرضاً فأصاب آدمياً ، وما جرى مجراه ، كنائم ثم انقلب على رجل فقتله . [التعريفات : الخطأ]

خطئنا : ركبا ذنبا ، وحاب من الحوب ، وهو الفنب المزجور عنه مأخوذ من قولهم في زجر الإبل حوب حوب .

وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الذنب المتعمد دون الشرك ، قال : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٩٧] .

الثاني : الشرك ، قال : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [سورة القصص آية : ٨] أي مشركين .

الثالث : ما لم يتعمد من الذنوب ، قال تعالى : ﴿ لَا تُوَاخِذْنَا بِأَن نَّسِيَّاتُ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٦] ، وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ [سورة النساء آية : ٩٢] .

وقيل : هو استثناء منقطع ، كأنه قال : لكن إن قطعه خطأ فحكمه كيت وكيت ، وقيل : هو استثناء صحيح وهو أن له أن يقتله في بعض الأحوال إذا رأى عليه سياء المشركين ، وهو خطأ .

وقيل : إلا بمعنى الواو ، أي : ولا خطأ ، وليس بشيء ، وقيل : هو استثناء صحيح ، لأن الآية قد أفادت إيجاب العقاب على قاتله ، ثم قال : ﴿ إِلَّا خَطَأً ﴾ ، فإنه لا عقاب عليه ، فاستثنى من هذا المعنى ، وقوله : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِتْمَاءً ﴾ [سورة النساء آية : ١١٢] ، يعني : أن من أخطأ خطأ يجب فيه العزم أو يعمد إثما فيه عار فرمى غيره بذلك ليغرمه أو يلحق به عاره ، فقد احتمل الكذب أو الباطل ، وقد مضى تفسير البهتان .

الحبيث^(١)

أصل الحبيث الدنس والرداءة ، ومنه حبيث الحديد وحبيث الفضة ما يتلف منها ؛ لأنه يفسدها ويدنسها ، وتستعمل في الدهاء ، فيقال : حبيث إذا كان داهيا ، ويستعمل في المعصية والحرام ، وإن ذلك كله مما يدنس العرض والدين ، ورجل حبيث : رديء المذهب ، والمحبث الذي له أصحاب خبيثاء .

والخبثة الفجور ، والأخبثان الرجيع والبول ، في الحديث " لا يصلي أحدكم وهو يدافع الأخبيين " .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٨] ، أي : الذي رد ولا يكون إلا قليلا ، والنكد القليل ، وهو العسر أيضا ؛ لأن خير العسر قليل . وهو في القرآن على وجهين :

الأول : الحرام ، قال الله : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْحَيُّثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ [سورة المائدة آية : ١٠٠] ، يعني : الحلال والحرام ، معناه أن الحبيث وإن كثر فأعجب ، فإن الطيب خير منه في العافية ، وإن قل .

(١) (خ ب ث) : خَبِثَ الشَّيْءُ خُبْنًا مِنْ بَابِ قُرْبٍ خِلَافَ طَابَ وَالْإِنْسُ الْحَبَائِثُ فَهُوَ خَبِثٌ وَالْأَنْثَى خَبِثَةٌ وَيُطْلَقُ الْحَبِثُ عَلَى الْحَرَامِ كَالزَّانَا وَعَلَى الرَّدِيِّ الْمُسْتَكْرَه طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ كَالثُّومِ وَالْبَصَلِ وَمِنْهُ الْحَبَائِثُ وَهِيَ الْأُنْثَى كَانَتْ الْعَرَبُ تَسْتَخْفِيهَا مِثْلُ : الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَتَمَّمُوا الْحَبِثَ مِنْهُ تَنَفُّقًا ﴾ أَيْ لَا تَخْرُجُوا الرَّدِيَّ فِي الصَّدَقَةِ عَنِ الْحَيِّدِ وَالْأَخْبَثَانِ الْبُؤْسُ وَالْعَائِطُ وَشَيْءٌ خَبِثَ أَيْ نَجَسَ وَجَمْعُ الْحَبِثِ خُبْثٌ بِضَمِّينِ مِثْلُ : بَرِيدٌ وَبُرْدٌ وَخُبْنَاءُ وَأَخْبَثٌ مِثْلُ : شُرَفَاءُ وَأَشْرَافٍ وَخَبْتَةٌ أَيْضًا مِثْلُ : ضَعِيفٌ وَضَعْفَةٌ وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ لَهَا ثَالِثٌ وَجَمْعُ الْحَبِثَةِ خَبَائِثٌ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْحَبَائِثِ بِضَمِّ الْبَاءِ وَالْإِسْكَانِ جَائِزٌ عَلَى لُغَةٍ تَمِيمُ وَسَيَأْتِي فِي الْحَاقَّةِ قِيلَ مِنْ ذِكْرَانِ الشَّيَاطِينِ وَإِنَاتِهِمْ وَقِيلَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَخَبَّتِ الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ يَخْبُثُ مِنْ بَابِ قَتْلٍ رَأَى بِهَا فَهُوَ خَبِثٌ وَهِيَ خَبِثَةٌ وَأَخْبَتَ بِالْأَلْفِ صَارَ ذَا خُبْثٍ وَشَرٍّ . [المصباح المنير : الحاء مع الباء] (٢) أخرجه ابن حبان من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها (٢٠٧٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٣ / ٧١ ، والسنن الصغرى (٤٨٣) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٨٠٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨٠١٥) ، وله شاهد من حديث ابن عباس في مسند الربيع بن حبيب (٢٩٨) .

والخبيث اسم يقع على جميع ما حرم الله ، والطيب اسم يتناول جميع ما أحله الله وأعجبك مخاطبة الواحد ، والمراد الجماعة ، ومجاز الكلام أن الخبيث لا يساوي الطيب ، وإن كان على حال يعجب ويسر .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْدُلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ [سورة النساء آية : ٢] ، أي : لا تأخذوا الحرام من أموال اليتامى بدلا مما أحل من سائر الأموال .

الثاني : الكافر ، قال الله : ﴿ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٧٩] ، يعني : الكافر والمؤمن ، والخبيث والفاجر ، قال الله : ﴿ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ [سورة النور آية : ٢٦] من الرجال .

وهذه الآية منسوخة بالإجماع ، ونزلت في الوقت الذي نزل فيه قوله : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾ [سورة النور آية : ٣] ، وقد علمنا أن النبي صلى الله عليه وآله كان طيبا من الرجال فينبغي أن تكون أزواجه طيبات لقضية الله بذلك في هذه الآية .

وفي قوله : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾ دليل على أن الزناة ليسوا بمؤمنين في أسماء الدين التي هي على جهة المدح ، ولو كانوا مؤمنين على ما تقول المرجئة ، لكان هذا التحريم يجب أن يعم هؤلاء الزناة كما عم المؤمنين لاجتماعهم في هذا الاسم الذي أجرى الله التحريم عليه في قوله : ﴿ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النور آية : ٣] ، فلما كان هذا ناقضا لحكم الآية موجبا أن يكون حلل فيها ما حرم فيها ذلك على أن الزناة لا يدخلون في هذا الاسم .

الخير^(١)

الخير اسم لكل منفعة ومنه الخيرة في الأمور والاختيار ، اختيارك الشيء على الشيء لما في المخبر من المنفعة في الظاهر ، وقد تكلمنا في هذا الحرف بأكثر من هذا في كتابنا في التفسير .

والخير في القرآن على عشرة أوجه :

الأول : المال ، قال : ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٠] ، وقال : ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ [سورة ص آية : ٣٢] ، وقيل : الخير هنا المال الكثير الذي له قدر ، وكذلك في قوله : ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ [سورة ص آية : ٣٢] .

وروي أن رجلا من بني هاشم حضرته الوفاة ، فأراد أن يوصي ، فقال علي عليه السلام : كم ترك ، قيل : أربع مائة ، فقال : إن هذا قليل إن الله يقول : ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ ، وقيل : كانت سبع مائة .

وقال قتادة : الخير ألف درهم فصاعدا .

وقال الزهري : الخير كل ما وقع عليه اسم المال من كثير وقليل ، وأزاد علي عليه السلام : أن المال إذا كان قليلا يوفى على الورثة ولا يوصي منه استحبابا لا إيجابا .

الثاني : الإيمان ، قال الله : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٣] ، وكانوا يقترحون أن يسمعهم الله كلام الموتى ، فقال : لو علم الله أنهم إن سمعوا ذلك آمنوا لفعل ذلك ، وقيل : معناه لو علم فيهم إيمانا لسأهم سمعاء ، ولم يسمعهم بكما وصما .

الثالث : الثواب ، قال : ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [سورة هود آية : ٣١] ، أي : ثوابا أي : لا أقول أن أعمالهم الحسنة تضيع عند الله لأجل فقرهم ، والمراد أن المؤمن الزري المنظر ليس عند الله بمحروم ، كما أنه عندكم محروم .

(١) (خ ي ر) : الْخَيْرُ بِالْكَسْرِ الْكَرَمُ وَالْجُودُ وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ خَيْرِي عَلَى لَفْظِهِ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَشُورِ خَيْرِي لِكَيْتَهُ غَلَبَ عَلَى الْأَصْفَرِ مِنْهُ لِأَنَّهُ الَّذِي يُخْرِجُ دُمُوتَهُ وَيَدْخُلُ فِي الْأَذْوِيَةِ وَقُلَانْ دُوْ خَيْرِ أَيْ دُوْ كَرَمٍ وَيُقَالُ لِلْخَزَامِيِّ خَيْرِي لِإِنَّهُ أَذْكَى بَنَاتِ الْبَادِيَةِ يَخْنَأُ . [المصباح المنير : الخاء مع الباء]

الرابع : القرآن ، قال : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٠٥] ، ويمحور أن يكون المراد ما يرزقهم الله من نعمة وسعة .

الخامس : بمعنى أفضل ، قال الله : ﴿ قُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ١١٨] ، ومثله : ﴿ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ، و : ﴿ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٧] ، سورة يونس آية : ١٠٩ ، سورة يوسف آية : ٨٠ ، وخير وشر يميثان بمعنى أفعال ، ولا يقال : أخير ولا أشر .

السادس : النعمة ، قال الله : ﴿ وَإِنْ يُرَدِّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [سورة يونس آية : ١٠٧] ، يعني : بنعمة وعافية .

السابع : المنفعة ، قال : ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ [سورة الحج آية : ٣٦] ، يعني : في ظهورها وألبانها .

الثامن : الطعام ، قال : ﴿ إِنْ يَأْتِ بِخَيْرٍ فَخَيْرٌ ﴾ [سورة القصص آية : ٢٤] .

التاسع : الظفر في القتال ، قال الله : ﴿ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٢٥] ، أي : ظفروا ولا غنيمة .

العاشر : الهدى والبيان ، قال الله : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ [سورة النحل آية : ٣٠] ، أي : بيانا وهدى ، والمراد القرآن ، وخرج لنا وجه آخر ، وهو الخير بمعنى الكفاية ، قال الله : ﴿ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ [سورة الكهف آية : ٩٥] ، أي : كفاية ، وأنت تقول : فلان في خير أي : في كفاية وتشيع القول في ذلك في باب القاف إن شاء الله .

ومما يجري مع هذا الباب الكلام في الاختيار والإيثار ، فالاختيار إرادة الشيء بدلا من غيره ، والإيثار مثل الاختيار ؛ إلا أنه قيل في قوله : ﴿ لَقَدْ آتَوَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ [سورة يوسف آية : ٩١] ، أي : قدم اختيارك علينا ، فكان الإيثار وهو الاختيار المقدم ؛ ولا يكون أيضا إيثار شيء إلا على شيء .

٢١٤ _____ في ما جاء من الوجه والنظر في أوله نداء

وأجود من هذا أن يقال : الإيثار اختصاص الشيء دون غيره مأخوذ من قولهم : هو عندي من أهل الأثرة ، أي : من أهل الاختصاص ، وذلك لما يظهر فيه من آثار الصلاح ، والاختيار لإرادة الشيء دون غيره ، لما فيه من الخير .

وسميت الإرادة اختياراً ؛ لأن المريد من الأجسام لا يريد في الأغلب إلا الخير في الحقيقة . أو ما هو عنده خير ثم اتسع فيه فسميت كل إرادة أوتّر بها على شيء اختياراً ، وسميت أفعال الجوارح اختياراً تفرقة بين حركة البطش ، وحركة المرتعش ، كأنه سمي المختار منه اختياراً ، كما سمي المشتبه شهوة ، والمسروق سرقة .

الخيانة^(١)

الخيانة ترك الوفاء للمؤمن ، وأصله من النقص تخونه إذا تنقصه ، وبين الخائن والسارق فرق ، وكل سارق خائن ، وليس كل خائن سارقا .

والخيانة في القتل على وجهين :

الأول : المعصية ، قال الله : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٧] ، وقال : ﴿ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٧] ، كذا قيل ، والصحيح أنه أراد أنكم تنقصون أنفسكم من شهواتها بامتناعكم عن مباشرتها لنهيها إياكم ، والمخاطبة على هذا عامة ، ويجوز أن تكون خاصة لقوم لا يصرون على الفرض ، فيتركونه فينقصون أنفسهم الثواب ، ويقال : ما يتخونك عندي إلا خصلة ، أي : ما ينقصك .

الثاني : خيانة المؤمن ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيصًا ﴾ [سورة النساء آية : ١٠٥] ، نزلت في طعيمة بن أثيرق ، رجل من بني ظفر من الأنصار ، سرق درعا من حديد ، وخفاها في جراب دقيق ، وأودعها يهوديا ، فاطلع عليه فعذره بنو ظفر عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وألزموا اليهودي الذنب ، فهم النبي صلى الله عليه وسلم بعقوبته ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيصًا ﴾ [سورة النساء آية : ١٠٥] ، أي : معينا واستغفر الله من همك باليهودي ، ثم خاف طعيمة القطع فهرب إلى مكة فنقب بيت الحجاج بن غلاط ، فتشبث في النقب فأخذ ثم خلى لجوازه فمضى نحو الشام فسرق في منزل نزل ، فرمي بالحجارة حتى قتل ، وفيه نزل : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٨] ، قال ابن عباس : ﴿ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٧] ، أي : تظلمونها بالخيانة ، وقيل : لا تنصحون لتعرضكم إياها للعذاب الدائم .

(١) (خ و ن) : (الْخِيَانَةُ) خِلَافُ الْأَمَانَةِ وَهِيَ تَدْخُلُ فِي أَشْيَاءَ سِوَى الْمَالِ مِنْ ذَلِكَ (قَوْلُهُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ لَا تَجُورْ شَهَادَةً خَائِنٍ وَلَا خَائِنَةً ﴾ وَأُرِيدَ بِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّا نَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ ﴾ نَكْتُ الْعَهْدِ وَتَقْضُ وَقَدْ خَانَ (وَمَنْ) تَقُولُ التَّمَنُّةُ كَفَرْتُ وَلَمْ أَشْكُرْ وَتَقُولُ الْأَمَانَةُ خُنْتُ وَلَمْ أَحْفَظْ وَهُوَ فُعِلْتُ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاجِلُهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ مُسَلِّقَةُ النَّظَرِ (وَمَنْ) الْحَبِيثُ ﴿ مَا كَانَ لِيَنْبِيَ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةً الْأَعْيُنِ ﴾ (وَالْخَوَانُ) مَا يُؤْكَلُ عَلَيْهِ وَالْجَنُوعُ خَوْنٌ وَأَخُونَةٌ [المغرب : الخاء مع الواو]

والخصيم^(١)

المخاصم خاصمه ، وهو خصيمه ، مثل عاشره وهو عشيره ، وخالطه وهو خليطه ، ومن خاصم عن الإنسان فهو معينه ، ولهذا قيل : أن الخصيم المعين ، وقد ذكرنا أن كل سارق خائن ، وليس كل خائن سارقا ، ولهذا سمي الله طعيمة خائنا في هذه الآية ، وقيل : للدهر خؤون ؛ لأنه يأتي بأحداثه من حيث يؤمر .

وذكر في الخائنين كل ذي ذنب كبير ، لأن الآتي بالكبير خائن لنفسه ، كأنه لم يناصحها إذ عرضها لغضب الله عز وجل .

(١) [خصم] : الخصم واحد وجميع ممن يخاصمك ، وهو الخصيم أيضاً ، ويجمع على الخصماء والخصماء . والخصومة - مصدر - التخاصم والخصام . وأخصم فلان فلاناً لقته حجته حتى يخصم بها خصمه . والخصم طرف الراوية الذي بحيال الغزلاء في مؤخرها . والأخصام الذي عند الكلية من كل شيء . والخصوم أفواه الأودية . والأصول في قول الطرماح :

هائم مراحات تسامى خصومها

[المحيط في اللغة : ٣٤٧/١]

الباب الثامن

فيما جاء من الوجوه والتظاير في أوله دال

الدين

أصله في العربية اللزوم ، ويتصرف في العربية على خمسة أوجه : الملة ، والعادة ، والحساب ، والطاعة ، والجزاء . وكل ذلك مما يلزم الإنسان أو يلزمه الإنسان ، ومن ثم أيضا قيل : الدين للزومه الدائن لا يسقط عنه إلا بالأداء .

وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : التوحيد ، قال : ﴿ قَادِعُوا اللَّهَ تَحْلِيصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [سورة غافر آية : ١٤] . وقال : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ ^(١) [سورة الزمر آية : ٢] ، يعني : التوحيد كذا قيل ، ويجوز أن يكون أراد جملة ما عليه المؤمن من دينه .

الثاني : الحساب ، قال الله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [سورة الفاتحة آية : ٤] ، أي : يوم الحساب ، وقيل من دان نفسه ربح : أي : من حاسبها ، وقيل : الدين هنا الجزاء ومثله : ﴿ هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٠] ، ومثله : ﴿ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [سورة المطففين آية : ١١] ، والتكذيب به جحده .

الثالث : الحكم ، قال الله : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ [سورة النور آية : ٢] ، أي : في حكمه ، وفيه دليل على أن الزاني والزانية ليسا بمؤمنين لإخراجه إياهما من

(١) قال الشوكاني : جملة ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ مستأنفة مقفزة لما قبلها من الأمر بالإخلاص ، أي : إن الدين الخالص من شوائب الشرك ، وغيره هو الله ، وما سواه من الأديان ، فليس بدين الله الخالص الذي أمر به . قال قتادة : الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ لما أمر سبحانه بعبادته على وجه الإخلاص ، وأن الدين الخالص له لا لغيره يقر بطلان الشرك الذي هو مخالف للإخلاص [فتح القدير ٢٦٧/٦]

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله دال
استحقاق الرأفة والرحمة اللاتي جعلهما للمؤمنين ، ويجوز أن يكون الدين هاهنا بمعنى الملة ،
وقيل : في طاعة الله ، وقيل : لا تأخذكم بها رأفة فتقصروا في دين الله .

الرابع : الطاعة ، قال الله : ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ [سورة يوسف آية :
٧٦] ، أي : في طاعته ، وقد دان الناس للملكهم إذا أطاعوه ، قال الشاعر :

لئن حللت بحَيٍّ في بني أسدٍ
في دينِ عمرو وَحَالَت يَتَنَّا فذك

الخامس : الملة ، قال الله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأَهْدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [سورة الفتح آية : ٢٨] ، أي : ليعلو على كل دين يدان به ، والظهور العلو ،
وظهر فوق البيت علاه ، وقوله : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [سورة آل عمران آية :
١٩] ، وقال : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٦] ، أي : الملة المستقيمة .

وقال بعض الشعوية : الدين فارسي واستدل على ذلك بأن الدين يوجد في كتب الفرس
القديمة فقالوا دين ذو يرى على قديم الدهر من قبل أن تدخل العربية أرضهم ، يعنون خطأ
يكتبون به علوم دينهم ، ونحن لا نعرف هذا ، والصحيح أن الدين عربي معروف .

الدعاء^(١)

أصله الطلب ، يقول : دعا إلى الشيء ، أي : طلب المصير إليه ، وادعى على فلان حقاً ؛ لأنه يطلبه .

والدعوة إلى الطعام معروفة ، ثم كثر حتى سمي الطعام دعوة ، وسمي بالمصدر من قولك : دعا دعوة واحدة ، والدعوة في النسب ؛ لأنه طلب الدخول فيه .

والدعاء أيضاً الاستعانة ، لأنها طلب الإعانة ، قال الله عز وجل : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣] ، أي : استعينوهم ، قال الشاعر :

وَقَبْلُكَ كُلَّ خَصِمٍ قَدْ تَمَالَوْا
عَلَيَّ قَمَا جَزَعْتُ وَلَا دَعَوْتُ

أي : ما استعنت غيري على دفعهم .

وكل ما وقع لأجله الفعل فهو داع إليه إلا أن يقع على غير الاختيار ، كالمثولد الذي يقع سببه عن سهو .

والدعاء في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : القول ، قال الله : ﴿ قَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥] ، وقال : ﴿ قَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٥] ، أي : ما زالت تلك الكلمة دعواهم ، أي : يدعونها ، وهو قوله : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا ﴾ [سورة

(١) (دع و) : دَعَوْتُ اللَّهَ أَذْعَرُهُ دُعَاءً ابْتَهَلْتُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَدَعَوْتُ زَيْدًا نَادَيْتُهُ وَطَلَبْتُ إِقْبَالَهُ وَدَعَا الْمُؤَذِّنُ النَّاسَ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ دَاعِي اللَّهِ وَالْجَمْعُ دُعَاءٌ وَدَاعُونَ مِثْلُ : قَاضِي وَفَضَاءَ وَقَاضُونَ وَالنَّبِيُّ دَاعِي الْخَلْقِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَدَعَوْتُ الْوَلَدَ زَيْدًا وَزَيْدٌ إِذَا سَمِيَتْ بِهِ الْإِسْمُ وَالْدُّعْوَةُ بِالْكَسْرِ فِي النَّسَبِ يُقَالُ دَعَوْتُهُ بَابْنِ زَيْدٍ وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ الدُّعْوَةُ بِالْكَسْرِ ادْعَاءُ الْوَلَدِ الدَّعِي غَيْرَ أَبِيهِ يُقَالُ هُوَ دَعِيٌّ بَيْنَ الدُّعْوَةِ بِالْكَسْرِ إِذَا كَانَ يَدْعِي إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يَدْعِيهِ غَيْرُ أَبِيهِ فَهُوَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ مِنَ الْأَوَّلِ وَبِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنَ الثَّانِي وَالْدُّعْوَى وَالِدْعَاوَةُ بِالْفَتْحِ وَالْإِدْعَاءُ مِثْلُ : ذَلِكَ وَعَنِ الْكِسَائِيِّ لِي فِي الْقَوْمِ دُعْوَةٌ بِالْكَسْرِ أَيْ قَرَابَةٌ وَإِخَاءٌ وَالْدُّعْوَةُ بِالْفَتْحِ فِي الطَّعَامِ اسْمٌ مِنْ دَعَوْتُ النَّاسَ إِذَا طَلَبْتَهُمْ لِأَكْلِهِمْ عِنْدَكَ يُقَالُ نَحْنُ فِي دُعْوَةٍ فَلَانٍ وَمَذَاهِبُهُ وَدُعَايِهِ بِمَعْنَى قَالَ أَبُو عَمِيٍّ وَمَذَا كَلَامُ أَكْثَرِ الْعَرَبِ إِلَّا عِدِّي الرَّيَابِ فَلَيْتَهُمْ يَغْمُكُونَ وَيَجْعَلُونَ الْفَتْحَ فِي النَّسَبِ وَالْكَسْرِ فِي الطَّعَامِ وَدَعْوَى فَلَانٍ كَذَا أَيْ قَوْلُهُ . [المصباح المنير : الدال مع العين]

الأنبياء آية : ١٤ ، يس : ٥٢ ، الصافات : ٢٠ ، ويقولون : فلان يدعو بالويل ، إذا كان يقول : يا ويله ، وقال : ﴿ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ [سورة يونس آية : ١٠] .

الثاني : العبادة ، قال : ﴿ قُلْ أَتَدْعُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ٧١] ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ١١٧] ، وقال : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ [سورة الفرقان آية : ٧٧] ، أي : لولا عبادتكم الأوثان لم ينال لعذابكم .

الثالث : الدعاء بعينه ، وهو النداء ، قال : ﴿ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ ﴾ [سورة القمر آية : ١٠] ، وقال : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ [سورة القمر آية : ٦] ، وقال : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٥٢] ، وقال : ﴿ وَلَا يَسْمَعُ الصَّامُ الدُّعَاءَ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٤٥] ، وقال : ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾ [سورة فاطر آية : ١٤] ، أي : يراكم .

الرابع : الاستعانة ، قال الله : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣] ، وقال : ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [سورة يونس آية : ٣٨] ، قال : ﴿ وَلْيَدْعُ رَبُّهُ ﴾ [سورة غافر آية : ٢٦] ، أي : ليستعن به .

الخامس : السؤال ، قال الله : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٦٨] ، أي : سله ، وقال : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٣٤] ، أي : سله يفعل ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا السَّاجِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٤٩] ، وقال : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٥] ، غافر : ٤٩ ، أي : سلوه ، وهذا الضرب من السؤال واجب على العبد ، لأن الأمر قد جاء به مطلقا ، والأمر على الوجوب .

الباب التاسع

فما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ذال

الذكر^(١)

أصل الذكر القوة ، ومنه تسمية الذكر خلاف الأنثى ؛ لأنه أقوى من الأنثى وجديد ذكر بفضل قوته على الأنوثة ، والذكر بالقلب يرجع إلى هذا ؛ لأن الشيء يثبت في القلب مع الذكر ، فكان له قوة ، والذكر باللسان شبيه بذلك .

وهو في القرآن على خمسة عشر وجها :

الأول : الطاعة ، قال الله : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٢] ، قال بعضي المحققين : معناه أطيعوني أثبكم ، ويموز أن يكون معناه اذكروني بقلوبكم وألستكم ، اذكركم بالمدح والتعظيم وإيجاب الثواب ، وهو جواب لقوله : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥١] ، : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٢] ، فيكون لاذكروني جوابان مقدم ومؤخر ، كما يقال : إذا أتاك فلان فآته ترضه ، ومعناه مثل معنى قوله : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [سورة غافر آية : ٦٠] ، وقيل : اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي ، وقيل : اذكروني بالثناء بنعمتي اذكركم بالثناء [في الطاعة] ، وأكثر ما يستعمل الذكر بعد النسيان ، وهذا حقيقة ، وليس ذلك بموجب ألا يكون إلا بعد النسيان إذ

(١) (ذ ك ر) : دَكَّرْتُهُ بِلِسَانِي وَيَقْلِبِي دَكَّرْتُ بِالتَّائِيثِ وَكَسَرِ الدَّالِ وَالْإِسْمُ دَكَّرَ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ نَصَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَبُو حَبِيَّةَ وَابْنُ قُتَيْبَةَ وَأَنْكَرَ الْقَرَاءَةُ الْكَسْرَ فِي الْقَلْبِ وَقَالَ اجْعَلْنِي عَلَى دَكَّرٍ مِنْكَ بِالضَّمِّ لَا غَيْرَ وَهَذَا انْتَصَرَ جَمَاعَةٌ عَلَيْهِ وَيَتَعَدَّى بِالْأَلِفِ وَالتَّضْعِيفِ يَقَالُ أَذْكُرْتُهُ وَدَكَّرْتُهُ مَا كَانَ فَتَدَكَّرَ وَالدَّكَّرُ خِلَافُ الْأُنْثَى وَالْجَمْعُ دُكُورٌ وَدُكُورَةٌ وَدُكْرَانٌ وَلَا يَجُوزُ جَمْعُهُ بِالْوَاوِ وَالتَّوْنِ فَإِنَّ ذَلِكَ مُحْتَصَصٌ بِالْعَلَمِ الْعَاقِلِ وَالتَّوْضِيفِ الَّذِي يَجْمَعُ مَوْتَهُ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ وَمَا شَدَّ مِنْ ذَلِكَ فَمَسْمُوعٌ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ وَالدُّكُورَةُ خِلَافُ الْأُنْثَوَةِ وَتَذْكِيرُ الْإِسْمِ فِي اضْطِلَاحِ النُّحَاةِ مَعْنَاهُ لَا يَلْحَقُ الْفِعْلُ وَمَا أَشْبَهَهُ عَلَامَةُ التَّائِيثِ وَالتَّائِيثُ بِخِلَافِهِ يَقَالُ قَامَ زَيْدٌ وَقَعَدَتْ هَيْدٌ وَهَيْدٌ قَاعِلَةٌ فَإِنْ اجْتَمَعَ الْمَذْكُورُ وَالْمَوْثُتُ فَإِنَّ سَبَقَ الْمَذْكُورُ دَكَّرَتْ وَإِنْ سَبَقَ الْمَوْثُتُ أَثْنَتْ فَتَقُولُ عَيْنِي يَسْتُرُ رَجَالِي وَنِسَاءً وَعَيْنِي يَسْتُرُ نِسَاءً وَرَجَالًا وَشَبَّهُوا بِقَوْلِهِمْ قَامَ زَيْدٌ وَهَيْدٌ وَقَاعَتْ هَيْدٌ وَزَيْدٌ فَقَدْ أُعْتَبِرَ السَّابِقُ فِيهِ اللَّفْظُ عَلَيْهِ وَالتَّذْكِيرُ الْوُغْظُ وَالدُّكْرُ الْفَرْجُ مِنَ الْحَيَوَانِ جَمْعُ ذَكْرَةٍ مِثْلُ : عَيْنِي وَمَذَاكِيرُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسِي وَالدُّكْرُ الْعُلَاءُ وَالشَّرْفُ . [المصباح المنير : الدال مع الكاف]

كل من حضره المعنى بالقول أو العقد أو الخطور بالبال ، فهو ذاك ، ويكون أصله التنبيه على الشيء ، وكل من ذكر لنا شيئا فقد نبهنا عليه ، والذكر أنه من الأنثى .

الثاني : قال هو الذكر باللسان في قوله : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ١٠٣] ، وقوله : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأنفال آية : ٤٥] ، وقال : ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤١] ، كذا قيل ، ولا تنكر أن يكون أراد الذكر بالقلب واللسان جميعا .

الثالث : الذكر في القلب خاصة ، قال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ دَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٣٥] ، أي : ذكروا قدرة الله عليهم وأياديهم إليهم فاستغفروه وتابوا إليه .

الرابع : ذكر الصفة والأمر ، قال : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٤٢] ، أي : اذكر أمري وصفتي ، وقال : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ [سورة مريم آية : ١٦] ، أي : اذكر أمرها ، فإن فيه عجبا ، وهكذا قوله : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة مريم آية : ٤١] ، أي : اذكر في الكتاب الذي أنزل عليك قصة إبراهيم عليه السلام ، أي : اقرأها واعتبر بها .

الخامس : الحفظ ، قال الله : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٦٣] ، وكذلك في الأعراف : ﴿ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧١] ، أي : احفظوه .

السادس : الوعظ ، قال : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٤٤] ، أي : وعظوا ، وفي الأعراف أيضا : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٦٥] ، وقال : ﴿ أَتَيْنَ ذُكْرْتُمْ ﴾ [سورة يس آية : ١٩] ، أي : وعظتم ، وقال : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ ﴾ [سورة ق آية : ٤٥] ، وقال : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [سورة الغاشية آية : ٢١] ، وفي هذه الآيات دليل على أن الطاعة والمعصية من العبد ؛ لأنها لو كانتا من الله لم يكن لتذكير الله إياه فائدة .

السابع : الشرف والنباهة ، قال : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٤٤] ، وقال : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة المومنون آية : ٧١] ، فامتن عليهم بيا جعل لهم من النباهة بهذا الدين ، ودل على أن الخمول معيب .

الثامن : الخبر ، قال : ﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٦٨] ، وقال : ﴿ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٣] ، أي : خبرا ، وقيل في قوله : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٢٤] ، أي : هذا خبري وخبر من قبلي ، والوجه هل فيما أنزل إلي أو فيما أنزل من قبلي دليل على أن مع الله إله آخر ، وذكر له

التاسع : الوحي ، قال : ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ [سورة ص آية : ٨] ، وقال : ﴿ فَالْتَالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ [سورة الصافات آية : ٣] ، [ومثله : ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾] [سورة المرسلات آية : ٥] .

العاشر : القرآن ، قال : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٥٠] ، وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٢] ، فسماه محدثا .

والمحدث إذا كان مقدرًا مخلوق ، وجاء في قوله : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥] ، أنه أراد القرآن ، وقيل : أراد ذكر العذاب أي : أفنضرب عنكم ذكر العذاب فلا تذكرة لكم لأجل إشراككم ، لا بل نذكر لكم العذاب لتتجزوا ، ويقال : أضربت عنه الذكر أيضا ، والشاهد على هذا التأويل قوله : ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨] .

الحادي عشر : التوراة ، قال : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ [سورة النحل آية : ٤٣] ، يعني : أهل التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه ، الذين يصدقون عن الذكر وهو التوراة دون من يكتم ويتخرص لأن القبول يكون من أهل الثقة ، : ﴿ إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل آية : ٤٣] ، أن الرسل بشروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

الثاني عشر : اللوح المحفوظ ، قال : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠٥] ، أي : من بعد اللوح المحفوظ .

الثالث عشر : البيان ، قال الله : ﴿ أَوْعِجِبْكُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٦٣] ، أي : بيان ، وقال : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [سورة ص آية : ١] ، يعني : ذا البيان ، وقيل : يعني : به ما ذكر فيه من الأفاضل والحلال والحرام .

الرابع عشر : الدليل ، قال : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة يس آية : ٦٩] ، وقال : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة ص آية : ٨٧] ، عبس : ٢٧ ، يوسف : ١٠٤ ، ويجوز أن يكون الذكر هنا الموعظة .

الخامس عشر : الصلوات الخمس كذا قال بعض المفسرين في تفسير قوله : ﴿ فَإِذَا أُمِيتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٩] ، والصحيح أنه أراد تمام الصلاة مع الذكر فيها ؛ لأنه تعالى قال في أول الآية : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أُمِيتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٩] .

والمراد فإن خفتهم عدوا أو سبعا فلم تقدرُوا على الركوع والسجود ، فصلوا على أرجلكم وعلى رواحلكم أيما ، والرجال جمع رجل ، والرجل جمع راجل فإذا زال عنكم الخوف فصلوا الصلاة التامة واذكروا الله فيها كما علمكم الشرائع .

وقوله : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة النور آية : ٣٧] ، قالوا : يعني : الصلوات الخمس ، وليس هذا بالوجه في هذه الآية ؛ لأنه قال فيها : ﴿ وَإِقام الصلاة وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ﴾ [سورة النور آية : ٣٧] ، وقال : ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة المنافقون آية : ٩] ، يعني : الصلوات الخمس زعموا ، قال : ودليل ذلك قوله : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الجمعة آية : ٩] ، يعني : صلاة الجمعة .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ أَحَبُّتُ حُبَ الْحَقِيرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ [سورة ص آية : ٣٢] ،
 أي : أثرت حب المال على الصلاة ، وقيل : على ذكر الله ، وينبغي أن تكون الصلاة هنا
 تطوعا ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يصنع المفروض ، وخرج لنا وجه آخر ، وهو الذكر
 بمعنى الغيب في قوله : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ [سورة الأنبياء آية :
 ٦٠] أي : يعيهم ، كذا قيل ، والصحيح أنه يذكرهم بالعب .

الباب العاشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله راء

الرحمة^(١)

أصلها من الرقة ، وقيل : ذوا الأرحام ، لأن بعضهم يرق لبعض ، والرحم في الأصل رحم المرأة ثم صارت ذوا القرى أرحاما .

والرحيم^(٢) في أسماء الله تعالى بمعنى المنعم المقيّل للعترة القابل للتوبة وليس معناه الرقة ، كما أن أصل العفو الترك ، والترك لا يجوز على الله ، يقال : عفا المنزل إذا ترك حتى درس ودلالة التعظيم أيضا يوجب انتفاء الرقة عن الله ، ومع أن نعمة في الاتساع تقع موقع ما يبحث عليه الرقة ، والرحمن أبلغ من الرحيم .

وليس لأحد من المخلوقين فيه شركة والرحمة الإنعام على المحتاج إلى ذلك ، ألا ترى أن الإنسان إذا أهدى إلى ملك شيئا ، لم يقل : أنه رحمه ، ويقال : أنه أنعم عليه .

والرحمة في القرآن على ثمانية أوجه :

(١) (رح م) : رَحِمَنَا اللَّهُ وَأَتَانَا رَحْمَتَهُ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَرَحِمْتُ زَيْنًا رُحْمًا بِضَمِّ الرَّاءِ وَرَحْمَةً وَمَرْحَةً إِذَا رَقَقَتْ لَهُ وَخَشَتْ وَالْفَاعِلُ رَاحِمٌ وَفِي الْمُبَالَغَةِ رَحِيمٌ وَجَمْعُهُ رُحَمَاءٌ .

وَفِي الْحَدِيثِ ﴿ إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ ﴾ يُرْوَى بِالنُّسْبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ يَرْحَمُ وَيُلْزَمُ عَلَى أَنَّهُ تَخَبُّرٌ إِنَّ وَمَا يَمَعْنَى الَّذِينَ . [المصباح المنير : الراء والحاء]

(٢) أخبرنا الإمام أبو إسحاق ، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، أنا عبد الخالق بن الحسن السقطي ، ثنا عبد الله بن ثابت بن يعقوب ، قال : أخبرني أبي ، عن الهذيل بن حبيب ، عن مقاتل بن سليمان ، عن يروي تفسيره عنه من التابعين قال : الرحمن ، الرحيم اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر الرحمن يعني المترحم ، الرحيم يعني المتعطف بالرحمة على خلقه قال أبو سليمان : وهذا مشكل ، لأن الرقة لا تدخل لها في شيء من صفات الله سبحانه ، ومعنى الرقيق ما هنا اللطيف ، يقال : أحدهما ألطف من الآخر ، ومعنى اللطف في هذا الغموض دون الصغر الذي هو نعت الأجسام ، وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر يحكي عن الحسين بن الفضل البجلي أنه قال : هذا وهم من الراوي ، لأن الرقة ليست من صفات الله عز وجل في شيء ، وإنما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر ، والرفق من صفات الله تعالى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف » . [الأسماء والصفات لليهقي ٩٣/١]

الأول : قالوا هو بعثة الرسل وإنزال الكتب ، قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠٧] ، وقوله : ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الأحقاف آية : ١٢] ، وهذه الرحمة العامة المبتدأ بالدعاء والبيان ، والوجه أن يقال : أنه أراد أن بعثة للرسل وإنزال الكتب نعمة من الله على عباده ، والرحمة من الله النعمة .

الثاني : الجنة ، قال : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فِيهِ رَحْمَةُ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٠٧] ، وقال : ﴿ فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ ﴾ [سورة النساء آية : ١٧٥] ، وقال : ﴿ فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ [سورة الجاثية آية : ٣٠] ، وقوله : ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٨] ، وهي خاصة للمؤمنين جزاء لأعمالهم ، وقال أبو علي رضي الله عنه : الرحمة والفضل هنا هو الثواب .

الثالث : المطر ، قال : ﴿ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٧] ، وقوله : ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة الروم آية : ٥٠] ، يعني : المطر .

الرابع : الرزق ، قال : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [سورة فاطر آية : ٢] ، وقيل : وينشر رحمته يعني : رزقه ، وقال : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَا أَمْسَكُمْ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٠٠] ، وقال : ﴿ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٢٨] ، وقال : ﴿ آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ [سورة الكهف آية : ١٠] ، ويجوز أن تكون هذه كلها بمعنى النعم والرزق داخل فيها .

الخامس : النبوة ، قال : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ﴾ [سورة ص آية : ٩] ، وقال : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٢] .

السادس : الرحمة ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء آية : ٨٣] ، أزداد : ﴿ لَعَلِمَةُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾ [سورة النساء آية : ٨٣] ، فقدم وأخر ؛ لأن الناس كلهم

٢٢٨ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله راء

آمنوا بفضل الله عليهم في الطافه وفوائده ، وقوله : ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ [سورة الزمر آية : ٣٨] ، وقيل : يعني : العافية ، وقوله : ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٧] ، يعني : نعمة ، وقيل : أراد الفتح والنصر .

السابع : القرآن ، قال الله : ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٠٣] ، ويموز أن يكون بمعنى النعمة ، أي : هذا القرآن بيان ونعمة .

الثامن : الهداية ، قال : ﴿وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾ [سورة هود آية : ٢٨] ، أي : دلني على الإيمان فأمنت وصدقته ، وهذا كله يرجع إلى معنى النعمة ؛ لأن الرحمة من الله تعالى النعمة ، وإنما أوردت هذه الوجوه على ما جاء في التفسير .

الروح

أصل الريح ، والروح والروح ، والراحة واحد ؛ وإنما الريح فعل ، والروح فعل ، والراحة فعلة ، والرائحة فاعلة ، وقد يحىء فاعلة في أسماء الأفعال ، مثل العافية .

وأصل الكلمة من الطيب ، وذلك أن الريح تطيب الهواء ، والروح يطيب به الجسد ، والرائحة أصلها في الطيب ثم استعملت في التن ، والأريحية طيب النفس بالبذل ، وقيل : الراحة ، لأن العيش يطيب معها ، والطيب في الأصل فيما يستنشق ، وإنما قيل : طيب النفس بالبذل .

والراحة طيب العيش على وجه التشبيه ، والريحان معروف سمي بذلك لطيب ريحه ، والريحان الرزق ؛ لأن من وجده استراح ؛ ولأن النفس تحبه كما تحب الريحان .

والروح في القرآن على ستة أوجه :

الأول : على ما قيل الرحمة ، قال تعالى : ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [سورة المجادلة آية : ٢٢] ، أي : قولهم برحمة منه ، والوجه أنه أراد بالروح هاهنا القرآن ، وسماه روحاً ؛ لأنه يوصل به إلى المنافع كما يوصل الروح ، والشاهد قوله : ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [سورة الشورى آية : ٥٢] ، والتأييد التقوية ، ومعنى التأييد بالقرآن أنه أبطل به حجج خصماء الدين ، وثبت حجج أهله به ؛ لما عجز الناس عن الإتيان بمثله .

الثاني : جبريل عليه السلام ، قال : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾ [سورة النبا آية : ٣٨] ، وقيل الروح هاهنا خلق كالإنسان ، وقيل : هو منك يقوم على يمين العرش ، وقوله : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٩٣] ، يعني : جبريل عليه السلام على قلبك بالقرآن ، وخص القلب لأنه موضع الحفظ ، ولو قال : عليك لم

(١) قال الرازي : قوله : ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ وفيه قولان : الأول : قال ابن عباس : نصرهم على عدوهم ، وسمى تلك النصره روحاً لأن بها يحيا أمرهم والثاني : قال السدي : الضمير في قوله : ﴿ مِنْهُ ﴾ عائد إلى الإيوان والمعنى أيدهم بروح من الإيوان يدل عليه قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى : ٥٢] . [مفاتيح الغيب : ٢٨٨/١٥]

يتضمن معنى الحفظ وقوله : ﴿وَأَبْلَسْنَا بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [سورة البقرة آية : ٨٧] ، وقال : ﴿فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [سورة مريم آية : ١٧] .

الثالث : الوحي ، قال : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [سورة النحل آية : ٢] ، أي : بالوحي ، و : ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ [سورة النحل آية : ٢] ، أي : بأمره ، وبعض حروف الصفات يقوم مقام بعض ؛ إذا لم يشكل المعنى ، ويموز أن يكون المعنى أن ابتداء تنزيله من أمر الله ، ومن لا ابتداء الغاية ، أي : حين أمرهم به نزلوا .

الرابع : عيسى عليه السلام ، قال الله : ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [سورة النساء آية : ١٧١] ، وسماه روحا وكلمة ؛ لأن الناس يتفهمون به كانتفاعهم بكلام الله ، وكانتفاعهم بالروح ، وقال بعضهم : قال : ﴿بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [سورة المجادلة آية : ٢٢] ، لأنه خلقه من غير شر ، ولا أعرف ما هذا .

الخامس : خلق يرون الملائكة ولا يرونهم كما يرانا الملائكة ، ولا نراهم ، وهو المعنى بقوله : ﴿وَسَأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [سورة الإسراء آية : ٨٥] ، هكذا جاء عن بعض المفسرين ، ويموز أن يكون معناه الروح الذي بحياته الحيوان ، وهو يذكر ويؤنث ، وقال : ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [سورة الإسراء آية : ٨٥] ، ولم يبين لهم كيفية ذلك ؛ لأنهم كانوا توافقوا على أن يردوا كل ما يقول فيه ، فأجابهم بما لا يمكنهم رده ، فقال : هو من أمر ربي .

السادس : الروح الذي يحيا معه الحيوان لا غير بلا خلاف ، قال الله : ﴿فَإِذَا سَوِيَّتْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [سورة ص آية : ٧٢] ، وقال : ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [سورة السجدة آية : ٩] ، ونسب الروح إلى نفسه ؛ لأنه الفاعل له ، ويموز أن يكون قال ذلك تعظيما لأمر الروح ، كما يقال : بيت الله ، وكرم الله ، وخليفة الله ، وقال : ﴿وَنَفَخَ﴾ [سورة السجدة آية : ٩] ، لأن الروح من جنس الريح .

الرجاء^(١)

الرجاء مقصور الناحية ، والرجاء ممدود من الأصل ، والأصل الميل ، وذلك أن من يرجو نيل الشيء فإنه يخاف فوته في أكثر الحال ، فكأن الرجاء طرف ، والخوف طرف ، ومنه قيل : رجاء البئر لناحيته ، فأما الطمع فيما قيل فتوطين النفس على نيل المطلوب من غير مخافة للفتوت .

والصحيح أن الرجاء ما كان عن سبب ، والطمع ما كان عن غير سبب ، ولهذا ذم الطمع ، ولم يذم الرجاء .

وربما جاء الطمع في معنى الأصل ، وهو قوله : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٨٢] .

والرجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الأمل ، قال الله : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٥٧] ، وهذا دليل على ما قلنا من أن الرجاء يكون طرفا ، والخوف طرفا .

الثاني : الخوف ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ [سورة النبا آية : ٢٧] ، ونحوه قوله : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٥] ، أي : بحسن البعث ، وقال : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ [سورة الكهف آية : ١١٠] .

(١) [رجو] : الرجاء ، ممدود : نقيض اليأس . . رجا يرجو رجاء . ورجى يُرجى . وارحمى يرجى . ترجى ، ومن قال : رجاء أن يكون كذا فقد أخطأ ، إنما هو رجاء . والرجاء ، مقصور : ناحية كل شيء . والاثنان : رجوان ، والجميع : أرجاء . والرجو : المبالاة . يقال : ما أرجو ، أي : ما أبالي ، من قول الله عز وجل : " مالكم لا ترجون لله وقاراً " أي ، لا تخافون ولا تبألون ، وقال أبو ذؤيب :

إذا لسعت النحل لم يرجُ لسعها *** وخالفها في بيت نوبِ عواملٍ

أي : لم يكثر ، [المعين : رجو] .

قال الجرجاني : الرجاء : في اللغة : الأمل ، وفي الاصطلاح : تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل . [التعريفات : ٣٦/١]

٣٣٢ _____ في ما جاء من الرجوع والنظائر في أوله راء

وليس اللقاء الرؤية ، ألا ترى الأعمى يقول لقيت فلانا ، ولم يعن أنه رآه .

وأصل اللقاء المصادفة ، وهو هامنا لقاء ما وعد الله ، لأن الله لا يصادف .

والرجاء بمعنى الخوف معروف في العربية .

قال الهزلي :

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلَ لَمْ يَرْجَ لَسَعَهَا

الرقبة^(١)

أصل الرقبة الانتظار ، وسميت الرقبة رقبة ، لأنك تمدها إذا انتظرت توقفا للمتظر ، والرقبي أن تعطي الرجل دارا أو أرضا ، فإن مات قبلك رجعت إليك ، وإن مات قبله كانت له ، وسميت رقبى ؛ لأن كل واحدا منها يرقب موت صاحبه ، والمرقب المربا .

والرقب الذي يشرف على أصحاب المير ، والارتقاب انتظار مع مخافة ، ولهذا يقال : فلان يراقب فلانا ، أي : يخافه ، وراقب الله ، أي : خفه ، ولهذا كان أكثر ما يستعمل الارتقاب في المكروه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [سورة هود آية : ٩٣] ، والرقب في أسماء الله تعالى الحفيظ .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : الحفيظ ، قال تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء آية : ١] ، أي : هو حافظ لأعمالكم ، وفي ذلك ترغيب وترهيب ، وإخبار بأن الجزاء من وراء العباد ، وقوله : ﴿ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٧] .

الثاني : بمعنى الانتظار ، قال : ﴿ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [سورة هود آية : ٩٣] ، وقال : ﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ [سورة الدخان آية : ٥٩] ، أي : انتظر ما يكون من نصرنا إياك ، أنهم متظرون ما يكون من مثل ذلك لهم .

(١) (رق ب) : (رَقَبَهُ) رَقَبَهُ انتظرَهُ مِنْ بَابِ طَلَبَ وَرَقَبَهُ مِثْلَهُ (وَمِنْهُ) رَاقَبَ اللَّهُ إِذَا خَافَهُ لِأَنَّ الْخَافِضَ يَرُقُبُ الْعِقَابَ وَيَتَرَقَّبُهُ (وَأَرَقَبَهُ) الدَّارَ قَالَ لَهُ هِيَ لَكَ رُقْبِي وَهِيَ مِنَ الْمُرَاقَبَةِ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَرُقُبُ مَوْتَ صَاحِبِهِ وَاشْتِاقَهَا مِنَ رَقَبَةِ الدَّارِ غَيْرِ مَشْهُورٍ وَرَجُلٌ (رَقَبَانِي) عَظِيمُ (الرَّقَبَةِ) وَاسْتِعْمَالَ الرَّقَبَةِ فِي مَعْنَى الْمُنْلُوكِ مِنْ تَسْمِيَةِ الْكُلِّ بِاسْمِ الْبَغْضَى وَمِنْهُ أَفْضَلَ الرَّقَابِ أَغْلَاهَا تَمَنَّا وَهُوَ مِنَ الْغَلَاءِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ يَعْني الْمَكَاثِبِينَ . [المغرب : الراء مع القاف]

الرجم^(١)

أصله الرمي ثم قيل للقتل رجم ، والشم رجم تشبيها ، والرجمة القبر لما يرمى فيه من التراب على الميت .

والرجم في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : القتل ، قال في يس : ﴿لَنَرْجُمَنَّكَ﴾ [سورة يس آية : ١٨] ، أي : نقتلكم ، وقال : ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [سورة الدخان آية : ٢٠] ، أي : أن تقتلونا ، وقال : ﴿وَلَوْلَا زَهْرَتُكَ لَرَجَمْتُكَ﴾ [سورة هود آية : ٩١] ، وقيل : معناه رجمناك بالحجارة ، وقيل : بالسب ، ويموز أن يكون ما تقدم مثل ذلك ، وقال : ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَوِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [سورة مريم آية : ٤٦] ، يعني : القتل ، وقيل الشتم .

الثاني : الرمي ، قال الله : ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [سورة الملك آية : ٥] .

الثالث : الظن ، قال الله : ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [سورة الكهف آية : ٢٢] ، أي : يقولون ذلك ظنا ، ويقال رجمت الظن في كذا إذا ذهب ظنك فيه كل مذهب ، قال زهير :

وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ

أي المظنون .

(١) [رجم] : الرَّجْمُ : الرَّمْيُ بِالْحِجَارَةِ . وَالْقَتْلُ . وَاسْمٌ لِمَا يُرْجَمُ بِهِ الشَّيْءُ ، وَالْجَمْعُ الرَّجُومُ ، وَالشَّيْطَانُ مَرْجُومٌ رَجِيمٌ : لَعِينٌ . وَالْقَذْفُ بِالْغَيْبِ وَالظَّنِّ ، وَمِنْهُ : حَدِيثُ مَرْجَمٍ . وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : " لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا " أَي لَأَقُولَنَّ فِيكَ مَا تَكْرَهُ وَلَا أَشْتَمَنَّكَ . وَالْمُرَاجَعَةُ فِي الْكَلَامِ وَالْعَدْوُ وَالْحَرْبُ : الْعَمَلُ بِأَشَدِّ مُسَاجَلَةٍ . وَرَاجَمَ فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ : نَاصَلَ عَنْهُ . وَالرَّجَمُ : الْقَبْرُ ، وَجَمْعُهُ رِجَامٌ . وَالرُّجْمَةُ : حِجَارَةٌ مَجْمُوعَةٌ . وَازْتَجَمَ الشَّيْءُ : اِزْتَكَمَ . وَتَرَاجَمَ : تَرَاكَمَ . وَالرَّجَامَانِ : حَشَبَتَانِ تُنْصَبَانِ عَلَى رَأْسِ الْبَيْتِ يُنْصَبُ عَلَيْهِمَا الْقَعُورُ . وَالرَّجَامُ : حَجَرٌ يُعَلَّقُ فِي طَرَفِ الرِّشَاءِ فَضِيحُ خُصْصٍ بِهِ الْمَاءُ فِي الْبَيْتِ إِذَا كَانَتْ فِيهَا حَمَاءٌ لِتُؤَرَّ . وَالرُّجْمَةُ : الْبِنَاءُ مِنْ صَخْرٍ تُعَمَّدُ بِهِ النَّخْلَةُ . وَبَيْتٌ يُبْنَى لِلضَّبِّ لِتَصَادَ بِهِ . وَتَرْجَمَ : أَي اتَّخَذَ رُجْمَةً . وَالْمَرْجَامُ مِنَ الْإِبِلِ : الَّذِي يُمَدُّ عُنْقُهُ فِي السَّيْرِ كَأَنَّهُ يَرْجُمُ بِرَأْسِهِ الْأَرْضَ ، وَقِيلَ : هُوَ الشَّدِيدُ . [المحيط في اللغة : الجليم والراء والمليم]

الرابع : بمعنى اللعين ، جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [سورة النحل آية : ٩٨] ، أنه يعني : الملعون ، وقيل : الرجيم المرجوم بالشهب ، من قوله : ﴿ وَجُوعًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ [سورة الملك آية : ٥] .

الرؤية

أصل الرؤية رؤية العين^(١) ، ثم استعمل في العلم لوقوع العلم مع الرؤية ، كما أن أصل البصر بصر العين ، ثم سمي العلم بصيرة وبصرا ؛ لأنه قد يقع مع بصر العين ورؤية العين يتعدى إلى مفعول واحد ، والرؤية التي بمعنى العلم يتعدى إلى مفعولين لا غير ، مثل العلم ، تقول : رأيت الرجل حكيما بمعنى علمته ، كذلك رأيت الرجل بمعنى أبصرته .

والرؤية في القرآن على ثلاثة أوجه :

أولها : رؤية العين ، قال الله : ﴿ تَرَى الَّذِينَ كَفَبُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٠] ، ومثله كثير .

الثاني : العلم ، قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٣٠] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظِّلَّ ﴾ [سورة الفرقان آية : ٤٥] ، ومثله : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة يس آية : ٧٧] ، أي : أولم يعلم ، ولم يرد أنه خصيم في الحال ، ولكن إذا بلغ ، ونجوه قوله : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [سورة يوسف آية : ٣٦] ، أي : ما يكون خمرًا ، ومثله قول الراجز :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيمِ الْمُنَّانُ صَارَ الثَّرِيدُ فِي رُءُوسِ الْعِيْدَانِ

فسمي الحب في سنبله ثريدا على معنى أنه يكون كذلك .

(١) الفرق بين الرؤية والعلم : أن الرؤية لا تكون إلا لموجود ، والعلم يتناول الموجود والمعدوم ، وكل رؤية لم يعرض معها آفة فالمرئي بها معلوم ضرورة ، وكل رؤية فهي لمحدود أو قائم في محدود كما أن كل إحساس من طريق اللمس فإنه يقتضي أن يكون لمحدود أو قائم في محدود .

والرؤية في اللغة على ثلاثة أوجه أحدها العلم وهو قوله تعالى " ونراه قريبا " أي نعلمه يوم القيامة وذلك أن كل آت قريب ، والآخر بمعنى الظن وهو قوله تعالى " إنهم يرونه بعيدا " أي يظنون ، ولا يكون ذلك بمعنى العلم لانه لا يجوز أن يكونوا عالمين بأنها بعيدة وهي قريبة في علم الله ، واستعمال الرؤية في هذين الوجهين مجاز ، والثالث رؤية العين وهي حقيقة . [الفروق اللغوية : ١/ ٢٦٣]

الثالث : بمعنى الخبر ، جاء في التفسير عن ابن عباس أن قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٢٣] ، أنه يعني : ألم تخبر ، وذلك أن جني بن أخطب ، وكعب بن الأشرف سارا إلى مكة ، فقال المشركون : هذان خبر اليهود ، وأهل العلم بالكتب فاسألوهما عنكم وعن محمد أيكم خير فسالوهما ، فقالا : إنكم خير منه أنتم أهل هذا البيت وذاك صابئ فأنزل : ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء آية : ٥١] .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٢٣] ، معناه ألم تخبر بذلك ، وهذا أيضا يرجع إلى معنى العلم ؛ لأنه إذا أخبر به فقد علمه ، ويجوز أن يكون تعجيبا منهم كما تقول لصاحبك : ألم تر إلى فلان كيف أحسن إليه ويحفو بي ونحو ذلك .

الباب الحادي عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله زاي

الزخرف^(١)

أصله الذهب ، ثم استعمل في التزين ، فيقال : زخرفت البيت إذا زيته ، وزخرفت القول إذا زورته وحسته ، وسميت أنوار الربيع زخارف ؛ لأنها تزين الأرض . وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الذهب ، قال الله : ﴿ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٥] ، وقال : ﴿ أَوْ يَكُونُ لَكَ يَبْتَ مِنْ زُخْرَفٍ ﴾ [سورة : آية ٩٣] ، يعني : الذهب .

الثاني : الزينة والحسن ، قال الله : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ ، [سورة يونس آية : ٢٤] ، يعني : حسنها وزيتها .

الثالث : تزوير القول حتى يشبه كذبه صدقا وغروره حقا ، قال تعالى : ﴿ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [سورة : آية ١١٢] ، والمعنى أن بعضهم يزين لبعض الأعمال القبيحة ، وغرورا منصوب على المصدر ومحمول على المعنى ، كأنه قال : يغرون غرورا .

(١) الزخرفُ الزينة ، بيت مزخرف ، وتزخرف الرجل . وقيل الزخرفُ الذهب . والزخارف : ما يزخرف من السفن . وهي - أيضاً - دوتيات تطير على الماء مثل الذباب . [المحيط في اللغة : ١ / ٣٨٤]

الزير^(١)

أصل الزير الكتب في الحجر ، ثم كثر حتى جعل كل كتابة زيرا ، يقال : زيرت الكتاب كتبه ، وزيرته قرأته ، والزبور فعول ، بمعنى مفعول ، أي : هو مزبور ، كما قيل : ركوبة وحلوبة ، وقد يقال : ركوبة ، قال الله تعالى ﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ﴾ [سورة يس آية : ٧٢] .

وأصل الكلمة الاجتماع ، ومنه قيل : زيرت البئر ، إذا طويتها بالحجارة بجمعك الحجارة فيها ، وزيرة الأسد الشعر المجتمع على كاهله ، وأسد أزير ومزير عظيم الزيرة ، والزيرة القطعة من الحديد ، قال الله : ﴿ أَتَوْنِي زُرَّ الْحَدِيدِ ﴾ [سورة الكهف آية : ٩٦] .

وروي الفقير الذي لا زير له أي : ليس له معتمد يجمع أمره ، ومن ثم سمي الزير ، وأخذت الشيء بزويره أي : بأجمعه ، والواو زائدة ، ويموز أن يكون أصل الكلمة الغلط ، ومنه قولهم : زيره إذا غلط له القول .

والزير في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الكتب ، قال الله : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨٤] ، أي : أرسلناهم بالعلامات البينات ، والزير يعني : الكتب المضمنة للأمر والنهي ، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُرِّي الْأُولِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٩٦] . وقال بعض المفسرين : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠٥] ، أنه يعني : بالزبور الكتب كلها ، وليس بالوجه ؛ لأن الظاهر لا يترك إلا بدليل ، ولا دليل إلا أن يكون القراءة في الزبور ، جمع زير مثل سفر وسفور ، وليس ذلك المشهور ، ولا ينبغي القراءة به عندنا .

(١) الفرق بين الزير والكتب : أن الزير الكتابة في الحجر نقرا ثم كثر ذلك حتى سمي كل كتابة زيرا ، وقال أبو بكر : أكثر ما يقال الزير وأعرفه الكتابة في الحجر قال وأهل اليمن يسمون كل كتابة زيرا ، وأصل الكلمة الفخامة والغلط ومنه سميت القطعة من الحديد زيرة والشعر المجتمع على كتف الاسد زيرة ، وزيرت البئر إذا طويتها بالحجارة وذلك لغلط الحجارة وإنما قيل للكتابة في الحجر زير لأنها كتابة غليظة ليس كما يكتب في الرقوق والكواغد وفي الحديث " الفقير الذي لا زير له " قالوا لا معتمد له وهو مثل قولهم رقيق الحال كان الزير فخامة الحال ، ويموز أن يقال الزبور كتاب يتضمن الزجر عن خلاف الحق من قولك زيره إذا زجره وسمي زبور داود لكثرة مزاجره ، وقال الزجاج الزبور كل كتاب ذي حكمة . [الفروق اللغوية : ١/ ٢٦٥]

الثاني : اللوح المحفوظ ، قال الله : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَتَلَّوْهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ [سورة القمر آية : ٥٢] ، هكذا جاء في التفسير .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٣] ، ومن قرأ زيرا أراد قطعاً ، الواحدة زبرة ، ومنه : ﴿ أَتَوْنِي زُبُرًا الْحَلِيدِ ﴾ [سورة الكهف آية : ٩٦] ، ومن قرأ زيرا أي : جعلوا دينهم كتباً مختلفة .

الزوج^(١)

الأشهر عند العرب أن الزوج واحد ، والمرأة زوج الرجل ، والرجل زوج المرأة ، ولا يقال للمرأة زوجة إلا قليلا ، وكل اثنين لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، وهما زوجان مثل زوجي ، يقال : وزوجي خفاف ، وربما قيل للاثنين زوج ، وهو قليل شاذ ، والزوج النمط يطرح تحت المودج ، قال لبيد :

زَوْجٌ عَلَيْهِ كَلَّةٌ وَقِرَامُهَا

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

(١) [زوج] : الزَوْجُ : امرأة الرجل ، وكذلك الزَوْجَةُ . والرجُلُ زَوْجٌ أيضاً . وزَوْجَانِ مِنَ الحِمَامِ : اثنتى وذكَّرت . وزَوْجٌ مِنَ النَّبَاتِ : لَوْنٌ مِنْهُ وَحَرْبٌ ، مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : " فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى " أي صُرُوبًا . وكذلك الدِّيَنَاجُ والوَشْيُ والنَّمَطُ المَوْشِي . [و] يقال : زَوَّجْتُ إِبِلِي : إِذَا قَرَنْتُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : " وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ " ن مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : " اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ " أي قُرْنَاهُمْ . ويُقال في جَمَاعَةِ الزَّوْجِ مِنَ الطَّيْرِ : أَزْوَاجٌ وَزَوْجَةٌ . [المحيط في اللغة : الجيم والزاي] .
الفرق بين البعل والزوج : أن الرجل لا يكون بعلًا للمرأة حتى يدخل بها وذلك أن البعل النكاح والملاعبة ومنه قوله عليه السلام " أيام أكل وشرب وبعل " وقال الشاعر :

وكم من حصان ذات بعل تركتها *** إذا الليل أدجى لم نجد من تباعله

وأصل الكلمة القيام بالامر ومنه يقال للنخل إذا شرب بعروقه ولم يحتج إلى سقي بعل كأنه يقوم بمصالح نفسه . [الفروق اللغوية : ١/ ٢٦٩]

وفي معجم قاييس اللغة مادة (زوج) : الزاء والواو والجيم أصل يدل على مقارنة شيء لشيء . من ذلك الزوج زوج المرأة . والمرأة زوج بعلها ، وهو الفصيح .

قال الله جل ثناؤه : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة ٣٥ ، الأعراف ١٩] .

ويقال لفلان زوجان من الحمام ، يعني ذكرًا وأنثى .

فأما قوله جل وعز في ذكر النبات : ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَیْجٌ ﴾ [الحج ٥ ، ق ٧] ، فيقال أراد به اللون ، كأنه قال : من كل لونٍ ببيج .

وهذا لا يبعد أن يكون من الذي ذكرناه ؛ لأنه يزوج غيره مما يقابره .

وكذلك قوله للنمط الذي يطرح على المودج زوج ؛ لأنه زوج لما يُلْقَى عليه .

قال لبيد :

من كل مخفوف يُظِلُّ عَصِيَّةً *** زَوْجٌ عَلَيْهِ كَلَّةٌ وَقِرَامُهَا

الأول : الحليّة ، قال الله : ﴿ هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥] ، وقال : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ١١] .

الثاني : الصنف ، قال : ﴿ خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ [سورة يس آية : ٣٦] ، وقال : ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَیْجٍ ﴾ [سورة ق آية : ٧] ، وقال : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤٣] ، وقال : ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [سورة الرعد آية : ٣] .

وكل ذلك بمعنى الصنف ، ودخل اثنين تأكيدا ، ويموز أن يقال : أنه دخل ؛ لأن الزوج في بعض اللغات اثنان ، فلو لم يقل : اثنين لتوهم من تلك لغته ، لأن الزوجين أربعة ، فلما قل : اثنين ارتفع الإشكال^(١) .

الثالث : القرين ، قال : ﴿ اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٢] ، أي : قرناهم من الشياطين .

وذلك أنه لما كان الزوج الواحد الذي له قرين سمي القرين زوجا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَزَوْجَانَهُمْ يَبْحُورِينَ ﴾ [سورة الدخان آية : ٥٤] ، أي : قرناؤهم .

ولا يميز أن يكون من التزويج ؛ لأنه لا يقال : زوجت فلانا بفلاتة ، وإنما يقال : زوجت فلانة فلانا بغير باء ، وقال : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [سورة التكويد آية : ٧] ، أي : قرن كل واحد بمن شايع .

(١) زوج : يقال : لفلان زوجان من الحمام ، أي : ذكر وأنثى . قال سبحانه : " فاسلك فيها من كل زوجين اثنين " . زوج من الثياب ، أي : لون منها ، قال عز وجل : " من كل زوج بيج " ، أي : لون . ويجمع الزوج : أزواجاً .

الباب الثاني عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله سين

سواء^(١)

أصل السواء من التماثل ، ومنه قيل للمثل الشيء ، وهما سينان أي : مثلان ، وسواء لا يجمع ؛ لأنه في مذهب الفعل فإن احتجت إلى جمعة قلت : أسوته ، وقال بعضهم : جمع سواسية على غير قياس ، وهو غلط لأن سواء يستعمل في الخير والشر ، وسواسية لا يستعمل إلا في الشر ، وهذا دليل على أنه حرف برأسيه ، وهو جمع لا واحد له من لفظه .

وسواء في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : العدل ، قال الله : ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة آل عمران آية : ٦٤] ، أي : عدل ، وهو قوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة محمد آية : ١٩] ، الصافات : ٣٥ ، وقوله : ﴿سَوَاءٌ لِلْمَاسِئَلِينَ﴾ [سورة فصلت آية : ١٠] ، أي : عدل لمن يطلب الرزق .

ومعنى ذلك أنه خلق الأرض والماء وجعل فيهما قوت الخلق بالعدل ، لأنه رزق كلا منهم على قدر ما علم أنه صلاح له ، وقيل : ﴿سَوَاءٌ لِلْمَاسِئَلِينَ﴾ [سورة فصلت آية : ١٠] ، أي : لمن سأل في كم خلقت الأرض ، وما فيها ؟ ، فقيل : خلقت الأرض في أربعة أيام سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل .

(١) (س و ي) : (سَوَى) الْمُعَوَّجَ فَاسْتَوَى فِي الْحَدِيثِ قَدِيمٌ زَيْدٌ بِبَيْعٍ يَفْتَحُ بَدْرٌ حِينَ (سَوَيْنَا) عَلَى رُقْبَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَعْني : دَفَنَاهَا وَسَوَيْنَا تَرَابَ الْقَبْرِ عَلَيْهَا وَقَوْلُهُ (وَلَمَّا اسْتَوَتْ) بِوَرَاثَتِهِ عَلَى الْيَتَامَى أَيْ عَلَتْ بِهَا أَوْ قَامَتْ مُسْتَوِيَةً عَلَى قَوَائِمِهَا وَعُلَامٌ (سَوَى) مُسْتَوِي الْخَلْقُ لَا فَاءَ بِهِ وَلَا حَيْبَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَانْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أَيْ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَوٍ يَأْنِ تَظْهَرُ لَهُمْ تَبَدُّلُ الْعَهْدِ وَلَا تَحَارِجُهُمْ وَهُمْ عَلَى تَوْفِيقِ بَقَاءِ الْعَهْدِ أَوْ عَلَى اسْتِثْوَاءٍ فِي الْعِلْمِ بِتَنْقِضِ الْعَهْدِ أَوْ فِي الْعَدَاوَةِ (وَهُمْ سَوَاسِيَةٌ) فِي هَذَا أَيْ سَوَاءٌ وَهِيَ (سَيَّانٌ) أَيْ مِثْلَانِ (وَمِنْهُ) رِوَايَةٌ بِحَسْبِ بْنِ مَعِينٍ إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَنَوُ عَبِيدِ الْمُطَّلِبِ (سَيٌّ) وَاحِدٌ وَفِيهِ نَظَرٌ وَإِنَّمَا الْمَشْهُورُ سَيٌّ وَاحِدٌ . [المغرب ٣/ ١١٥]

الثاني : الوسط ، قال : ﴿ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة الصافات آية : ٥٥] ، وقال : ﴿ إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ [سورة ص آية : ٢٢] ، أي : إلى أحكم البين فشبهه بوسط الطريق ، وقيل : السواء هاهنا بمعنى العدل .

الثالث : الأمر البين ، قال : ﴿ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٥٨] ، يعني : على أمر بين ، قال أبو عبيد : قال الكسائي وغيره : السواء العدل ، وقال غير واحد من أهل العلم : ﴿ أَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٥٨] ، أي : أعلمهم أنك عاربهم حتى يصيروا مثلك في العلم بذلك ، فذلك هو السواء .

الرابع : الاستواء ، قال : ﴿ سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ [سورة الحج آية : ٢٥] ، وقال : ﴿ وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [سورة النساء آية : ٨٩] ، قال : ﴿ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ [سورة الروم آية : ٢٨] ، أي : مستوون ، ومثله : ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْزَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْزِلْهُمُ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يس آية : ١٠] ، أي : مستو عندهم إنذارك وخلافه ، وقال : ﴿ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَبِهِمْ سَوَاءٌ ﴾ [سورة النحل آية : ٧١] .

الخامس : القصد ، قال الله : ﴿ أَنْ يَتْلِيَنَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [سورة القصص آية : ٢٢] ، وقال : ﴿ وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٧٧] ، ونحوه : ﴿ أَهْلَيْنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ [سورة ص آية : ٢٢] ، وقيل : معناه هاهنا العدل ، والمراد عندي الحكم البين ، فشبهه بوسط الطريق ، ووسط الطريق بينه فخصه بالذكر .

السوء^(١)

أصله المكروه ومنه قولهم : دفع الله عنك السوء ؛ ثم استعمل في الحزن ؛ لأن الحزن مكروه ، فقيل : ساءه الأمر ، والدليل على أنه يراد به الحزن أنهم يجعلونه خلاف السرور ، فيقولون : ساءه ذلك ، وسره هذا ، وقوله : ﴿ سَيِّئَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [سورة الملك آية : ٢٧] ، أي : يتبين فيها أثر الحزن .

والسوء في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : النشلة ، قال الله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٩] ، وقال : ﴿ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [سورة النمل آية : ٥] أي : شدته .

الثاني : المكروه ، قال : ﴿ وَلَا تَحْسَبُوا بُسُوءَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٧٣] ، أي : بمكروه ، وقال : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ [سورة الرعد آية : ١١] ، قوله : ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٨٨] ، وقوله : ﴿ إِنَّ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٧] ، أي : مكروها ، وقيل : المراد القتل والهزيمة .

الثالث : جاء بمعنى الزنا ، قال : ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ [سورة يوسف آية : ٥١] ، وهذا راجع إلى المكروه ؛ لأن الزنا مكروه .

الرابع : البرص ، قال الله : ﴿ تَخْرُجُ بَيَظًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ [سورة طه آية : ٢٢] .

(١) [سوء] : والتسوء نعت لكل شيء رديء . ساء يسوء ، لازم ومجاوز وساء الشيء : قبح فهو سيئ والشُّوء : اسم جامع للآفات والذَّاء . وسُوتَ وَجْهَ فلان وأنا أسُوؤه ، مَسَاءَةٌ ومَسَايَةُ لغة ، تقول : أدركت مَسَاءَتَكَ ومَسَاتِكَ ، وأسَاءت إليه في الصُّنْع . واستاء من التسوء بمنزلة اهتم من الهم . وأسَاء فلان خياطة هذا الثوب ، وسُوت فلانا ، وسُوت له وجهه ، وتقول : ساء ما فعل صنيعاً يسوء ، أي : قبح صنيعه صنيعاً .

والسَّيِّء والسَّيِّئة : عملان قبيحان ، يعبر السَّيِّء نعتاً للذكر من الأعمال ، والسَّيِّئة للانثى ، قال : " والله يعفو عن السيئات والزلل " والسَّيِّئة : اسم كالحفطية .

والسُّوءى ، بوزن فُعْلَى : اسم للفُعْلَةِ السَّيِّئة ، بمنزلة الحسنَى للحَسَنَةِ ، محمولة على جهة التَّعْت في حدِّ أفعال وفُعْلَى كالأَسْوَء والسُّوءَى ، رجلاً أسوأ ، وامرأة سُوءَى ، أي : قبيحة . [العين : سوء]

الخامس : العذاب ، قال الله : ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة النحل آية : ٢٧] ، وقال : ﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ﴾ [سورة الزمر آية : ٦١] ، يعني : العذاب ، ومعنى ذلك كله راجع إلى المكروه ونحوه : ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاءُوا السُّوَى﴾ [سورة الروم آية : ١٠] ، أي : العذاب .

السادس : المعصية من الشرك وغيره ، قال : ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [سورة النحل آية : ٢٨] ، يعني : الشرك ، وقال : ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [سورة النساء آية : ١٧] ، يعني : مادون الشرك .

السابع : الشتم ، قال : ﴿وَيَسْطُوتُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٢] .

الثامن : قوله : ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [سورة الرعد آية : ١٨] ، قال : هو أن لا يقبل منه حسنة ، ولا يتجاوز عن سيئة ، و : ﴿سُوءُ الدَّارِ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٥] ، يعني : شر الدار ، وعذابها ، وقيل : معناه بئس الدار .

السعي

أصله السرعة في المشي ، ثم استعمل في غيره ، فيقال : سعى الرجل سعاية ، إذا ولي الصدقة ، والساعي إلى السلطان لسرعه ، لأن الساعي حق على المسي به ؛ فهو سريع إلى إلحاق الضرر به ، والمساعة الزنا بالإماء خاصة .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : المشي ، قال الله : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الجمعة آية : ٩] ، لم يرد سرعة المشي ؛ وإنما أراد صدق القيام في أمر الصلاة ، وتقوية العزم عليه ، والمستحب أن المشي إلى الجمعة مشيا رويدا لا سرعة فيه ولا بطء ، وقال : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٠٢] ، يعني : المشي ، يقال : أراد المعاونة على أمره ونحوه قولهم : فلان يسعى في حوائج أهله ، أي : يعينهم فيها .

الثاني : العمل ، قال : ﴿ أُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٩] ، وقوله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [سورة النجم آية : ٣٩] ، أي : ما عمل ، وحقيقته جزاء ما عمل .

وقال : ﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٩] ، أي : عملها ، وقال : ﴿ إِن سَعَيْتُمْ لَشَى ﴾ [سورة الليل آية : ٤] ، أي : عملكم مختلف ، وأصل الشت التفرق .

وقال : ﴿ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ [سورة الحج آية : ٥١] ، أي : سابقين جادين في الصرف عن آياتنا ، وقال : مغالين .

(١) (س ع ي) : سعى الرجل على الصدقة يسعى سعيا عجل في أخيهما من أزيائهما وسعى في مشيه موزول وسعى إلى الصلاة فعب إليها على أي وجه كان وأضل السعي التصرف في كل عمل وعليه قوله تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ أي إلا ما عجل وسعى على القوم ولقي عليهم وسعى به إلى الوالي وشى به وسعى المكاتب في فك رقبته سعاية وهو الخساب المال ليتخلص به واشتغبه في قيمته طلبت منه السعي والفاعيل ساع وإذا أطلق الساعي انصرف إلى عامل الصدقة والجمع سعاة . [المصباح المنير : السين مع العين]

٢٥٠ _____ في ما جاء من الرجوه والنظار في أوله سين

وأصل العجز الضعف ، وقد عاجزه كأنه طلب ضعفه وقرئ : ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ أي : يعجزون من يؤمن بها ، وهو معنى الشيط عنها ، ويرجع الأول إلى الإسراع .

الثالث : السرعة ، قال الله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴾ [سورة عبس آية : ٨] ، أي : يسرع إليك للاستفادة منك .

وقال : ﴿ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ [سورة القصص آية : ٢٠ ، سورة يس آية : ٢٠] ، وقال : ﴿ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٠] ، وقيل : أراد مشيا ، والأول أجود .

السوي

أصله من الاستواء ، وقد جاء في معنى الصحة ؛ لأن المستوي صحيح التقاسيم ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تحمل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي " (١) .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الصحيح ، قال : ﴿ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم آية : ١٠] ، أي : صحيحا من غير خرس .

الثاني : المستوي الصورة ، السوي الخلق ، قال : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم آية : ١٧] ، أي : سوي الخلق في صورة البشر .

الثالث : العدل ، قال : ﴿ فَسْتَغْلَمُونَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ﴾ [سورة طه آية : ١٣٥] ، أي : العدل ، وقال : ﴿ فَاتَّبِعْنِي أَهْلَكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم آية : ٤٣] ، يعني : ديننا عدلا ، قال : ﴿ أَقْمَنَ يَمْشِي مُكِيًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْلَى أَمْنٍ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الملك آية : ٢٢] ، يعني : عدلا مهلبيا .

(١) أخرجه أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري (١٦٣٥) ، وابن ماجه (١٨٤١) ، وأحمد في مسنده (١٠٨٧٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٢١٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٧ / ١٥ ، وفي السنن الصغرى (١٣٠٠) ، وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه ابن ماجه (١٨٣٩) ، وأحمد (٨٨١٨) .

السبب^(١)

أصله الحبل ، ثم قيل : لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها سبب ، تقول : فلان سببي إليك ، أي : وصلني ، وما بيني وبينك سبب ، أي : وصلة ورحم . وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الباب ، قال : ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ [سورة ص آية : ١٠] ، يعني : أبواب السماوات كما قال تعالى : ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ ﴾ [سورة غافر آية : ٣٦] ، أسباب السموات وسبب الشيء ما يتوصل به إليه ، ويجوز أن يكون قوله : ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ [سورة ص آية : ١٠] ، يعني : في الحبال وغيرها مما يتوصل به إلى الموضع العالي .

وميجوز أن يكون أراد الهواء الذي هو سبب لصعود الملائكة إلى السماء يمدون فيه أجنحتهم فيصعدون ، وهذا على جهة التعجيز للكفار المخاطبين بهذه الآية ، والإخبار بأنهم يغلبون ولا يتم أمرهم ، والشاهد على صحة هذا قوله : ﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ [سورة ص آية : ١٠] .

الثاني : الطريق ، قال تعالى : ﴿ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٥] ، وجعل الطريق سببا ، لأنك إذا سلكته وصلت إلى الذي تريده ، ومنه قولهم سبب لك على فلان ، أي : جعل لك طريق إلى مطالبة .

الثالث : الحبل ، قال الله : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾^(٢) [سورة الحج آية : ١٥] .

(١) السَّبَبُ الْحَبْلُ وَهُوَ مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْإِسْتِعْلَاءِ ثُمَّ أُسْتَعِيرَ لِكُلِّ شَيْءٍ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ فَقِيلَ هَذَا سَبَبٌ هَذَا وَهَذَا مُسَبَّبٌ عَنْ هَذَا . [المصباح المنير : السين مع الباء]

(٢) قال الرازي : اعلم أن في لفظ السبب قولين : أحدهما : أنه الحبل وهؤلاء اختلفوا في الساء فمنهم من قال هو ساء البيت ، ومنهم من قال هو الساء في الحقيقة ، فقالوا المعنى : من كان يظن أن لن ينصره الله ، ثم يغيظه أنه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلاً إلى ساء بيته فاختنق ، فليظن أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه . وعلى هذا القول اختلفوا في القطع فقال بعضهم : سمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بجس مجاريه ، وسمى فعله كيداً لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره ، أو على سبيل الاستهزاء إلا أنه لم يكذب به محسوده

الرابع : العلم ، قال : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٤] ، أي :
 علماً ، : ﴿ فَاتَّبَعَ سَبِيًّا ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٥] ، أي : طريقاً يهد به إلى معلومه ، ويجوز
 أن يكون المراد : إما أعطيناه من كل شيء يتوصل به إلى الغلبة والسلطان آلة أو قوة أو ذريعة أو
 علماً على ما ذكر .

وإنما كاد به نفسه ، والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ . وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال ابن
 عباس رضي الله عنه : يشد الحبل في عنقه وفي سقف البيت ، ثم ليقطع الحبل حتى يخنق ويهلك ، هذا كله إذا
 حملنا السماء على سقف البيت وهو قول كثير من المفسرين . وقال آخرون : المراد منه نفس السماء فإنه يمكن
 حمل الكلام على نفس السماء فهو أولى من حمله على سماء البيت ، لأن ذلك لا يفهم منه إلا مقيداً ، ولأن
 الغرض ليس الأمر بأن يفعل ذلك ، بل الغرض أن يكون ذلك صارفاً له عن الغيظ إلى طاعة الله تعالى ، وإذا
 كان كذلك فكل ما كان المذكور أبعد من الإمكان كان أولى بأن يكون هو المراد ومعلوم أن مد الحبل إلى سماء
 الدنيا والاختناق به أبعد في الإمكان من مده إلى سقف البيت ، لأن ذلك ممكن . أما الذين قالوا السبب ليس
 هو الحبل فقد ذكروا وجهين : الأول : كأنه قال فليمد بسبب إلى السماء ، ثم ليقطع بذلك السبب المسافة ،
 ثم لينظر فإنه يعلم أن مع تحمل المشقة فيما ظنه خاسر الصفقة كان لم يفعل شيئاً وهو قول أبي مسلم . والثاني :
 كأنه قال فليطلب سبياً يصل به إلى السماء فليقطع نصر الله لنيه ، ولينظر هل يتنهاه له الوصول إلى السماء
 بحيلة ، وهل يتنهاه له أن يقطع بذلك نصر الله عن رسوله ، فإذا كان ذلك ممتنعاً كان غيظه عديم الفائدة ،
 واعلم أن المقصد على كل هذه الوجوه معلوم فإنه زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه ، وهو في معنى
 قوله : ﴿ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام : ٣٥] ميئاً بذلك أنه لا حيلة
 له في الآيات التي اقترحوها . [مفاتيح الغيب : ١١/ ١٠٢]

السمع

أصل السمع سمع الأصوات ، ثم سميت الأذن سمعا ؛ لأن السمع بها يكون فيما يبتا ، وسمى الإجابة سمعا ، لأنها مع السمع تكون في أكثر الأوقات ، والسميع لا يقتضي المسموع ، لأن فعلا جعل للمبالغة ، وليس هو على مقتضى فعل ، والله تعالى لم يزل سميعا ، ومعناه أنه الذي لا آفة به لمنعه عن سمع المسموع إذا وجد ، والسامع يقتضي المسموع ، فلا يسمى الله سامعا ، فيما لم يزل .

والسمع في القرآن على وجهين :

الأول : سمع الصوت ، قال الله : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ [سورة هود آية : ٢٠] ، أي : يعرضون عن الإيمان وينصرفون عنه انصراف من لا يستطيع سمعه .

الثاني : القبول والإجابة ، قال الله : ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٨] ، أي : مجيبه ، وأنت تقول لصاحبك : اسمع نصيحتي مع أنك تعلم أنه يستجيبها ، وإنما يريد أقبل ، ونحوه قولك لمن يحمله : سمعا وطاعة ، أي : أقبل ما تقول وأطيعك فيه ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٣] ، أي : لسماهم سمعاء ، ولم يسمهم صما بكما .

(١) (س م ع) : سَمِعْتُهُ وَسَمِعْتُ لَهُ سَمْعًا وَتَسَمَعْتُ وَاسْتَمَعْتُ كُلُّهَا يَتَعَدَّى بِنَفْيِهِ وَيَاخُزِفُ بِمَعْنَى وَاسْتَمَعْتُ لِمَا كَانَ يَقْضِيهِ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْإِصْفَاءِ وَسَمِعَ يَكُونُ يَقْضِي وَيُدْوِنُهُ وَالسَّمْعُ اسْمٌ مِنْهُ فَاتَّأَسَمِعْتُ وَاسْمِعَ وَاسْتَمَعْتُ زَيْدًا أَبْلَغْتُهُ فَهُوَ سَمِيعٌ أَيْضًا قَالَ الصَّفَّارِيُّ وَقَدْ سَمِعُوا سَمْعَانِ مِثْلَ عِمْرَانَ وَالْعَامَّةُ تَفْتَحُ السَّيْنُ وَمِنْهُ دَبِيرُ سَمْعَانَ وَطَرَقَ الْكَلَامُ السَّمْعَ وَالْمُسْمَعُ بِكَسْرِ المِيمِ وَالْجَمْعُ أَسْمَاعٌ وَمَسَامِعٌ وَسَمِعْتُ كَلَامَهُ أَنَّى فَمِنْهُتُ مَعْنَى لَفْظِهِ فَإِنْ لَمْ تَفْهَمْهُ لِيُعِدَّ أَوْ لَقَطِ فَهُوَ سَمَاعٌ صَوْتٌ لَا سَمَاعٌ كَلَامٌ فَإِنَّ الْكَلَامَ مَا قَدْ عَلَ مَعْنَى تَمِيمٍ بِهِ الْفَائِدَةُ وَهُوَ لَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ وَهَذَا هُوَ الْمُتَبَاذَرُ إِلَى الْقَهْمِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ الْحَطِيبَ لِأَنَّهُ الْحَقِيقَةُ فِيهِ وَجَزَأَ أَنْ يُحْمَلَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَسْمَعُ صَوْتَ الْحَطِيبِ مَجَازًا وَسَمِعَ اللَّهُ قَوْلَكَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ لَنْ حِيلَهُ قَبْلَ حَذِّ الْحَايِذِ وَقَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ أَجَابَ اللَّهُ حَذَّ مَنْ حِيلَهُ وَمِنْ الْأَوَّلِ قَوْلُهُمْ سَمِعَ الْقَاضِي الْبَيْتَةَ أَيْ قِيلَهَا وَتَسَمَعْتُ بِالشَّيْءِ بِالتَّشْدِيدِ أَذْعَتُهُ لِقَوْلِهِ النَّاسُ . [المصباح المنير : السين مع الميم]

السلطان

أصل السلطان القوة ، والسطوة ، والجدة ، وهو مشتق من السليط ، وهو الزيت ، وذلك أن الزيت مادة للسراج يشتعل به وتقويه حتى يبقى ، والسلطان مادة وقوة لكل خير وشر ، ونفع وضر ، وهو يذكر ويؤنث .

ورجل سليط اللسان فصيح ، يرجع إلى معنى الجدة ، والمصدر السلاطة ، وهو للرجل مدح وللمرأة ذم ، يقال : امرأة سليطة إذا كانت كثيرة الصخب ، ويقال : ذهب سلطان الحر وسلطان البرد أي : شدتها ، وسميت القدرة على الشيء سلطانا ، يقال : مالي على هذا الأمر سلطان ، أي : قدرة .

والسلطان في القرآن على وجهين :

الأول : الحجة ، قال الله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة هود آية : ٩٦] ، يعني : حجة وبينة ، وقال : ﴿ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [سورة الحج آية : ٧١] ، وقال : ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٥٦] ، وقال : ﴿ أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة النمل آية : ٢١] ، وإنما سميت الحجة سلطانا ، لأنك تقوى بها على خصمك .

الثاني : الملك والقهر ، قال الله : ﴿ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٢] ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [سورة الصافات آية : ٣٠] ، أي : من ملك يقهرهم به على فعل المعاصي .

(١) [سلط] : السِّلَاطَةُ : مَصْدَرُ السَّيْطِ مِنَ الرِّجَالِ وَالسَّيْطَةِ مِنَ النِّسَاءِ ، سَلَطْتُ سَلَاةً . وَالسُّلْطُ بِاللَّسَانِ : أَشَدُّ مِنَ السُّلْطَى . وَهُوَ سَيِّطُ الْقَوْمِ وَكَلِيمُهُمْ وَكَلِيمُهُمْ : أَيِ اسْلُطْهُمْ لِسَانًا . وَسَنَابُكَ سَلِطَاتٌ : أَيِ جِنَادٌ . وَالسَّيْطُ : الذَّبَالُ . وَالزَّيْتُ .
وَالسُّلْطَانُ : فِي مَعْنَى الْحُجَّةِ . وَقُدْرَةُ الْمَلِكِ ، وَيُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ . وَقِيلَ : وَاحِدُ السُّلْطَانِ سَلِيطٌ . وَرَجُلٌ سَلْطَنِيظٌ : عَظِيمُ السُّلْطَانِ . [المحيط في اللغة : سلط]

السلام

قد مضى القول في أصل هذا الحرف ، وهو في القرآن على ستة أوجه :

الأول : اسم الله تعالى ، قال : ﴿ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ ﴾ ^(١) [سورة الحشر آية : ٢٣] ، ومعناه أن عباده يسلمون من ظلمه ، وقال : ﴿ سُبُلُ السَّلَامِ ﴾ [سورة المائدة آية : ١٦] ، أي : سبل الله ، وهو دينه ، وقال : ﴿ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [سورة يونس آية : ٢٥] ، يعني : الجنة ، ونسبها إلى نفسه تعظيما لها ، كما يقال : بيت الله وخليفة الله ، ويموز أن يكون أراد بالسلام الأمن من الخوف ، لأن موضوع السلام لذلك .

الثاني : الخير ، قال : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨٩] ، أي : قل خيرا كذا قيل ، ولو كان كذلك النصب ، فقال : سلاما ؛ لأن ما كان من القول يحییء بعده فهو منصوب ، قلت : خيرا ، وقلت : شرا .

والمراد أن قل أنا سلم ولست بحرب ، وإنما أقول ما أقوله على وجه النصيحة ، فإن قتلتموه وإلا فقد بلغت ، وحسابكم على الله ، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب ، وقال : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ٦٣] ، أي : ردوا خيرا ، وقيل : ﴿ سَلَامًا ﴾ ، أي : تسلما منكم ، قال سيويه : يقال : لا تكونن من فلان إلا سلاما بسلام ، يعني : به المباركة .

وقوله : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ [سورة الذاريات آية : ٢٥] ، أي : قال خيرا كذا قيل ، والوجه أن يكون من السليم فوجد الأول ، لأن القول هو السلم ، وكل ما يحییء بعد القول فهو رفع إلا أن يكون من القول ، فيقول : قلت : زيد في الدار ، وقلت :

(١) قال أبو جعفر : قوله : (السَّلَامُ) يقول : هو الذي يسلم خلقه من ظلمه ، وهو اسم من أسمائه .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (السَّلَامُ) : الله السلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعني العتكي ، عن جابر بن زيد قوله : (السَّلَامُ) قال : هو الله ، وقد ذكرت الرواية فيما مضى ، ويئت معناه بشواهد ، فأعنى ذلك عن

إعادته . وقوله : (المُؤْمِنُ) يعني بالمؤمن : الذي يؤمن خلقه من ظلمه . [جامع البيان ٢٣ / ٣٠٢]

كلاما حسنا ، لأن القول هو الكلام ، وليس زيد هو القول ، ورفع السلام الأخير ، كأنه قال حين أنكرهم : هو سلام إن شاء الله ، فمن أنتم ولو كنا جميعا نصا لجاز .

الثالث : الثناء الحسن ، قال تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الصافات آية : ٧٩] ، وقوله : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٠٩] ، : ﴿ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٢٠] ، أراد الثناء الحسن عليهم ، ويجوز أن يكون أراد قول المسلمين عند ذكر الأنبياء عليهم السلام .

الرابع : السلامة من الشر ، قال الله : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٦٩] ، وقال : ﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [سورة الواقعة آية : ٩١] ، أي : إنك ترى لهم ما نحب من السلامة ، وقد علمت ما أعد لهم من الجزاء ، كذا قال الزجاج ، وليس بالوجه ؛ لأنه ليس على مقتضى لفظ الآية .

والصحيح أنه أراد أن لك من إيمانهم وطاعتهم لله الخير عند الله ، لأنهم آمنوا بدعائه وهدايته ، "ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها" (١) أي : مثل أجره ، ويجوز أن يكون المراد أنك مسرور بثوابهم فجعل سروره (٢)

الخامس : بمعنى تسليم الشيء إلى صاحبه ، قال : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٦] ، وكذلك قوله : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴾ [سورة ق آية : ٣٤] ، الحجر : ٤٦ ، أي : قد سلمت إليكم فخذوها مهنة ، ويجوز أن يكون معناه ادخلوها مع السلامة من الآفات ، والسلام والسلامة واحد مثل الضلالة والضلال ، والجلالة والجلال .

السادس : التحية ، قال : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا صَبْرُثُم ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٤] ، أي : يدخل الملائكة عليهم مسلمين مهتين ، ونحوه قوله : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ [سورة

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث جرير بن عبد الله (٢٠٣) ، وأحمد في مسنده (١٨٧١٧) ، والدارمي (٥١٢) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣١٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٤ / ١٧٦ ، وله شاهد آخر من حديث أبي جحيفة السوائي أخرجه ابن ماجه (٢٠٧) .
(٢) طمس في المخطوط .

٢٥٨ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله سين

النور آية : ٦١] ، أي : على إخوانكم ، وقال : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤٤] ، حكاية ما تحيون به .

وتقديره في العربية الابتداء ، والخبر وتأويله ما تحيون به هو هذا القول ، ومثله : ﴿ يُلْقُونَ فِيهَا تِجْنَةً وَسَلَامًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ٧٥] ، والتحية أعم من السلام ، والسلام مخصوص ، ويدخل في التحية : حياك الله ، ولك البشرى ، ولقيت كل خير .

فإن قيل : كيف يعطف الجزء من الشيء على جميعه ، قلنا : لأن من كلامهم عطف الخاص على العام ، كقوله : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٨] ، وكقوله : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٨] ، وقال جرير :

سَائِلٌ ذَوِي بُغْيٍ وَسَائِلٌ مَذْحَجَا والأزد أذهر والنار منعُودَا
والأزد من اليمن .

السيئات

قد تكلمنا في هذا الحرف بما فيه كفاية ، وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : المعاصي ، قال : ﴿ الَّذِينَ كَتَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ [سورة يونس آية : ٢٧] ، وارتفع جزاء بإضمار لهم ، أي : لهم ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ [سورة يونس آية : ٢٧] .

وقال البلخي : الباء في قوله : ﴿ بِمِثْلِهَا ﴾ زائدة ، وليس كما قال ، وإنما هو على تقديم وتأخير ، كأنه قال : يجازي سيئة مثلها ، والسيئات هنا الكبائر من المعاصي .

والمراد أن من يأتي بكبيرة من الكبائر يجازى بها يستحق عليها من غير زيادة ، وهذا دليل على أنه لا يعاقب بغير ذنب ؛ لأن العقاب بغير ذنب أقبح من الزيادة في العقاب .

ولا يسمى إيصال العذاب زيادة ، وقيل : أن قوله : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [سورة يونس آية : ٢٦] أنه أراد به إيصال الثواب ، وقيل : هي التفضل ، وقال الكلبي : الزيادة للواحد عشرة ونحوه عن الحسن رحمه الله .

الثاني : العذاب ، قال : ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ [سورة النحل آية : ٣٤] ، وسمي العذاب ، وهو فعلة سيئة ، كما سباه شرا في قوله : ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴾ [سورة الإنسان آية : ١١] ، وإنما سباه شرا وسيئة من أجل أنه مضرة ، وقال الشاعر :

أَنَا عَلَى الْمَاءِ لَشَرُّ مَوْضُوعٍ

فسمى نفسه وقومه شرا ، أراد أنهم مضرة على من يذاحمهم على الماء .

ولا يجوز أن يسمى الله شريرا ولا مسينا لفعله العذاب الذي سباه شرا أو سيئة ، لأن الشرير هو الذي يفعل الشر القبيح ، مثل الظلم وما بسبيله .

الثالث : الضر ، قال الله : ﴿ مِنْ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَؤُولُنَ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾ [سورة هود آية : ١٠] ، وقال : ﴿ وَتَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٦٨] ، أي : بالضر وسوء الحال ، والبلوى من الله التكليف ، وأصلها استتارة العلم بالبلو .

الرابع : الشر ، قال : ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا﴾ [سورة غافر آية : ٤٥] ، أي : الشر الذي أراده به فرعون .

الخامس : الفاحشة ، قال : ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَفْعَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود آية : ٧٨] ، يعني : إتيان الرجال .

ويجوز أن يكون أراد ذلك وغيره من قبيح أعمالهم ، والأصل في هذا كله المكروه على ما ذكرنا ، وهامنا وجه آخر وهو قوله : ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة النساء آية : ٣١] ، والسيئات هاهنا الصغائر .

والمراد أن اجتنبتكم المعاصي التي هي أكبر من طاعتكم وغفرت لكم معاصيكم التي هي أصغر منها ولو لم تكن هذه الكبائر أعظم من طاعات فاعليها لغفرت بالطاعات ؛ كما يقترنها الصغائر ، ولو كانت الكبائر تغفر بالطاعات لم يكن ، لقوله : ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة النساء آية : ٣١] فائدة .

السيل^(١)

تذكر وتؤنث ، وأصلها من الامتداد ، ومنه قيل للمطر بين السماء والأرض سبل ،
لامتداده من السحاب إلى الأرض ، وأسبلت الستر إذا أرخيته فامتد من علو إلى سفلى ،
والسبل في القرآن على ثلاثة عشر وجها :

الأول : الطاعة ، قال الله : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٥] ، أي :
في طاعته .

الثاني : البلاغ ، قال : ﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [سورة آل عمران آية : ٩٧] ، أي :
بلاغا ، والمراد بالاستطاعة هاهنا وجدان النفقة ، وصحة البدن ، ورفع الموانع ، وتمام
الوقت .

الثالث : المخرج ، قال الله : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤٨] ،
وقال الله : ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ ، [سورة النساء آية : ١٥] ، وكان الله فرض أن
يحصن الزاني ، وهو قوله : ﴿ فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْيُبُوتِ ﴾ [سورة النساء آية : ١٥] ، فلما نزل :

(١) (س ب ل) : (السَّيْلُ) يُذَكَّرُ وَيؤنثُ والمُرَادُ بِهِ فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿ خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي
فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ
تَحْلِيلَهُنَّ فِي الْحَبْسِ كَانَ عُقُوبَتَهُنَّ فِي بَذْرِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ نُسِخَ بِالْجُلْدِ وَالرَّجْمِ يُقَالُ لِلْمُسَافِرِ ابْنُ السَّبِيلِ لِأَلَزَمَتْهُ
إِيَّاهُ وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ الْمُسَافِرُ الْمُتَقَطِّعُ عَنْ مَالِهِ (وَالسَّابِلَةُ) الْمُخْتَلِفَةُ فِي الطَّرِيقَاتِ فِي حَوَائِجِهِمْ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ
عِيْسَى وَإِنَّمَا أَثْنَتْ عَلَى تَأْوِيلِ الْجَمَاعَةِ بِطَرِيقِ النَّسَبِ (وَسَبَلٌ) الشَّعْرَةُ جَعَلَهَا فِي سَبَلِ الْحَقِيرِ (وَالسَّبَلُ) بِفَتْحَتَيْنِ
غِشَاءٌ يَعْطِي الْبَصَرَ وَكَأَنَّهُ مِنْ إَسْبَالِ الشَّيْءِ وَهُوَ إِزْسَالُهُ . [المغرب : السبن مع الباء]

والسبن والباء واللام أصل واحد يدل على إرسال شيء من علو إلى سفلى ، وعلى امتداد شيء .

فالأول من قبلك : أسبلت الشتر ، وأسبلت السحابة ماءها وريائها .

والسبل : المطر الجرود . ويسال الإنسان من هذا ، لأنه شعر منسدل .

وقوله لأعالي الدلو أسبال ، من هذا ، كأنها شُبِّهَتْ بِالَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِنْسَانِ . قال :

إِذَا أَرْسَلُونِي مَاتِحًا بَدَلَانَهُمْ *** فَمَلَأْتُهَا عَلَقًا إِلَى أَسْبَالِهَا

والممتد طولاً : السيل ، وهو الطريق ، سمي بذلك لامتداده . والسَّابِلَةُ : الْمُخْتَلِفَةُ فِي السَّبَلِ جَائِيَةٌ وَذَاهِبَةٌ .

وسمي السبل سبلاً لامتداده . يقال أسبل الزرع ، إذا خَرَجَ سُبُلُهُ .

قال أبو عبيد : سَبَلُ الزَّرْعِ وَسُبُلُهُ سَوَاءٌ . وَقَدْ سَبَلَ وَأَسْبَلَ . يَنْظُرُ مَعْجَمُ مَقَائِسِ اللُّغَةِ (س ب ل) .

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [سورة النور آية : ٢] ، وقال عليه السلام : "قد جعل الله لمن سبىلاً" (١) .

وأخرج من كان عنده من الزناة محبوساً فجلدهم مائة مائة وخلاهم ، ثم فصل عليه السلام حد الزاني فجعل للذكر الجلد ، وللأنثى الرجم ، وقال : ﴿ وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْقَاحِشَةَ ﴾ [سورة النساء آية : ١٥] ، ولم يذكر الذكور ؛ لأنه معلوم أن حد الزناة مثل حد الزواني فاكتمى بذكر أحد الصنفين .

والفاحشة هنا الزنا ، واستشهدوا مثل أشهدوا كما تقول : استوقد ناراً ، أي : أوقد ، هذا قول ، والأجود أن يقال : استشهد ، طلب الإشهاد .

واستوقد طلب الاستضاءة بالنار ، ولا يجوز أن يكون افعل واستفعل بمعنى واحد ، كما لا يكون علم واستعلم بمعنى واحد .

الرابع : الصنيع ، قال الله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء آية : ٢٢] أي : صنيعاً .

الخامس : العلة ، قال : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء آية : ٣٤] ، أي : علة ، تقول : إذا نشزت المرأة على زوجها فله أن يجرها من غير أن يمنعها النفقة والسكنى ، وإذا أطاعته فلا يبيع عليها سبيلاً ، أي : لا يكلفها حبه ، فإن ذلك لا تملكه .

السادس : الدين ، قال الله : ﴿ وَتَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النساء آية : ١١٥] ، أي : غير دينهم ، وقال : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥] .

السابع : الهدى ، قال : ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء آية : ٨٨] ، والإضلال هاهنا التسمية كما تقول : جهلت الرجل إذا سميت جاهلاً ، وعدلته إذا سميت عدلاً ، ومثله قوله : ﴿ فَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَنا سَبِيلَ اللَّهِ ﴾ [سورة الروم آية : ٢٩] ، أي : من حكم عليه باسم الضلال عقوبة له .

(١) أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت (١٦٩١) ، وأخرجه الترمذي أيضاً (١٤٣٤) ، وأخرجه ابن ماجه (٢٥٥٠) ، وأخرجه أحمد (١٥٤٨٠) ، وأخرجه اللارمي (٢٣٢٧) .

ودليل ذلك قوله في أول الآية : ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة الروم آية : ٢٩] ، ومثله : ﴿قَمَالَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [سورة الشورى آية : ٤٦] .

الثامن : الحجة ، قال الله : ﴿وَلَنْ يَجْمَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء آية : ١٤١] ، أي : حجة ، وفي هذا دليل على أن الله قد مكنهم من الإيمان ؛ لأنه لو لم يمكنهم منه لكان للكافرين على من يدعوهم إلى الإيمان حجة .

التاسع : الطريق ، قال : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَتَتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء آية : ٩٨] ، يعني : أنهم لا يعرفون الطريق إلى المدينة .

وقال : ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ، وابن السبيل المسافر يأخذ من الصدقة ، وإن كان له مال في بلده ، وكل من ذكر في الآية ، أنه يأخذها فإنها يأخذها بالفقر إلا ابن السبيل ، والعاملين عليها ، والخلوة قلوبهم ، وقوله في هذه الآية : ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة آية : ٦٠] ، فإنه يعني : الجهاد .

وقال الكوفيون : لا يعطى إلا الفقراء من المجاهدين ؛ فإذا أعطوها وهم فقراء فقد ملكوها وأجرى المعطي وإن لم تصرفه في سبيل الله ، وقال الشافعي : " يعطى الغني والفقير من المجاهدين " .

العاشر : الهدى ، قال : ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة آية : ٦٠] أي : عن قصد الهدى ، يعني : الإسلام ، ومثله : ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة آية : ٧٧] .

الحادي عشر : قيل : الانتقام ، قال : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة الشورى آية : ٤٢] ، وقال : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ﴾ [سورة التوبة آية : ٩٣] .

وقيل : المراد أن الحجّة على الذين يستأنفونك في القعود عن الجهاد ، وهم يقدرون على النفود فيه ، وقالوا : ومثله : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [سورة التوبة آية : ٩١] ، يعني : أن مناصحتهم للدين إحسان ، وليس على المحسن حجة .

الثاني عشر : الطاعة والقرية ، قال الله : ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ٥٧] ، أي : زلفى وقرية .

الثالث عشر : الملة ، قال الله : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠٨] ، أي : ملتي وديني .

الباب الثالث عشر

فما جاء من الوجوه والنظائر في أوله شين

الشرك^(١)

أصل الشرك إضافة الشيء إلى مثله ، ومنه قيل : شركا النعل ، لأن كل واحد منها يشبه الآخر ، وشراك الطريق مشبه بشراك النعل ، وأشرك بالله عبد معه غيره ؛ لأنه أضافه إليه وشبهه به .

والشرك في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الإشراك بالله في العبادة ، كقوله : ﴿ إِنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء آية : ٤٨] ، وإن في موضع نصب .

والمعنى إن الله لا يغفر الشرك به إلا بالتوبة ؛ فحذف ذكر التوبة لدلالة العقل عليه ، ولشهادة السمع به ، وهو قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾ [سورة مريم آية : ٦٠ ، الفرقان : ٧٠] ، وقال : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء آية : ٤٨] ، يعني : أصحاب الصغائر ؛ لأن ما دون الشرك صغائر وكبائر فلو كاتا جميعا مغفورين لم يكن لقوله : ﴿ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾

(١) (ش ر ك) : (شركة) في كذا شركاً وشركةً وباسم الفاعل منه سميَ شريك ابنُ سحمة الذي قذف به امرأته هلال بن أمية وشركةً فيه واشتركوا وتشاركوا وطريق مشترك (ومنه الأجير المشترك) وهو الذي يعمل لمن يشاء وأما أجير المشترك على الإضافة فلا يصح إلا على تأويل المضمر (والشريك) تبع بغض ما اشتري بما اشتراه به (والشرك) النصب تسمية بالمضمر (ومنه) بيع شرك من دار وأما في قوله تعالى ﴿ إِنْ الشُّرَكَاءُ لَطَمُوا عَظِيمٌ ﴾ فاسم من أشرك بالله إذا جعل له شريكاً وفتر بالزياد في قوله عليه السلام ﴿ إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الشُّرَكَاءَ وَالشُّهُوةَ الْحَقِيقَةَ ﴾ وهي أن تعرض للصائم شهوة فتواقعها وتدع صومه (وشرك النعل) وضع عليها الشراك وهو سيرها الذي على ظهر القدم وهو مثل في القلعة (وأما حديث أبي أمامة) ﴿ صَلَّى بِي النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الظُّهْرَ حِينَ صَارَ الْقَمِيُّ مِثْلَ الشُّرَاكِ ﴾ فإنه عني به القمى الذي يصير في أصل الخياط من الجنايب الشرقية إذا زالت الشمس وهذا أقل ما يستبان به الزوال لا أنه تحديد له [المغرب : الشين مع الراء]

بِشَاءٍ ﴿ فائدة ولا يجوز أن يكون ما دون الشرك لا يكون كفرا ، لأن الشرك والكفر في أسماء الدين واحد ، وكل كافر مشرك .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٧٢] ،
وقوله : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة التوبة آية : ٣] .

الثاني : قالوا : الشرك بمعنى الطاعة ، قال الله : ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٢] ، أي : أطعتموني .

وقيل : أراد أني كفرت اليوم بما أنتم في الدنيا تدعونني لي من الشرك لله ، وهو مثل قوله :
﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ ﴾ [سورة فاطر آية : ١٤] .

وقال الكلبي : هو على التقديم والتأخير ، أي : أني في دار الدنيا كفرت بربّي الذي أشركتموني به .

وقال الحسن : إنني كفرت بما جعلتموني إلها وما على التفسير مصدر ، أي : كفرت بإشراككم إياي بالله ، وقال أبو علي - رحمه الله - : أي : إنني كفرت بما أشركتموني به بعد ذلك ، لأنه قد تقدمهم بالكفر .

الثالث : الربا على ما جاء في التفسير ، قال الله : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف آية : ١١٠] ، أي : لا يراني فيما نفعل من العبادة .

وقيل أيضا : أنه أراد الإشراك بالله غيره ، وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٧] ، يعني : الشياطين المذكورين في قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] ، يزينون لهم ذلك بالوسوسة ، وقيل : هم رؤساء السوء ، وقيل : هم السدنة ، وقوله : ﴿ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٦] ، يعني : للأصنام وجعلها لهم شركاء ، لأنهم جعلوا لها نعتيا من أموالهم ينفقونه عليها .

الشقاق

أصل الشقاق من قولهم : شقت الشيء إذا قطعته بنصفين فبعد أحدهما عن الآخر ، وكل قطعة منه شقة ، وسمي الثوب الطويل القليل العرض شقة لأنه من قلة عرضه قد شق من غيره ، وشقيق الرجل أخوه ؛ لأنه شق منه ، وسميت الأرض البعيدة شقة لطولها وتراخي بعضها عن بعض ، ومن ثم قيل للطويل أشق ، وشق الأمر على فلان طال حتى أتعبه ، وشاق فلان فلانا إذا عاداه وباعده ، والأصل في ذلك كله البعد .

والشقاق في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الضلال ، قال الله : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٦] ، ويموز أن يكون أراد المجانب والمباعدة ، أي : هم في بعد عن الحق وعن صاحب الحق شديد .

الثاني : الخلاف ، قال : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ [سورة النساء آية : ٣٥] ، جاء في التفسير أنه أراد الخلاف ، ويموز أن يكون بمعنى الفارقة ، وهو أجود .

الثالث : العداوة ، قال : ﴿ وَشَاقُوا الرُّسُولَ ﴾ [سورة محمد آية : ٣٢] ، أي : عادوه ، قال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [سورة الحشر آية : ٤] ، وقال : ﴿ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ﴾ [سورة هود آية : ٨٩] ، وهذه الألفاظ يقام بعضها مقام بعض في هذه الآيات ، وأصلها واحد ، وإنما أوردتها على ما جاء في التفسير^(١) .

(١) قال الزجاج : ﴿ شَاقُوا ﴾ جانبوا ، وصاروا في شق غير شق المؤمنين ، والشق الجانب ﴿ وَشَاقُوا اللَّهَ ﴾ مجاز ، والمعنى : شاقوا أولياء الله ، ودين الله .

ثم قال : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ يعني أن هذا الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء قليل مما أعد الله لهم من العقاب في القيامة ، والمقصود منه الزجر عن الكفر والتهديد عليه . [مفاتيح الغيب ٣٧٦/٧]

الشهادة

الشهادة الإخبار عن معرفة تقوم مقام الرؤية ، والشاهد المخبر بها .

وهو في اللغة على وجوه :

أحدها : الحضور ، شهدته حضرته .

والآخر : الإعلام شهد الشهود ، وهو إعلام ما عندهم ، ومنه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨] ، أراد تعريف عباده أنه لا إله إلا هو ، فقال : شهد بذلك لأن هذا القول أفخم وأؤكد ومن الألفاظ ما هو أقوم فتضخم المعنى ألا ترى أن قولك : تضع ركن فلان أفخم من قولك : ضعف فلان ، ولذلك رغم أنف فلان أفخم من قولك : ذل فلان .

ومن الإقرار ، وهو قوله : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨] ، وقال : ﴿ شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٠] .

ومن الحكم ، قال : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٦] ، واليمين في قوله : ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾ [سورة النور آية : ٦] ، وأربع ، والرفع على خبر الابتداء ، أي : فشهادة أحدهم أربع ، والنصب على أن تشهد أحدهم أربع شهادات ، وهو أن تقول : أشهد بالله وأحلف بالله أني صادق فيما قذفتها به ، وتقول المرأة : أشهد بالله وأحلف بالله أنه لمن الكاذبين فيما قذفتني به ، فإذا فعلا ذلك فرق بينهما ، ولا يحل له أبدا عند أكثر الفقهاء .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ١٠٦] ، قيل : أراد اليمين ، والصحيح أنه أراد أن أحكم إذا حضره الموت وهو ضارب في الأرض ، أي : مسافر وأراد أن يوصي فينبغي أن يشهد على وصيته اثنين منكم ، أي : من المسلمين ، فإن لم

(١) الشهادة : هي في الشريعة : إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر .
فالإخبارات ثلاثة : إما بحق للغير على آخر ، وهو الشهادة ، وإما بحق للمخبر على آخر ، وهو الدعوى ، أو بالعكس ، وهو الإقرار . [التعريفات : ٤٢ / ١]

يحبدها فمن أهل الذمة ، وهو قوله : ﴿ أَوْ آخَرُونَ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ١٠٦] ، فإن ارتبتم في شهادتهما فأقيموا بعد الصلاة ، أي : صلاة العصر ، وذلك لتعظيم أهل الذمة لهذا الوقت ، فيحلفان على صحة شهادتهما ، وقيل : أنها منسوخة بقوله : ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ [سورة الطلاق آية : ٢] .

والشهداء في قوله : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ ذَوِي اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣] ، الكبراء الأعلام ، وقيل : الأصنام .
والشهيد في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : نبي كل أمة شهيد عليهم يوم القيامة ، قال : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ [سورة النساء آية : ٤١] ، وقال : ﴿ وَتَرْعَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ [سورة القصص آية : ٧٥] ، وقال : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٧] ، إلا أن هذا في الدنيا .

وفي هذا دليل على أن ذنوبهم بعلمهم ، وإلا فبأي شيء يشهد عليهم ، الأنبياء أترامهم يشهدون عليهم بأفعال الله ، وليس ذلك بمعقول .

الثاني : الحافظ ، قال الله تعالى : ﴿ تُمْ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة يونس آية : ٤٦] ، أي : حافظ له مجاز عليه .

ويجوز أن يكون العالم ومنه الشهادة في الحقوق ؛ لأنها لا تصح إلا مع العلم ، وهو قوله : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ [سورة النور آية : ٤] ، ثم قال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ ، قالوا : فشهادتهم في كتاب الله مقبولة .

وعن شريح ، وابن المسيب ، وإبراهيم ، وسعيد بن جبير : أن شهادته غير مقبولة ، وإن تاب .

وعن عطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، والشعبي ، والقاسم بن محمد ، وسالم ، والزهري : أنها مقبولة إذا تاب .

والصحيح أنها لا تقبل وإن تاب ؛ لأن حكم الاستثناء أن يكون راجعاً إلى ما يليه ، ولا يرجع إلى ما تقدمه ، إلا بدلالة ، ألا ترى أن قاتلاً لو قال لفلان علي عشرة درهم إلا ثلاثة درهم إلا درهما كان عليه ثمانية درهم ، لأن الدرهم مستثنى من الثلاثة ، هذا أصل الاستثناء .

وقد جاء في القرآن مثلاً ولا لجميع المذكور ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٣] ، إلى قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَلَبَّوْا ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٣] ، فكان الاستثناء راجعاً إلى جميع المذكور ، فيقول في ذلك أن الدلالة قد قامت في هذه الآية ، ولم تقم في الأول .

وقال الأوزاعي : لم تقبل شهادة محدود في قذف في الإسلام .

وقال أبو علي رحمه الله : تقبل شهادته إذا تاب ؛ لأنها إنما ترد عقوبة ، فإذا تاب سقطت العقوبة ، وقيل : ليس ذلك بشيء ؛ لأنه أيضاً يحد عقوبة ، وإذا تاب لم يسقط الحد بالإجماع ، فكذاك الشهادة لا تقبل بالتوبة .

قلنا : وهذه المعارضة ليست بالصحيحة ؛ لأن الحد في القذف حتى لأدني فلا يسقط بالتوبة . وليست كذلك الشهادة .

وقال : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾^(١) [سورة ق آية : ٢١] ، يعني : الملك الذي حفظ عليه عمله في الدنيا يشهد عليه في الآخرة .

ومثله : ﴿ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّ وَالشَّهَدَاءِ ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٩] ، يعني : الحفظة من الملائكة .

(١) قال الشوكاني : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ أي : جاءت كل نفس من النفوس معها من يسوقها ، ومن يشهد لها ، أو عليها .

واختلف في السائق والشهيد ، فقال الضحاك : السائق من الملائكة ، والشهيد من أنفسهم ، يعني : الأيدي والأرجل . وقال الحسن ، وقتادة : سائق يسوقها ، وشاهد يشهد عليها بعملها ، وقال ابن مسلم : السائق : قرينها من الشياطين ، سمي سائقاً لأنه يتبعها وإن لم يحشها . وقال مجاهد : السائق والشهيد ملكان . وقيل : السائق : الملك ، والشهيد : العمل ، وقيل : السائق : كاتب السيئات ، والشهيد : كاتب الحسنات . [فتح القدير ٣٠ / ٧]

ومثله : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [سورة غافر آية : ٥١] ، يعني : الحفظة ، ويجوز أن يكون المعنى الذين يشهدون على الناس بأعمالهم من كل أمة .

والأشهاد جمع شهيد نادر وجاء في جميع بان أبناء ، وفي جميع جان أجناء ، فقليل في مثل أجنائها أبنائها ، وله حديث ذكرناه في كتاب "جامع الأمثال" .

الثالث : قوله : ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، يعني : أمة محمد صلى الله عليه وآله ، : ﴿ وَتَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، يعني : على أهل زمانه .

ولو كان شهيدا على غيرهم فمن جاء بعده لم يكن لقوله : ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، أي : معرفين منبهين ، : ﴿ وَتَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، أي : معروفا وميتا ، كما قال : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ [سورة هود آية : ١٧] ، وكما قال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ [سورة المزمل آية : ١٥] ، والوجه أن يكون المراد الشهادة عليهم بأعمالهم .

الرابع : المستشهد في سبيل الله ، قال الله : ﴿ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ هُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ [سورة الحديد آية : ١٩] ، يعني : من قتل في سبيل الله وسمي شهيدا ، لأن الملائكة تشهده ، فعيل بمعنى مفعول ، ويجوز أن يكون فعिला بمعنى فاعل ، أي : شهد ما سره من الثواب والبخارة الحسنة .

الخامس : الذي يشهد على الحقوق ، وقال تعالى : ﴿ يَمُنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، والمرضي هو العدل ، وهذا موكلون إلى الاجتهاد ؛ لأنه قد يجوز أن يكون المرضي عندك غير مرضي عند غيرك .

وقال أبو يوسف : إذا سلم من الفواحش وكان ما فيه من أخلاق البر أكثر عن المعاصي الصغار قبلت شهادته ؛ لأنه لا يسلم عبد من الذنب ، ومثله : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : من أهل ملتكم .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله شين وجواز شهادة أقل من رجلين أو رجل وامرأتين خطأ بدلالة هذه الآية ، ومن أجاز بثبوت الحق بتميز الطالب وإشهاد شاهد واحد ؛ فإنه مبطل لظاهر هذه الآية .

والأمة مجمعة على أنها غير منسوخة ، وقوله : ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، لفظ عام ، والمعنى خصوص ، أي : إذا خفتم رجوع أحد المبايعين عما عقد على نفسه ، فاشهدوا عليه بما عقد .

والكتاب والإشهاد واجبان عند تخوف الإضاعة ، وقوله : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٣] ، يشهد بصحة هذا التأويل ، وقال : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذُوِي حُلِيٍّ مِنْكُمْ ﴾ [سورة الطلاق آية : ٢] .

السادس : الحاضر ، قال تعالى : ﴿ أَتَعِمُّ اللَّهُ عَلَىٰ إِذْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة النساء آية : ٧٢] ، وقال : ﴿ وَبَيْنَ شُهودًا ﴾ [سورة المائدة آية : ١٣] ، أي : حضورا وقتل : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهداء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبُ الْمُؤْت ﴾ [سورة البقرة آية : ١٣٣] ، أي : حضورا .

السابع : الأحكام والأعلام من الناس ؛ وهو قوله : ﴿ وَادْعُوا شُهداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣] وقد مر .

الثامن : الفطن الحاضر الذهن ؛ قال : ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّعْ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة ق آية : ٣٧] وحقيقة إلقاء السمع الاستماع ؛ أي : استمع إليك وهو شهيد ؛ أي : قلبه شاهد عندك لا يغيب عنك فهمه ، وإذا كان كذلك انتفع بالخير الذي تدعوا إليه .

وأما قوله : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهِادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٩] فمجازه أي : شيء أكبر شهادة فيكون شاهد لي على دعائي إياكم ، وتكذيبكم لي قل الله شاهد لي على ذلك .

وفي هذا دليل على أن الله شيء ؛ ألا ترى أنه لا يجوز لك إذا قيل لك : أي : الناس أصدق ؟ أن تقول جبريل ؛ لأن جبريل ليس من الناس ، ولو لم يكن منفردا عند القاتل والسامع أن الله شيء ؛ لكان هذا الكلام لغوا لا معنى له ؛ فإن قيل : ﴿ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهِادَةً ﴾ تمام .

وقوله : ﴿ شَهِدْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ ابتداء وليس بجواب ، ولو كان جوابا كان ما بعده من قوله : ﴿ شَهِدْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ .

والشهادة في قوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٧٣] ، بمعنى المشاهدة ، وأصل الكلمة الظهور ، ومنه قيل : شاهده ؛ أي : ظهر به ظهور المقابل بالشهادة ، ويشهد ذكر الشهادة وهو قول : أشهد أن لا إله إلا هو ، وتشاهدوا : تعاونوا على إقامة الشهادة .

وقال : ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ [سورة البروج آية : ٣] قيل : الشاهد : محمد صلوات الله عليه ، والمشهود : يوم القيامة ، والشهد : العسل على ما شوهد في موضعه قبل أن يصفى .

والشهادة في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٥] الحضور ؛ يعني : من كان حاضرا في أهله ، ومن شرائط ذلك الصحة ، والشاهد قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٥] .

الشيخ

أصلها من العموم ، ومنه شاع الخبر ؛ إذا فشا صرفة كل أحد ، ولك سهم شائع في الدار وشاع ؛ أي : هو في جميع الدار غير مشار إليه في موضع منها دون موضع " .

(١) الشين والياء والعين أصلان ، يدلُّ أحدهما على معاضدة ومساعدة ، والآخر على بث وإشادة .
 - لأول : قوهم شَيَّعَ فلانٌ فلاناً عند سُخوصه .
 ويقال آتَيْكَ غداً أو شَيَّعَهُ ، أي اليوم الذي بعده ، كأنَّ التثني مُشَيَّعٌ للأول في الماضي .
 وقال الشاعر :

قال الخليلُ غداً تَصَدُّعُنا *** أو شَيَّعَهُ أَفلا تُؤدُّعُنا

وقال للشجاع : المشيخ ؛ كأنه لقوته قد قوي وشيخ بغيره ، أو شَيَّعَ بِقُوَّة .
 وزعم ناسٌ أنَّ الشَّيخَ شبل الأسد ، ولم أسمعه من عالم سباحاً .
 ويقول ناسٌ : إنَّ الشَّيخَ المقدار ، في قولهم : أَقَامَ شهراً أو شَيَّعَهُ .
 والصَّحيح ما قلته ، في أنَّ المشيخ هو الذي يُساعِدُ الآخر ويقارنه .
 والشَّيعة : الأعوان والأنصار .
 وأما الآخر فقولهم : شاع الحديث ، إذا فاع وانتشر . ويقال شَيَّعَ الراعي إبله ، إذا صاح فيها .
 والاسم الشَّياع : القصة التي يَنْفُخُ فيها الراعي . قال :

• حنينُ النَّبِ تَطْرُبُ للشَّياع •

ومن الباب قولهم في ذلك : له سهم شائع ، إذا كان غير مقسوم .
 وكأنَّ من له سهمٌ ونصيبٌ انتشر في السَّهم حتى أخذه ، كما يَشَيخُ الحديثُ في الناس فيأخذ سَمْعَ كُلِّ أحد .
 ومن هذا الباب : شَيَّعَتِ النَّارُ في الحطب ، إذا اهتبتا .
 وشيخ وشوع :

الشُّوعُ : شجرُ البان ، الواحدة : شُوعَة . قال الطَّرماح :

بَجْنَى تَمَرٍ بالواديين وشُوعُ

فمن قال بفتح الواو وضَمَّ الشين : فالواو نسق ، وشُوع : شجر البان ، ومن قال : وشُوع بضمها ، أراد : جماعةً وشيخ ، وهو زهر البقول . والشَّيخُ : مقدارٌ من العَدَدِ : أقمت شهراً أو شَيَّعَ شهرٍ ، ومعه ألف رجلٍ ، أو شَيَّعَ ذاك .
 والشَّيخُ من أولاد الأسد .

وشاع الشيءُ يَشَيخُ مشاعاً وشَيخوَةً فهو شائعٌ ، إذا ظهر . وأشعته وشغته به : أذعته . وفي لغة : أشعت به .
 ورجلٌ مَشَياعٌ مَذْياعٌ ، وهو الذي لا يَكْتُمُ شيئاً .
 والمَشايعةُ : متابعتك إنساناً على أمرٍ .

وشَيَّعَتِ النَّارُ في الحطبِ : أضرمته إضرماً شديداً ، قال رؤبة :

شدا كما يشيع النَّفِيرُ

والشَّياعُ : صوتُ قَصَّةِ الرَّاعي . قال :

وشيعه الرجل ؛ من يعينه على أموره ، وشايحه ؛ إذا علونه معاونة عامة ، وشيع الرجل ؛ الرجل إذا سار معه كما يسير الخبر الشائع .

ويقال : هو شيعة لك ، وقيل : الشيعة مأخوذة من الشياح ؛ وهو الخطب الصغير التي تشعل بها النار ويعين الخطب الكبار على الانتقاد .

وقيل : أصل الكلمة من الاتباع ، ومنه شاعك ؛ أي : تبعك ، وشاعكم السلام ؛ أي : تبعكم .

والشيح في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الفرق المختلفة ؛ قال : ﴿ إِن الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٥٩] يعني : أنهم فارقوا الإسلام وصاروا فرقا يهودا ونصارى وجعل الإسلام دينهم ولم يدينوا به ؛ لأنهم بدلوا إليه وأمروا به .

ويموز أن يكون معناه أنهم فارقوا دينهم حين اختلفوا فيه ، وذلك أن النصارى يكفر بعضهم بعضا وصاروا شعابا لاختلاف فيه .

حَنِينَ النَّيْبِ تَعَزَّبُ لِلشَّيَاحِ

وشيع الراعي في الشياح : نَفَخَ في القَصَبِ .

ورجل مُشَيِّعُ الْقَلْبِ إذا كان شجاعاً ، قد شَيَّعَ قلبه تشييعاً إذا ركب كل هول ، قال سليمان :

مُشَيِّعُ الْقَلْبِ مَا مِنْ شَأْنِهِ الْفَرَقُ

وقال الراجز :

والخزرجي قَلْبُهُ مُشَيِّعٌ

ليس من الأمر الجليل يَفْرَعُ

والشَّيْعَةُ : قوم يشيعون ، أي : يهون أهواء قوم ويتابعونهم . وشيعة الرجل : أصحابه وأتباعه . وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وأصنافهم : شيع . قال الله تعالى : " كما فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ " . أي : بأعمالهم من الشَّيْعِ الماضية .

وَشَيَّعَتْ فَلَانًا إذا خرجت معه لتودِّعَه وتُبلِّغَه منزِلَهُ .

والشَّيَاحُ : دعاء الإبل إذا استأخرت . قال :

وَالْأَخْلَدُ الْإِبِلَ الصَّفَايَا ... وَلَا طَوْلَ الْإِهَابَةِ وَالشَّيَاحِ

ينظر معجم مقاييس اللغة والعين مادة (ش ي ع) .

وفي هذا نهي عن إحداث البدع في الدين ، ومفارقة جميع المسلمين ، ومثله : ﴿ مِنْ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ﴾ [سورة الروم آية : ٣٢] ، وقال : ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعًا ﴾ [سورة القصص آية : ٤] .

الثاني : قوله : ﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [سورة القصص آية : ١٥] يعني : أنه ولد ابنه إسرائيل ولم يكن من القبط .

الثالث : أهل دين ؛ قال الله : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ ﴾ [سورة القمر آية : ٥١] أي : من كان على دينكم ، وقال : ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة سبأ آية : ٥٤] ، وقال : ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ [سورة مريم آية : ٦٩] أي : من كل أهل دين باطل ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة الصافات آية : ٨٣] أي : من أهل دينه .

الرابع : اختلاف الآراء وتغاير الأهواء ، قال الله : ﴿ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَنْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيعًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٥] يوعدهم بالعذاب من فوقهم وهو الطوفان ، أو من تحت أرجلهم الخسف ، أو يلبسهم شيعة أي : يخلطهم ويخليهم من الطافه وفوائده كل ذلك بذنوبهم فيلبس عند ذلك أمرهم ويختلفوا حتى يذوق بعضهم بأس بعض .

الباب الرابع عشر

فما جاء من الوجوه والنظائر في أوله صاد

الصدق

أصل الصدق من الشيات ، ومنه قيل : صدقهم القتال ؛ إذا ثبت لهم ، وتمر صادق الخلاوة يرجع إلى هذا .

والصدق خلاف الكذب ؛ لأنه يثبت ، والكذب يبطل ، والصدقة : ثبات المودة ، ثم صار الصدقة اسما لاتفاق الضمائر على المودة ؛ فإذا انصهر كل واحد من المتعاشرين مودة صاحبه ؛ فصار باطنه فيها كظاهره سميا صديقين .

ولهذا لا يجوز أن يقال : أن الله صديق المؤمن ، كما يقال : أنه وليه ، ولا يجوز أن يكون المؤمن صديقه كما أنه خليله وحبيه ووليه ، ومعنى الولي أنه يجب الخير لوليه ، كما أن العدو يجب الضر لعدوه ، ويقول الله : ﴿ وَلِيّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٦٨] بمعنى أنه يتولى حفظهم وكفائتهم ، كما أن ولي الطفل هو المتولي لشأنه والمتكفل لمعونه ، ومعنى محبة العبد لله ؛ إرادة طاعته ، ومحبة الله للعبد لإرادة ثوابه .

ومعنى الخلقة الاختصاص ، فقيل : أن إبراهيم خليل الله لاختصاص الله إياه بالرسالة ، ولا يجوز أن الله خليل له ؛ لأنه لا يجوز أن يخص الله بشيء غير العبادة ، والخلق في عبادة الله سواء ليس لأحد فيها خصوصية .

(١) (ص دق) : صَدَقَ صِدْقًا خِلَافُ كَذَبَ فَهُوَ صَادِقٌ وَصَلَوْقٌ مُبَالِغَةٌ وَصَدَّقْتُهُ فِي الْقَوْلِ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى وَصَدَّقْتُهُ بِالتَّحْيِيلِ نَسَبْتُ إِلَى الصَّدَقِ وَصَدَّقْتُهُ قُلْتُ لَهُ صَدَقْتُ وَصِدَاقُ الْمُرَاةِ فِيهِ لُغَاتٌ أَكْثَرُهَا قَتَحُ الصَّادِ وَالثَّانِيَةُ كَسَرُهَا وَاجْتَمَعَ صُدُقٌ بِضَمَّتَيْنِ وَالثَّالِثَةُ لُغَةُ الْحِجَازِ صُدُقَةٌ وَاجْتَمَعَ صَدَقَاتٍ عَلَى لَفْظِهَا .
وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ وَأَثَرُوا النَّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ ﴾ وَالرَّابِعَةُ لُغَةٌ تَقِيمُ صُدُقَةٌ وَاجْتَمَعَ صَدَقَاتٍ مِثْلُ غُرْفَةٍ وَغُرَفَاتٍ فِي وُجُوهِهَا وَصُدُقَةٌ لُغَةٌ خَاسِيَةٌ وَاجْتَمَعَ صُدُقٌ مِثْلُ قَرِيَّةٍ وَقُرَى . [المصباح المنير : الصاد مع الدال]

في ما جاء من الوجوه والظواهر في أوله صاد
والوجه الأجود في أصل الصدق والصدقة وما في بابه أن يقال : أن أصل الكلمة
الكمال ، فقليل : الصدق لكماله في الحسن ، وصادق الحلاوة كامل الحلاوة ، والصدقة كمال
المودة بحمل جميع في هذا الباب على هذا الوجه فيصح .
والصادقون في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : النبيون ؛ قال الله : ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ [سورة الأحزاب آية :
٨] فأخبر أنه يسأل الأنبياء ليكون غيرهم على حذر .

الثاني : المهاجرون ؛ قال تعالى : ﴿ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾
[سورة الحشر آية : ٨] جاء في التفسير أنه أراد المهاجرين خاصة ؛ لأن الآية نزلت فيهم ،
وذكر بعدهم الأنصار .

الثالث : المؤمنون جميعا ؛ قال الله : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [سورة
الأحزاب آية : ٢٤] يعني : المؤمنين ؛ لأن الآية نزلت فيهم .

الصف

أصله في اللغة الامتداد والطول ؛ ومنه قيل : صفة البيت ؛ لأنها ممدودة طويلة ، وصف الطائر : جناحيه إذا مدهما في طيرانه ، وصفة السرج : ما غشي به ما بين القربوسين والسرحين وهما جانباً الرجل ، والصفيف من اللحم : ما شرح طولاً وخفف في الشمس .
وهو في القرآن على وجهين :

الأول : بمعنى الجميع ؛ قال الله : ﴿ وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفَا ﴾ ^(١) [سورة الكهف آية : ٤٨] ، وقوله : ﴿ ثُمَّ اتَّخَذُوا صَفَا ﴾ [سورة طه آية : ٦٤] أي : جمعا ، وقيل : ذكر الواحد وأواد الجمع ؛ أي : عرضوا صفوفاً ، وقيل : صفاً ؛ أي : قياماً ، وذلك أن القائم يصف قدميه في القيام وهو أجود .

الثاني : الصف الممدود ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَا ﴾ [سورة الصف آية : ٤] ، وقال : ﴿ وَالصَّافَاتِ صَفَا ﴾ [سورة الصافات آية : ١] يعني : صفوفاً ملائكة في السماء مصلين ومسبحين .

(١) قال الرازي : لما ذكر الله تعالى حشر الخلق ذكر كيفية عرضهم ، فقال : ﴿ وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفَا ﴾ وفيه سائلان :

المسألة الأولى : في تفسير الصف وجوه . أحدها : أنه تعرض الخلق كلهم على الله صفاً واحداً ظاهرين بحيث لا يجيب بعضهم بعضاً ، قال القفال : ويشبه أن يكون الصف راجعاً إلى الظهور والبروز ، ومنه اشتق الصنف للصحراء . وثانيها : لا يبعد أن يكون الخلق صفوفاً يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض ، وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله صفاً صفوفاً كقوله : ﴿ يَجْرِجُكُمْ لِفْلًا ﴾ [غافر : ٦٧] أي أطفالاً . وثالثها : صفاً أي قياماً ، كما قال تعالى : ﴿ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ صَوَافً ﴾ [الحج : ٣٦] قالوا قياماً .

المسألة الثانية : قالت المشبهة قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رُبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَا صَفَا ﴾ [الفجر : ٢٢] يدل على أنه تعالى يحضر في ذلك المكان وتعرض عليه أهل القيامة صفاً ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ يدل على أنه تعالى يحضر في ذلك المكان ، وأجيب عنه بأنه تعالى جعل وقوفهم في الموضع الذي يسألهم فيه عن أعمالهم ومحاسبهم عليها عرضاً عليه ، لا على أنه تعالى يحضر في مكان وعرضوا عليه ليراهم بعد أن لم يكن يراهم . [مفاتيح الغيب : ١٠/٢١٦]

والمعنى ورب الصافات ، وأنت على معنى الجماعه للصافه ، ثم جمع فقال :
﴿ الصافات ﴾ ، فأما قوله : ﴿ فلفكروا اسم الله عليها صواف ﴾ [سورة الحج آية : ٣٦]
فالمراد به أنها قائمة قد صفت بدنها ، ولم يرد أنها مصطفة لإجماع الناس أنها يجوز نحرها غير
مصطفة .

فأما السنة في نحر الإبل أن تنحر قائمة ، وفي قوله : ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ [سورة
الحج آية : ٣٦] ما يدل على أنه أراد بالصواف القيام ؛ لأنها إذا كانت باركة فنحرت فانقلبت
على جنب ، لم يقل : أنها سقطت لجنبها .

الصيحة^(١)

فعلة من صاح يصيح ، يستعمل في جميع الحيوان ، وجاء في غير ذلك أيضا ، قال الشاعر :

تَصِيحُ الرُّذِيئَاتُ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَاحُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جَوَّعًا
والصيحة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : صيحة جبريل صل الله عليه ؛ قال الله : ﴿ فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٤١ ، الحجر : ٧٣ ، ٨٣] في مواضع من القرآن .

الثاني : النفخة الأولى لفناء الخلق ؛ قال الله : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [سورة يس آية : ٢٩] ، ومثله : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة يس آية : ٤٩] .

الثالث : النفخة الثانية لقيام الساعة ؛ قال الله : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [سورة يس آية : ٥٣] ، ونحوه : ﴿ فَإِنَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٩] ولم يقل : ما ينظرون ليكون أعظم في الإخبار ، كما يقول : لو رأيت عليا بين الصفيين ، ومثله : ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة ق آية : ٤٢] .

(١) (ص ي ح) : صَبَّاحٌ بِالشَّيْءِ يَصْبِيحُ بِهِ صَيْحَةً وَصَبَّاحًا صَرَخٌ . [المصباح المنير : الصاد مع الياء]

الصاعقة^(١)

هي ما كُف من البروق وعظم ، وأصلها من شدة الضرب ، يقال : صقعه إذا ضربه ضرباً شديداً ، وأكثر ما يستعمل في الضرب على الرأس فقلب ، فقليل : صاعقة ، وربما قيل : صاقعة على الأصل ، وصق الرجل ؛ إذا سمع صوتاً شديداً فغشي عليه وهو صقع ، وفي القرآن : ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٣] ، وصقع الرجل بالفتح ؛ إذا صاح ، ويجوز أن تكون الصاعقة من هذا .

والصاعقة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : شدة الصوت ، قال : ﴿ فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ يَغْلِيهِمْ ﴾ [سورة النساء آية : ١٥٣] وكانوا سمعوا صوت تدكك الجبل ؛ فماتوا موتاً لم يضطروا معه إلى معرفة الباري ؛ ولهذا أجاز أن يكلفهم بعده لأن التكليف مع وقوع العلم ضرورة لا يصح من أجل أن العالم ضرورة ملجأ إلى فعل الطاعات ، والتكليف لا يكون إلا مع الاختيار وإلا فإنه ليس بتكليف .

الثاني : العذاب ، قال : ﴿ فَقُلْ أَتَنْذَرُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [سورة فصلت آية : ١٣] .

الثالث : الموت قال : ﴿ فَصَبِقَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٨] أي : ماتوا ، وقيل : معنى ذلك أنهم يغشى عليهم ثم يموتون .

(١) [صق] : الصَّاعِقُ : الصَّوْتُ الشَّدِيدُ لِلثَّوْرِ وَالْحِمَارِ ، صَعَقَ صُعَاقًا ، قَالَ رُوَيْبَةُ :

صَعِقَ ذِبَّانُهُ فِي غَيْطَلٍ

أَيِ يَمُوتُ الذِّبَابُ مِنْ شِدَّةِ تَجْبِقِهِ إِذَا دَنَا مِنْهُ . قَالَ رُوَيْبَةُ يَصِفُ حِمَارًا وَأَتَانَهُ :

يَنْصَاعُ مِنْ حِيلَةٍ ضَمَّ مُدْمَقُ

إِذَا تَلَأْمَنَ صَلَاحُ الصَّعَقِ

وَحِمَارٌ صَعَقَ الصَّوْتُ أَيِ شَدِيدُهُ . وَالصَّاعِقُ : الشَّدِيدُ الصَّوْتِ . وَالصَّاعِقَةُ : صَيْحَةُ الْعَذَابِ . وَالصَّاعِقَةُ : الرَّقْعُ الشَّدِيدُ مِنْ صَوْتِ الرُّعْدِ ، يَسْقُطُ مَعَهُ قِطْعَةٌ مِنْ نَارٍ يُقَالُ : إِنِّهَا مِنْ صَوْتِ الْمَلِكِ ، وَيَجْمَعُ صَوَاعِقُ . وَالصَّيْقُ : الْمَغْشِيُّ عَلَيْهِ . صَعِقَ صُعَاقًا : غَشِيَ عَلَيْهِ مِنْ صَوْتٍ يَسْمَعُهُ أَوْ حِسٍّ أَوْ نَحْوِهِ . وَصَعِقَ صَعَقًا :

مَاتَ . [العين : العين والقاف والصاد]

الصلاح^(١)

الصلاح نفع يلتم به الأمور ، والإصلاح تقويم العمل على ما ينفع بدلا عما يضر ؛
والفساد ضر تضطرب به الأمور ، والإفساد تقويم العمل على ما يضر بدلا عما ينفع .

وأما القبح فهو المنكر في النفس من جهة زجر العقل ، والفرق بين فساد التفاحة بتعينها
وفساد الإنسان بخطيئته ؛ أن أحدهما تزجر عنه الحكمة ، والآخر لا تزجر عنه على أنه قد
حدث ما ينافي في المنفعة به .

والصلاح في القرآن على سبعة أوجه قالوا :

الأول : الإيثار ؛ قال الله عز وجل : ﴿ جَنَّاتٌ عَنْدِي يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ﴾
[سورة الرعد آية : ٢٣] ، قال : ﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [سورة النور آية :
٣٢] ، يعني : المؤمنين ، وقال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة
النمل آية : ١٩] .

الثاني : المنزلة الرضية ؛ قال الله : ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ [سورة
يوسف آية : ٩] ، قال بعض أهل التفسير : تصلح منزلتنا عند أيانا ، ومثله : ﴿ وَإِنَّهُ فِي
الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٢] ، أي : في المنزلة الرضية عند الله . ويجوز
أن يكون المراد إنا نتوب فيما بعد ونكون من الصالحاء ، وقيل : الصلاح في قوله :
﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] ، العفة وليس أن من لم تكن
عفيفة لا تزوج ؛ وإنما أراد الحث على الصلاح .

(١) (ص ل ح) : (الصَّلَاحُ) خِلَافُ الْفَسَادِ وَصَلَحَ الشَّيْءُ مِنْ بَابِ طَلَبَ وَقَدْ جَاءَ فِي بَابِ قَرَّبَ صَلَاحًا
وَصُلُوحًا وَأَصْلَحَهُ غَيْرُهُ (وَمِنْهُ) عِلَّكَ مُصْلَحٌ أَيْ مَعْمُولٌ مَعْبُودٌ وَالْجِيمُ خَطَأٌ وَإِنَّمَا عُدِّي يَلِي فِي قَوْلِهِ دَابَّةٌ
أَفْتَقَ عَلَيْهِمَا وَأَصْلَحَ إِلَيْهَا عَلَى تَفْصِيلٍ مَعْنَى أَحْسَنَ (وَالصُّلَحُ) اسْمٌ بِمَعْنَى الْمُصَالَحَةِ وَالصَّالِحُ خِلَافُ
الْمُفَاسِدَةِ وَالْمُخَالَفَةِ وَقَوْلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ صُلِحَ لَرَفَعْتُهُ أَيْ مُصَالَحَ فِيهِ أَوْ مَا أَخُوذُ بِطَرِيقِ الصُّلَحِ
وَلَا صُلَحَ فِي (ع م) (وَقَوْلُهُ) كَانَتْ تُسْتَرُّ صُلَحًا فِي ت س (وَقَوْلُهُ) فَإِنْ اضْطَلَحَ ذَلِكَ وَدَوَّاهُ عَلَى الْمُرْتَبِينَ
الضَّوَابِّ فَإِنْ اضْطَلَحَ ذَلِكَ . [المغرب : الصاد مع اللام]

وظاهر هذا الأمر الوجوب ؛ وهو ندب بالإجماع ، ولم يخل عصر من الأعصار من الأياامي من الرجال والنساء ، ولم يفكر أحد أن ترك تزويجهن محظور .

وأبضا فإن الأيم إذا لم ترد التزويج لم يكن للولي إجبارها ، وأبضا فإن الرجل لا يجبر على تزويج عبده وأمه وهو معطوف على الأياامي .

قال أبو علي رحمه الله : هو في الأيم إذا أرادت التزويج على الوجوب ، وفي العبد والأمة ترغيب ، قال : ويجوز أن يكون المعنى ترغيب الأحرار أن يتزوجوا الإمام الصالحات ، وترغيب الحرائر أن يتزوجوا العبيد الصالحين .

الثالث : الرفق على قولهم ؛ قال تعالى : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة القصص آية : ٢٧] ، أي : ممن يرفق ولا يفرق ، قال : ومثله : ﴿ اخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٢] .

وليس هذا بالوجه ؛ وإنما أراد ضد الفساد ، والشاهد : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٢] ، ويجوز أن يكون المراد بقوله : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة القصص آية : ٢٧] أي : أصلح لك في أمورك ، وإني أفي لك ولا أخونك فأفسد أمرك .

الرابع : تسوية الخلق ؛ قال الله : ﴿ لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٨٩] أي : ولدا سويا ، ويجوز أن يكون أراد صلاح الطريقة .

الخامس : ضد الفساد ؛ قال : ﴿ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [سورة هود آية : ٨٨] ، وقال : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١١] أي : لأمر أنفسنا فيما نولي الكافرين ؛ لأنهم إذا ظهروا أبقوا علينا ، والدليل على صحة هذا التأويل أنه قرنه بالفساد ، وقال : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢] .

السادس : الطاعة ؛ قال : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ يعني : الطاعات .

السابع : الأمانة ؛ قال الله : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٢] قالوا :
 يعني : ذا أمانة ، ويميز أن يكون معناه صلاح الطريقة في الدين ، ويرجع معناه إلى الطاعة ،
 وفلان صالح في نفسه ؛ إذا أتى بمحاسن الأفعال ، وفاسد في نفسه ؛ إذا أتى بمقابحها .

الصراط^(١)

هو في العربية الطريق الواضح السهل ، يذكر ويؤنث ، مثل : الطريق ، والسييل ولم نسمع له بجمع ، والقياس : أصرطة ، وصرط ، وأصل الصاد فيه سين ؛ من قولهم : صرطت الطعام ؛ إذا أسرعت بلعه ، وذلك أن الصراط : بمر الحلق ، والمصرط : البلعوم ؛ لسرعة مرور الطعام فيه .

وسمي الفالوذ صرطراطا ؛ لسرعته وسهولته في الحلق ، وسيف سراطي سريع القطع ، سمي الطريق القاصد السهل سراطا ؛ لسرعة المشاة فيه ؛ لسهولته لا يمنعه من ذلك شيء ، وجعل السين صادًا لموافقة الصاد الطاء .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : الطريق ؛ قال الله : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٦] ، ومثله : ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَنَّةِ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٣] .

الثاني : الدين ؛ قال الله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الفاتحة آية : ٦] يعني : الدين المستقيم ؛ فجعله صراطا على التمثيل ، ومثله : ﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٦] .

والمستقيم : القاصد ، والاستقامة : الاستمرار في جهة واحدة ؛ فإذا كان في الدين فالاستمرار على طريق الحق .

(١) الفرق بين الصراط والطريق السيل : أن الصراط هو الطريق السهل قال الشاعر :

خشنا أرضهم بالخيال حتى *** تركناهم أذل من الصراط

وهو من الذل خلاف الصعوبة وليس من الذل خلاف العز ، والطريق لا يقتضي السهولة ، والسييل اسم يقع على ما يقع عليه الطريق وعلى ما لا يقع عليه الطريق تقول سبيل الله وطريق الله وتقول سبيلك أن تفعل كذا ولا تقول طريقك أن تفعل به ويراد به سبيل ما يقصده فيضاف إلى القاصد ويراد به القصد وهو كالمحبة في بابه والطريق كالارادة . [الفروق اللغوية : ١/ ٣١٣]

وقال بعضهم : الصراط : الطريق المستقيم ، والذي يفيد الصراط هو السهولة على ما ذكرنا ، والذي يدل على ذلك أصل الكلمة وما يتصرف منها ، مثل : السرطاط و سرطته ؛ إذا أسرعت بلعه لسهولته .

الصلاة

أصلها الدعاء ؛ صليت إذا دعوت ، قال الشاعر :

وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دُثْنٍهَا وَصَلَّ سَى عَلَى دُثْنٍهَا وَارْتَشَمَ

وسميت الصلاة لما فيها من الدعاء ، والصلاة على الجنائز ؛ لأنها دعاء لا سجود فيه ولا ركوع ، وقيل : أصلها اللزوم ، ومن قيل : ﴿ تَصَلَّى نَارًا ﴾ [سورة الغاشية آية : ٤] أي : يلزمها .

واستعمل في القرآن على خمسة أوجه زعموا :

الأول : الدعاء ؛ قال الله : ﴿ إِنْ صَلَاتَكَ سَكَنَ لَهُمْ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٣] أي : ادع لهم إن دعائك مما يسكنهم وتطمئن إليهم قلوبهم ، وقيل : معناه استغفر لهم ، ومعناها قريب .

والثاني : الترحم : قال بعضهم : قوله تعالى : ﴿ وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَاتَكَ سَكَنَ لَهُمْ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٣] أي : ترحم عليهم أنهم يسكنون إلى ذلك ، قال الأعشى :

(١) (ص ل و) : (الصلاة) فَعَالَةٌ مِنْ صَلَّ كَالزَّكَاةِ مِنْ رَزَى وَاشْتَقَّاهَا مِنَ الصَّلَا وَهُوَ الْعَظُمُ الَّذِي عَلَيْهِ الْاَلَتَانِ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَ يَجْرُكُ صَلَاتِهِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَقِيلَ لِلثَّانِي مِنْ خَيْلِ السَّبَاقِ الْمُصَلِّي لِأَنَّ رَأْسَهُ يَلِي صَلَاتِهِ السَّابِقَ (وَمِنْهُ) ﴿ سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ وَتَلَتْ عُمَرُ ﴾ وَسُمِّيَ الدُّعَاءُ صَلَاةً لِأَنَّهُ مِنْهَا (وَمِنْهُ) ﴿ وَإِذَا كَانَ صَاحِبًا فَلْيُصَلِّ ﴾ أَنِّي فَلْيَدْعُ وَقَالَ الْأَعْمَشُ لِابْنِهِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي صَلَّيْتُ فَأَغْتَمِضِي نَوْمًا فَإِنْ لَحِظَ الْمَرْءُ مُضْطَجِعًا يَغْنِي : قَوْلًا يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجْعَا لِأَنَّهُ دُعَاءٌ لَهُ مِنْهَا وَقَالَ أَيْضًا وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دُثْنٍهَا وَصَلَّ عَلَى دُثْنٍهَا وَارْتَشَمَ أَيِ اسْتَجَبَلَ بِالْحَقْمَرِ الرِّيحَ وَدَعَا وَارْتَشَمَ مِنَ الرُّؤْسِ وَهُوَ الْحَقَامُ يَغْنِي : خَشَمَهَا ثُمَّ سُمِّيَ بِهَا الرَّحْمَةُ وَالْإِسْتِغْفَارُ لِأَنَّهَا مِنْ لَوَائِمِ الدَّاعِي (وَالْمُصَلِّي) مُوَضِّعُ الصَّلَاةِ أَوْ الدُّعَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَاقْبَلُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى ﴾ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِكَايَةً عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ ﴾ يَغْنِي سُورَةُ الصَّلَاةِ وَهِيَ الْفَاتِحَةُ لِأَنَّهَا بِقِرَاءَتِهَا تَكُونُ فَاصِلَةً أَوْ مَجْرُتَةً (وَقَوْلُهُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأُسَامَةَ ﴿ الصَّلَاةُ أَمَانُكَ ﴾ أَيِ وَقْتُ الصَّلَاةِ أَوْ مَوْضِعُهَا يَغْنِي بِهَا صَلَاةُ الْمَغْرِبِ (وَقَوْلُهُ) عَيْدُ فُلَانٍ يُصَلُّونَ أَيِ هُمْ بِالْعَوْنِ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَقْرَعَ بَيْنَ مَنْ صَلَّ مِنْ رَقِيقِهِ حِينَ أَعْتَقَهُمْ مِنْ بَغْدَادِ أَيِ مَنْ بَلَغَ وَأَذْرَكَ الصَّلَاةَ صَلَّ (الصَّلَاةُ) الْحَبْرُ يُسْحَقُ عَلَيْهِ الطَّبُّ وَغَيْرُهُ (وَمِنْهَا) أَخْرَجَ جُرْصُنَا أَوْ صَلَاةً أَيِ حَجْرًا (وَقَوْلُهُ) فِي الْوَاقِعَاتِ حَدَادٌ ضَرَبَ حَبِيدَةً بِمِطْرَقَةٍ عَلَى صَلَاةٍ يَغْنِي السُّنْدَانُ وَهَذَا وَهَمْ (وَالْمُصَلِّي) بِالْفَتْحِ وَالْقَضِرُ أَوْ بِالْكَسْرِ وَالْمَدُّ النَّارُ . [المغرب : الصاد مع اللام]

عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي صَلَّيْتَ فَأَعْتَصِمِي

رفع مثل على الدعاء دعا لها مثل الذي دعوت له ، ونصبه على الأمر ؛ أي : تزداد من الدعاء ، أي : عليك بمثل ما قلت ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٦] .

[الثاني : الرحمة] ؛ قال : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٧] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى " (١) أي : ارحمهم ، وهذا الأول واحد لأن الترحم دعاء ، ولا شك أن الله يرحم نبيه .

والفائدة في الترحم عليه ما يستحق المترحم من الثواب ، فإذا جدد الله تعالى لنبيه تكريما عند دعاء الداعي ؛ قيل : إن الله أجاب دعائه وفي الإجابة تكريم المجاب .

والدعاء ليس بواجب في العقول ؛ وإنما أوجبه القرآن لأن العاقل يعلم أن الله لا يختار له إلا الأفضل في دينه ودنياه . فيجوز أن ينصرف عن الدعاء تفويضا لأمره إلى الله ، والله لا يمنع العبد ما فيه صلاحه ؛ ولكنه أمره بالدعاء تعريضا للإجابة لما فيها من إكرام المجاب . ويجوز أن يكون أمره بالدعاء ؛ لأن الذي يطلبه لا يكون مصلحة له إلا بالدعاء .

الثالث : الصلاة المعروفة ؛ قال : ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِيِّ﴾ [سورة الإسراء آية : ٧٨] ، وقيل : دلوكها : غروبها ، وقيل : زوالها .

الرابع : قوله : ﴿أَصَلَّاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [سورة هود آية : ٨٧] قال المفسرون : أراد قراءتك والمشهور الصلاة المعروفة .

وقالوا له ذلك لما أنكروا ما يدعوههم إليه من مخالفة دينهم ، كما تقول للرجل الصالح : تنكر منه أمرا أوردك أو صلاحك أمرك بهذا وأنت تريد نبيه عن ذلك وإنكاره عليه .

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن أبي أوفى أخرجه البخاري (١٤٩٨) ، (٤١٦٦) ، (٦٣٣٢) ، (٦٣٥٩) ، وأخرجه مسلم (١٠٧٩) ، والنسائي (٢٤٥٩) ، وأبو داود (١٥٩٠) ، وابن ماجه (١٧٩٦) .

٢٩٠ _____ في ما جاء من الوجه والنظائر في أوله صاد

الخامس : المغفرة ؛ قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [سورة
الأحزاب آية : ٤٣] يعني : أنه يغفر لكم إذا تبتم إليه ، ويستغفر لكم ملائكته ، وهذا الوجه
قريب من الوجه الثاني ؛ لأن الرحمة والمغفرة يتقاربان .

الصوم^(١)

أصله الإمساك ، ومصام الشيء مكانه ، قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ الشَّرْبَ عُلِقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرِ أَسْرِ كِتَابِ الصَّائِمِ جَنْدَلٍ

والخيل الصائمة : المسكة عن الحمله ، وقد صام النهار عبد قائم الظهيرة ؛ كأن الشمس تسكن عند ذلك فلا تسير .

والصوم في القرآن على وجهين :

الأول : الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح مع النية ، وهو قوله : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٤] وفي هذه الآية دليل على أن هذه الآية منسوخة لأنه لا يجوز أن تقول في هذا الوقت أن الصيام في شهر رمضان خير من الإفطار فيه .

الثاني : الصمت ؛ قال الله : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ [سورة مريم آية : ٢٦] أي : صمتا ، ويسمى الصمت صوما لأنه إمساك عن الكلام ، ومن قال : أن الصوم ليس بمعنى ؛

(١) (ص و م) : (الصَّوْمُ) فِي اللَّغَةِ تَزْكُ الْإِنْسَانُ الْأَكْلَ وَإِمْسَاكُهُ عَنْهُ ثُمَّ جُعِلَ عِبَارَةً عَنْ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْمُخْصُوصَةِ بِقَالَ صَامَ صَوْمًا وَصِيَامًا فَهُوَ صَائِمٌ وَهُوَ صَوْمٌ وَصِيَمَ وَصِيَامٌ وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّا نَصْنَعُ شَرَابًا فِي صَوْمِنَا أَيْ فِي زَمَنِ صَوْمِنَا وَمِنْ عَجَازِهِ صَامَ الْفَرَسُ عَلَى أَرِيهِ إِذَا يَكُنْ يَغْتَلِفُ (وَمِنْهُ) قَوْلُ النَّابِغَةِ خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ وَقَوْلُ الْأَخْرِ وَالْبَكْرَاتُ شَرُّهُنَّ الصَّائِمَةُ يَعْنِي : الَّتِي سَكَتَتْ فَلَا تَدُورُ وَهِيَ جَمْعُ بَكْرَةٍ الْبَيْتِ (وَصَامَ) سَكَتَ (وَمَاءً) (صَائِمٌ) وَقَائِمٌ وَقَائِمٌ سَاكِنٌ وَصَامَ النَّهَارُ إِذَا قَامَ قَائِمٌ الظَّهِيرَةُ [المغرب : الصاد مع الواو] .

والصاد والواو والميم أصل يدل على إمساكٍ وركودٍ في مكان. من ذلك صوم الصائم، هو إمساكُه عن مَطْعَمِهِ ومشربه وسائر ما مُنِعَهُ. ويكون الإمساك عن الكلام صوماً، قالوا في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ [مريم ٢٦]، إنه الإمساك عن الكلام والصمت. وأما الرُّكُودُ فيقال للقاتم صائم، قال النابغة:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ *** تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللَّجْمَا

والصَّومُ: رُكُودُ الرِّيحِ. والصَّوْمُ: اسْتِواءُ الشَّمْسِ انْتِصَافَ النَّهَارِ، كَأَنَّهَا رَكَدَتْ عِنْدَ تَدْوِيمِهَا، وَكَذَا يُقَالُ صَامَ النَّهَارُ.

قال امرؤ القيس:

• إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَمَجَرَا •

وَمَصَامُ الْفَرَسِ: مَوْقِفُهُ، وَكَذَلِكَ مَصَامَتُهُ. قال الشَّاهِدُ:

• إِذَا مَا اسْتَأَفَّ مِنْهَا مَصَامَتُهُ •

فقد قال : أن الله فرض ما ليس بشيء ، وأن النية والعزم يصح ما ليس بشيء ، والنهي نحو
عن ترك ما ليس بشيء ، وتوطئ النفس يكون لا على شيء وليس هذا بمعقول ، وقد يكون
صوم أعظم من صوم ، وهذا يوجب على قوله : أن يكون لا شيء أعظم من لا شيء .

الباب الخامس عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ضاد

الضحى

مؤنثة وأصلها من البروز ، ويقال مكان ضاح ؛ أي : بارز ، وضواحي المدينة :
ظواهرها ، وضحى الرجل يضحى إذا برز للشمس ، وفي القرآن : ﴿ لَا تَنْظُمُ فِيهَا وَلَا
تَضْحَى ﴾ [سورة طه آية : ١١٩] والأضحى ترجع إلى هذا ، وذلك أنهم كانوا يذبحونها في
الضحى ، والضحا بالمد بعد الضحى .

والضحى في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : النهار كله ؛ قال : ﴿ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا ضَحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾
[سورة الأعراف آية : ٩٨] جاء في التفسير أنه بمعنى النهار جمع قلنا ، وذلك أنه جعله بإزاء
اليات ، والليات يكون في جميع الليل ، ولا يحسن في نظم الكلام أن يجعل الضحى التي هي
أول النهار بإزاء الليل كله .

الثاني : إذا ترجل النهار ؛ قال الله : ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [سورة
النازعات آية : ٤٦] .

الثالث : حر الشمس ؛ قال الله : ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴾ [سورة الشمس آية : ١]
قالوا يعني : حرها ، ويجوز أن يكون الوقت ونسبه إلى الشمس ؛ لأن الأوقات تعرف بمسير
الشمس .

(١) ضحو : الضُحُو : ارتفاع النهار ، والضحى : فوق ذلك ، والضحاء - مدود - إذا امتد النهار ، وكَرَبَ
أن يتصف . وضحي الرجل ضَحَى : أصابه حرُّ الشمس . قال الله تعالى : " لَا تَنْظُمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى " ،
أي : لا يؤذيكَ حرُّ الشمس . وقد تُسَمَّى الشمس : الضحاء - مدود - . وتقول : اضح ، أي : ابرُزْ
للشمس . ضحا يضحو ضُحُوًا وضَحِيَّ يَضْحَى ضَحَى وضَحِيًا . [العين : ضحو] .

الضرب^(١)

أصله الثبات ، ومن ثم قيل : ضرب علي فلان البعث أي : ألزمه وأثبت عليه حكمه ومنه قوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْغُلَّةُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٦١] .

ويجوز عن الإلزام بالضرب ؛ لأن الضرب تأثيرا ليس إلا إلزاما ؛ فلما أراد أنهم ألزموا ذلة تبقى أثرها كبقاء أثر الضرب ، عدل عن ذكر الإلزام إلى ذكر الضرب ، وقيل : المعنى أن الذلة أحاطت بهم من قولك : ضربت الخيمة على القوم ، ونحوه قوله :

ضَرَبْتُ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِسَجْهَةٍ ـــــــ وَقَفَى عَلَيْكَ بِهَا الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ

ومنه المضرب لأنه تضرب أوتاده في الأرض فثبت ، ويقال للجليد : الضريب ؛ لأنه يثبت أكثر مما يثبت الثلج ولا يثبت ولا يحري .

واستضرب العسل إذا غلظ تشبيها بالجليد ، وضريبة الإنسان : خليقته لأنها ثابتة له لا يكاد يزول عنها ، والضرب في الأرض المسير فيها ؛ وهنا خلاف الثبات ، والمضارب مشتق من الضرب في الأرض .

والضرب العسل الأبيض الغليظ ، والضريب ضرب من اللبن ، والضرب من الشيء : الصنف منه .

والضرب في القرآن على ثلاث أوجه :

الأول : الضرب في الأرض ؛ قال الله : ﴿ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٩٤] ، وقال معاوية لبعض رؤساء اليمن : ما قول قومك في : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سورة

(١) (ض ر ب) : ضَرَبَهُ يَسْتَبِ أَوْ غَيْرَهُ وَضَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ سَافَرْتُ فِي السَّيْرِ أَسْرَعْتُ وَضَرَبْتُ مَعَ الْقَوْمِ بِسَهْمٍ سَاهَمْتُهُمْ وَضَرَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ حَبَرْتُ عَلَيْهِ أَوْ أَفْسَدْتُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا وَصَفَهُ وَبَيَّنَّهُ وَضَرَبَ عَلَى أَدَانِهِمْ بَعَثَ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ قَتَلَهُمْ وَلَمْ يَسْتَقِظُوا وَضَرَبَ النَّوْمُ عَلَى أُذُنِهِ وَضَرَبْتُ عَنِ الْأَمْرِ وَأَضَرْتُ بِالْأَلْفِ أَيْضًا أَغْرَضْتُ تَرَكَا أَوْ إِمْنَالًا وَضَرَبْتُ عَلَيْهِ خَرَجًا إِذَا جَعَلْتَهُ وَظِيفَةً وَالْإِنْسِمُ الضَّرِيَّةُ وَالْجَنَمُ ضَرَابٌ وَضَرَبْتُ عَنْقَهُ وَضَرَبْتُ الْأَعْنَاقَ وَالتَّشْدِيدُ لِلتَّكْثِيرِ قَالَ أَبُو زَيْدٍ لَيْسَ فِي الْوَاحِدِ إِلَّا التَّخْفِيفُ وَأَمَّا الْجَنَمُ فِيهِ الْوَجْهَانِ قَالَ وَهَذَا قَوْلُ الْعَرَبِ وَضَرَبْتُ أَجَلًا يَبْتَهُ وَبِجَمِّ التَّلَاحِي وَزَنْ وَاحِدٌ وَالْمُضَلُّ الضَّرْبُ وَضَرَبَ الْفَحْلُ النَّاقَةَ ضَرَابًا بِالْكَسْرِ وَضَرَبَ الْجُرْحُ ضَرَبَاتًا أَفْتَدَ وَجَعَهُ وَلَذَعَهُ . [المصباح المنير : الضاد والراء] .

سبأ آية : ١٩] قال : أرادوا بعد الهمة والضرب في الأرض ؛ ولكن ما قول قومك في : ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَنْظِرْ عَلَيْنَا حِجَابَ السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٢] هلا قللوا : إن كان هذا هو الحق من عندنا فاهدنا له ؟ ومثله : ﴿وَأَخْرُوجُوا يُصْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُوجُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة المزمل آية : ٢٠] فوضع التاجر مع المجاهد ، وفي ذلك بيان عن فضل التجارة .

الثاني : الضرب باليد والسيف وغيره ؛ قال : ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾ ^(١) [سورة محمد آية : ٤] وسمي ضرباً لأن أثره يثبت في المضروب ، ونصب ضرب الرقاب على المصدر .

والمراد فإذا لقيتم الذين كفروا فاقتلوه ؛ ولكن أكثر القتل ضرب الرقبة ، فأخرج الكلام على الأكثر ، ولم يرد أن هذا الضرب مقصور على الرقبة .

والشاهد قوله : ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٢] ، وقال : ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٢] يعني : اضربوا الرؤوس ، واضربوا منهم كل بنان ؛ لأنه قال : إنكم تتمكنون منهم أشد تمكن ؛ فاضربوا الجليل من أبدانهم والدقيق .

وقيل : ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٢] أي : ما بدا منها وهو على ما قلنا أنه أراد أن اقتلوه .

الثالث : التين والوصف ؛ قال تعالى : ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٤] أي : وصف شبها وبينه .

(١) قال الرازي : ما الحكمة في اختيار ضرب الرقبة على غيرها من الأعضاء نقول فيه : لما بين أن المؤمن ليس يدافع إنما هو دافع ، وذلك أن من يدفع الصائل لا ينبغي أن يقصد أولاً مقتله بل يتدرج ويضرب على غير المقتل ، فإن اندفع فذاك ولا يترقى إلى درجة الإهلاك ، فقال تعالى ليس المقصود إلا دفعهم عن وجه الأرض ، وتطهير الأرض منهم ، وكيف لا والأرض لكم مسجد ، والمشركون نجس ، والمسجد يظهر من النجاسة ، فإذا ينبغي أن يكون قصدكم أولاً إلى قتلهم بخلاف دفع الصائل ، والرقبة أظهر المقاتل لأن قطع الحلقوم والأوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتبهاً ذلك ، والرقبة ظاهرة في الحرب فهي ضربها حر العتق وهو مستلزم للموت بخلاف سائر المراضع ، ولا سيما في الحرب . [مفاتيح الغيب : ٧٩/١٤] .

وقال : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ ﴾ [سورة النحل آية : ٧٤] قالوا : معناه لا تصفوا

بصفات غيره ولا تشبهوه بسواه . .

وضارب المثل كأنه ينصب شيئا لما يريد أن يعرفك إياه فتنظر إليه وهو راجع إلى

الإثبات .

ويجوز أن يقال : ضرب المثل أي : جعله يسير فيكون من الضرب في الأرض ، وقال :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ [سورة النحل آية : ١١٢] أي : وصف له شيئا ومثله كثير .

وأما قوله : ﴿ وَلَيَضْرِبَنَّ يَخْمُرِينَ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [سورة النور آية : ٣١] فإنما أراد إلقاء

الثوب على الصدر ليستر به ، والجيب جيب الدرع ، وكن يلبسن الدروع ، ولدرع جيب مثل

جيب الدراعة ، والمرأة فيها مكشوفة الصدر فأمر بستره ؛ وفيه دليل على أن صدر المرأة

ونحرها عورة .

الضر

الضر ضد النفع ، و الضر : الهزال وسوء الحال ، وكذلك الضراء ، وقيل : الضر والضر لغتان وليس بالوجه .

وذكر أن الضر أبلغ من الضر ؛ لأنه عدل عن صيغة المصدر للمبالغة وهذا أجود . وأصل الكلمة الدنو ، ومعنى قولهم : ضره ؛ إذا لحق به المكروه ، وإذا لحقه به فقد أدناه منه . وسحاب مضر إذا دنا من الأرض لكثرة مائه ، قال الشاعر :

غَوَاشِي مُضَرٍ تَحْتَ رِيحٍ وَوَابِلٍ

وسميت الضرة ضرة ؛ لأنها أدنيت من مثلها ، والضرة أصل الضرع لقربها من البدن . والضر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الشدة وسوء الحال ؛ قال : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضَّرَّ دَعَانَا لِجَنِّهِ ﴾ [سورة يونس آية : ١٢] والفرق بين المس واللمس ؛ أن المس يكون من الحجارة وما بسبيل ذلك ، يقول : مس الحجر الحجر ، واللمس لا يكون إلا لطلب معرفة اللين ، أو الخشونة ، والحرارة ، والبرودة فهو مستعمل في الإنسان .

الثاني : الهول ، قال الله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٦] يعني : الهول ، ويموز أن يكون المعنى جميع ما يدخل عليهم من الضرر عند الضلال .

الثالث : النقص ؛ قال الله : ﴿ لَنْ يَضُرَّوْا اللَّهَ شَيْئًا ﴾ [سورة محمد آية : ٣٢ ، آل عمران : ١٧٦-١٧٧] أي : لا ينقصونه من ملكه شيئا معاصيهم .

(١) الضَّرُّ والضَّرُّ لغتان ، فاذا جَمَعَت بين الضَّرِّ والنَّفْعِ فَتَحَتِ الضَّادَ ، وإذا أَفْرَدَتِ الضَّرَّ صَمَمَتِ الضَّادُ إذا لم تجعله مصدراً ، كقولك ضَرَرْتُ ضَرّاً ، هكذا يستعمله العرب . وقال الله تعالى : " وإذا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضَّرُّ دَعَانَا لِجَنِّهِ " .

والضَّرُّ : النُّقْصَانُ يَدْخُلُ فِي الشَّيْءِ ، تقول : دَخَلَ عَلَيْهِ ضَرَرٌ فِي مَالِهِ . وَرَجُلٌ ضَرِيرٌ : بَيْنَ الضَّرَارَةِ ، وَقَوْمٌ أَضْرَاءُ : زَاهِبُ الْبَصَرِ . وَرَجُلٌ ضَرِيرٌ وَامْرَأَةٌ ضَرِيرَةٌ : أَهْرَهُ الْمَرَضُ ، وَالضَّرِيرُ : الْمَرِيضُ ، وَالْمَرَأَةُ بِالْهَاءِ . [العين : ١٦/٢] .

وأما الضراء فقد جاءت بمعنى القحط والجذب ، في قوله : ﴿ أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ
ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ ﴾ [سورة يونس آية : ٢١٠] أي : خصباً وسعة بعد قحط وشدة .
والفرق بين الضر والضراء ؛ أن الضراء مضرّة تظهر ، ويموز أن يكون الضر خافياً ،
والضراء خرجت مخرج الأحوال الظاهرة ؛ مثل : الحمراء ، والسوداء .
وكذلك الفرق بين النعمة والنماء ؛ أن النماء أنعام تظهر أثره ، ويموز أن تكون النعمة
خافية .

الضلال^(١)

أصل الضلال الزوال عن القصد والسير عن غير بصيرة ، وصاحبه بصدد الهلاك ؛ ولهذا قيل : **أَنَّ الضَّالَّ هَالِكٌ** .

ثم استعير لمن زال عن سبيل طاعة الله ؛ فقبل للكافر ضال ، وللفاسق مثله ؛ ثم جعل اسماً للعقاب على القسوة والكفر ، ويقال : **أَضَلَّتْ فِرْسِي وَبَعِيرِي** ، وكل ما زال عنك فذهب .

وضللت الطريق والدار وكل ما لا يترج ، وأضللت فلاناً ؛ وجدته ضالاً ، ومنه قوله : **﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾** [سورة الجاثية آية : ٢٢] .

والإضلال ؛ أيضاً الإحباط في قوله : **﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾** [سورة محمد آية : ١] والإضلال ؛ الصرف عن القصد في قوله : **﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾** [سورة طه آية : ٧٩] .

وقال بعضهم : الضلال والهلاك من قولهم : ضللت للناقة إذا أهلكت بضياعها ، وضل الكافر إذا هلك بكفره ، وضللنا في الأرض ؛ إذا هلكنا بقطع أوصالنا ، ورجل مضل ؛ منسوب إلى الهلاك بأنه لا يتوجه لخير ، وضل الرجل عن الطريق ؛ إذا هلك عن قصده .

(١) [ضل] : ضَلَّ النَّهْيُ يَعْمَلُ ضَلَالاً : إذا ضاع . وإذا جازَ الرَّجُلُ عَنِ الْقَصْدِ قِيلَ : ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضِلُّ . وَالتَّضَلُّ : تَضَيَّرَ كالتَّضَلُّعِ ، لِيَضَيَّرَ ضَلَّتْ . وَضَلَّتْ تَكْنِي : إذا لم تَتَّحِدْ إِلَيْهِ . وَأَضَلَّتْ بَعِيرِي : إذا أَفَلَّتْ فَذَهَبَ . وَالضَّلَالَةُ مِنَ الْإِبِلِ : التي تَبْقَى بِمَضْيَعَةٍ لَا يُعْرَفُ هَارَبٌ ، وَاجْتِمَاعُ الضَّوَالِ . وَكَذَلِكَ اللَّقْطُ وَالضَّلَالَةُ : الْمَضَرُّ . وَرَجُلٌ مَضَلَّلٌ : لَا يُؤَوَّقُ لِحَقِيرِ صَاحِبِ غَوَايَاتٍ وَأَضَالِيلَ ، وَالوَاحِدُ أَضْلُوَّةٌ . وَالضَّلَافِلَةُ : مِنَ الضَّلَالِ . زَهِيَ أَيْضاً : كُلُّ حَجَرٍ قَدَرٍ مَا يُقَالُ الرَّجُلُ : أَمْلَسَ ؛ فِي بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ . وَأَرْضٌ ضُلْفِلَةٌ وَضُلَافِلَةٌ : كَثِيرَةُ الْحِجَارَةِ . وَالضَّلْفِلَةُ بفتح الضادِ الأولى : الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ . وَالضَّلْفِلُ الْحِجَارَةُ الْكَثْرَةُ يَتَضَلَّفُلُ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِهَا أَيْ يَذْمَبُ . وَضُلَافِلُ الْمَاءِ : بَقَايَاهُ . وَإِنَّ ضِلَّ أَضْلَالٍ بِمعنى الصاد : إذا كَانَ دَاهِيَا مُتَكَرراً . وَهُوَ ضِلٌّ بَنَ ضِلٌّ وَيُرْفَعَانِ وَضِلُّ أَضْلَالٍ : إذا لم يُعْرَفْ أبوه ، وَقِيلَ : مَيِّتٌ بَرِّ مَيِّتٌ ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : " أَتَذْكُرُنَا " . وَ" سَلَكْتَ وَادِي تَضَلَّلَ " : إذا تَكَلَّمَ فَاخْطَأَ أَوْ عَمِلَ شَيْئاً فَلَمْ يُعِبَّ ، وَيُقَالُ : تَضَلَّلَ ، وَكَأَنَّهُ اسْمُ أَرْضٍ . وَ" وَقَعَ الْقَوْمُ فِي وَادِي تَضَلَّلَ " . وَضَلَّ فُلَانٌ : أَي مَاتَ وَتَحِيَّتُهُ الْأَرْضُ . وَأَضَلَّهُ قَابِرُوهُ : ذَفَنُوهُ . وَمَنْ : ضَلَّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ : أَي خَفِيَ فِيهِ . [اللغة ١٨٩/٢] .

والضلال في القرآن على اثني عشر وجها :

الأول : التسمية والحكم ، وقال تعالى : ﴿ وَفُضِّلَ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٧] يعني : أنه يسميهم ضالين ، كما تقول : جهلته إذا سميت جاهلا .

اعترض

الثاني : النسيان ؛ قال : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] أي : تنسى ، وإذا ذهب عن الطريق ، قيل : قد ضل وكذا إذا ذهب عن معرفة الشيء .

الثالث : عدم العلم بمبلغ الجرم ؛ قال : ﴿ قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٢٠] أي : لم أعلم أن وكربي تبلغ القتل ؛ كأنه قال : فعلتها وأنا ضال عن العلم بها أنها تبلغ القتل ، ومن ذهب عن الشيء يجوز أن يقال : أنه ضل عنه .

وقال الزجاج : ﴿ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٢٠] أي : الجاهلين ، وهذا خطأ لأن اسم الجاهلين لا يطلق على الأنبياء .

الرابع : الخطأ ؛ قال الله : ﴿ إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة يوسف آية : ٨] أي : في خطأ بين ، ولو عنا غير ذلك كفروا ؛ فإن تضليل الأنبياء عليهم السلام على الحقيقة كفر ، وحقيقة المعنى أنه ذهب عن الاستواء في تدبير أمر الدنيا ؛ لأنه يفضل من لا غنى له على من له غنى .

الخامس : الكفر ، وهو قوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة آية : ٧] يعني : بالضالين النصارى ، والمغضوب عليهم اليهود ، والمعنى غير طريق الذين تريد عقابهم في الآخرة من اليهود والنصارى ، والغضب من الله العقاب .

السادس : الغفلة ؛ قال الله : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ [سورة الضحى آية : ٧] أي : كنت في غفلة عن النبوة لم تدرك أنك توتاهها ، ودليله قوله : ﴿ مَا كُنْتَ تَفْهَمُ مَا الْكِتَابُ ﴾ [سورة الشورى آية : ٥٢] .

وقال بعضهم : ﴿ ضَالًّا ﴾ أي : في قوم ضلال ؛ كما قال أبو عثمان المازني ؛ لنزوله في بني مازن ، وعمر والغزال ؛ لمقامه بين الغزالين ، وكل من نزل في قوم نسب إليهم ، ومن

الباب الخامس عشر ٣٠١
ذلك قولهم : العلوي الحماي ؛ فأما قول من قال أنه كان على دين قومه فخطأ ؛ لأن من يصلح
للنبوة لا يجوز أن يستصوب عبادة الصنم .

السابع : الإحباط ؛ قال الله : ﴿ أَضَلُّ أَعْمَاهُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ١] أي : أحبطها ولم
يحصلوا على ثوابها ، وفي هذا دليل على أن الحساب لا ينفع مع الكفر .

الثامن : العذاب ؛ قال : ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ [سورة نوح آية : ٢٤] أي :
عذابا ؛ لأنه لا يضلهم في الأول فيزيدهم ، والزيادة لا تكون إلا على أصل ، وما سمي ما
يوصل إليهم من العذاب المستحق في الحال الثاني والثالث ، وما بعد ذلك زيادة لم يرد إنه
يريدهم منه ما لا يستحقونه .

التاسع : تفرق الشيء حتى لا يرى ؛ قال تعالى : ﴿ أَئِنذًا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة
السجدة آية : ١٠] .

العاشر : الصد ؛ قال تعالى : ﴿ هَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾ [سورة النساء آية :
١١٣] أن يصدوك عن الإيمان ويردونك إلى الكفر .
الحادي عشر : الخسار ؛ قال الله : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ [سورة القمر آية :
٤٧] .

وكل ما نسب الله إلى نفسه من الضلال فسيله التسمية والحكم ، أو الضلال عن
الثواب ، ودليل هذا قوله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦] .
وقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٥] ، وقال :
﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٧] .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا فَتَنُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٥٥]
فالفتنة ؛ المحنة والابتلاء .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ضاد

ونسب الضلال بها إلى نفسه ، لأن الضلال وقع من بعض الناس عندما ابتل بها ؛ فنسب ذلك إلى نفسه ؛ كما قال : ﴿ فَرَأَيْنَاهُمْ يَمْشِي إِلَىٰ رَجِيمٍ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٢٥] يعني : السورة ، والمراد أنهم ازدادوا رجسا عندما .

الثاني عشر : الحيرة ؛ قال تعالى : ﴿ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٣ ، ق : ٢٧] أي : في حيرة شديدة ، أو في حيرة بعيد دواؤها وتلافيها ويقال : ضل الطائر إذا تحير وضل الصبي ، مثله .

وأما قوله : ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [سورة الرعد آية : ١٤] فمعناه أن دعاء الكافرين لأوثانهم باطل لا مرجوع له ، وضل الشيء إذا بطل وهلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بُدْلَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ رَسُولٍ فَقَدْ خَلَقَ مِنْ قَبْلِهِ مَا تَدْرِكُ بَصِيرَةً ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٧] فمعناه أنه يهدي الناس إلى ثوابه لا إلى الدين ؛ لأن الناس مهتدون إلى الدين .

وكذلك ينبغي أن يكون الإضلال هنا عن الثواب لا عن الدين ، ولو جاز أن يضل عن الدين لجاز لنا ذلك ، كما أنه جاز لنا أن نهدي إليه إذ كان الله يهدي إليه ، ولو جاز أن يضل عن الإيمان لجاز أن يدعو إلى الكفر ، ولو جاز له ذلك لجاز لنا .

الباب السادس عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله طاء

الطهارة

أصل الطهارة في اللغة : البعد ، يقال : طهرت الشيء وطهرته ؛ إذا أبعدته ، وسمي الطهور طهوراً لأنه يبعد الفاحشة عن الجسد وغيره .

والطهور اسم ما يتطهر به ، والطهور اسم الفعل على القياس دون السماع ، والمسموع للطهر والطهارة .

والطهارة في الشريعة : اسم يقع على معان كثيرة ، منها : الصلاة ، والزكاة ، والبر ؛ كلها طهارة ؛ يعني : أنها تطهر من الذنوب ، وقوله : ﴿ إِنَّمْ أَنَسْ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [سورة النمل آية : ٥٦] يطلبون إظهار النساء ولا يأتون الرجال ، أو يأتوهن في قبل الطهر يطلبون النجاسة على ما كانت العرب تدعي من ذلك .

والطهارة في القرآن على عشرة أوجه :

الأول : طهارة المرأة من دم الحيض ؛ قال الله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٢] .

(١) (ط ه ر) : (الطَّهَارَةُ) مُضَدُّ طَهَّرَ الشَّيْءُ وَطَهَّرَ خِلَافُ نَجَسَ (وَالطُّهُورُ) خِلَافُ الْحَيْضِ (وَالتَّطَهَّرُ) الْإِغْتِسَالُ يُقَالُ طَهَّرْتُ إِذَا انْقَطَعَ عَنْهَا الدَّمُ وَتَطَهَّرْتُ وَاطْهَرْتُ اغْتَسَلْتُ (وَقَوْلُهُ) ﴿ خُذِي فِرَاصَةَ مُمَسَّكَةً فَتَطْهَرِي بِهَا ﴾ أَيْ امْسَحِي بِهَا أَكْثَرَ الدَّمِ مِنْ تَطَهَّرَ إِذَا تَنَزَّهَ عَنِ الْأَقْدَارِ وَتَالَعَ فِي تَطْهِيرِ النَّفْسِ وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ قِيلَ أُرِيدَ الْإِسْتِنْجَاءُ (وَالطُّهُورُ) بِالْفَتْحِ مُضَدُّ بِمَعْنَى التَّطَهُّرِ يُقَالُ تَطَهَّرْتُ طَهُورًا حَسَنًا وَ(مِنَهُ) ﴿ مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ ﴾ (وَالطُّهُورُ) إِنَاءٌ أَحَدُكُمْ وَحَتَّى يَضَعَ الطُّهُورَ مُوَضَّعَهُ وَاسْمٌ لِمَا يَتَطَهَّرُ بِهِ كَالسُّحُورِ وَالْفُطُورِ وَصِفَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مَاءٌ طَهُورًا ﴾ وَمَا حُكِيَ عَنْ ثَعْلَبٍ إِنَّ الطُّهُورَ مَا كَانَ ظَاهِرًا فِي نَفْسِهِ مُطَهَّرًا لِبَغْيِهِ إِنْ كَانَ هَذَا زِيَادَةً بَيَانٍ لِنَهَائِهِ فِي الطَّهَارَةِ فَصَوَّبَ حَسَنٌ وَإِلَّا فَلَيْسَ فَعُولٌ مِنَ التَّطَهُّلِ فِي شَيْءٍ وَقِيَاسُ هَذَا عَلَى مَا هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمُتَعَدِّيَةِ كَقَطُّوعٍ وَمَنْعٍ غَيْرُ سَيِّدٍ (وَالطُّهْرَةُ) اسْمٌ مِنَ التَّطَهُّرِ وَ(الْمِطْهَرَةُ) الْإِدَاوَةُ وَكَذَا كُلُّ إِنَاءٍ يَتَطَهَّرُ بِهِ وَتَفْتَحُ الْمِمْ لُغَةً . [المغرب : الطاء مع الهاء] .

الثاني : الاغتسال ؛ وهو قوله : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٢] أي : إذا اغتسلن أو تيممن عند عدم الماء .

ولا يجوز عند الفقهاء مجامعتهن إذا طهرن فقط ؛ لأنه قال تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٢] يعني : الفرج ، وفيه دليل على أن إيتائهن في أدبارهن حرام ؛ لأنه حرام إيتائهن في الحيض لأجل الأذى ؛ وهو القذر ، والقذر للبر الزم . ويجوز عند بعضهم مجامعتهن إذا طهرن قبل أن يتطهرن ، ومنه كلام كثير استقصيناه في غير موضع .

الثالث : التطهر بمعنى الاستنجاء بالماء ؛ قال الله : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٨] قال المفسرون : أراد غسل أثر البول والغائط بالماء ، وقيل : نزل في الأنصار وذلك أنهم كانوا يتبعون الحجر بالماء .

الرابع : الطهور من جميع الأحداث والجنابة ؛ قال الله : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ١١] يعني : من الأحداث والجنابة ، ونظيره قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ٤٨] .

الخامس : التنزه عن إتيان الرجال في أدبارهم ، قال : ﴿ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [سورة النمل آية : ٥٦] ويحتمل أيضا الوجوه التي ذكرنا .

السادس : طهارة نساء أهل الجنة من الحيض والقذر ؛ قال الله : ﴿ هُنَّ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَاتٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥] ويتضمن ذلك طهارة الأخلاق أيضا ، لأنه جاء بلفظ التكثير .

السابع : الطهارة من الذنوب ؛ قال : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [سورة الواقعة آية : ٧٩] يعني : الملائكة ، وأراد طهارتهم من الذنوب ، وقرئ المطهرون ؛ ومعناه أنهم يطهرون غيرهم وليس بالوجه ، وقيل : هو على الأمر ؛ أي : لا يمس المصحف إلا طاهر ، ومثله : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [سورة المجادلة آية : ١٢] أي : أطهر من الذنوب .

ومعنى ذلك أنه يكون كفارة ، ونحوه قوله : ﴿ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٢] أراد إذا لم يعضلوهم لأن أزكى لكم وأطهر لكم ولهن من الذنوب ، لأنكم تأثمون بعضلكم إياهن ، ولعل العضل يحملهن على الزنا ، والعضل : المنع من التزويج وخبرها هنا أفعل .

الثامن : التيرئة من الخطأ والغلط ؛ قال الله : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ [سورة عبس آية : ١٣ ، ١٤] يعني : القرآن ، كنا قيل ؛ وقيل : يقول أنها مكرمة عند الملائكة ، مرفوعة عن الأرض .

ويجوز أن يكون أراد رفع القدر مطهرة أن ينالها يد عاصية ، ومثله : ﴿ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ [سورة البينة آية : ٢] يعني : القرآن أيضا ، ويجوز أن يكون : ﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ أي : منزهة أن يكون فيها كذب وباطل .

التاسع : إبعاد الأوثان والأصنام ؛ قال الله : ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ [سورة الحج آية : ٢٦] أي : أبعد عنه ما يعبد منها .

العاشر : تطهير الله العبد من الذنوب ؛ بمعنى أنه يمنحه ألطافا يمتنع معها من الذنوب ، قال الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٢] : ﴿ اصْطَفَاكِ ﴾ اختصك بأن قيل نذر أمك فيك ففرغك لعبادته وسد أنه نيه ، وطهرتك من الذنوب بأن وفقك لمجانبتها ، واختصك من نساء العالمين بولادة عيسى عليه السلام من غير ذكر ؛ فلما كان المراد بالاصطفاء الأخير غير المراد بالاصطفاء الأول لم يكن تكرارا معيا ، وقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣٣] والمعنى أن الله وفقكم لمجانبة الذنوب فتجنبتموها وكنتم طاهرين .

الطاغوت^(١)

كل ما عبد من دون الله وهو طاغوت ، والطاغوت أيضا الشيطان وهو من طغي يطفوا ، مثل : الملكوت من ملك يملك ، وقيل : هو أعجمي ، مثل : جالوت ، وطالوت ، وهو واحد وجمع .

وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الشيطان ؛ قال الله : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٦] قالوا : هو الشيطان ، ويجوز أن يكون الأوثان والذي لا شك فيه أنه الشيطان ، قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ [سورة النساء آية : ٧٦] لأنه قال بعد ذلك : ﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ﴾ [سورة النساء آية : ٧٦] ^(٢) .

الثاني : الأوثان ؛ قال الله : ﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل آية : ٣٦] وهو يذكر ويؤث ، والتأنيث قوله : ﴿ الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها ﴾ [سورة الزمر آية : ١٧] ، والتذكير قوله : ﴿ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٦٠] .

الثالث : قوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ [سورة النساء آية : ٦٠] جاء في التفسير أنه أراد كعب بن الأشرف ، وقيل : الكاهن .

(١) (ط غ ي) : طَغَا طَغَوْا مِنْ تَابَ قَالَ وَطَغِيَ طَغَى مِنْ تَابَ نَعَبَ وَمِنْ تَابَ نَفَعَ لَغَةً أَيْضًا فَيَقَالُ طَغَيْتُ . وَفِي التَّهْذِيبِ مَا يُؤَافِقُهُ قَالَ الطَّاغُوتُ تَأْوُهُمَا رَائِدَةٌ وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ طَغَا وَالطَّاغُوتُ يَذْكُرُ وَيُؤَنَّثُ وَالْإِسْمُ الطُّغْيَانُ وَهُوَ مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ وَكُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ الْقُدَارَ وَالْحَدَّ فِي الْعِضْيَانِ فَهُوَ طَاغٍ وَأَطْعَيْتُهُ جَعَلْتُهُ طَاغِيًا وَطَغَا السَّيْلُ ارْتَفَعَ حَتَّى جَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكُنْزَةِ . [المصباح المنير : الطاء مع الغين] .

(٢) قال ابن الجوزي : الطاغوت ؛ فهو اسم مأخوذ من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، قال ابن قتيبة : الطاغوت : واحد ، وجمع ، ومذكر ، ومؤنث . قال الله تعالى : ﴿ أَوْلِيَائِهِمُ الطَّاغُوتِ ﴾ وقال : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها ﴾ [الزمر : ١٧] . والمراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال . أحدها : أنه الشيطان ، قاله عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، والسدي ، ومقاتل في آخرين . والثاني : أنه الكاهن ، قاله سعيد بن جبير ، وأبو العالية . والثالث : أنه الساحر ، قاله محمد بن سيرين . والرابع : أنه الأصنام ، قاله البيهقي ، والزجاج . والخامس : أنه مرده أهل الكتاب ، ذكره الزجاج أيضا . [زاد المسير : ١/ ٢٦٢] .

وأصله أن رجلا من المنافقين نازع يهوديا ، فقال اليهودي : بينك وبين محمد صلى الله عليه .

وقال المنافق : بيني وبينك الكاهن .

وقيل : كعب بن الأشرف ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله ؛ فحكم على المنافق ؛ فلم يرض ، وجاء أبا بكر فحكم عليه أيضا ، فجاء عمر وقص اليهودي عليه القصة ؛ فأخرج السيف وقتل المنافق ؛ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال له : أنت الفلوق ، ثم قال : ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء آية : ٦٠] فذكر الشيطان وأراد أولياء الشيطان ، كما قال : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٢] ، وكما قال : ﴿ إِنْ الْمَلِئِينَ يُؤْفُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٧] أي : أولياء الله .



الطمأنينة^(١)

أصلها الانخفاض ، والمطمئن من الأرض : المنخفض ، وتطمئن الشيء إذا تلاطما ثم استعمل في السكون .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : السكون ؛ قال : ﴿ وَلَكِنْ لِّتَطْمِئِنَّ قَلْبِي ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٠] وتزول عنه الوسوسة ؛ لأنه إذا شاهد إحياء الموتى لم يكن للشيطان إلى وسوسته سبيل ، ومثله : ﴿ وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٣] ، ونظيره : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٨] .

ويجوز أن يكون المعنى أنها تطمئن إلى ما وعد الله من ثوابه ، ويجوز أن يكون المعنى الذين نظروا واستدلوا فعرفوا الله من طريق الدلائل فاطمأنت قلوبهم ولم يخالجهما شك ، فإن قيل : أوليس قد قال : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [سورة الحج آية : ٣٥] والوجل ضد الطمأنينة ، قلنا : المراد في هذا أنهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم بذكر عقوباته للعصاة ؛ وجلت قلوبهم لأنهم لا يأمنون أن يعصوه ؛ فبصروا إلى عذابه .

وقوله : ﴿ تَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٨] أنهم إذا ذكر بذكر ثوابه اطمأنت قلوبهم لأنهم لا يعرفون من أنفسهم معصية ، وقد وثقوا بأن وعد الله حق .

الثاني : بمعنى الرضا ؛ قال : ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ [سورة الحج آية : ١١] .

(١) (ط م ن) : اطمأن القلب سكن ولم يلقَ والإسْمُ الطمأنينة واطمأن بالمرضع أقام به واتخذَه وطنًا ومرضع مطمئنٌ مُنْقَضٌ قَالَ بَعْضُهُمْ وَالْأَصْلُ فِي اطمأن الْأَيْفُ بِمِثْلِ اطمأنَّ وَأَسْوَأُ لَكَيْتُهُمْ هَمَزُوا قِرَاءَةً مِنَ السَّاكِنِينَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ وَقِيلَ الْأَصْلُ هَمْزَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى الْيَمِّ لَكَيْتُهَا أَخْرَجَتْ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ طَأْمَنَ الرَّجُلُ ظَهْرَهُ بِالْهَمْزِ عَلَى فَاعِلٍ وَيَجُوزُ تَسْهِيلُ الْهَمْزَةِ فَيَقَالُ طَأْمَنَ وَمَعْنَاهُ خَنَاهُ وَخَفَّضَهُ . [المصباح المنير : الطاء مع الميم] .

الثالث : بمعنى الأمن ؛ قال الله : ﴿ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [سورة

النساء آية : ١٠٣] ويجوز أن يكون هذا أيضا بمعنى السكون ، قال بعضهم : معناها هاهنا

الإقامة ؛ أي : فإذا أقمتُم فأقيموا الصلاة ؛ أي : أتموها .

الطيبات^(١)

أصل الياء في الطيب واو، ومن ثم قيل للقادم : أوية ، وطوبة ، وقيل : طوبى له ، وقيل : شيء طيب للزوم الطيب له ، كما قيل : ضيق ، وميت ، وسيد ، وما كان الصفة فيه عارضة ، قيل : فاعل ، كما قيل : ضائق .

وهي في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الحلال ؛ قال تعالى : ﴿ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٢] ، وقال : ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥١] ، وقال : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥] يعني : أن الطيبات أحلت لهم عند كمال الدين . وذلك أنه قد أمنهم عند نزول هذه الآية أن ينسخ شيئا مما أحل لهم ، واليوم هو الذي أنزل فيه هذه الآية ، ويموز أن يكون بمعنى الوقت ، ويموز أن تكون الطيبات الأرزاق التي جعلها الله للناس ، ومنع بالنهي عن منازعتهم فيها ، وإنما سمي الحلال طيبا لطيه في العاقبة .

(١) (ط ي ب) : (الطَّيِّبُ) يَخْلَافُ الْحَبِثُ فِي الْمَعْنَيْنِ يُقَالُ شَيْءٌ طَيِّبٌ أَيْ طَاهِرٌ نَظِيفٌ أَوْ مُسْتَلَدٌّ طَعْمًا وَرِيحًا وَحَيْثُ أَيْ نَجَسَ أَوْ كَرِهَ الطَّعْمُ وَالرَّائِحَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَتَمَتُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أَيْ طَاهِرًا عَنِ الرِّجَاجِ وَغَيْرِهِ (وَمِنْهُ) ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ تَبَاتُهُ يَأْذُنُ رَبِّهِ وَالَّذِي خُبْتُ ﴾ يَغْنِي الْأَرْضَ الْغَنَّةَ الْكَرِيمَةَ الثَّرِيَّةَ وَالَّذِي خَبْتُ الْأَرْضَ السَّيِّئَةَ أَيْ لَا تُنْبِتُ مَا يُسْتَعْمَلُ بِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ يَغْنِي الْمُسْتَلَذَّاتِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ يَغْنِي كُلَّ شَيْءٍ نَجَسٍ كَالدَّمَ وَالْبَيْتِ وَنَحْوِهِمَا (وَفِي الْحَدِيثِ) ﴿ مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ فَلَا يَقْرَأَنَّ مِنْجِدَنَا ﴾ قِيلَ هِيَ الْكَرَاتُ وَالْثُومُ وَالْبَصَلُ هَذَا أَضْلُهُمَا ثُمَّ جُعِلَا عِيَارَتَيْنِ عَمَّا يُقَارِبُ ذَلِكَ مِنَ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ وَالْفَسَادِ وَالْجَوْدَةِ وَالرَّذَائَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ أَيْ مَا حَلَّ لَكُمْ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ أَنْفِقُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ أَيْ مِنْ جِيَادٍ مَكْسُوبَاتِكُمْ أَوْ مِنْ حَلَالِهَا وَفِي ضِدِّهِ : " وَلَا تَبْذُرُوا الْخَبِيثَ " أَيْ الرَّذِيءَ أَوْ الْحَرَامَ يَغْنِي لَا تَفْصِدُوا مِثْلَهُ فَتَصَدَّقُوا بِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ عَامٌّ فِي حَلَالِ الْمَالِ وَحَرَامِهِ وَصَالِحِ الْعَمَلِ وَطَالِيهِ وَصَحِيحِ الْمَذَاهِبِ وَفَاسِدِهَا وَجِدِّ النَّاسِ وَزِدِّيَّتِهِمْ . [المغرب : الطاء مع الباء] .

الثاني : المن والسلوى ؛ قال : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [سورة طه آية : ٨١] وهو راجع إلى الأول ؛ لأن ذلك كان حلالا ، ويموز أن يكون المراد أنه طيب المطعم ، ومثله : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [سورة يونس آية : ٩٣] ، وقوله : ﴿ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الجاثية آية : ١٦] .

الثالث : الطعام اللذيذ ، واللباس الحسن ، والجماع ؛ قال الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٨٧] وكان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هموا بترك ملاذ الدنيا ؛ فأنزل الله هذه الآية ، ونحوه قوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٧٠] ، ومثله : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٢] أي : لم يحرم الله ذلك فاللفظ لفظ الاستفهام ، والمعنى الإنكار ، وهو يرجع إلى معنى الأمر باستعمال هذه الأشياء من وجوه وحله .

الرابع : الشحوم ولحوم الإبل ؛ قال الله : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ١٦٠] فالمراد أنه عجل عليهم طائفة من العذاب ؛ فحرم عليهم من الماء كل ما كانت حلالا لهم ، وهي ما ذكر في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤٦ ، النحل : ١١٨] كذا وكذا وذلك ما كان من ظلمهم .

الخامس : الذبائح ؛ قال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤] يعني : الذبائح ، والشاهد قوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤] فقرر ذلك بما هو من جنسه .

السادس : الغنيمة ؛ قال : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٦] إلى أن قال : ﴿ وَرَزَقْنَاكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٦] جاء في التفسير أنه أراد الغنيمة يوم بدر ؛ لأنه في قصد بدر وأواكم ؛ يعني : أنه أسكنكم المدينة ، وقال في آخر السورة : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٩] ، ويموز

٣١٢ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله طاء

أن يكون الطيب ما هنا الذي لا إثم فيه ؛ فهو طيب في العاقبة ، وكانت الغنائم محرمة على من
قبل هذه الأمة ؛ فأحلها الله لهذه الأمة .

عبر

الطعام

كل ما أكل للشبع أو للشهوة مما فيه صلاح للبدن فهو طعام ، وذلك أن الطير يؤكل للشهوة وليس بطعام والذي يؤكل للشبع الخبز واللحم ، وما بسبيل ذلك والذي يؤكل للشهوة والفاكهة والأدام وما يجري هذا المجرى ، والطعم : المذاق ؛ يقال : هو طيب الطعم ، والطعم أيضا اسم يقام مقام المصدر ، والمصدر الطعم بالتحريك ، ورجل مطعم من الشيء ؛ مرزوق منه كأنه جعل له طعمه ، وفلان خبيث الطعمة ؛ أي : رديء المكسب .

والطعام في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الطعام الذي يأكله الناس ؛ قال : ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾ [سورة قريش آية : ٤] ، وقال : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤] ، وقال : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٣] ونحوه كثير .

الثاني : مליح السمك ؛ وقال : ﴿ وَطَعَامُهُمْ تَتَاعًا لَكُمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٩٥] كذا جاء في التفسير ، وقيل أيضا : أنه أراد ما يصب عليه الماء وأخذ فهو من طعام البحر ، وقيل : هو ما سقاه البحر فنبت فهو طعام البحر لأنه نبت عن مائه .

(١) (ط ع م) : (الطَّعَامُ) اسْمٌ لِمَا يُؤْكَلُ كَالشَّرَابِ لِمَا يُشْرَبُ وَجَمْعُهُ أَشْرِبَةٌ وَأَطْعَمَهُ وَقَدْ غَلَبَ عَلَى الْبَرِّ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ ﴿ كُنَّا نَخْرُجُ فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ ﴾ (وَفِي حَدِيثٍ) الْمَصْرَاقُ رُذْعًا وَرُذْعًا مَعَهَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ لَا سَمْرَاءَ أُنِي مِنْ حِمْرٍ لَا حِنْطَةَ (وَقَوْلُهُ) فِي بَابِ الْأَكْلَانِ وَكَانَ ذَا طَعَامٍ أُنِي أَكُولًا (وَالطُّعْمَةُ) بِالضَّمِّ الرُّزْقُ يُقَالُ جَعَلَ السُّلْطَانُ نَاحِيَةً كَذَا (طُعْمَةً لِفُلَانٍ) وَقَوْلُ الْحَسَنِ الْقِتَالُ ثَلَاثَةٌ قِتَالٌ عَلَى كَذَا وَقِتَالٌ لِكَذَا وَقِتَالٌ عَلَى هَذِهِ الطُّعْمَةِ يَغْنِي الْخِرَاجَ وَالْجَزْيَةَ وَالزُّكُوتَ (وَفِي السِّتْرِ) ﴿ أَطْعَمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طُعْمَةً ﴾ وَفِي مَوْضِعٍ طُعْمًا عَلَى الْجَنَّةِ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ طُعْمًا وَطَعَامًا وَمَا يَمْنَعُنِي (وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ) أَنَّ الْإِطْعَامَ مُحْتَضٍ بِإِعَاذَةِ الْأَرْضِ لِلزَّرَاعَةِ (وَعَنْ مُعَاوِيَةَ) أَنَّهُ أَطْعَمَ عَمْرًا خِرَاجَ مِضَرٍ أُنِي أَغْطَاهُ طُعْمَةً وَطَعِيمَ الشَّيْءِ أَكَلَهُ وَذَاقَهُ طُعْمًا بِالْفَتْحِ وَالضَّمُّ إِلَّا أَنْ الْجَارِيَّ عَلَى أَلْسِنِهِمْ فِي عِلَّةِ الرِّبَا الْفَنَعِ وَمَرَادُهُمْ كَوْنُ الشَّيْءِ مَطْعُومًا أَوْ يَمَّا يُطْعَمُ (وَفِي كَلَامِ) الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ الْأَكْلُ مَعَ الْجَنْسِ عِلَّةٌ وَزَيْمًا قَالَ الطُّعْمُ مَعَ الْجَنْسِ وَقَدْ تَطَعَّمَهُ إِذَا ذَاقَهُ (وَمِنْهُ) الْمَثَلُ تَطَعَّمْ تَطَعَّمْ أُنِي ذُقْ تَشْتَبِهْ وَاسْتَطَعَّمَهُ سَأَلَ إِطْعَامَهُ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ إِذَا اسْتَطَعَّمَكُمُ الْإِيمَانُ فَأَطْعِمُوهُ ﴾ أُنِي إِذَا أُرْتَبِعَ عَلَيْهِ وَاسْتَغْنَيْتُكُمْ فَأَفْتَحُوا عَلَيْهِ تَجَارَ وَأَطْعَمْتَ الثَّمَرَةَ أَفْرَكْتَ (وَمِنْهُ) نَحْيٌ عَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حَتَّى يُطْعِمَ (وَسَجَرٌ مُطْعِمٌ) أُنِي مُثِيرٌ . [المغرب : الطاء مع العين] .

الثالث : الذبائح ؛ قال : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥] ، ومعروف أنه لم يرد الخبز والأدام فينبغي أن يكون على الذبائح .

وقال بعضهم : أهل الكتاب هنا هم بنو إسرائيل دون غيرهم ممن تنصر وحمود من العرب والعجم ، وليس كذلك لأن هذا اسم لمن يتحل التوراة والإنجيل ويظهر التدين بذلك ، ولم يسموا أهل الكنائس لأنهم من بني إسرائيل ؛ فكل من شاركهم في هذه العلة فهو منكم وطعامكم حل لهم ؛ أي : حل لكم أن تطعموهم ؛ لأن الحلال أو الحرام والفرائض بعد عقد التوحيد .

الرابع : طعم بمعنى شرب ؛ قال الله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٩] أي : من لم يشربه ، ومجازه لم يذقه فيجد طعمه ، وقوله : ﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٩] مع قوله : ﴿ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٩] دل على أن الشرب من النهر الكرع فيه ، وهو أن يضع شفته عليه فيشرب منه ، وهو من اغترف يده فليس بشارب من النهر ، وهو يدل على صحة قول أبي حنيفة فيمن قال : إن شربت من الفرات فعبدي حر أنه على الكرع ؛ وإذا شرب بيده أو بإناء لم حث .

الطغيان^(١)

أصله مجاوزة الحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [سورة الحاقة آية : ١١] ، ثم استعمل في شدة الظلم ؛ لأنه تجاوز الحد الصفة ؛ وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الضلال ؛ قال الله : ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥] أي : في ضلالهم يتحيرون ، ويموز أن يكون أراد أنهم يتحيرون فيما هم فيه من مجاوزة الحد في التمرد ؛ وتحيرهم فيه لأنهم لا يعرفون وجه قباحته ، والمتحير غير عارف لوجه أمره والعمد التحير .

ومثله قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾ [سورة ق آية : ٢٧] أي : ما أضللت ، والشاهد قوله : ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة ق آية : ٢٧] ، ويموز أن يكون المراد أي : لما حمله على التمرد وشدة الظلمة لنفسه ولغيره .

الثاني : قال تعالى : ﴿ أَذْهَبْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [سورة طه آية : ٤٣] ويموز أن يكون أراد أنه جاوز الحد في الكبر أو الظلم والغشم ، وقال : ﴿ بَلْ كُتِبَ قَوْمًا طَاغِينَ ﴾ [سورة الصافات آية : ٣٠] .

الثالث : الارتفاع ومجاوزة الحد في الكثرة ؛ وقال : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [سورة الحاقة آية : ١١] أي : حملنا آباءكم على حسب ما يقال لبني شيان : اليوم أنتم أصحاب يوم ذي قار .

الرابع : الخطأ ؛ قال : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [سورة النجم آية : ١٧] أي : ما يمل ولم يخطئ في الرؤية ، وقيل : ما عدل وما جاوز القصد في رؤيته ؛ يعني : جبريل عليه

(١) (ط غ ي) : طَغَا طَغَوْا مِنْ بَابِ قَالَ وَطَغَى طَغَى مِنْ بَابِ تَعِبَ وَمِنْ بَابِ نَمَعَ لَغَةً أَيْضًا فَيَعَالُ طَغَيْتُ . وَفِي التَّهْلِيلِ مَا يُؤَافِقُهُ قَالَ الطَّاغُوتُ نَأْوَمَا زَائِدَةً وَهِيَ مُسْتَقَّةٌ مِنْ طَغَا وَالتَّاغُوتُ يُذَكَّرُ وَيؤنثُ وَالْإِنْسَمُ الطَّغْيَانُ وَهُوَ مَجَاوِزُهُ الْحَدَّ وَكُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ الْمِقْدَارَ وَالْحَدَّ فِي الْمَضِيانِ فَهُوَ طَاغٍ وَأَطْغَيْتُهُ جَعَلْتُهُ طَاغِيًا وَطَغَا السَّيْلُ لَزِمَتْهُ حَتَّى جَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكَثْرَةِ . [المصباح المنير : الطاء مع الغين] .

٣١٦ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله طاء -

السلام ، وزاغ : مال وعدل ، وقيل : ﴿ مَا زَاغَ ﴾ ما قصر عن شيء رمى إليه ببصره ، :
﴿ وَمَا طَغَى ﴾ ما طلب أن يجاوز ما رآه إلى غيره .

١٤

الطمس^(١)

أصله ذهاب الأثر ؛ طريق طامس : لا علم فيه ، كتاب مطموس : محو ، وجبل طامس : لا طريق إليه ؛ قال جميل :

الْأَيْتُكُمْ أَعْلَامٌ بُيِّنَتْ قَدْ بَدَتْ كَأَنَّ ذُرَاهَا عُمَتْ بِسَبَبِ
طَوَامِسُ لِي مِنْ دَوْنِ عَدَاوَةٍ وَلِي مِنْ وَرَادِ الطَّامِسَاتِ حَنِيبِ
بَعِيدٌ عَلَى مَنْ لَيْسَ يَطْلُبُ حَاجَةً وَأَمَّا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَقَرِيبِ

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى القلب ؛ قال الله : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ [سورة النساء : ٤٧] أي : نقلبها فنجعلها إلى ما يلي أعيانها .

وقوله : ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ تفسير لطمسها ، وتصديق هذا قوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ [سورة الانشقاق آية : ١٠] لأن الوجوه إذا قلبت أقفأ كان أصحابها يعطون الكتب وراء ظهورهم .

الثاني : ذهاب البركات ؛ قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [سورة يونس آية : ٨٨] أي : اذهب ببركتها ومنفعتيها وخذهم بالقحط ، ﴿ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [سورة يونس آية : ٨٨] أي : حبب إليهم أوطانهم حتى لا يغار قومها لطلب الأرزاق فيموتوا هزلا وجوعا هكذا قيل .

(١) [طمس] : طَمَسَ : لغة في طسم ، أي : فَرَسَ إِلَّا أَنَّهُ أَهْمُ . وَطَمَسَ النَجْمُ : ذَهَبَ ضَوْدُهُ ، وَالْقَمَرُ مِثْلُهُ .

وَعَرَقَ طَامِسٌ ، وَجَبَلٌ طَامِسٌ : لَا نَبَاتَ فِيهِ وَلَا مَسْلَكَ .

وَالطَّمَسُ الْآيَةُ النَّاسِعَةُ مِنْ آيَاتِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حِينَ طَمَسَ اللَّهُ - تَعَالَى - بَدْعُوهُ عَلَى أَمْوَالِ فِرْعَوْنَ فَصَارَتْ حِجَارَةً . [العين : طمس] .

والصواب أن يقال : أراد أن صبرهم على البلاء والإقامة في البلد المطموس فيه على أموالهم حتى لا يجزعوا فيخرجوا منه . وذلك أن الشد على القلب والربط عليه هو تصيره بما هو فيه .

وقوله : ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا ﴾ [سورة يونس آية : ٨٨] موصول بقوله : ﴿ لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ [سورة يونس آية : ٨٨] ومعنى ذلك كله على العاقبة ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [سورة القصص آية : ٨] .

الثالث : ذهاب النور ؛ قال الله : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [سورة المرسلات آية : ٨] .

الطائر

طار الطائر يطير طيرانا والفعلان للاضطراب ، مثل : اللمعان والضربان .

والطائر في القرآن على وجهين :

الأول : الطائر واحد الطير ؛ قال الله : ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٣٨] ، وطائر وطير مثل : صاحب وصحب ، ولا يقال للواحد : طير إلا شاذاً .

الثاني : الحظ ؛ قال تعالى : ﴿ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٣] أي : حظه من الرزق وغيره لازم له ، كما يقال : أمانتي في عنقك ، وهذا الحق لي في عنقك ؛ أي : هو لازم لك .

وقيل : الطائر العمل الصالح من الخير ؛ أي : يلزمك ذلك حتى تجازي به ، وقيل : الحظ من الخير والشر طائر ، تقول العرب : جرى على الفعلان الطائر بكذا على طريق الفأل ، ويقال : طار لي منك كذا ؛ أي : صار حظي منك .

وقيل : معناه أن الأمر الذي يجعلونه بالطائر يلزم أعناقهم ؛ والمراد أنهم إذا تشاءموا بشيء أصابهم على ما قال النبي صلى الله عليه : " الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ " ، ومثله : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ [سورة يس آية : ١٩] أي : حظكم لأنفسكم وتطيركم لا يزيدكم ولا ينقصكم .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ^(١) [سورة النمل آية : ٤٧] أي : حظكم من الجزاء على أعمالكم لا معدل لكم عنه في الآخرة .

(١) أخرجه بلفظه القاضي في مسند الشهاب من حديث حنيفة بن البيان (٢٢٧) ، وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والنيمة (١٤٩) ، وأخرجه البيهقي بلفظ البلاء موكل بالقول من حديث أنس بن مالك في شعب الإيثار ، وابن بطة في إبطال الحليل من حديث عويمر بن مالك (٨٤) .

(٢) قال صاحب «الكشاف» : كان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره فإن مر سائلاً تيمن وإن مر بارحاً تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان للخير والشر وهو قدر الله وقسمته ، فأجاب صالح عليه السلام بقوله : ﴿ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي السبب الذي منه يبيء خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم .

٣٢٠ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله طاء

وقال ابن الأنباري في قولهم : طير الله لا طيرك ، قال : فعل الله وحكمه لا فعلك وما يتخوفه منك ، قال الفراء : الطائر عندهم العمل ، فإن الله تعالى قال : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٣] ، وقوله : هو ميمون الطائر ؛ يعنون الحظ ، وهو الذي تسميه العامة البخت .

وقيل : بل المراد إن جزاء الطيرة منكم عند الله وهو العقاب ، والأقرب الوجه الأول لأن القوم أشاروا إلى الأمر الحاصل فيجب في جوابه أن يكون فيه لا في غيره . [مفاتيح الغيب : ٣٦ / ١٢] .

الباب السابع عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ظاء

الظلمات^(١)

الظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، ومنه : ظلم السقاء إذا شربه قبل أن يروب ، وقال الشاعر :

هَزَّتِ الشَّقَاشِقُ ظِلَامُونَ لِلْجَزْرِ

أي يعرقونها فيجعلون العرقبة مكان النحر ؛ ومنه قيل الظلمة لأنها قد تكون سببا لوضع الشيء في غير موضعه لعدم الإبصار فيها ، وقال بعض أهل اللغة : يقال في الجمع القليل منه ظلم ومنه ثلث ظلم ، والكثير الظلمات وهذا خلاف الأصل ؛ لأن الجمع القليل يجيء بالتاء في جميع اللغة .

والظلمات في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الكفر ؛ قال الله : ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤٣ ، الحديد : ٩] أي : من الكفر إلى الإيمان ؛ فأخرج ما يرى بالعين إلى ما لا يرى بالعين ليتولد التشبيه ، وجعل الكفر ظلمة لما في الكفر من الحيرة والوحشة ، والإيمان نورا لما يكون مع النور من الاهتداء والاستقامة والانس بثلج اليقين .

الثاني : الأهوال ؛ قال الله : ﴿ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٣] قال أهل التفسير : أراد أهوالها ، ويجوز أن يكون أراد الظلمات بعينها ، ومن الأول قولهم : يوم مظلم ، وأظلم النهار في عينه ؛ يريدون الهول والشدة .

(١) (ظ ل م) : (الظُّلْمَةُ) الظُّلْمُ فِي قَوْلِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا مَظْلَمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَاسْمٌ لِلْمَأْخُودِ فِي قَوْلِهِمْ عِنْدَ مُلَانٍ مَظْلَمَتِي وَظَلَامَتِي أَيْ حَقِّي الَّذِي أَحْذَرْتَنِي ظُلْمًا وَأَتَانِي يَوْمَ الْمَطْلَمِ فَقُلْ حَذَفِ الْمَصَافِ (وَقَوْلُهُ) فَظَنُّ النَّصْرَانِ أَنَّهُ لَمْ يَلْتَقِ إِلَى ظُلَامَتِهِ بَغْيِي شِكَايَتَهُ وَهُوَ تَوَسُّعٌ . [المغرب : الظاء مع اللام] .

الثالث : الظلمة بعينها ؛ قال الله : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١] وقد تقدم ذكر الظلمات لأنه خلق الظلمة قبل النور ، كما خلق الجنة قبل النار ، والسموات قبل الأرض .

وفي هذا معنى حسن ، وهو جعله مثالا للشك الذي غلبه البرهان والدلالة ؛ فأما الجنة فقدمت لأنها الغرض المطلوب ، وأما السموات فقدم خلقها لأنها أشرف من الأرض من غير اعتراض معنى يزيلها عن مرتبتها .

والفرق بين جعل الظلمات وفعل الظلمات ؛ أن الجعل يقتضي فعلها على الصفة التي هي عليها ، كما يقال : جعل الطين خزفا ، والجعل أيضا يدل على الاتصال ؛ ولذلك جعل طرفا للفعل يستفتح به ؛ كقولك : جعل يقول ، وجعل ينشد ، قال الشاعر :

وَرَزَعْتَ أَتَكَ سَوْفَ تَتْلُوكَ فَلَازِدًا وَالْمَوْتُ مُكْتَنَعٌ طَرِيقِي فَـأَزِيدُ
فَاجْعَلْ بِحُلُلٍ مَن يَمْسُكَ إِنَّمَا جَنَّتُ الْيَمِينِ عَلَى الْأَيْمِ الْفَاجِرِ

الظلم

قد ذكرنا أن أصله وضع الشيء في غير موضعه ، ويموز أن يكون أصله التقصان ، ومنه قوله : ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [سورة الكهف آية : ٣٣] أي : لم تنقص ، والمظلومة : أرض لم تمطر بين أرضين قد مطرنا ؛ كأنها نقصت حقها .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الشرك ؛ قال الله : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِلَهَاتِهِمْ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨٢] .
والشاهد قوله : ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان آية : ١٣] ، ولما نزلت قوله : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِلَهَاتِهِمْ بِظُلْمٍ﴾ شق على الناس ؛ فقالوا : يا رسول الله ، وأينا لا يظلم نفسه ، فقال : " أنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح : إن الشرك لظلم عظيم " .^(١)

الثاني : ظلم العبد نفسه ؛ قال : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣١] .

فإن قيل : كيف يظلم العبد نفسه ولم يقصد ضررها ؟ قلنا : لأنه يقصد إلى ضرر قبيح يتزل بها من أجل شهوته له فيضرها من حيث يظن أنه ينفعها ، ولو نظر فيها يأتيه حق النظر وقف على مكان الضرر منه فيكون ظالما لنفسه بذلك ؛ ونظيرها قوله : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [سورة قاطر آية : ٣٢] .

ويموز أن يكون المعنى أنه ينقصها الحظ من الثواب والذكر الجميل .

الثالث : ظلم الإنسان غيره ؛ قال : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ [سورة النساء آية : ٣٠] والعدوان والظلم واحد ؛ وإنما كرر اللفظين على المعنى الواحد إرادة التوكيد والتصرف في الكلام على ما بينا من مذهب قوم يذهبون إلى ذلك ، وأصح منه أن

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود (٣٥٧٨) ، وأبو عوانة في المستخرج (٢١٢) ، (٢١٤) ، والعراقي في طرح الشريب ج ٦ / ٢١١ .

٣٢٤ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ظاء

يقال : العدوان مجاوزة الواجب ، والظلم هنا وضع الشيء في غير موضعه من قبل النفس المذكورة في الآية ، فلما اختلف معنى اللفظين عطف أحدهما على الآخر ؛ ولولا ذلك لم يميز العطف .

الرابع : النقص ؛ قال : ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [سورة الكهف آية : ٣٣] أي : لم تنقص

وقال : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [سورة الأنبياء آية : ٤٨] .

الظالمون

في القرآن على أربعة أوجه :

أولها : المشركون ؛ قال : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة هود آية : ١٨] كذا قيل ، ويجوز أن يكون غيرهم ممن يظلم ، كثير الظلم داخلا معهم ، وقوله : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤٧] وهم يعلمون أن الله لا يجعلهم مع المشركين ؛ ولكن هذا القول منهم تعظيم لما فيه المشركون من العذاب .

الثاني : الظالم لنفسه ؛ وهو الذي ينقصها بعض ثوابها بمعصية يوافقها ، قال : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٣٥ ، الأعراف : ١٩] ، وقوله : ﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٨٧] أي : لنفسه بخطيئته ، وقال موسى عليه السلام : ﴿ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ [سورة القصص آية : ١٦] ومعنى هذين الحرفين داخل فيما تقدم .

الثالث : الجحود ؛ قال تعالى : ﴿ بَيِّنَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩] أي : يمحذون ؛ كذا قال ابن عباس ، ومقاتل .

وقيل : أراد أنهم يظلمون أنفسهم بالكفر بها ، وقيل : يظلمون بها ؛ أي : يكفرون بها لوضعهم إياها في غير موضعها .

ويجوز أن يكون المعنى أنهم يظلمون النبي والمؤمنين بها ؛ أي : بتصديقهم بها لأنهم ينسبونهم في ذلك إلى الخطأ ويؤذونهم من أجلها وهذا على مقتضى اللفظ ، وقوله : ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٠٣ ، الإسراء : ٥٩] أي : جحدوا بها .

ويحتمل الوجوه التي تقدمت أيضا ، ويقال : جحد بالشئ ؛ إذا أنكر صحته ، وجحدته ؛ إذا أنكر وجوده ، كما يقال : جحد حقه .

الرابع : السرقة ؛ قال : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٨ ، ٣٩] ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤١] يعني : السارقين .

والظلم في هذا الوجه يرجع إلى النقصان ؛ لأن السارق ينقص مال المسروق ، ويموز أن يكون سمي الله السارق ظلماً لأنه يدخل الضرر على من لا يستحقه ، وكل ضرر غير مستحق ولا معقب نفعاً ظلم ، وقد سمي أيضاً ظلماً ؛ لظلمه لنفسه .

الظهور وما يتصرف منه^(١)

قد ذكرنا أن أصله من العلو ، يقال : ظهر فوق البيت إذا علاه ، وقال الشاعر :

وَتِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارَهَا

أي عارها مرتفع عنك لا يلحقك ، وظهر كل شيء أعلاه ، وظهر الرجل ؛ بين درعين إذا ألبس إحدهما فوق أخرى ، وظاهر الرجل إذا عاونه فعلا أمره ، وهو ظهوره ؛ أي : معينه ، ودرع مظاهره ؛ إذا نسجت حلقتين حلقتين .

وهو في القرآن على سبعة أوجه :

الأول : ظهر إذا بدا ؛ قال الله : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [سورة الروم آية : ٤١] ، وتكلم في هذه الآية في باب الفاء إن شاء الله تعالى .

وقال : ﴿ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [سورة غافر آية : ٢٦] ، وقال : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [سورة الروم آية : ٧] يعني : ما بدا منه من معاشهم ؛ أي : يعرفون ذلك من شدة عنايتهم به ، ويغفلون عن المعاد ، وقال : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [سورة النور آية : ٣١] أي : لا يبدن الزينة الباطنة ، نحو : المخنقة ، والخلخال ، والدملوج ، والسوار ؛ فإن ذلك من التبرج ، والذي يظهر الثياب والوجه والكفان ، وزينة الوجه الكحل ، وزينة الكف الخضاب والخاتم .

وقد أباح النظر إلى زينة الوجه والكف ؛ فاقضى ذلك لا محالة إباحة النظر إلى الوجه والكف ، ويدل على أن الوجه والكف ليسا من العورة ؛ إنها تصلي مكشوفة الوجه واليدين فجاز نظر الأجنبي إليهما لغير شهوة ، وجاز أن ينظر إليهما لعذر وإن كان تشبيها ، مثل : أن يريد تزويجها ، أو ينظر إليها لشهادة ، أو لأنه حاكم يريد أن يسمع إقرارها ، ويدل على أنه لا

(١) (ظ هـ ر) : ظَهَرَ الشَّيْءُ يُظْهِرُ ظُهُورًا بَرَّرَ بَعْدَ الْخَفَاءِ وَمِنْهُ قِيلَ ظَهَرَ لِي رَأْيٌ إِذَا عَلِمْتُ مَا لَمْ تَكُنْ عَلِمْتَهُ وَظَهَرْتُ عَلَيْهِ أَطْلَعْتُ وَظَهَرْتُ عَلَى الْخَائِطِ عَنَوْتُ وَمِنْهُ قِيلَ ظَهَرَ عَلَى عَدُوِّهِ إِذَا غَلَبَهُ وَظَهَرَ الْحَمْلُ تَبَيَّنَ وَجُودُهُ وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَأَلَ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنَ النِّسَاءِ عَنْ ظُهُورِ الْحَمْلِ فَقُلْنَ لَا يَتَبَيَّنُ الْوَلَدُ دُونَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ . [المصباح المنير : الغناء والهاء والواو] .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ظاء
يجوز النظر إلى الوجه لشهوة ، قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ؛ فَإِنَّ
لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ " (١).

الثاني : الإطلاع ؛ قال الله : ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾
[سورة الجن آية : ٢٦ ، ٢٧] ، وقال : ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ [سورة الكهف آية :
٢٠] أي : يطلعوا .

الثالث : الارتقاء ؛ قال الله : ﴿ مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٣]
أي : يرتقون ، والمعارج : الدرج ، يقال : أخرج الملك إذا صعد ، وعرج إذا نزل ، وقال :
﴿ قَمًا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ [سورة الكهف آية : ٩٧] أي : يعلوه ، وهو من قولهم : ظهر
فوق البيت ؛ إذ أعلاه .

الرابع : التعاون ؛ قال : ﴿ وَإِنْ تَطَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ [سورة التحريم آية : ٤] أي : تعاونا ،
وقال : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [سورة التحريم آية : ٤] أي : ظهرا ، يريد أن الملائكة
أيضا تضار النبي صلى الله عليه وسلم ، وقريب منه : ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ [سورة
الحاقة آية : ١٧] أي : الملائكة ، وقال : ﴿ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة التحريم آية : ٤] فذكر
الواحد وأراد الجمع .

والأرجاء : الجوانب واحدها رجاء مقصور ، وهما رجوان ، ويقال : يرمى بفلان
الرجوان ، إذا كان سائرا لا يستقر ركابه ، وقال : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ ﴾ [سورة
الأحزاب آية : ٢٦] .

الخامس : العلو والغلبة ؛ قال : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٣] ،
الفتح : ٢٨ ، الصف : ٩] أي : ليغلبه حتى يغلب كل دين يدان به .

(١) أخرجه الترمذي من حديث بريدة بن الحبيب (٢٧٧٧) ، وأبو داود (٢١٤٩) ، وأحمد في مسنده
(٢٢٤٦٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٧ / ٩٠ .

وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه خبر وقع مخبره على ما أخبر به ، ومثله : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَزَمُ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة غافر آية : ١٩] أي : عالين قاهرين ، ومثله : ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [سورة الصف آية : ١٤] .

السادس : الباطل ؛ قال أهل التفسير في قوله : ﴿ أَمْ يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ ﴾ [سورة الرعد آية : ٣٣] أي : يباطل ، وأم هاهنا بمعنى بل ، ومنه قوله : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٢] أي : بل أنا خير لأنه قال : أيخبرونهم بما لا يعلم في الأرض بل يقول : زائل باطل لا ينبت ، وهو ادعاؤكم لهم الألوية .

وقوله : ﴿ قُلْ سَمَوْهُمْ ﴾ [سورة الرعد آية : ٣٣] يعني : الملائكة لأنهم عبدوهم ، فقال لهم : إنكم تعبدونهم فما أسماؤهم ، قالوا ومنه قوله تعالى : ﴿ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ [سورة المجادلة آية : ٣] أي : يقولون باطلا .

وأصل هذه الكلمة عندنا من قولهم : أنت علي كظهر أمي ، وكان من طريق الجاهلية ، وصار في الإسلام فيه كفارة صورتها معروفة ونزلت في خولة بنت ثعلبة ، وأوس بن الصامت .

السابع : بمعنى الإعراض عن الشيء ؛ قال : ﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيَا ﴾ [سورة هود آية : ٩٢] أي : جعلتموه وراء ظهوركم ؛ يعني : أنكم تركتم العمل به ، ويقال : جعلت حاجتي تظهر إذا أطرحتها ولم تلتفت إليها .

والاتخاذ : أخذ الشيء لأمر يستمر ، وقيل : الظهرى ؛ ما جعل وراء الظهر وقد ظهرته أي : جعلته كذلك ، وقيل : معناه أنه ثقل عليكم ، من قول العرب : حملت فلانا على ظهري إذا ثقل عليك ، ويقال أيضا : ظهر بفلان ؛ إذا لم يلتفت إليه ، قال الشاعر :

جَدَّ تَأْمُرُ بَنِي الْبَرِّ شَاءَ مِنْ وَلَدِ الظَّهْرِ

أي : الذين يظهر بهم ولا يلتفت إلى أرحامهم ، والظهري في غير هذا الموضع : العون ، ومنه الظاهري في الدواب .

٣٣٠ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ظاء

والكلمة من الأضداد ، : ﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ ﴾ أي : اتخذتم الله وراءكم ، وحقيقة المعنى أنكم جعلتم أمره بمنزلة ما وراء ظهوركم لا يلتفتون إليه ، وقيل : الضمير في : ﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ ﴾ لما جاء به متغيب وهو قول مجاهد ، ولفظ الآية دال على الوجه الأول .

الظلال

يجوز أن يقال أصل الظل : الدوام ، ومنه يقال : ظل يفعل كذا ؛ أي : دام يفعله ، ويجوز أن يكون أصل الظل : الستر ، وظل الليل : ظلمته لأنها تستر كل شيء ، وهو بالغداة وما طلعت عليه الشمس ثم زالت فهو في ، لأنه فاء من جانب إلى جانب ، وألفي الرجوع .
وهو في القرآن على وجهين :

الأول : جمع ظل ، قوله : ﴿ وَظِلَّاهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [سورة الرعد آية : ١٥] جاء في التفسير أن الكافر لا يسجد لله ، ومثله : يسجد على كره منه ، والمراد أن الحال يتصرف بالظل لدوران الشمس وتقلها من مكان إلى مكان ؛ وفيه دليل على الخالق ؛ فجعل ذلك سجوداً لأن حال السجود أبين ، والغدو هنا اسم للوقت ، وأصله المصدر ، والآصال جمع أصيل ، وهو العشي ، وقال بعضهم : الظل ما يستراح إليه .

الثاني : جمع ظلة ؛ قال الله : ﴿ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴾ [سورة يس آية : ٥٦] وهي جمع ظلة ، مثل : قلة ، وقلاتل .

وأما قوله : ﴿ وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾ ^(١) [سورة الواقعة آية : ٤٣] و : ﴿ ظِلٌ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ [سورة المرسلات آية : ٣٠] ومعناه دخان جهنم ، واليحموم الأسود ، وأراد أنه يغشاهم فيسترهم ؛ فسماه ظل لأن الظل الستر .

(١) قال الشوكاني : ﴿ وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾ اليحموم يفعله من الأحمر ؛ وهو الأسود ؛ والعرب تقول : أسود يحموم : إذا كان شديد السواد ، والمعنى : أنهم يفزعون إلى الظل ، فيجدونه ظلاً من دخان جهنم شديد السواد . وقيل : وهو مأخوذ من الحم ، وهو الشحم المسود باحترق النار . وقيل : مأخوذ من الحمم ، وهو : الفحم . [فتح القدير : ١٢٨/٧] .

الظن^(١)

الظن في العربية على وجهين : شك ، ويقين ، وقد جاء في القرآن كذلك ، قال الله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴾ [سورة الحاقة آية : ٢٠] أي : أيقنت ، ومنه قول الشاعر :

ظَنُّوا بِالْفِي مُذْخَج

أي : أيقنوا ذلك ، وليس ذلك في أصل اللغة ، وإنما صار كذلك في الاستعمال ، ومن جهة الاستعارات وكثرتها في الكلام .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٦] أي : يوقنون .

وقال ابن درستويه : يتوهمون ذلك ، والكافر لا يتوهمه .

وهذا خطأ لأنهم لو كانوا يتوهمونه ولا يوقنونه لكانوا كفارا ؛ لأن التوهم من قيل الشك ، والشاك بالبعث كافر .

والآخر قوله : ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحْضُرَ بَلَى ﴾ [سورة الانشقاق آية : ١٤ ، ١٥] أخبر أنه كان شاكاً في البعث .

وقال أبو بكر رحمه الله : الظن على أربعة أقسام : محذور ، وواجب ، ومنسوب إليه ، ومباح .

فالمحذور : سوء الظن بالله ، وكل ظن لصاحبه سبيل إلى العلم فيه ؛ مما تعبد به فهو محذور .

(١) (ظ ن ن) : الظنُّ مَضَرٌّ مِنْ بَابِ قَتَلَ وَهُوَ خِلَافُ الْيَقِينِ قَالَهُ الْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْيَقِينِ كَقَوْلِهِ ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ وَمِنْهُ الْمَظِنَّةُ بِكَسْرِ الْمِمْ وَهِيَ حَبْثٌ يُعْلَمُ الشَّيْءُ قَالَ النَّابِغَةُ فَإِنَّ مَظِنَّةَ الْجَهْلِيِّ الشَّبَابُ وَالْجَمْعُ الْمَظَانُ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ مَظِنَّةُ الشَّيْءِ مَوْضِعُهُ وَمَأْلَفُهُ وَالْمَظِنَّةُ بِالْكَسْرِ التَّهْمَةُ وَهِيَ اسْمٌ مِنْ ظَنَنْتُهُ مِنْ بَابِ قَتَلَ أَيْضًا إِذَا اتَّهَمْتَهُ فَهُوَ ظَنِّيٌّ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَفِي السَّبْكِ (﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينَ ﴾) أَيْ بِمُتَّهِمٍ وَأُظْهِتْ بِهِ النَّاسَ عَرَضَتْهُ لِلتَّهْمَةِ . [المصباح المنير : ٤٩٠/٥] .

وأما الظن الواجب : فمثل ما تعبد بإنفاذ الحكم به ، ولم ينصب عليه دليل ؛ نحو : قبول شهادة العدول ، وتحري القبله ، وتقويم المستهلكات ، وأروش الجنايات التي لم يرد بها توقيف .

وأما المباح : فكالظان في الصلاة ، أمره النبي صلى الله عليه بالعمل على غالب الظن ؛ فإن فعل كان مباحا ، وإن عدل إلى البناء على اليقين كان جائزا .

والمندوب إليه : حسن الظن بالأخ المسلم ، قال الله تعالى : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [سورة النور آية : ١٢] .

الباب الثامن عشر

فما جاء من الوجوه والنظائر في أوله عين

القول في العالمين

العالم يقع على الملائكة والإنس والجن ، واشتقاقه من العلم ؛ لأنه يقع على من يعلم ، ويصلح أن يكون من العلامة ؛ لأن فيهم دلائل على خالقهم .

وقيل : أهل كل زمان عالم ، وقيل : كل ما يحوي الفلك عالم ، والناس يقولون : العالم العلوي ؛ يعنون السماء وما فيها ، والعالم السفلي ؛ يريدون الأرض وما عليها ، ويقولون على وجه التشبيه : إن الإنسان العالم الصغير وإلى فلان تدبير العالم يعنون الدنيا .

واشتقاقه على هذا القول من العلامة فقط ، وقيل : العالم اسم أشياء مختلفة فلا يوحد وليس هو مثل الناس ؛ لأن كل واحد من الناس إنسان ، وليس كل واحد من العالم ملائكة .

والعالم إن كان جميعا لا واحدا له من لفظه ؛ فليس هو ، كالنعم والرهط والنسوة ؛ لأن كل واحد من هذه الأشياء جمع لجنس بعينه ، والعالم جمع لأجناس مختلفة ، وقال بعضهم : العالم كل جنس ذي روح .

وحكي عن العرب : عالم من الطير ومن الغطاء وليس ذلك بمعروف عندنا ، وعندنا أن العالم سمي عالما لأنه يصلح أن يستدل به فيوصل إلى العلم ، ومثله : الخاتم لأنه يصلح للختم على الأشياء ، والطابع يصلح أن يطبع به .

قال المفضل : العرب تقول : العالمين في الرقع والنصب والجر ؛ لأنه جمع لا نظير له ، وكان حقه أن يجمع به على عوالم وعوالم ، مثل : خاتم وخواتيم وخواتم ، فلما انقطع عن بابه جمع بالنون وألزم الياء وأجرى مجرى : المقتوين والمفتكرين ، قال : وقد جاء عن قوم من كنانة وأسد عالمون وليس بمشهور .

ولفظ العالمين في القرآن مستعمل في أربعة مواضع :

الأول : الملائكة والجن والإنس ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) هذا قول أكثر المفسرين ، وإنما ذكر هؤلاء : ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٤] لأن الأقل داخل في الأكثر .

الثاني : الجن والإنس خاصة ؛ قال الله : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ١] أي : عظة وزجرا عن المعاصي وداعيا إلى التوحيد .

الثالث : قوله : ﴿ وَقَضَلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الجاثية آية : ١٦] يعني : عالمي زمانهم ، ودليل هذا أنه لم يفضلهم على أمة محمد عليه السلام ؛ ولو فضلهم لم يقل : ﴿ كُتِّمَ خَيْرٌ أُمِّيهِ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٠] .

(١) قال الرازي : العالمين عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى ، وهي على ثلاثة أقسام : المتحيزات ، والمفارقات ، والصفات . أما المتحيزات فهي إما بسائط أو مركبات ، أو البسائط فهي الأفلاك والكواكب والأمهات ، وأما المركبات فهي المواليد الثلاثة ، واعلم أنه لم يبق دليل على أنه لا جسم إلا هذه الأقسام الثلاثة ، وذلك لأنه ثبت بالدليل أنه حصل خارج العالم خلاه لا نهاية له ، وثبت بالدليل أنه تعالى قادر على جميع الممكنات ، فهو تعالى قادر على أن يخلق ألف ألف عالم خارج العالم ، / بحيث يكون كل واحد من تلك العوالم أعظم وأجسم من هذا العالم ، ويحصل في كل واحد منها مثل ما حصل في هذا العالم من العرش والكرسي والسموات والأرضين والشمس والقمر ، ودلائل الفلاسفة في إثبات أن العالم واحد دلائل ضعيفة ركيكة مبنية على مقدمات وأهية ؛ قال أبو العلاء المعري :

يا أيها الناس كم لله من فلك •• نجري النجوم به والشمس والقمر

هين على الله ماضيها وغابرها •• فما لنا في نواحي غيره خطر

ومعلوم أن البحث عن هذه الأقسام التي ذكرناها للمتحيزات مشتمل على ألوف ألوف من المسائل ، بل الإنسان لو ترك الكل وأراد أن يحيط علمه بعجائب المعادن المتولدة في أرحام الجبال من الفلزات والأحجار الصافية وأنواع الكباريت والزرانينخ والأملاح ، وأن يعرف عجائب أحوال النبات مع ما فيها من الأزهار والأنوار والثمار ، وعجائب أقسام الحيوانات من البهائم والوحوش والطيور والحشرات لنفد عمره في أقل القليل من هذه المطالب ، ولا يتبهي إلى غورها كما قال تعالى : ﴿ وَكَوْنُ أَتَى فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامَ وَالْبَحْرِ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ [لقمان : ٢٧] وهي بأسرها وأجمعها داخلة تحت قوله ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . [مفاتيح الغيب : ١/ ٣٥] .

الرابع : الناس من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة ، قال : ﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٢] والاصطفاء هاهنا بمعنى أنه خصها بإخراج الولد منها من غير ذكر .

ويموز أن يكون في الأنبياء من هو مثلها في الفضل ، مثل : آسيا وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ، للأثر المروي "خير نساء العالمين : آسيا ، ومريم بنت عمران ، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه" (١) .

(١) أخرجه ابن حبان من حديث أنس بن مالك (٦٩٥١) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٠٤) ، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٩٦١) ، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٣ / ١٥٤ ، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٩٠٤١) .

العمى^(١)

أصل العمى من الستر، ومنه قيل: السحاب العماء؛ لأنه يستر السماء، وعمى الرجل؛ كأنه سترت عنه المراثيات، وعمى عن الصواب تشبيه كأنه ستر عنه، ويقولون للفلاة التي لا علم فيها: عمياء وعطشاء، والعطش ضعف البصر، وقالوا لها ذلك لأنهم لا يبصرون فيها القصد لأنه قد ستر، وفي القرآن: ﴿فَقَعِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ [سورة القصص آية: ٦٦] لأنها سترت.

والعمى وما يتصرف منه في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: عمى القلب؛ قال: ﴿فَإِنَّمَا لَا تَغْنَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَغْنَى الْقُلُوبُ﴾ [سورة الحج آية: ٤٦] والمعنى أنها لا تتفحص بصرها كما لا تتفحص العمى بأبصارها، ومثله: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [سورة البقرة آية: ١٨، ١٧١] فجعلهم صما لأنهم لا يتفحصون بها يسمعون فكانهم لا يسمعون، كما أن الأصم لا يسمع؛ وسأهم عميا على هذا السبيل، وبكما لأنهم إذا سئلوا عن صحة ما يذهبون إليه لم يأتوا بحجة وكانهم بكم.

وقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ [سورة يونس آية: ٤٣]، وقال: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ [سورة الإسراء آية: ٧٢] ومعنى ذلك أنه إذا عمى في الدنيا عن التوبة وقد جعل الله إليها سبيلا كان في الآخرة أعمى؛ لأنه لا يجد متابا، وأضل سبيلا؛ لأنه لا يهتدي إلى طريق النجاة والفوز.

الثاني: عمى البصر؛ قال: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [سورة النور آية: ٦١، الفتح: ١٧]، وقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [سورة عبس آية: ١، ٢] يعني: عبد الله ابن أم مكتوم، وكان ضريرا؛ جاء النبي عليه السلام وهو

(١) [عمي]: العَمَى: ذَهَابُ الْبَصَرِ، عَمِيَ يَغْمَى عَمًى. وفي لغة اعماء يعمأ اعمياء، أرادوا حَذَوْ اِدْهَامَ اِدْهِيَامًا فَأَخْرَجُوهُ عَلَى لَفْظٍ صَحِيحٍ كَقَوْلِكَ اِدْهَامًا: اِعْمَاءٌ. وَرَجُلٌ اِعْمَى وَامْرَأَةٌ اِعْمَاءٌ لَا يَقَعُ عَلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ. وَغَمِيَتْ عَيْنَاهُ. وَغَمِيَانٌ اِعْمَاوَانٌ. وَغَمِيَاوَاتٌ يَعْنِي النِّسَاءَ. وَرَجُلٌ اِعْمَى. وَرَجُلٌ عَمٌّ، وَقَوْمٌ عُمُونَ مِنْ عَمَى الْقَلْبِ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يُقَالُ مَا اِعْمَاهُ، وَلَا يُقَالُ مِنْ عَمَى الْبَصَرِ، مَا اِعْمَاهُ لِأَنَّهُ نَفَتْ ظَاهِرُ تَدْرُكُهُ الْأَبْصَارُ. [العين: عمى].

يدعوا بعض أشراف قريش إلى الإسلام ؛ فتشاغل عنه ؛ فنزلت : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ [سورة عبس آية : ١] إلى قوله : ﴿ فَكَانَتْ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ [سورة عبس آية : ١٠] .

الثالث : العمى عن الحجة ؛ قال تعالى : ﴿ لَمْ حَسْرَتْنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ . [سورة طه آية : ١٢٥] جاء في التفسير أنه أراد ؛ لم حسرتني أعمى عن الحجة وقد كنت بها بصيرا في الدنيا ، ويجوز أن يكون بمعنى عمى العين على ما قدمنا قبل ؛ وهو أنه حشره أعمى ليجعله علامة بين الخلق .

العلم^(١)

هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة ، وأصله الظهور ، ومنه قيل للجبل : علم لظهوره ، وأعلام الشيء دلائله ؛ لأنها تدل بظهورها عليه ، والمعلم : الموضع المعروف . وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : على قول بعض المفسرين الرؤية ؛ قال الله : ﴿ وَلَتَبْلُوَنكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ٣١] ، ومثله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٤٢] .

جاء في التفسير أنه أراد الرؤية ؛ أي : حتى نراهم مجاهدين ؛ لأنه تعالى كان يعلم المجاهدين قبل الجهاد ، وقيل : معنى العلم هنا التمييز ، وسمى التمييز علما ؛ لأن العلم يقع معه بحال ما يتميز وما يتميز منه ، وقيل : معناه ليصبر المؤمنون على ما يصابون به ؛ فجعل العلم منه مكان الصبر منهم إذ كان الله عالما بصبرهم إذا صبروا ، وقيل : يعلمهم فاعلين كما يعلمهم معتقدين .

الثاني : العلم بعينه ؛ قال : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُغْلِبُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٧٧] ، هود : ٥ ، النحل : ٢٣ ، وقال : ﴿ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١١٠] .

(١) (ع ل م) : الْعِلْمُ الْيَقِينُ يُقَالُ عِلِمٌ يَعْلَمُ إِذَا تَبَيَّنَ وَجَاءَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا كَمَا جَاءَتْ بِمَعْنَاهُ ضَمَنٌ كُلُّ وَاحِدٍ مَعْنَى الْآخَرِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مُسَبُّوقًا بِالْجَهْلِ لِأَنَّ الْعِلْمَ وَإِنْ حَصَلَ عَنْ كَسْبٍ فَذَلِكَ الْكَسْبُ مُسَبُّوقٌ بِالْجَهْلِ .

وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ يَمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ أَيْ عِلِمُوا وَقَالَ تَعَالَى ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (أَي لَا تَعْرِفُونَهُمْ اللَّهُ يَعْرِفُهُمْ وَقَالَ زُمَيْرٌ وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي عِدِّ عَمِّي أَيْ وَأَعْرِفُ وَأُطْلِقُ الْمَعْرِفَةَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهَا أَحَدُ الْعِلْمَيْنِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا اضْطِلَاجِي لِاخْتِلَافِ تَعَلُّقِهِمَا وَهُوَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مُتَرَةً عَنْ سَابِقَةِ الْجَهْلِ وَعَنِ الْإِحْتِسَابِ لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ وَيَعْلَمُهُ صِفَةً قَدِيمَةً بِقَدَمِهِ قَائِمَةً بِذَاتِهِ فَيَسْتَجِيلُ عَلَيْهِ الْجَهْلُ وَإِذَا كَانَ عِلْمٌ بِمَعْنَى الْيَقِينِ تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ وَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى عَرَفَ تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ وَقَدْ يُضَمَّنُ مَعْنَى شَعَرَ فَتَدْخُلُ الْبَاءُ فَيَقَالُ عَلِمْتُهُ وَعَلِمْتُ بِهِ وَأَعْلَمْتُهُ الْخَبَرَ وَأَعْلَمْتُهُ بِهِ وَعَلِمْتُهُ الْفَائِضَةَ وَالصَّنْعَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ تَغْلِيظًا فَتَعْلَمُ ذَلِكَ تَعْلِيمًا . [المصباح المنير : العين مع اللام] .

الثالث : الإِذْن ؛ قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة هود آية : ١٤] أي : يا ذن الله ، وسمي الإِذْن علما ؛ لأن أصل الإِذْن العلم ، ومنه الأذنان ؛ وقد ذكرنا ذلك ، وقيل : معناه أنزله وهو عالم به .

العز

أصل العز الغلبة ، ومنه قيل : من عزيز . أي : من غلب اغتصب ، ثم استعمل في المنعة ، فقيل : فلان عزيز الجانب ؛ أي : منيعه ، وقال الهزلي :

حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى فَرَّاشِ عَزِيزَةٍ سَوْدَاءَ رَوْنَةٍ أَنْفِهَا كَالْمِخْصَفِ

ومن الغلبة ؛ قوله تعالى : ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [سورة ص آية : ٢٣] أي : غالبني ، وسمي الله عزيزاً لأنه الغالب الذي لا يقهر ، وفي مثل : إنها تعز من ترى وتعزك من لا ترى ، والعزيز أيضاً القليل ، يقال : هذا شيء عزيز ؛ أي : قليل ، وإنما سمي القليل عزيزاً ؛ لأنه لا يقدر عليه ، شبهه بالعزيز من الرجال ، ليس أن العز في العربية القلة .

وهو في القرآن على سبعة أوجه :

الأول : المنعة ؛ قال تعالى : ﴿ أَيَسْتَفُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ ﴾ [سورة النساء آية : ١٣٩] .

الثاني : العظمة ؛ قال الله : ﴿ يَعِزُّهُ فِرْعَوْنُ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٤٤] أي : بعظمته .

الثالث : خلاف الذل ؛ قال : ﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً ﴾ [سورة النمل آية : ٣٤] ، وقوله : ﴿ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ [سورة المنافقون آية : ٨] ، وقوله تعالى : ﴿ دَقُّ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [سورة الدخان آية : ٤٩] ومعنى ذلك يرجع إلى العظمة .

الرابع : الحمية ؛ قال الله : ﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾^(١) [سورة البقرة آية : ٢٠٦] أي : إذا أمرته بالتقوى أخذته الحمية من الاتسار لك فائمه ، ومثله : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ

(١) قال الشوكاني : العزة : القوة والغلبة ، من عَزَّ يعزّه : إذا غلبه ، ومنه : ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص : ٢٣] وقيل : العزة هنا : الحمية ، ومنه قول الشاعر :

أَخَذَتْهُ عِزَّةٌ مِنْ جَهْلِهِ *** فَتَوَلَّى مُغَضَّباً فَعَلَ الضَّجِيرَ

وقيل : العزة هنا : المنعة وشدة النفس . ومعنى : ﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ حملته العزة على الإثم ، من قولك أخذته بكذا : إذا حملته عليه ، والزمته إياه . وقيل : أخذته العزة بما يؤثمه ، أي : ارتكب الكفر للعزة ، ومنه : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص : ٢] وقيل : الباء في قوله : ﴿ بِالْإِثْمِ ﴾ بمعنى اللام ،

وَشَقَاقٍ ﴿ [سورة ص آية : ٢] أي : في حية يشاقونك معها ؛ أي : يباعدونك ، وقيل : المعنى أخذته العزة بالإثم الذي في قلبه ؛ فأقام الباء مقام اللام ، كما قال غيره :

حَشَرَ الْإِمَالَةَ جَوَانِبَ قَفَقَمَ

أي : من أجله ؛ فأقام حرفا مقام حرف .

الخامس : الغلظة ؛ قال الله : ﴿ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥٤] أي : غلظا .

السادس : العزيز بمعنى الشديد ؛ قال الله : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٢٨] ، وقوله : ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٠ ، فاطر : ١٧] أي : شديد يشق فعله عليه .

السابع : التقوية ؛ قال : ﴿ فَعَزَّزْنَا بِتَالِثٍ ﴾ [سورة يس آية : ١٤] أي : قويتنا ، واستعزز الشيء إذا قوي واشتد .

أي : أخذته العزة ، والحمية عن قبول الوعظ للإثم الذي في قلبه ، وهو : النفاق ، وقيل : الباء بمعنى : مع ، أي : أخذته العزة مع الإثم . [فتح القدير ١/ ٢٧٨] .

العبادة^(١)

أصل العبادة التذلل ، يقال : طريق معبد ؛ أي : موطوء مذلل ، ويعبر معبد وهو المهنوء بالقطران ، ومعناه راجع إلى الأول .

والعبادة مفارقة لدوام الطاعة ؛ لأننا نديم الطاعة للرسول وللسنا نعبده ، والعبادة غاية الخضوع ولا تستحق إلا بغاية الإنعام ، ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى ، ويقال : هؤلاء عباد الله ، ولا يقال : عباد فلان إلا في القليل .

وقد جاء في القرآن : ﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] وإنما جاء كذلك لأنه وقع مع إمائكم فازدوج ، ويقال : عبيد الله ، وعباد الله أكثر ، وقال بعضهم : العباد جمع عبيد .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : التوحيد ؛ قال الله : ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١] أي : وحدوه ، وقوله : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [سورة النساء آية : ٣٦] ، وقوله : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٦ ، نوح : ٣] كذا قيل ، ويميز أن تكون العبادة هاهنا أداء الفرائض واجتناب المحارم .

الثاني : الطاعة ؛ قال الله : ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ [سورة سبأ آية : ٤١] أي : يطيعون الشياطين ، وقال : ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [سورة يس آية : ٦٠] وهم لم يعبدوا الشيطان ، وإنما هو كما نقول : فلان يعبد فلانا إذا كان شديد الطاعة له ، وما كان أيضا قصدهم طاعته ؛ ولكن لما وافق أفعالهم رضاه سهاها طاعة له ؛ لأن الطاعة توفيق رضا المطاع .

(١) (ع ب د) : عَبَدْتُ اللَّهَ أَعْبُدُهُ عِبَادَةٌ وَهِيَ الْإِنْقِيَادُ وَالْخُضُوعُ وَالْقَاعِلُ عَابِدٌ وَالْجَمْعُ عِبَادٌ وَعَبْدَةٌ مِثْلُ كَافِرٍ وَكُفَّارٍ وَكَفَرَةٌ ثُمَّ أُسْتَعْمِلَ فِيمَنْ اتَّخَذَ إِمَامًا غَيْرَ اللَّهِ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ فَقِيلَ عَابِدُ الْوَتَنِ وَالشَّمْسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَعَبَادٌ بِلَفْظِ اسْمِ الْقَاعِلِ لِلْمُبَالَغَةِ اسْمُ رَجُلٍ وَمِنْهُ . [المصباح المنير : العين مع الباء] .

الثالث : السجود للأصنام وهي وإن سمتها العرب عبادة فليست بعبادة ، وهي على حسب ما سمت العرب ربا وإلهما وليس هو على الحقيقة ، وقال : ﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [سورة القصص آية : ٣٦] ، وقال : ﴿ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [سورة سبأ آية : ٤٠] . فإن قيل : ما معنى قوله : ﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ وليس في الآخرة كذب ، قلنا : معناه إنا لم نكن نستحق العبادة ؛ فلم تكن عبادتهم على الحقيقة عبادة لنا ، كما تقول : لصاحبك ليس هذا القول قولك ، وإن كان قاله بمعنى أنه لا يليق بك ، وبمعنى أنك دون ما يقوله أيضا ، وقوله : ﴿ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٢ ، الإسراء : ٦٥] أضافهم إلى الله ، إضافة الخصوصية ، لأن الخلق كلهم عباده .

والإضافة على خمسة أوجه :

إضافة الخصوصية ؛ وهي مثل هذا ، ومثل قوله : ﴿ وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ [سورة الجن آية : ١٨] .

وإضافة النسب ؛ وهي قولك : ابن فلان ، و بنت فلان .

وإضافة السبب ؛ وهو قوله : فلان شريك فلان وصديقه .

وإضافة التعريف ؛ وهو سرج الدابة ، ولجام الفرس ، وقميص الرجل .

وإضافة الملك ؛ مثل : دار زيد ، وصنعة عمرو .

العدوان

قد ذكر أصل هذا الحرف ، وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى العذاب ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾^(١) [سورة البقرة آية : ١٩٣] أي : من انتهى منهم عن الكفر فلا عذاب عليه ؛ وإنما هو على من ظلم نفسه بإقامته على الكفر ، وسمي العذاب عدواناً لأنه مقابلة بالعدوان ، كما قال الشاعر :

جَزَيْتَا ذَوِي الْعُدْوَانِ بِالْأَمْسِ مِثْلَهُ قَصَاصًا سِوَاءَ جَزَاكَ النَّعْلُ بِالنَّعْلِ

ويجوز أن يكون سمي عذاب الآخرة عدواناً لمجاورته حد العذاب المعهود .

الثاني : الظلم ؛ قال الله : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢] ، وقال : ﴿ تَنَظَّاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٨٥] .

والإثم في هذه المواضع يجوز أن يكون مثل العدوان مثل الإثم وإنما ذكر للتوكيد ، كما تقول : الغشم والظلم هذا قول .

وقول آخر : وهو أن الإثم يقتضي أنه يتبع عليه ، وأصله في العربية التقصير . والعدوان يقتضي مجاوزة الحد ؛ فعطف أحدهما على الآخر مخالفة ما يقتضيه كل واحد منهما ولو كانا في المعنى سواء لم يجز عطف أحدهما على الآخر ، كما لا يجوز عطف زيد على أبي عبد الله إذا كان هو هو .

(١) قال الرازي : أما قوله تعالى : ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ففيه وجهان الأول : فإن انتهوا فلا عدوان ، أي فلا قتل إلا على الذين لا يتهنون على الكفر فإنهم بإصرارهم على كفرهم ظالمون لأنفسهم على ما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

فإن قيل : لم سمي ذلك القتل عدواناً مع أنه في نفسه حق وصواب ؟

قلنا : لأن ذلك القتل جزاء العدوان فصح إطلاق اسم العدوان عليه كقوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٤] ﴿ وَكَذَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٥٤] ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة : ٧١] والثاني : إن تعرضتم لهم بعد انتهائهم عن الشرك والقتال كنتم أنتم ظالمين فنسلط عليكم من يعتدي عليكم . [مفاتيح الغيب : ١٤٩/٣] .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ أَيَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾
 [سورة القصص آية : ٢٨] أي : لا اعتلال ولا حجة علي ، ويجوز أن يكون بمعنى إلي إذا
 قضيت ذلك لا أظلم فأكلف غيره .

العفو

أصله الترك ، وعفا المنزل ؛ ترك حتى درس ، وقوله : ﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ؛ أي : ترك له الدم وصولح على الدية من أخيه ؛ يعني : من ولي الدم ولم يريد القاتل ، وشيء يعني : به الدم ؛ فعبر بشيء وهو نكرة عن كل معرفة ؛ والعرب تكنى بشيء عن كل معرفة لأنها على كل حال شيء ، وأنشد :

لَعَمْرِكَ لَوْ شِئْنَا أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَذْفَعَا

والاتباع : المطالبة بما صولح عليه القاتل من الدية ؛ أي : فليطالب ولي المقتول بذلك في رفق ؛ : ﴿ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] أي : وليود الجاني ما يود به من الدية أداء حسناً من غير مظل ولا تأخير ، : ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] يعني : إجازته أخذ الدية وترك الدم ؛ فمن رضى بالدية ثم قتل فله عذاب أليم .

وقد أجمع المسلمون أن الدية إذا وجبت على قاتل العمد كانت من ماله دون مال العاقلة ، وكانت حالة لا يجوز تأخيرها ، وأن دية الخطأ على العاقلة ويلزمهم أداؤها في ثلاث سنين ؛ في كل سنة ثلث وعفا الله عنك ترك معاقبتك ، واستعمال الترك في الله مجاز .

والعفا : التراب ؛ لأنه متروك لوجوده بكل مكان ليس هو مما يؤخذ ويدخر ، ثم اشتق منه الكثرة ، فقليل : عفا الشيء ؛ إذا كثر كأنه صار كالتراب بكثرة ، ثم اشتق منه الكثرة حتى عفوا ، وعفاه يعفو إذا قصده وسأله ، ويجوز أن يكون معناه أنه أتاه تاركاً لغيره .

والعفو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الفضل من المال ؛ قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٩] يعني : الفضل واليسر ، وذلك أنهم حضوا على الإنفاق في قوله : ﴿ أَنْفِقُوا

(١) [عفو] : العفو : تركك إنساناً استوجب عقوبة فعفوت عنه تعفو ، والله العفو الغفور . والعفو : أحل المال وأطيبه . والعفو : المعروف . والعفاة : طلاب المعروف ، وهم المعتفون . واعتصت فلاناً : طلبت معروفه .

والعافية من الدواب والطير : طلاب الرزق ، اسم لهم جامع . [العين : عفر] .

مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ ﴿ [سورة البقرة آية : ٢٦٧] ، وقوله : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فسألوا عن القدر الذي تنفقون ، فقال : ما يفضل عنكم ويسهل عليكم إنفاقه تنفقونه ؛ وهو قليل لتألوا به الكثير من الثواب .

الثاني : الترك ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ أَوْ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٨] . أي إلا أن يتركز لكم ما يجد لمن من وصف الصداق أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح يعني : الزوج ، وعفوه أن يعطي المهر كاملا وليس هو الولي ؛ لأنه ليس للولي أن يترك من مهر المرأة شيئا ، ومثله قوله : ﴿ قَاتَبَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٧] ، وقوله : ﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] .

الثالث : العفو عن الذنب ؛ قال الله : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ هُمْ ﴾ [سورة التوبة آية : ٤٣] وفي هذا دليل على أن الأنبياء يننبون ؛ لأنه إذا لم يكن ذنب لم يكن عفو ولكن ذنوبهم صفائح .

العدل^(١)

أصل العدل ؛ الاستقامة ، عدل الرجل إذا استقام حكمه ولم يميل ، وقيل : العدلان لأن كل واحد منهما يستقيم بالآخر ، والعدل المثل ؛ كان المثلين يستقيمان في الشبه أو الصفة ، والعدل لا يستعمل إلا في المدح ؛ لأن رجلا لو سوى بين رجلين في الظلم ، لم يقال : أنه عدل أو هو عادل ، وإذا قسم رئيس القوم السركة بينهم بالتسوية لم يقل أنه عدل ؛ وسمي الله عدلا من أجل أن أفعاله تقع على طريقة مستقيمة ، والعدل : الفدية يرجع إلى هذا .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : المثل ؛ قال الله : ﴿ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ [سورة المائدة آية : ٩٥] أي : مثله ، قالوا : والعدل أيضا المثل ، ويجوز أن يكون سمي العدلان عدلين ؛ لأنها مثلان ، والعدل والعدل : المثل من الجنس ، ومن غير الجنس ، كما أن المثل هو من الجنس وغير الجنس وليس العديل مثل ذلك ؛ لأن العدل أعم من العديل ، وما كان أعم فإنه أخص بالكرة فهو للجنس وغير الجنس ، تقول : عمرو عدل زيد وعديله ، وعمرو عدل الأسد ، ولا يقال : عديل الأسد .

الثاني : الفدية ؛ قال الله : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٨] أي : فدية ؛ وهو ما يكون بدل الشيء .

الثالث : خلاف الجور ؛ قال الله : ﴿ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [سورة النحل آية : ٩٠] والإحسان داخل في العدل ، والعدل داخل في الإحسان ، ومع هذا فإن

(١) (ع د ل) : الْعَدْلُ الْقَضْيُ فِي الْأُمُورِ وَهُوَ خِلَافُ الْجَوْرِ يُقَالُ عَدَلَ فِي أَمْرِهِ عَدْلًا مِنْ بَابِ حَرَبَ وَعَدَلَ عَلَى الْقَوْمِ عَدْلًا أَيْضًا وَمَعْدِلُهُ يَكْسِرُ الدَّالَّ وَفَتْحُهَا وَعَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ عُدُولًا مَالٌ عَنْهُ وَانْصَرَفَ وَعَدَلَ عَدْلًا مِنْ بَابِ تَعَبَ جَارَ وَظَلَمَ وَعَدَلَ الشَّيْءُ بِالْكَسْرِ مِثْلُهُ مِنْ جَنْبِهِ أَوْ مِقْدَارِهِ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ وَالْعَدْلُ الَّذِي يُعَاوَلُ فِي الْوَزْنِ وَالْقَدْرِ وَعَدْلُهُ بِالْفَتْحِ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ غَيْرِ جَنْبِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ وَهُوَ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ يُقَالُ عَدَلْتُ هَذَا يَهَذَا عَدْلًا مِنْ بَابِ حَرَبَ إِذَا جَعَلْتَهُ مِثْلَهُ قَائِمًا مَقَامَهُ قَالَ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ الْإِنِّينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَغْدِلُونَ ﴾ (وَهُوَ أَيْضًا الْفِدْيَةُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ تَغْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ لَا يُغْبَلُ مِنْهُ حَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ﴾ وَالتَّعَادُلُ التَّسَاوِي وَعَدْلَتُهُ تَغْدِيلًا فَاعْتَدَلَ سَوْنُهُ فَاسْتَوَى وَمِنْهُ . [المصباح المنير : العين مع الدال] .

الفرق بينهما معروف ، وقد يعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف للآخر ، فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ ، لا تقول : جاءني زيد وأبو عبد الله إذا كان زيد هو أبا عبد الله ، ولكن مثل قوله :

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَسَبٍ

لأن المال إذا لم يفيد فإنما يعني : به الماشية أو الصامت والنسب : ما نشب من العقارات ، وكذلك قول الخطيئة :

وَهَذَا أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّائِي وَالْبُعْدُ

فالنأي يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ ، وأدنى ذلك يقال له نائي ، والبعد تحقيق الخروج والذهاب إلى الموضع السحيق ، والتقدير : إني من دونها النائي الذي هو أول البعد ، والبعد الذي هو الغاية .

العهد^(١)

العهد : وجدانك الشيء ، ومنه قيل : عهده عهدا ، والعهد : اليمين ، ومنه : عليه عهد الله ، والعهد الوصية ، من قولهم : عهد إليه ، والعهد المطر ، والعهد : الأمر والوصية في قوله تعالى : ﴿ عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا تُوْثِقَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨٣] ومنه سمي عهد الأمير ؛ لأنه يؤمر فيه بما يعمل به ، والعهد : الضمان الذي يوجبه الضامن على نفسه ، والعهد : المودة ، وقيل : ليس لفلان عهد ؛ أي : مودة ، ويجوز أن يكون العهد هاهنا الحفاظ ، والعهد المنزل ، قال الراجز :

هَلْ يُعْرِفُ الْعَهْدُ الْمُحِيلَ أَرْسَمَهُ

والعهد : الكتاب يكتب بين قوم ، وتعهدت صنعتي : تفقدتها ، والعهد : الحفاظ في قوله صلى الله عليه وسلم : " حسن العهد من الإيمان وأصل الكلمة من الثبات " . وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الأمان ؛ قال الله : ﴿ فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ [سورة التوبة آية : ٤] وذلك أن الله تعالى أمره بنذ العهد إلى من عرف منه العذر ، في قوله : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٥٨] ويجوز أن يقال : أنه كان شارطهم أن يقرهم ما أقرهم الله ؛ فلما أمره بقطع العهد قطعه ثم استثنى قوما ثبتوا على العهد ، فقال :

(١) (ع هـ د) : (الْعَهْدُ) الْوَصِيَّةُ يُقَالُ عَهْدَ إِلَيْهِ إِذَا أَوْصَاهُ وَفِي حَدِيثِ سُؤْدَبِ بْنِ غَفَلَةَ عَهْدِي أَنْ لَا أَخُذَ مِنْ رَاضِعٍ شَيْئًا أَوْ فِيمَا كُتِبَ مِنَ الْعَهْدِ وَالْوَصِيَّةِ فَاخْتَصَرَ بِجَزَاءٍ (وَالْعَهْدُ) الْعَقْدُ وَالْمِيثَاقُ (وَمِنْهُ) ذُو الْعَهْدِ لِلْحَزِينِ يَدْخُلُ بِأَمَانٍ وَعَهْدُهُ بِمَكَانٍ كَذَا لَقِيَهُ وَيُقَالُ مَتَىٰ عَهْدُكَ بِفُلَانٍ أَوْ مَتَىٰ عَهْدُهُ (وَمِنْهُ) مَتَىٰ عَهْدُكَ بِأَخِي أَنِّي بِلَيْسِي يَغْنِي مَتَىٰ لَيْسَتْ (وَتَعَهَّدَ الضَّبَّةُ) وَتَعَاهَدَهَا أَنَّمَا وَأَصْلَحَهَا وَحَقِيقَتُهُ جَدَّدَ الْعَهْدَ بِهَا وَقَوَّاهُمْ عَهْدُهُ عَلَىٰ فُلَانٍ فَعَلَهُ بِمَعْنَىٰ مَفْعُولٍ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَاهُ مَا أَذْرَكَ فِيهِ مِنْ ذَرِكٍ فَإِصْلَاحُهُ عَلَيْهِ هَكَذَا عَنْ الْعُورِيِّ وَمِثْلَهُ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ بَرَنْتُ إِلَيْكَ مِنْ عَهْدِهِ هَذَا الْعَبْدُ أَيْ بِمَا أَذْرَكَتُ فِيهِ مِنْ عَيْبٍ كَانَ مَعْهُودًا عِنْدِي وَعَنْ الطَّحَاوِيِّ أَتَمَّتْ مِنَ الْعَهْدِ بِمَعْنَى الْعَقْدِ وَالْوَصِيَّةِ . [المغرب : العين مع الهاء] .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ج ١ / ١٥ ، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٧١) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣) ، وابن الأعرابي في معجمه (٧٧٤) .

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة آية : ٤] إلى أن قال : ﴿فَأَقِمْوْا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ .

قال ابن عباس : هم بنوا ضمرة من كنانة ، والمدة تسعة أشهر ، وكان أمر عليا ؛ فنأدى من كان بينه وبين رسول الله عهد فأحله إلى أربعة أشهر ، فقبل : العهد مرفوع للأمان من القتال على غرة ؛ فإذا أعلمهم رفعة فهو جائز ، وسواء خاف غدرهم ولم يخف ، وليس ذلك غدرا ، وإنما الغدر أن يأتيهم بعد الأمان وهم غازون ؛ ولذلك قال الكوفيون : يجوز للإمام أن يبادن العدو إذا لم يكن بالمسلمين قوة على قتالهم ؛ فإن قووا بعد ذلك كان لهم أن ينبذ إليهم ويقاتلهم .

الثاني : اليمين ؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [سورة النحل آية : ٩١] ، والشاهد قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْضُوا الْآيَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [سورة النحل آية : ٩١] .

الثالث : الأمانة والنبوة ؛ قال الله : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢٤] .

الرابع : الوصية ؛ قال الله : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة يس آية : ٦٠] ، وقوله : ﴿عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا تُؤْمِنُوا لِرَسُولٍ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨٣] وقد تقدم .

الخامس : الضمان ؛ قال الله : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٠] أي : أوفوا بما ضمتكم لي من الإيثار ، أوف لكم بما ضمنت لكم من الثواب .

العرض

أصله الظهور ، ومنه عرضت عليه الشيء ؛ إذا أظهرته له ، والمعرض ما تعرض فيه الجارية ؛ أي : تظهر ، ولفلان عارضة جيدة ، والعارضة : العطية ترجع إلى ذلك ، وأعرض الرجل عن الرجل : ولاء عرضه ؛ أي : جانبه وأعرض له أمكنة من عرضه ، والعرض خلاف الطول ، وإذا استعمل العرض فيما لا يكون عريضا على الحقيقة ؛ فإنما يراد به التمام ، مثل قول الشاعر :

فِي الْمَجْدِ صَارَ إِلَيْكَ الْعَرَضُ وَالطُّوْلُ

أي صار إليك المجد بتمامه ، وقوله : ﴿ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾^(١) [سورة فصلت آية : ٥١] أي : تام ، والعرض : ما يظهر من منافع الدنيا ، والعرض ما يحل في الجسم ولا يقوم بنفسه وليس له بقاء الجواهر .

واشتق له هذا الاسم من عارض السحاب وهو جسم ؛ فسموا به ما ليس بجسم لما اجتماعا في قلة اللبث ، ومثال هذه التسمية تسمية الملك ملكا ، وإن لم يكن رسولا على أن أصل هذا الاسم من الألوكة ؛ وهي الرسالة ، ولو كان العرض عرضا لأنه ليس بجسم ولا جوهر لكان الله عرضا ؛ لأنه ليس بجسم ولا جوهر ، وقولهم : عرض في كلامه ، معناه أنه ذهب فيه عرضا ولم يستقم فيه ، والتعريض : هو ترك الإفصاح ، يقال : عرض في الجبل إذا أخذ يميننا وشمالا ولم يستقم في مصعده .

والعرض في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الكثرة ؛ قال تعالى : ﴿ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ [سورة فصلت آية : ٥١] أي : كثيرة ، ولم يقل : طويل ؛ لأن العرض أدل على الطول والتمام .

(١) قال الشوكاني : ﴿ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ أي : كثير ، والعرب تستعمل الطول ، والعرض في الكثرة مجازاً ، يقال : أطال فلان في الكلام ، وأعرض في الدعاء ؛ إذا أكثر ، والمعنى : أنه إذا مه الشتر تفتتح إلى الله ، واستغاث به أن يكشف عنه ما نزل به ، واستكثر من ذلك ، فذكره في الشدة ، ونسبه في الرخاء ، واستغاث به عند نزول النعمة ، وتركه عند حصول النعمة ، وهذا صنيع الكافرين ، ومن كان غير ثابت القدم من المسلمين [فتح القدير ٦/ ٣٦٤] .

الثاني : التهيئة ؛ قال : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ [سورة الكهف آية : ١٠٠] أي : فهيأتناها لهم ، ويجوز أن يكون المراد إنا أظهرناها لهم .

الثالث : بمعنى الجمع ؛ قال الله : ﴿ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٤٨] أي : جمعوا للحساب بحيث أمر الله ، وقيل : معناه أنهم ظاهرون لله يرى أحدهم كما يرى جماعتهم .

وأصل العرض الظهور على ما ذكرنا ، وليس المعنى أنهم كانوا مستورين عن الله فظهروا له ، ولكن المعنى أنهم ظهروا من قبورهم لأمر الله ؛ فعبر عن هذا المعنى بلفظ العرض عليه لما في ذلك من التضمين لشأن الحساب والوقوف في موافقه ؛ وهو من قول الناس : عرض فلان على الأمير .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٧٢] وهو لفظ مجاز والكلام فيه كثير ، وتلخيص معناه عندي ؛ إنا لو جعلنا هذه الأشياء بمتزلة من تكلف ، ثم كلفناها لإطاعتنا وكلفنا الإنسان فصانا .

والأمانة هاهنا الطاعة ، والإنسان العاصي من الناس خاصة ، وقال الحسن : يعني : أن الكافر والمنافق حملا للأمانة فخاننا ، وتصديق ذلك قوله : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٧٣] .

الخامس : السعة ؛ قال : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الحديد آية : ٢١] أي : سعتها كسعتها .

العين

أصلها عين الحيوان ، ثم كثر الاستعمال بها حتى تصرفت على خمسين وجهاً أفردتها في كتاب .

وهي في القرآن على وجهين :

الأول : عين الإنسان ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٥] ، وذكر تعالى أنه حكم بهذا الحكم على من قبلنا ، وشرائع من قبل ثابتة علينا إلى أن يرد

(١) قال ابن فارس : العين والياء والنون أصل واحد صحيح يدل على غُضِيٍّ به يُنْصَرُ وَيُنْظَرُ، ثم يشتق منه، والأصل في جميعه ما ذكرنا.

قال الخليل: العين الناظرة لكل ذي بصر. والعين تجمع على أعين وعيون وأعيان. قال الشاعر:

فقد أروغ قلوب الغنات به *** حتى يملن بأجساد وأعيان

وقال:

• فقد قرأ أحياناً الشوايت أثم •

وربما جمعوا أعياناً على أعيان. قال:

• بأعيان لم يخالطها قذى •

وعَيْنُ الْقَلْبِ مَثَلٌ عَلَى مَعْنَى التَّشْبِيهِ. وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي الْعَيْنِ، قَوْلُهُمْ: "وَلَا أَفْعَلُهُ مَا حَمَلَتْ عَيْنِي الْمَاءَ"، أَيْ لَا أَفْعَلُهُ أَبَدًا. وَيَقُولُونَ: "عَيْنٌ بِهَا كُلُّ دَاءٍ" لِلكَثِيرِ الْعُيُوبِ. وَيَقَالُ: رَجُلٌ شَدِيدُ جَفْنِ الْعَيْنِ، إِذَا كَانَ صَبُورًا عَلَى السَّهَرِ. وَيَقَالُ: عِنْتُ الرَّجُلِ، إِذَا أَصَبَتْ بَعِيْنَكَ، فَأَنَا أَعِيْنُهُ عَيْنًا، وَهُوَ مُعِينُونَ. قَالَ:

قد كان قومك يحسبونك [سيداً] *** وإخال أنك [سيدٌ] معيون

ورجل عَيُونٌ ومعيانٌ: حيث العين. والعائن: الذي يعين، ورأيت الشيء عِيَانًا، أَيْ مَعَانِيَةً. وَيَقُولُونَ: لَقِيْتُهُ عَيْنَ غَنَةٍ، أَيْ عِيَانًا. وَصَنَعْتَ ذَلِكَ عَيْنِي، إِذَا تَعَمَّدْتَهُ. وَالْأَصْلُ فِيهِ الْعَيْنُ النَّازِرَةُ، أَيْ إِنَّهُ صَنَعَ ذَلِكَ بِعَيْنِ كُلِّ مَنْ رَأَاهُ. وَهُوَ عَبْدُ عَيْنٍ، أَيْ يُخَدِّمُ مَا دَامَ مَوْلَاهُ يَرَاهُ. وَيَقَالُ لِلأَمْرِ يَضِيحُ: "بَيَّنَّ الصُّبْحُ لَذِي عَيْنِي".

ومن الباب العين: الذي تبعته يتجسس الخبر، كأنه شيء تَرَى به ما يَغِيبُ عَنْكَ. وَيَقَالُ: رَأَيْتُهُمْ أَدْنَى عَائِنَةٍ، أَيْ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، يَرِيدُ -وَاللهُ أَعْلَمُ- قَبْلَ كُلِّ نَفْسٍ نَازِرَةً. وَيَقَالُ: ادْقَبْ فَاعْتَنَ لَنَا، أَيْ انْظُرْ. وَيَقَالُ: مَا بِهَا عَيْنٌ، مَتَحَرَّكَ الْيَاءُ، تَرِيدُ أَحَدًا لَهُ عَيْنٌ، فَحَرَّكَتِ الْيَاءَ فِرْقًا. قَالَ:

• وَلَا عَيْنًا إِلَّا نَعَامًا مُشْتَرَا •

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: اعْتَانَ لَنَا مَتْرَلًا، أَيْ ارْتَادَهُ، فَلَيْتَهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْمَنَازِلِ بَعِيْنَهُ ثُمَّ اخْتَارَ.

ومن الباب العين الجارية التابعة من عيون الماء، وإِنَّمَا سُمِّيَتْ عَيْنًا تَشْبِيْهُاً لَهَا بِالْعَيْنِ النَّازِرَةِ لَصِفَاتِهَا وَمَاهِئَاتِهَا. وَيَقَالُ: قَدْ عَانَتْ الصَّخْرَةُ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ بِهَا صَدْعٌ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ. وَيَقَالُ: حَفَرَ فَاغَيْنَ وَأَعَانَ.

ومن الباب العين: السحاب ما جاء من ناحية القبلة، وهذا مشبّه بمشبه، لِأَنَّهُ شُبِّهَ بِعَيْنِ الْمَاءِ الَّتِي شُبِّهَتْ بِعَيْنِ الْإِنْسَانِ. يَقُولُونَ: إِذَا نَشَأَ السَّحَابُ مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ فَلَا يَكَادُ يُخْلَفُ.

نسخها ؛ والشاهد قوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٥] فدل على ثبوت الحكم في وقت نزول هذه الآية من وجهين :

أحدهما : أنه ثبت أن ذلك مما أنزل الله ولم يفرق بين نبي من الأزمان .

والثاني : أنه معلوم أنهم استحقوا سمة الظلم والفسوق عند نزول هذه الآية بتركهم الحكم بها ، وقوله : ﴿ الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ ﴾ عند أصحابنا معناه ؛ أن العين إذا ضربت فذهب ضوئها .

قال ابن الأعرابي: يقال هذا مطر العين، ولا يقال مطرنا بالعين. وعين الشمس شبه بعين الإنسان. قال الخليل: عين الشمس: صَيَغَتْهَا لِلتَّيْمِيرِ .

ومن الباب ماء عائن، أي سائل. ومن الباب عَيْنُ السَّقَاءِ. قال الخليل: يقال للسَّقَاءِ إذا بَلَى ورقاً موضع منه: قد تعَيَّنَ. وهذا أيضاً من العين، لأنه إذا رَقَّ قَرَّبَ من التَّخْرُوقِ فصار السَّقَاءُ كأنه يُنْتَظَرُ به. وأنشد ثعلب:

قالت سُلَيْمَى قَوْلَهُ لِرَبِيدِهَا *** ما لابني عَمِّي صادراً من شِيدِهَا

بذات كوثٍ عَيْنُهَا في جِيدِهَا

أراد قرينة قد تعَيَّنَتْ في جِيدِهَا. ويقال سَقَاءٌ عَيْنٌ، إذا كانت فيه كَالْعَيْنِ، وهو الذي قد ذكرناه. وأنشد:

• ما بَالُ عَيْنِي كَالشَّيْبِ الْعَيْنِ •

وقالوا في قول الطِّرِمَاح:

فَأَخْضَلَ مِنْهَا كُلَّ بَالٍ وَعَيْنٍ *** وَجَفَّ الرُّوَايَا بِالْمَلَأِ الْمُبَاطِنِ

إنَّ العينَ الجَدِيدَ بلغة طيِّ. وهذا عندنا مما لا معنى له، وإنما العينُ الذي به عُيُونٌ، وهي التي ذكرناها من عيون السَّقَاءِ. وإنما غَلِطَ القَوْمُ لأنَّهم رأوا بَالِيًا وَعَيْنًا، فذهبوا إلى أنَّ الشاعر أراد كُلَّ جَدِيدٍ وبال. وهذا خطأ، لأنَّ البالي الذي بَلَى، والعينُ: الذي يكون به عُيُونٌ. وقد تكون القرينةُ الجَدِيدُ ذاتُ عُيُونٍ لِعَبٍّ في الجِلْدِ. والدَّلِيلُ على ما قلناه قولُ القطامي:

وَلَكِنْ الْأَدِيمُ إِذَا تَفَرَّى *** بِلَى وَتَعَيْنًا غَلَبَ الصَّنَاعَا

ومن باقي كلامهم في العينِ العينُ: البَقَرُ، وتوصف البقرةُ بِسَعَةِ العينِ فيقال: بقرة عينا. والرَّجُلُ أعين. قال الخليل: ولا يقال ثورٌ أعين. وقال غيره: يقال ثورٌ أعين. قال ذو الرَّمَّة:

رَفِيقُ أَغْنَى ذِيَالٍ تَشْبَهُهُ *** فَعَلَّ الْمِجَانِي تَحَى غَيْرَ خُلُوجِ

قال الخليل: الأعينُ: اسمُ الثور، [ويقال] مُعَيْنٌ أيضاً. قال:

ومعِيناً يَجْوِي الصَّوَارَ كَأَنَّهُ *** مَنخَمَطٌ قَطِمْ إِذَا مَا بَرَزَا

معجم مقاييس اللغة مادة (ع ي ن)

وقال القاضي أبو يعلى : وقوله : العين بالعين ، ليس المراد قلع العين بالعين ، لتَعَدَّرَ استيفاء المائلة ، لأننا لا نقف على الحد الذي يجب قلعه ، وإنما يجب فيها ذهب ضوؤها وهي قائمة ، وصفة ذلك أن تُشَدَّ عين القالع ، وتُحْمَى مرآة ، فتُضَمُّ من العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها . [زاد المسير : ٢/ ٢١٦] .

والقصاص في ذلك أن تحمي مرآة وتدني إلى العين التي فيها القصاص حتى ينحجب ضوءها ، وليس هو أن تقلع العين ، وليس في قلع العين عندهم قصاص ؛ لأن استيفاء القصاص في ذلك غير ممكن ؛ إذ لا يوقف على الحد الذي يجب أن يقلع منه ، وكذلك كل ما لا يوقف على ذلك منه .

الثاني : العين بمعنى الحفظ ؛ وهو قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [سورة طه آية : ٣٩] أي : لتربي وأنا حافظ لك ، وذلك أن من له بالشئ عناية تجعله نصب عينه ناظرا إليه ؛ فاستعير ذلك في شدة الحفظ لما فيه من الدلالة على صدق العناية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [سورة القمر آية : ١٤] أي : تجري من أمنا وحفظ ، ومنه قول امرئ القيس :

وَيَأْتِ بِعَيْنِي قَائِلًا غَيْرَ مُرْسَلٍ

الباب التاسع عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله غين

الغني^(١)

أصله الفساد ، يقال : غوى الرجل ؛ إذا فسد طريقته في الدين ، ورجل غاوى وغوى ؛ إذا فسد عيشه وأمره أيضا ، وغوى الفصيل إذا بشم من كثرة شرب اللبن ، وقيل أيضا ذلك له إذا لم يزو من لبن أمه فمات هزلا ، فقيل في الرجل غوى وفي الفصيل غوى والأصل واحد .
وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

(١) الفرق بين الغني والضلال : أن أصل الغني الفساد ومنه يقال غوى الفصيل إذا بشم من كثرة شرب اللبن وإذا لم يزو من لبن أمه فمات هزلا .
فالكلمة من الاضداد ، وأصل الضلال الهلاك ومنه قولهم ضللت الناقة إذا هلكت بضياعها وفي القرآن " أعدا ضللنا في الأرض " أي : هلكنا بتقطع أوصالنا فالذي يوجه أصل الكلمتين أن يكون الضلال عن الدين أبلغ من الغني فيه ويستعمل الضلال أيضا في الطريق كما يستعمل في الدين فيقال ضل عن الطريق إذا فارقته ولا يستعمل الغني إلا في الدين خاصة فهذا فرق آخر وربما استعمل الغني في الحية يقال غوى الرجل إذا خاب في مطلبه وأنشد قول الشاعر :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره *** ومن يغو لا يعدم على الغي لائنا

وقيل أيضا : معنى البيت أن من يفعل الخير يحمد ومن يفعل الشر يذم فجعل من المعنى الاول ويقال أيضا ضل عن الثواب ومنه قوله تعالى " كذلك يضل الله الكافرين " والضلال بمعنى الضياع يقال هو ضال في قومه أي ضائع ومنه قوله تعالى " ووجدك ضالا فهدى " أي ضائعا في قومك لا يعرفون منزلتك ويميز أن يكون ضالا أي في قوم ضالين لأن من أقام في قوم نسب إليهم كما قيل خالد الحذاء لتزوله بين الحذائين وأبو عثمان المازني لاقامته في بني مازن لم يكن منهم ، وقال أبو علي رحمه الله : " ووجد ضالا فهدى " أي وجدك ذاهبا إلى النبوة فهي ضالة عنك كما قال تعالى " أن تضل إحداهما " وإنما الشهادة هي الضلالة عنها وهذا من المقلوب المستفيض في كلامهم ويكون الضلال الإبطال ومنه " أهل أعمالهم " أي أبطلها ، ومنه " ألم يجعل كيدهم في تضليل " ويقال ضلني فلان أي سباني ضالا ، والضلال يتصرف في وجوه لا يتصرف الغني فيها .
والفرق بين الغني والفساد : أن كل غي قبيح ويموز أن يكون فساد ليس بفيح كفساد التفاحة بتعنيها ويذهب بذلك إلى أنها تغيرت عن الحال التي كانت عليها ، وإذا قلنا فلان فاسد إقتضى ذلك أنه فاجر وإذا قلت غاوى إقتضى فساد المذهب والاعتقاد . [الفروق اللغوية : ١/ ٣٩٣] .

الأول : فساد العيش ؛ قال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [سورة طه آية : ١٢١] أي : فسد عيشه في الجنة ، أخبرنا بذلك أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله ، عن أبي عمر الزاهد ، عن ثعلب ، وأصل الغي الفساد على ما ذكرنا ؛ فإن قيل : أنتم تزعمون أن صاحب الصغيرة لا يقال أنه عاص قولا مطلقا ، وقد قال الله ذلك لأدم ، وكذلك وصفه إياه بأنه غوى ، قلنا : إنما قال ذلك مضمنا بالقصة التي عصي فيها ، فكان ذلك كالتقييد ؛ فكأنه قال : أنه عصي في كذا وأخرى ؛ فإن السيد يطلق في عبده إذا عصاه ما لا يجوز أن يطلقه فيه غيره .

الثاني : فساد الطريقة في الدين ؛ قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٢] .

الثالث : العذاب ؛ قال : ﴿ فَسَوْفَ يُلْقَوْنَ غِيَا ﴾ [سورة مريم آية : ٥٩] أي : عذابا ؛ وإنما سمي العذاب غيا لأنه مجادلة على الغي ، وقيل : غي واد في جهنم .

الغيب

أصل الغيب السر ، وغيب الشيء في التراب ؛ إذا سترته فيه ، والغيب : ما استتر عنك ، وأصله ما سترك من قولك : نحن في غيب هذا الوادي ؛ أي : حيث يستتر به ، وكل ما ستر شيئاً فهو غيابة ، ومنه غيابة الجلب .

والغيب في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الخلو ؛ قال الله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾^(١) [سورة البقرة آية : ٣] يعني : أنهم يخلصون العمل في خلواتهم خلاف المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، وقيل :

(١) قال الرازي : في قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ قولان : الأول : وهو اختيار أبي مسلم الأصفهاني أن قوله : ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ صفة للمؤمنين معناه أنهم يؤمنون بالله حال الغيب كما يؤمنون به حال الحضور ، لا كالمنافقين الذين آمنوا قائلوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزون . ونظيره قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [يوسف : ٥٢] ويقول الرجل لغيره : نعم الصديق لك فلان يظهر الغيب ، وكل ذلك مدح للمؤمنين بكون ظاهريهم موافقاً لباطنهم ومبايئتهم لحال المنافقين الذين يقولون بلغواهم ما ليس في قلوبهم والثاني : وهو قول جمهور المفسرين أن الغيب هو الذي يكون غائباً عن الحاسة ثم هذا الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل ، وإلى ما ليس عليه دليل . فالمراد من هذه الآية مدح المتقين بأنهم يؤمنون بالغيب الذي دل عليه دليل بأن يتذكروا ويستدلوا فيؤمنوا به ، وعلى هذا يدخل فيه العلم بالله تعالى وصفاته والعلم بالآخرة والعلم بالنبوة والعلم بالأحكام وبالشرائع فإن في تحصيل هذه العلوم بالاستدلال مشقة فيصلح أن يكون سبباً لاستحقاق الثناء العظيم . واحتج أبو مسلم على قوله بأمور : الأول : أن قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ وبالأخرة هُمْ يُوقِنُونَ ﴿ [البقرة : ٤] إيمان بالأشياء الغائبة فلو كان المراد من قوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ هو الإيمان بالأشياء الغائبة لكان المعطوف نفس المعطوف عليه ، وأنه غير جائز : الثاني : لو حملناه على الإيمان بالغيب يلزم إطلاق القول بأن الإنسان يعلم الغيب ، وهو خلاف قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ٥٩] أما لو فرسنا الآية بما قلنا لا يلزم هذا المحذور الثالث : لفظ الغيب إنما يجوز إطلاقه على من يجوز عليه الحضور ، فعلى هذا لا يجوز إطلاق لفظ الغيب على ذات الله تعالى وصفاته ، فقوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ لو كان المراد منه الإيمان بالغيب لما دخل فيه الإيمان بذات الله تعالى وصفاته ، ولا يبقى فيه إلا الإيمان بالآخرة ، وذلك غير جائز لأن الركن العظيم في الإيمان هو الإيمان بذات الله وصفاته ، فكيف يجوز حمل اللفظ على معنى يقتضي خروج الأصل أما لو حملناه على التفسير الذي اخترناه لم يلزمنا هذا المحذور . والجواب عن الأول : أن قوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ يتناول الإيمان بالغائبات على الإجمال ثم بعد ذلك قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يتناول الإيمان ببعض الغائبات فكان هذا من

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله غين
هو البعث ، والأول أجود عندي ؛ لأن البعث ليس يعيب مع شهرة أمره ومع ما يدل عليه من
العقل والسمع .

الثاني : ما غاب عن الأبصار ؛ قال تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي : ما غاب وما
حضر .

الثالث : الوحي ؛ قال الله : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [سورة التكويد آية : ٢٤]
أي : ما هو على الوحي بمتهم ، والظنين المظنون ، وظننت في هذا يتعدى إلى مفعول واحد ،
ظننته أي : أتهمته .

باب عطف التفصيل على الجملة ، وهو جائز كما في قوله : ﴿وملائكته ورُسُلِهِ وَجِزِيلٌ وَمِيكَالُ﴾ [البقرة :
٩٨] وعن الثاني : أنه لا نزاع في أنا نؤمن بالأشياء الغائبة عنا ، فكان ذلك التخصيص لازماً على الوجهين
جميعاً . فإن قيل أفتقولون : العبد يعلم الغيب أم لا ؟ قلنا قد بينا أن الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل وإلى ما لا
دليل عليه أما الذي لا دليل عليه فهو سبحانه وتعالى العالم به لا غيره ، وأما الذي عليه دليل فلا يمتنع أن
تقول : نعلم من الغيب ما لنا عليه دليل ، وفييد الكلام فلا يلتبس ، وعلى هذا الوجه قال العلماء : الاستدلال
بالشاهد على الغائب أحد أقسام الأدلة . وعن الثالث : لا نسلم أن لفظ الغيبة لا يستعمل إلا فيما يجوز عليه
الحضور ، والدليل على ذلك أن المتكلمين يقولون هذا من باب إلحاق الغائب بالشاهد . ويريدون بالغائب
ذات الله تعالى وصفاته والله أعلم . [مفاتيح الغيب : ١/ ٢٩٥-٢٩٦] .

الباب العشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله فاء

الفساد^(١)

قد تقدم من قولنا فيه ما يكفي ، وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الميل مع الكفار ؛ قال الله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١١] وذلك أن المنافقين كانوا يبالون الكفار فيجترئون على المسلمين ويطمعون في النيل منهم والغلبة عليهم ، ويسرعون إلى محاربتهم ؛ وفي ذلك الفساد في الأرض ؛ لأن الحرب مفسدة للمال ومهلكة للنفس .

الثاني : الهلاك ؛ قال الله : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧١] والدليل على أنه أراد الهلاك قوله : ﴿ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ قال بعض المفسرين : الحق هو الله تعالى ؛ أي : لو اتبع الله أهوائهم .

وقيل : هو القرآن ؛ أي : لولا أنزل القرآن بما يريدون ، وليس يصح تفسيراً لأنه على هذه الآية على هذين الوجهين .

والصواب ما قال أبو علي رضي الله عنه : وهو أنه لو صح ما يدين به الكفار من جعلهم الأصنام آلهة مع الله لتفاوتت أفعالهم ، ولتناموا ففسدت السماوات والأرض ومن فيهن من الملائكة والإنس والجن ، وهذا مثل قوله : ﴿ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٩١] ، ومعنى : ﴿ لَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [سورة

(١) (ف س د) : فَسَدَ الشَّيْءُ فَسُودَ مِنْ بَابِ قَعَدَ فَهُوَ قَائِدٌ وَالْجَمْعُ فَسَدَى وَالْإِسْمُ الْفَسَادُ وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَسَادَ لِلْحَيَوَانِ أَسْرَعُ مِنْهُ لِمَا لِي النَّبَاتِ وَإِلَى النَّبَاتِ أَسْرَعُ مِنْهُ لِمَا لِي الْجَمَادِ لِأَنَّ الرُّطُوبَةَ فِي الْحَيَوَانِ أَكْثَرُ مِنَ الرُّطُوبَةِ فِي النَّبَاتِ وَقَدْ يَغْرِضُ لِلطَّبِيعَةِ عَارِضٌ فَتَنْفُجُ الْحَرَارَةُ بِسَبَبِهِ عَنْ جَنَائِمِهَا فِي الْمَجَارِي الطَّبِيعِيَّةِ الدَّافِقَةِ لِعَوَارِضِ الْمُقَوَّةِ فَتَكُونُ الْمُقَوَّةُ بِالْحَيَوَانِ أَشَدَّ تَغَيُّبًا مِنْهَا بِالنَّبَاتِ فَيَسْرِعُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ فَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ الَّتِي قَالَ الْفُقَهَاءُ لِأَجْلِهَا وَتَقْدَّمَ مَا يَتَسَارَعُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ فَيَبْدَأُ بِبَيْعِ الْحَيَوَانِ وَيَتَعَدَّى بِالْحُمْزَةِ وَالتَّضْيِيفِ وَالْفُسَادُ خِلَافُ الْمُنَافَعَةِ وَالْجَمْعُ الْمَقَابِدُ . [المصباح المنير : ١٩٣/٧] .

في ما جاء من الوجوه والظواهر في أوله فاء
المؤمنون آية : ٧١] أنه لو وافق الحق أهوائهم ولعبادة هذه الأصنام ؛ فجعل موافقة الحق
أهوائهم إتباعا من الحق لهواهم على سبيل المجاز ، وقال : ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ
لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء آية : ٢٢] أي : لهلكنا ولم نقوم ، ومن هذه الآية أخذ المتكلمون
دليل التنازع ، ومن قوله : ﴿وَلَعَلَّا بَغَضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٩١] .

الثالث : القحط ، قال الله : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾
[سورة الروم آية : ٤١] أي : قد كسبوا الذنوب فعجل لهم العقوبة بالقحط ، ودليل ذلك
قوله : ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم آية : ٤١] أي : لكي
يتذكروا فيتوبوا ، ولعلا هاهنا بمعنى لام كي ، وفي هذا دليل على أن بعض ما يحمل الله العبد
من المكارة تنبيه وبعضه عقوبة .

الرابع : ضد الصلاح ؛ قال : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٥] ،
وقال تعالى : ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [سورة النمل آية : ٣٤] ، وقال : ﴿لَا تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٥ ، ٥٦] .

الخامس : قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس آية : ٨١] يعني :
السحرة ، وقال بعضهم : الفساد في قوله : ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾
[سورة الكهف آية : ٩٤] القتل ، وكذلك في قوله : ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٢٧] ولا أعرف صحة ذلك ، وعندنا أن الفساد في هذا
الموضع ضد الصلاح والقتل داخل في ذلك .

الفرقان

الفرقان مصدر ، مثل : السكران ، والكفران ، والعدوان ، ثم جعل اسما للقرآن ؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل ، وفرقت بين الحق والباطل ، وبين الحسن والقبح بالتخفيف ، وفرقت بين الشخصين بالتشديد .

وأصل الكلمة البعد ، ومنه قيل : لتباعد ما بين الشيتين ، وتباعد ما بين الفخذين فرق . ورجل أفرق وامرأة فرقاء ، ومنه الفرقة بين الحنين ، والعرب تقول : أسرع من فريق الخيل يعنون السابق ؛ لأنه يفارق جماعتها ، والفريق من الناس الجماعة لمفارقة لغيرها .

والفرقان في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : النصرة ؛ قال الله ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴾ ^(١) [سورة البقرة آية : ٥٣] جاء في التفسير أنه أراد النصرة على أعدائه ، وذلك أنه نصره على أعدائه إذا أبعدهم الله بالإهلاك ، ومثله : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٤١] أي : يوم نصرناه ؛ يعني : يوم بدر هكذا جاء في التفسير .

ويحتمل أن يكون معنى الفرقان هاهنا ؛ الفرق بين الحق والباطل ؛ لأن الحق والباطل قد فرق بينهما يوم بدر بأن علا هذا أو سفل ذا ، وقيل : جعله يوم الفرقان ؛ لأنه فرق فيه بين المؤمنين والكافرين ، قال الله : ﴿ إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٤١] أي : إن كنتم صدقتم بالله وبما أنزلنا على عبدنا يوم بدر من هذا الحكم ، وهو أن حسن الذي تغنمونه هو الله يجعله في الوجه الذي يريد .

والوجه الذي يريد أن يجعله فيه ؛ هو أن يكون للرسول والفقراء من بني هاشم وبني المطلب ، وجعل ذلك لهم بدلا من الصدقات المحرمة عليهم ، والفقراء اليتامى ، والمنقطع به من المسافرين ؛ وهو ابن السبيل ، فجري الأمر على ذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ،

(١) قال أبو جعفر : يعني بقوله : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) : واذكروا أيضا إذ آتينا موسى الكتاب والفرقان . ويعني ب"الكتاب" : التوراة ، وب"الفرقان" : الفصل بين الحق والباطل ، كما حدثني المثنى بن إبراهيم قال حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ والفرقان) ، قال : فرق به بين الحق والباطل . [جامع البيان : ١٧٠ / ٢] .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله فاء
ثم اجتمع الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم على أن يجعل بينهم الرسول في السلاح والكراع ،
ويصرف الباقي إلى من سمي له في الآية ، وقيل : ﴿ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴾ أي :
الكتاب الذي فيه الفرقان ، وقيل : معناه إنا آتينا موسى الكتاب وهو التوراة ، ومحمدا
الفرقان ؛ فاكتفى بذكر الفرقان عن ذكر محمد ؛ لأنه معلوم أن الفرقان نزل عليهم .

وقال بعضهم : الكتاب التوراة ، والفرقان ؛ انفراق البحر ، وقال آخر : الفرقان ؛ بيان
الحلال والحرام الذي في التوراة ، وقيل : الفرقان الموضع الذي فرق فيه بين موسى وبين
فرعون ، كما سمي يوم بدر الفرقان .

الثاني : البينة في الدين ؛ قال تعالى : ﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [سورة البقرة آية :
١٨٥] يعني : البينة في الدين وإخراجا من الشبهة والضلالة ، وقال : ﴿ إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ
لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٩] .

الثالث : القرآن ؛ قال الله تعالى : ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ [سورة الفرقان آية :
١] ، وقال : ﴿ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤] يعني : القرآن .

الفرض^(١)

أصل الفرض من التأثير ، ومنه الفرض في العود وهو الحرفية ، وفرضة النهر ترجع إلى ذلك ، وهو في الشريعة بمعنى الإلزام ، وهو قوله : ﴿ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَ الْحُجَّ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٧] أي : ألزم نفسه .

وفرض الله على الناس الفريضة ؛ أي : ألزمهم القيام بها ، والفرق بين الفرض والواجب في اللغة ؛ أن الفرض الذي له تأثير وأصله من الجزء ، وليس للواجب تأثير لأنه من السقوط ، يقال : وجب الحائط ؛ إذا سقط ، وفي القرآن : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ [سورة الحج آية : ٣٦] أي : سقطت ، وللفرض في مكانه تأثير ، وليس للواجب في مكانه تأثير .

فمن يجعل الفرض أوكد من الواجب يذهب إلى هذا المعنى ، وقوم يجعلونها سواء لأن قولك أوجبت وفرضت ؛ بمعنى ألزمت ، والفرق بينهما عند بعض الفقهاء بين أيضا ، وذلك أن سجدة التلاوة عنده واجبة وليس بفرض ، وكذلك الوتر ، والفرض أيضا لا يكون من الله ، والواجب يكون منه ومن العبد ، تقول : أوجب السلطان على رعيته كذا ، ولا يقال : فرض .

(١) (ف ر ض) : قُرْضَةُ الْقَوْسِ مُؤْضِعُ حَزْمًا لِلْوَتْرِ وَالْجَمْعُ قُرْضٌ وَقُرَاضٌ مِثْلُ بَرْمَةٍ وَبَرَامٍ وَالْقُرْضَةُ فِي الْحَائِطِ وَتَحْوِيهِ كَالْقُرْجَةِ وَجَمْعُهَا قُرُضٌ وَقُرْضَةُ النَّهْرِ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَنْحَلِيزُ مِنْهَا الْمَاءُ وَتَضَعُهُ مِنْهَا السُّقْنُ وَقُرِضْتُ الْحَقِيبَةُ قُرْضًا مِنْ بَابِ صَرَبَ حَزَزْتُهَا وَقُرِضَ الْقَاضِي النَّفَقَةُ قُرْضًا أَيْضًا قَدَرُهَا وَحَكَمَ بِهَا وَالْفَرِيضَةُ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ وَالْجَمْعُ قَرَائِضُ قِيلَ اشْتَقَّاقُهَا مِنَ الْقَرْضِ الَّذِي هُوَ التَّضْدِيرُ لِأَنَّ الْقَرَائِضَ مَقْدَرَاتٌ وَقِيلَ مِنْ قَرْضِ الْقَوْسِ وَقَدْ اشْتَهَرَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ تَعَلَّمُوا الْقَرَائِضَ وَعَلَّمُوها النَّاسَ فَإِنَّمَا يَضْفُ الْعِلْمُ بِتَأْنِيثِ الضَّمِيرِ وَإِعَادَتِهِ إِلَى الْقَرَائِضِ لِأَنَّهَا جَمْعٌ مُؤَنَّثٌ وَثَقِيلٌ وَعَلَّمُوهُ فَإِنَّهُ يَضْفُ الْعِلْمُ بِالتَّضْدِيرِ بِإِعَادَتِهِ عَلَى مَحْذُوفٍ تَنْبِيْهَا عَلَى حَذْفِهِ وَالتَّضْدِيرُ تَعَلَّمُوا عِلْمَ الْقَرَائِضِ وَمِثْلُهُ فِي التَّنْزِيلِ ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَهَا بَأْسًا تَيَّأَنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ وَالْأَصْلُ كَمْ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ فَأَعَادَ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ أَهْلَكْنَاهَا عَلَى الْمَصَافِ إِلَيْهِ .

وَفِي قَوْلِهِ ﴿ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ عَلَى الْمَصَافِ الْمَحْذُوفِ قِيلَ سَاءَ يَضْفُ الْعِلْمُ بِإِعْتِارِ قِسْمَةِ الْأَحْكَامِ إِلَى مُتَعَلِّقٍ بِالْحُجِّيِّ وَإِلَى مُتَعَلِّقٍ بِالْمَلِيَّتِ وَقِيلَ تَوْشَعًا وَالْمُرَادُ الْحُثُّ عَلَيْهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿ الْحُجُّ عَرَقَةٌ ﴾ وَقُرِضَ اللَّهُ الْأَحْكَامَ قُرْضًا أَوْجَبَهَا فَالْقُرْضُ الْمَفْرُوضُ جَمْعُهُ قُرُوضٌ مِثْلُ فَلَسٍ وَفُلُوسٍ وَالْقُرْضُ جِنْسٌ مِنَ التَّمْرِ بِعَمَانٍ . [المصباح المنير : الفاء مع الراء] .

فأما قولهم : فرض القاضي عليه فإن معناه ؛ أوجب عليه ما فرض الله لأن القاضي لا يفرض في الحقيقة ، فأما قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَ الْحُجَّ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٧] فهو بمعنى ألزم ، فوضع حرفا مكان حرف لتقاربهما في المعنى ، وكذلك فرض القاضي .
والفرض في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الإلزام ؛ قال الله : ﴿ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَ الْحُجَّ ﴾ ، وقال : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا قَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٠] يعني : المهور ، وأن لا يتجاوز الرجل تزوج أربع نسوة ، وقيل : الفرض هاهنا الإباحة ؛ أي : أبحتنا لهم تزوج أربع نسوة وما ملكت أبايهم ؛ أي : وإن اتخذوا من الإماء والسراري ما يريدون ، وقال في آية الصدقات بعد أن عدد أهلها : ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء آية : ١١] ، للتوبة : ٦٠] ، وقيل : للصلاة المكتوبة فريضة ولسهام الميراث فرائض لذلك .

الثاني : بمعنى التبيين ؛ قال الله : ﴿ قَدْ قَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ [سورة التحريم آية : ٢] أي : بين لكم كيف يكفرون عن إيمانكم إذا حلفتكم ، ومثله قوله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ [سورة النور آية : ١] أي : بينها وفضلناها ، وقيل : معنى : ﴿ فَرَضْنَاهَا ﴾ التخفيف ؛ إنا أنزلنا العمل بما فرض فيها ، ومن شدد أراد التكثير ؛ أي : فرضنا فيها فروضا .

الثالث : فرض بمعنى أحل ؛ قال الله : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣٨] يعني : فيما أحل له ، ويموز أن يكون معناه أنه أوجب عليك العمل به .

الرابع : بمعنى أنزل ، قال تعالى : ﴿ إِنِ الْبَيْتَ فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ [سورة القصص آية : ٨٥] ، أي : أنزل ، ويموز أن يكون معناه أنه أوجب عليك العمل به .

الخامس : الفريضة بعينها وهي الخصلة يلزم فعلها ؛ قال تعالى : ﴿ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء آية : ١١] ، للتوبة : ٦٠] والفريضة المهر أيضا في قوله : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنِ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٥] الآية .

والمراد أن من تزوج امرأة ولم يسم لها مهرأثم طلقها من غير أن يدخل بها ؛ فالواجب لها عليه أن يمتعها على قدر حاله في الغنى والفقر .

قال الكوفيون : أول المتعة ثلاثة أبواب ؛ إلا أن يكون ذلك أكثر من نصف مهر مثلها ، والتمتع في هذه الآية التزويد ، وفي غيرها التلذذ ، ومنه نكاح المتعة ، وقال ابن أبي ليلى ، وأبو علي : المتعة ليست بواجبة .

وقوله تعالى : ﴿ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤١] يدل على خلاف ما قالوا ؛ لأنه جعل المتعة في شرط التقوى ، وقال : ﴿ حَقًّا ﴾ وليس في الإيجاب أوكد من هذا ، وعلى كل واحد أن يكون من المتقين ؛ فإن قيل : إنما خص المتقين بالذكر لأنها غير واجبة ، قلنا : الظاهر يقتضي وجوبها على المتقين ، وإذا وجبت عليهم وجبت على غيرهم ؛ لأن أحدا لا يفرق بين المتقي وغير المتقي في الفروض ، ولا يجوز أن يكون نكاحا ؛ لأن النكاح لا يختلف فيه المتقي وغيره .

الفاحشة^(١)

أصلها المبالغة في القبح ، ومنه قيل : أفحش الرجل ، وفحش في الكلام إذا أقذع ،
والاسم الفحش ، وربما جعل الفحشاء الفجور .

والفاحشة في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : ما حرم أهل الشرك في الجاهلية ؛ قال : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا
آبَاءَنَا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٨] يعني : سنن النقي التي سنها لهم آباؤهم من البحيرة
والسائبة وما يجري مجراها .

الثاني : الزنا ؛ قال : ﴿ وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ١٥] ،
وقال : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ [سورة
الأحراب آية : ٣٠] يعني : الزنا ، وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَّنَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٣] أراد الزنا ، وذلك أن العرب كانت تحل الزنا باطنا وتحرمه
ظاهرا ؛ فأخبر الله أن جميعه حرام ، وقد مر ذلك قبل .

الثالث : إتيان الرجال في أدبارهم ؛ قال : ﴿ إِنكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ
أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٢٨] .

الرابع : على قول بعض أهل التفسير : النشوز ؛ قال الله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ
مُبِينَةٍ ﴾ [سورة النساء آية : ١٩ ، الطلاق : ١] قال : هي النشوز ، وعندنا أنه الزنا وما يجري
مجراه من قبح المعاصي ؛ لأنه لا تكاد العرب تسمي بالفاحشة إلا كل ذنب شديد القبح لازم
العار ، وليس النشوز مما يجري عليه اسم الفاحشة ، وقيل : خروجها قبل انقضاء العدة

(١) (ف ح ش) : (أَفْحَشَ فِي الْكَلَامِ) جَاءَ بِالْفُحْشِ وَهُوَ السَّيِّئُ مِنَ الْقَوْلِ وَقَحَّشَ مِثْلَهُ (وَمِنْهُ) مَا فِي الْمَتْنِ
ثُمَّ فَحَّشْنَا عَلَيْهِ أَنْي أَوْرَدْنَا عَلَى أَبِي يُوسُفَ مَا فِيهِ عَيْنٌ فَاحِشٌ أَوْ دَكَّرْنَا مَا يُفْبَحُّ فِي الْعَادَةِ كَثَرِي مِثْلُ دَارِ نَبِي
حُرَيْثٍ يَذَرُهُمْ (وَرَجُلٌ فَاحِشٌ وَقَحَّاشٌ) سَمِيُّ الْكَلَامِ (وَأَمَرُ فَاحِشٌ) قَبِيحٌ قَالُوا (وَالْفَاحِشَةُ) مَا جَاوَزَ حَدَّهُ فِي
الْفُحْشِ وَعَنِ اللَّيْثِ كُلُّ أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ ﴾ إِلَّا أَنْ يَزِينَنَّ
فَيُخْرِجَنَّ لِلْحَدِّ وَعَنِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا إِذَا أَزْنَكُنَّ الْفَاحِشَةَ بِالْخُرُوجِ لِغَيْرِ الْإِذْنِ . [المغرب : الفاء مع الحاء] .

فاحشة ، وقيل : هو أن تتبدى على أهله فيحل لهم إخراجها قبل انقضاء العدة ، وذلك فاحشة منها ، وقيل : أن تزني فتخرج للحد أو فتأتي بمعصية كثيرة لا يحل مقاربتها معها فتخرج .

والفاحشة والفحشاء سواء ، والشاهد قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٨] إلى أن قال : ﴿ قُلْ إِنْ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٨] ولا يقال في تذكير الفحشاء : أفحش ، ونحوه ديمة هطلاء ، ولا يقال : ومطر أهطل .

وقيل : الاستثناء في هذه الآية من العضل ؛ أي : من أتت منهن بفاحشة مبينة ، وهو الزنا فلكم حبسها على ما فرض قبل نزول الحد .

وقيل : الاستثناء من الذهاب ببعض ما آتوهن ومن العضل جميعا ، ومعروف أنه لم يصح ظلمهن ؛ بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ﴾ ولكن عني ما يدخل عليها الزوج من المساء والأذى بالحق والعدل إذا أرادت الخلع ؛ وهو أن يأخذ منها بعض ما آتاها على الخلع والمباراة ؛ لأن الظلم حيث جاء من قبلها ، والعضل هو الحبس والضيق .

الفرار^(١)

أصله من الخفة والسرعة ، ومنه قيل : رجل فرار إذا كان خفيفا كثير الكلام ، والفرار : شجر يتخذ منه القصاع خفيف الوزن ، والفرير والفرار ولد البقرة الوحشية سمي بذلك لخفته وسرعته ، وفررت الدابة ؛ إذا فتحت فاه لتعرف سنه ؛ لأنك إذا فتحت فاه وقفت على سنه بسرعة من غير تعذر .

والفرار في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : التوبة ؛ قال الله : ﴿ فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [سورة الذاريات آية : ٥٠] أي : توبوا إليه ولا تعدلوا عن سبيله ، وإنما عبر عن هذا المعنى بالفرار ؛ لأن من يفر إلى الإسلام لا يعرج إلى غيره .

الثاني : الحرب ؛ قال الله : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ قَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٦] .

الثالث : الكراهة ؛ قال : ﴿ قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي يَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ [سورة الجمعة آية : ٨] أي : تكرهونه .

الرابع : ترك التعرج ؛ قال الله : ﴿ يَوْمَ يَفِرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾ [سورة عبس آية : ٣٤ ، ٣٥] أي : لشغله بنفسه لا يعرج على أخيه .

الخامس : التباعد ؛ قال الله : ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ [سورة نوح آية : ٦] أي : تباعدا مني وما أدعوهم إليه .

(١) قال الشوكاني : ﴿ فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ أي : ففرروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم عن الكفر والمعاصي ، وجلة : ﴿ إِيَّايَ لَكُمْ مَتَّ تَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ تعليل للأمر بالفرار ، وقيل : معنى ﴿ فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ اخرجوا من مكة . وقال الحسين بن الفضل : احتزوا من كل شيء غير الله ، فمن قرأ إلى غيره لم يمتنع منه . وقيل : ففروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن ، وقيل : ففروا من الجهل إلى العلم . [فتح القدير : ٥٠ / ٧] .

في

موضوعة في العربة الأوعية ، تقول : زيد في البيت ، والمال في الكيس ، وإنما يراد أن البيت قد حواه ، وأن الكيس قد اشتمل عليه ، ثم اتسع القول فيه ، فقيل : فلان ينظر في العلم ؛ فجعلوا العلم بمنزلة متضمن ، كما قيل : دخل عمرو في العلم وفي الصلاة ، وقالوا : في يد فلان الضيعة ؛ وإنما قيل هذا لأن ما أحاط به علمه بمنزلة ما أحاطت به يده .

وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى مع ؛ قال تعالى : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٨] ، وقال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ ﴾ [سورة الأحقاف آية : ١٨] ، وقال : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة النمل آية : ١٩] ، وقال : ﴿ لَنَدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٩] هذا قول بعض المفسرين .

وآخرون يقولون : أن قوله : ﴿ فِي أُمَمٍ ﴾ أي : في جملة أمم وفي جملة عبادك ، هكذا جميع ما تقدم ، وقوله : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾ [سورة النمل آية : ١٢] قال : مع تسع ، وقيل : في من صلة قوله : ﴿ وَأَلْقَى عَصَاكَ ﴾ [سورة النمل آية : ١٠] : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ [سورة النمل آية : ١٢] والتأويل : وأظهر هاتين الآيتين في تسع آيات ؛ والمعنى من تسع آيات . وعندنا أن قوله : ﴿ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾ [سورة الأحقاف آية : ١٦] إخبار بأنه يفعل بأهل الجنة هذا الفعل ، وهؤلاء المذكورون في جملتهم ، كما تقول : أحبك وأكرمك في أهل السمع والطاعة ، وكذلك قوله : ﴿ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [سورة فصلت آية : ٢٥] ، الأحقاف : ١٨] .

الثاني : بمعنى على ؛ قال الله : ﴿ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ [سورة طه آية : ٧١] وجاز أن يقع في هاهنا ؛ لأنه يكون في الجذع على جهة الطول ، والجذع مشتمل عليه فقد صار فيه ، وقال الشاعر :

هُمْ صَلَبُوا الْعَيْدِي فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَشْتُ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا

الثالث : على قول بعض المفسرين بمعنى إلى ؛ قال : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [سورة النساء آية : ٩٧] قال : أراد أرض المدينة ، و : ﴿ فِيهَا ﴾ بمعنى إليها ، ويجوز أن يكون المعنى فسيروا فيها مهاجرين لمن يريد إذهابكم في الدين حتى تصلوا إلى حيث تتمكنون من عبادة ربكم .

الرابع : بمعنى من ؛ وهو في قوله : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ [سورة النحل آية : ٨٩] أي : من كل أمة ، كذا قيل : وإذا بعثه أشهد عليهم فينبغي أن تكون فيا بينهم ومخالطهم ، وإذا كان كذلك فإنه فيهم ؛ أي : في جماعتهم .

الخامس : فينا بمعنى لنا ؛ قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٩] ذكروا أنه أراد عملوا لنا ، وقد تقدم هذا قبل ، ويجوز أن يكون فينا أي : من أجلنا ؛ يريد من أجل ديننا وأوليائنا ، كما نقول : أنا أوالي فيك وأعادي فيك ؛ أي : من أجلك .

الفتح^(١)

أصله الكشف والتبيين ، يقال : فتح لي فلان القول في هذا الباب ؛ أي : بين ، والفتوح : الإطمار ؛ لأنها تكشف القسط ، والفتح : الحكم ، والفتاح الحاكم ؛ قال : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٩] ، وفتح الباب وفتح البلد يكون بحرب وبغير حرب ، وإنما الفتح للظفر بالمكان ؛ فإذا ظفر به فقد فتحه حارب عليه أو لم يحارب .

وهو في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : القضاء ؛ قال الله : ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ يَتَنَبَّأُ ﴾ [سورة سبأ آية : ٢٦] ، وقال : ﴿ افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٩] ، وقال : ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَهائُهُمْ ﴾ [سورة السجدة آية : ٢٩] أي : يوم القضاء ؛ وهو دعاء لإنزال العذاب بهم لأن ذلك حق ؛ فكأنهم قالوا : أنزل بهم ذلك ليفصل بيتنا وبينهم ، والقضاء والحكم إنما هو للفصل ، ويجوز أن يكون المعنى أن اكشف أمرنا حتى ينفتح ويظهر أن الحق معنا .

الثاني : الهداية إلى الإسلام ؛ قال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [سورة الفتح آية : ١] ، وقيل عني : فتح الحديته ، والحديته بتر فسمي المكان بها ، وقيل : هو فتح مكة وليس ذلك بالوجه ؛ لقوله : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَهَدَّمْتَ مِنْ ظَنَبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [سورة الفتح آية : ٢] وذلك

(١) (ف ت ح) : فَتَحْتُ الْبَابَ فَتَحًا خِلَافَ أَغْلَقْتُ وَفَتَحْتُ فَانْفَتَحَ فَرَجُهُ فَانْفَرَجَ وَبَابٌ مَفْتُوحٌ خِلَافَ الْمُرْدُودِ وَالْمُقْلَلِ وَفَتَحْتُ الْقَنَازَةَ فَتَحًا فَجَرْتُهَا لِيَجْرِيَ الْمَاءُ فَيَسْقِي الزَّرْعَ وَفَتَحَ الْحَاكِمُ بَيْنَ النَّاسِ فَتَحًا قَضَى فَهَوُ قَاتِبٌ وَفَتَّاحٌ مُبَالِغَةٌ وَفَتَحَ السُّلْطَانُ الْبِلَادَ غَلَبَ عَلَيْهَا وَتَمَلَّكَهَا فَهَرَا وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ نَصْرَهُ وَاسْتَفْتَحْتُ اسْتَشْفَرْتُ وَفَتَحَ الْمَأْمُومُ عَلَى إِمَامِهِ قَرَأَ مَا أُرِيحُ عَلَى الْإِمَامِ لِيَعْرِفَهُ وَفَاتِحَةُ الْكِتَابِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُفْتَحُ بِهَا الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ وَافْتَحْتُهُ بِكَذَا ابْتَدَأْتُهُ بِهِ وَالْفَتْحَةُ فِي الشَّيْءِ الْفُرْجَةُ وَالْجَمْعُ فَتَحَ بِمِثْلِ عُرْفَةٍ وَعُرْفٌ وَبَابٌ فَتَحَ بِضَمَّتَيْنِ مَفْتُوحٌ وَاسْمٌ وَقَارُورَةٌ فَتَحَ بِضَمَّتَيْنِ أَيْضًا لَيْسَ لَهَا غِلَافٌ وَلَا صِمَامٌ وَالْمِفْتَاحُ الَّذِي يُفْتَحُ بِهِ الْمَغْلَاقُ وَالْمِفْتَاحُ مِثْلُهُ وَكَأَنَّهُ مَقْصُورٌ مِنْهُ وَجَمْعُ الْأَوَّلِ مَفَاتِيحُ وَجَمْعُ الثَّانِي مَفَاتِيحُ بِغَيْرِ يَاءٍ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿ مِفْتَاحُهَا الطُّهُورُ ﴾ اسْتِغَارَةٌ لَطِيفَةٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَدَّثَ لَمَّا مَنَعَ مِنَ الصَّلَاةِ شَبَّهَ بِالْغَلَقِ الْمَانِعِ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الدَّارِ وَتَغْوِيهَا وَالطُّهُورُ لَمَّا رَفَعَ الْحَدَّثَ الْمَانِعَ وَكَانَ سَبَبَ الْإِقْدَامِ عَلَى الصَّلَاةِ شَبَّهَ بِالْمِفْتَاحِ . [المصباح المنير : القاء مع التاء] .

أنه لا يحسن أن يقول : فتحت لك هذا المكان لأغفر لك ذنبك ، وقيل : أنه فتح له الحجج والإبانة فتحا بينا إن الذي تدعوا إليه الحق ، وقيل : الفتح المبين ؛ الهداية إلى الإسلام ؛ وهذا هو الوجه .

الثالث : التخصيص ؛ قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾ [سورة فاطر آية : ٢] يعني : ما يخصهم به من رزق .

الرابع : التخلية ؛ قال الله : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٩٦] .

الخامس : البعث ؛ قال الله : ﴿ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٧] أي : بعثنا عليهم عذابا ، ولما ذكر الباب ذكر الفتح ، قال أبو علي رحمه الله : أراد عذاب الآخرة ؛ أي : حتى أدخلناهم جهنم إذا هم مبلسون ؛ أي : أيسون والإبلاس اليأس .

السادس : فتح الباب ؛ قال الله : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [سورة الزمر آية : ٧٣] والتشديد للتكثير ، يقال : أبواب مفتحة ، ولا يقال : مفتوحة في الأكثر ، وروى لنا أبو أحمد ؛ أنه لما قال الفرزدق :

مَا زِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَابًا وَأَعْلِقُهَا

عابه الناس ، وقالوا : يقال في التكثير : فتحت وغلقت ، وغيره من أهل العربية قال : فعلت في التكثير والتقليل ، وفعلت بالتشديد لا يكون إلا في التكثير إلا في أحرف منها كلمته .

السابع : النصر ؛ قال تعالى : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥٢] .

الثامن : الظفر بالمكان ؛ قال : ﴿ نَضْرُ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [سورة الصف آية : ١٣] يقول : يفتح لكم ما توجهتم اليد إليه من البلدان وذلك قريب ، وقال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [سورة النصر آية : ١] قال بعضهم : يعني : فتح مكة وكان فتح مكة سنة ثمان ، ونزلت هذه سنة عشر بعد حجة الوداع ، وقيل : المراد أنه يفتح لك الأمم والبلدان .

فوق^(١)

أصله من العلو ، يقال : فائق الشيء غيره ؛ إذا علاه ، وهو فائق .

وله في القرآن ثمانية مواضع :

الأول : بمعنى دون ؛ قال بعض المفسرين : ﴿ بَعُوضَةً قَمَا فَوْقَهَا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦] قالوا : فما دونها ؛ كأنه قال : فما فوقها في الصغر .

وقال المبرد : ﴿ قَمَا فَوْقَهَا ﴾ أي : فما يتجاوزها ؛ فحق هذا أن ينظر إلى الغاية المطلوبة فيجعل فوق من تاحتها . فإذا قيل : فلان فوق فلان في اللوم ؛ فمعناه أنه يتجاوزها فيه ، فالمطلوب هاهنا الصغير ؛ وكأنه قال : بعوضة فما يتجاوزها صغرا .

(١) (ف و ق) : (فوق) مِنْ مَّحْذُوفٍ الْمَكَانَ تَقِيضٌ تَحْتَ يَمْلُكُ زَيْدٌ فَوْقَ السُّطْحِ وَالْعِمَامَةُ فَوْقَ الرَّأْسِ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَأَخْرَجُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ وَقَدْ أُسْتَعِيرَ بِمَعْنَى الزِّيَادَةِ قِيلَ هَذَا فَوْقَ ذَلِكَ أَيْ زَائِدٌ عَلَيْهِ وَالْعَشْرَةُ فَوْقَ الثَّمَنِ (وَمِثْلُ) ﴿ بَعُوضَةً قَمَا فَوْقَهَا ﴾ أَيْ قَمَا زَادَ عَلَيْهَا فِي الصَّغَرِ أَوْ الْكِبَرِ (وَعَلَيْهِ) قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَإِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ الْكُتُبِ ﴾ وَهِيَ فِي كِلْتَا الْآيَتَيْنِ فِي مَوْضِعِهَا وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهَا صِلَةٌ وَمِنَ الْمُشْتَقِّ مِنْهَا (فَاقَ النَّاسَ) إِذَا فَضَّلَهُمْ (وَهُوَ فَائِزٌ فِي الْعِلْمِ وَالْفَنِّ) وَقَسَمَ خَتَائِمَ خَيْبَرَ عَنْ (فَوَاقٍ) أَيْ صَادِرًا عَنْ سُرْعَةٍ يَغْنِي قَسَمَهَا سَرِيعًا وَتَمَامُ التَّحْقِيقِ فِي الْمُغْرَبِ . [المغرب : الفاء مع الواو] .

وعند ابن فارس (ف و ق) : الفاء والواو والقاف أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على علو، والآخر على أوبة ورجوع.

فالأول الفوق، وهو العلو. ويقال: فلان فاق أصحابه يفوقهم، إذا علاهم وأمر فائق، أي مرتفع عال. وأما الآخر ففواق الناقة، وهو رجوع اللبن في ضرعها بعد الحلب. تقول: ما أقام عنده إلا فواق ناقة. واسم المجتمع من الدر: فيقة، والأصل فيه الواو. قال الأعشى:

حتى إذا فيقة في ضرعها اجتمعت *** جاءت لترضع شق النفس لو رخصا

وفي بعض الحديث في ذكر القرآن: "أَتَفَوَّقُهُ تَفَوَّقَ الْفُجُوحِ" معناه لا أفرا جزئي مرة واحدة لكن شيئا بعد شيء. شبهه بفواق الدر. يقال فواق وفواق قال الله تعالى: ﴿ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ [ص ١٥]، أي ما لها من رجوع ولا متبوية ولا ارتداد. وقال غيره: ما لها من نظيرة. والمعنيان قريان. ويقولون: أفاق السكران يفيق، وذلك من أوبة عقله إليه. والأفريق: ما اجتمع من الماء في السحاب.

ومن الباب الفوق: فوق السهم، وسمي لأن الوتر يجعل كأنه قد رُدَّ فيه، والجمع أفواق. ويقولون: فُقي، وهو مقلوب. ويقال سهم أفوق، إذا انكسر فوقه.

ومما شذ عن هذين الأصلين قولهم: هو يفوق بنفسه. وهذا من باب الإبدال وإنما أصله يسوق، والفاء بدل من السين، وذلك إذا جاد بنفسه.

وقال قطرب : بل معناه أكبر منها ؛ وهو الذباب وما يجري مجراه ، ولا يقال : هذا حمار وفوق الحمار ، أو نملة فوق النملة ؛ بمعنى أصغر من ذلك ، وإنما يكون ذلك في الصفات ، يقال : هذا صغير وفوق الصغير .

ورد آخرون ذلك ، وقالوا : قد يقال : هو حمار وفوق الحمار ، كما يقال : هو صغير وفوق الصغير ليس بين الصفة والاسم في هذا فرق .

الثاني : بمعنى أفضل ؛ قال تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الفتح آية : ١٠] والمعنى ما يفعل الله بهم من الخير ويعطيهم من الثواب أفضل مما بذلوه من البيعة يوم الحديبية .

وقيل : يد الله في الوفاء فوق أيديهم ، وقيل : يد الله في المنة عليهم حين هداهم فوق أيديهم ، وتلخيص هذا أن نعمة الله عليهم فيما هداهم له من الإيمان فوق إجابتهم الرسول وطاعتهم له واليد النعمة .

وقال الضحاك : يد الله عليكم في الثواب فوق أيديكم في النصر .

الثالث : بمعنى أكثر ؛ قال الله : ﴿ فَإِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ ﴾ [سورة النساء آية : ١١] .

الرابع : أرفع في المنزلة ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٢] ، وهكذا قوله : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٥٥] أي : هم أرفع منزلة .

الخامس : بمعنى على ؛ قال : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٥] أي : رفع الأغنياء على الفقراء في اليسار ، ثم قال : ﴿ وَرَحِمْتُ رِبَكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٢] فأخبر أنه فعل ذلك لتطرد أمور الدنيا والخير بعد ذلك ، والخيرة فيما عنده .

السادس : قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٠] أي : من أعلى الوادي ، وذلك من علو بعض الأرض على بعض من غير أن يكون له سمك ظاهر .

السابع : العلو في السمك ؛ مثل قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا ﴾ [سورة فصلت آية : ١٠] أي : حتى يعلو فوقها ، وقال : ﴿ اجْعَلْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا تَهْتَأ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٦] أي : من وجهها .

الثامن : الغلبة والسلطان ؛ : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٨] ، ٦١] يريد أنه القاهر لهم لاشتغال ملكه عليهم وفوقهم ؛ أي : غالب لهم ، ولا يجوز أن يقال : فوقهم في المسافة ؛ لأنه ليس بجسم ، ولأنه لا مدح له في ذلك ؛ لأن اختلاف الأمكنة لا يوجب قضاء ، وقوله : ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٢٧] والعرب تقول : أخذت الأمر من فوق ؛ أي : أخذته بغلبة وقهر ، ومنه قول الراجز :

إن الحبانَ حَتَمَهُ مِنْ قَوْفِهِ

أي هو غالب له لا يدفعه عنه توفية .

الفتنة^(١)

أصل الفتنة شدة الاختبار من قولك : فنت الذهب ؛ إذا أدخلته النار لتعلم جودته من رداثه ، وفي القرآن : ﴿ وَلَقَدْ فْتَنَّا الْفِرِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٢٣] أي : اختبرناهم ، ومعنى الاختبار من الله ؛ التكليف على ما بينا .

وقال لموسى عليه السلام : ﴿ وَفْتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [سورة طه آية : ٤٠] أي : واستعمال الإخبار في الله تعالى مجاز ؛ لأن أصل الاختبار طلب العلم والله عالم بنفسه ، والبحر يصطفي الاختبار ، ولا يستعمل في الله قياسا على الاختبار ؛ لأن استعمال الاختبار فيه مجاز .

والمجاز لا يقاس . . . قال : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٢] أي : أهلها ، ولا يجوز أن يقال : سل الحمار ؛ أي : صاحبه ، وقال : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتْنُهُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢٣] ، ويقال : فنت الرجل ، ولا يقال : أفتت .

وهي في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : التكليف ؛ قال : ﴿ وَلَقَدْ فْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٢٣] أي : أحسنوا أن يقع منهم بأن يقولوا : آمنا ولا تكلفون أو تمتحنون بما ظهر معه لإيمانهم للرسول ، وصدقهم فيه من كذبهم ، فيركن إلى من يركن إليه منهم على بصيرة .

الثاني : العذاب ؛ قال الله : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فَتْنَكُمْ ﴾ [سورة الذاريات آية : ١٣ ، ١٤] أي : عذابكم ، ويجوز أن يكون المعنى ذوقوا جزاء فتنتكم فحذف الجزاء ، كما قال : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٢] .

وقيل : يفتنون يحرقون ومنه ، قيل : للحجارة السود التي كأنها قد أحرقت الصبر ومثله قوله : ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٠] ، أي : عذاب الناس

(١) (ف ت ن) : فَتَنَ الْمَالُ النَّاسَ مِنْ بَابِ قَرَبٍ فُتُونًا اسْتِخْلَافَهُمْ وَفْتَنَ فِي دِينِهِ وَافْتَنَ أَيْضًا بِالْبَنَاءِ لِلْمَفْعُولِ مَالٌ عَنْهُ وَالْفِتْنَةُ الْمِحْنَةُ وَالْإِتْلَاءُ وَالْجَنُوعُ فُتْنٌ وَأَصْلُ الْفِتْنَةِ مِنْ قَوْلِكَ فَتَنَتِ الدَّهْبَ وَالْفِضَّةَ إِذَا أَخْرَقَتْهُ بِالنَّارِ لِيَبَيِّنَ الْجَدُّ مِنَ الرَّدِيِّ . [المصباح المنير : الفاء مع التاء] .

بعذاب الله . والمراد أنه إذا أصابه أذى من الناس بسبب إيمانه جنح منه ، كما يجزع من عذاب الله ، يحث على الصبر عند مس الأذى .

الثالث : الضلال ، قال الله : ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاهِينَ ﴾ [سورة فاطر آية : ١٦٢] ، أي : لستم تضلون إلا من هو ضال ، أي : ليس يتبعكم على عبادة الأوثان إلا من هو مثلكم في الضلال .

والهاء في عليه راجعة إلى ما الذي ، في قوله : ﴿ فَإِنْ كُنْمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ [سورة فاطر آية : ١٦١] ، وهو مثل قولك : ما هلك فلان إلا على يد فلان .

الرابع : الصد والاسترلال ، قال الله : ﴿ وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِيُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٩] ، وقال : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٧٣] .

الخامس : الكفر والشرك ، قال الله : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩١] .

السادس : الإثم ، قال الله : ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ [سورة التوبة آية : ٤٩] ، قال : ﴿ وَلَكِنْ كُنْمْ فَتَنَّمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [سورة الحديد آية : ١٤] أي : أثمتم .

السابع : العبرة ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٥] ، أي : يعتبرون أمرهم بأمرنا فإذا رافها في ضرر وبلاء ورأوا أنفسهم في غبطة ورخاء ؛ ظنوا أنهم على الحق وأتينا على الباطل .

الثامن : الجواب ، قال : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢٣] ، أي : جوابهم ؛ لأنهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال ؛ فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار إلا هذا القول وتكلم في قوله : ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢٤] ، فيما بعد إن شاء الله .

ومثل قوله : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩١] ، قوله : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٣] ، أي : قاتلوهم حتى يؤمنوا فيذهب الكفر والشرك ، ويكون الدين كله لله دون الشيطان ، وأراد المشركين خاصة أي : قاتلوهم على كل حال في الحزم وغيره ، حتى يقرؤا بالإسلام ولا تقبل من المشرك جزية .

وإنما هو الإسلام والسيف وإما تبقى أهل الكتاب وأخذ الجزية منهم ؛ فليتببروا كتابهم الدال على صحة الإسلام ؛ فيسلموا وليس ذلك مع عبدة الأوثان ؛ فلا يزدادون على الإمهال إلا شركا .

وهذه الآية ناسخة لما قبلها من قوله : ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩١] .

الفرح^(١)

انفتاح القلب بما يلتذ ، وقيل : هو لفة في القلب أعظم من ملاذ الحواس ، ورجل فرح إذا جعلته كالنسبة ، وفارح إذا بليتة على القلب وفرحان ، وامرأة فرحانة ، وأفرحني الشيء ميزني ، وأفرحني إذا فرحني ، وهو من الأضداد ، وفي الحديث " لا يُتْرَكُ مُفْرِحٌ فِي الْإِسْلَامِ " ، فسروه المثلل بالتين ، وقيل : مفرج بالجيم أيضا .

والفرح في القرآن ثلاثة أوجه :

الأول : البطر ، قال الله : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [سورة القصص آية : ٧٦] ، ومثله : ﴿ إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴾ [سورة هود آية : ١٠] ، ونظيره : ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة غافر آية : ٧٥] ، أي : تبطرون ، ولم يرد الفرح المباح مثل الفرح بالولد ، وسعة الرزق ، والزوجة الحسنة ، ونظائر هذا .

الثاني : الرضى ، قال الله : ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٦] ، أي : رضوا بها ، ومثله : ﴿ كُلُّ جِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٣] ، أي : راضون ، وقال : ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [سورة غافر آية : ٨٣] ، أي : رضوا .

قال بعض المفسرين ، ويموز عندنا أن يكون أراد الفرح المعروف ، بل هو الصحيح ، ولا يجوز أن يعدل عما يقتضيه الظاهر إلا لضرورة .

(١) (ف رح) : فَرِحَ قَرَحًا فَهُوَ فَرِحٌ وَفَرَحَانٌ وَتُسْتَعْمَلُ فِي مَعَانٍ أَحَدُهَا الْأَشْرُ وَالْبَطَرُ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ وَالثَّانِي الرِّضَا وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ كُلُّ جِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ وَالثَّلَاثُ الشُّرُورُ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ وَيُقَالُ فَرِحَ بِشَجَاعَتِهِ وَنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبِمُصِيبَةِ عَدُوِّهِ فَهَذَا الْفَرَحُ لَدَّةُ الْقَلْبِ يَنْبَلُ مَا يَشْتَهُي وَيَتَعَدَّى بِالْهَنْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ . [المصباح المنير : الفاء مع الراء] .

(٢) أخرجه ابن سعد مرسلًا في الطبقات الكبرى من حديث عامر الشعبي ج ١/ ٢٣٨ ، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية (١٤٤٢) ، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٣٩٤٦) .

ف قوله : ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [سورة غافر آية : ٨٣] ، أي : لما جاءتهم الرسل لم تنظروا في أمرهم حق النظر ؛ فخفى عليهم الحق الذي جاءوا به ، فاستحقروه واستحسنوا ما كانوا فيه من الباطل ، وفرحوا به وسمي ما كانوا يعتقدونه من الجهل علما ؛ لأنه كان علما عند أنفسهم .

الثالث : الفرح بعينه ، قال الله : ﴿وَفَرِحُوا بِمَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [سورة يونس آية : ٢٢] .

الفصل^(١)

أصله من الزيادة ، وفضله الشيء بقيه ؛ لأنها زادت على الكفاية ، وقيل : الفضائل ؛ لأنها زيادة في محاسن الإنسان والمفضل الثوب الذي تلبسه المرأة في بيتها ؛ لأنه زيادة على جملة ثيابها .

وهو في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : الإسلام ، قال الله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [سورة يونس آية : ٥٨] ، وإنما سمي الإسلام فضلاً ورحمة ؛ لأنه يؤدي إلى الفضل والرحمة .

الثاني : النبوة ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء آية : ١١٣] ، ومثله أن فضله كان عليك كبير ، أو يجوز أن يكون أراد فضله عليه في النبوة ، أي : نعمته فيها عظيمة .

الثالث : الثواب ، قال : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٧١] ، وقوله : ﴿ فَسَيَذْلُكُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ ﴾ [سورة النساء آية : ١٧٥] ، ويجوز أن يكون الفضل في هاتين الآيتين التفضل .

الرابع : الرزق ، قال الله : ﴿ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [سورة الجمعة آية : ١٠] ، وقال : ﴿ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة المزمل آية : ٢٠] ، فوضع التاجر مع المجاهدين دالاً على فضل التجارة .

(١) (ف ض ل) : (الْفَضْلُ) الزيادة وَقَدْ غَلَبَ جَمْعُهُ عَلَى مَا لَا خَيْرَ فِيهِ حَتَّى قِيلَ فَضُولٌ بِلَا فَضْلٍ وَبِلَا رِيسٍ وَطُولٌ بِلَا طَوْلٍ وَعَرَضٌ بِلَا عِزٍّ ثُمَّ قِيلَ لِمَنْ يَشْتَلِ بِمَا لَا يَغْنِيهِ (فَضُولٌ) وَهُوَ فِي اصطلاح الفقهاء مِنْ لَيْسَ بِوَكِيلٍ وَقَتَحَ الْفَاءُ فِيهِ خَطَأً (وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ) فَيَمَنْ يَجْعَلُ أَقْلٌ يَمَّا اجْتَعَلَ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَرَادَ الْفَضْلَ فَلَا تَأْسَ بِهِ يَغْنِي إِذَا لَمْ يَقْصِدْ بِمَا فَضْلٌ مِنْهُ وَزَادَ أَنْ يَجْبِسَهُ لِنَفْسِهِ وَيَضْرِفُهُ إِلَى حَوَائِجِهِ وَيُقَالُ ثَوْبٌ فَضْلٌ وَامْرَأَةٌ فَضْلٌ أَيُّ عَلَى ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلِحَفَّةٍ وَنَحْوَهَا تَتَوَشَّحُ بِهِ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ سَهْلَةَ فَيَرَانِي فَضْلاً وَأَمَّا حَدِيثُ عَائِشَةَ فِي أَفْلَحَ وَأَنَا فِي ثِيَابِ فَضْلٍ فَفِيهِ نَظَرٌ وَالْفَضُولُ فِي (رَبِّ) . [المغرب : الفاء مع الضاد] .

الخامس : الغنمة ، قال الله : ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ قَضَلٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٧٣] ، ومثله كثير .

السادس : الخلف ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُعِدُّكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَقَضَلًا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٨] ، أي : مغفرة عند الصلاة ، والفضل الخلف مما أخرج في الصدقة .

السابع : اللطف ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [سورة النور آية : ٢١] ، أي : لولا لطفه وتوفيقه لم تكونوا أزكيا .

والخطاب للمؤمنين وإذا فعل الإنسان ما يرضى به عنه سمي زاكيا وزكيا ، ومن ثم يقال للزرع إذا بلغ المبلغ الذي يريده الزارع ؛ أنه قد زكا ، : ﴿ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء آية : ٤٩] ، أي : يفعل من يشاء من المكلفين ما يصير به مطيعا ؛ إذا كان في معلومه أنه يقبل ويصلح .

ويجوز أن يكون المراد أنه يخبر بصلاح من يشاء ، وفضله حتى يكون زكيا عند الخلق إذا كان كذلك .

الثامن : الجنة ، قال : ﴿ وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤٧] ، وقد خرج لنا وجه آخر وهو ، قوله : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى ﴾ [سورة النور آية : ٢٢] ، يعني : بالفضل الغنى ، أي : لا يخلف أحد منكم على منع ذوي القرى واليتامى والمساكين به ؛ إذا كان له غنى وسعة ، والواسع الغني .

والآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ، وذلك أنه لما خاض يشطح مع أهل الأنكت في قذف عائشة رحما الله حلف أبو بكر أن يمنعه به وفضله ، وكان في عيال أبي بكر فتناه الله عن ذلك فانتهى ، وعاد للإفضال عليه والبر له ، ويقال : الله واسع بمعنى أنه غني ، وللعبد موسع وقد أوسع مثل أيسر .

وقال أبو مسلم : ﴿ وَلَا يَأْتَلِي ﴾ أي : لا تقصر عن إيتاء ذوي القربى وإلى الرجل بالواو
واتلي ما تلي إفا قصر ، قال أبو مسلم : ولا تحيء يأتلي في اليمن ، إنما يقال فيها إلى يولي ،
والأول قول جميع المفسرين .

٣٨٨ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله فاء

الباب الحادي والعشرون

فما جاء من الوجوه والنظائر في أوله قاف

قانتون^(١)

القنوت : على وجوه أحدها الطاعة والآخر القيام في الصلاة ، وقيل يا رسول الله صلى الله عليه : أي : الصلاة أفضل ؟ قال : " طول القنوت " ^(٢) ، أي : طول القيام ، وهو الدعاء وهو الطلب أيضا ، قال زيد ابن أرقم : كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٨] فأمسكنا .

وهي في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : السكوت ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٨] ، وقيل : يعني : مطيعين والأول قول مجاهد ، وقال غيره : أي : دائمين على الطاعة والقنوت الدائم على الشيء ، وقال ابن عباس ، والحسن ، وعامر : هو للطلب ، وقال ابن عمر : طول القيام ، وقيل : هو الدعاء من قيام ، والداعي إذا كان قائما قائنا ، ويموز أن يقع في جميع الطاعات لأنها لم تكن قياما على الرجلين فإنها قيام بالشيء نية وعملا ، والقنوت في كثير من آيات القرآن يدل على أنه إتمام الطاعة والصبر عليها ، قال الله : ﴿ أَمِنْ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَانِيًا ﴾ [سورة الزمر آية : ٩] ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣١] ، قال : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [سورة النساء آية : ٣٤] يريد صبرهن على أزواجهن وقيامهن بطاعة الله .

(١) (ق ن ت) : الْقُنُوتُ مَضَرٌّ مِنْ بَابِ قَعَدَ الدُّعَاءُ وَيُطْلَقُ عَلَى الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﴿ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ ﴾ وَدُعَاءُ الْقُنُوتِ أَيْ دُعَاءُ الْقِيَامِ وَيُسَمَّى السُّكُوتُ فِي الصَّلَاةِ قُنُوتًا وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ . [المصباح المنير : القاف مع النون] .

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله (٧٥٧) ، والترمذي (٣٨٧) ، وابن ماجه (١٤٢١) ، وأحمد في مسنده (١٣٨٢١) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٠٩١) .

الثاني : الأقرار ، قال الله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مُبِينًا بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٦١] ، أي : مقرون بالعبودية كذا قيل ، ويموز أن يكون بمعنى دوام الطاعة ، والمراد أن جميع ما في السماوات والأرض يشهد بربوبيته ، فكانه يديم طاعته ، وفسر أيضا قوله : ﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٨] ، على أنه أراد مقرين .

الثالث : الصلاة ، قال الله : ﴿ أَمِنْ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَانِتًا ﴾ [سورة الزمر آية : ٩] ، وروى عنه صلى الله عليه أنه قال : " مثل المجاهد مثل القانت الصائم " ، أي : المصلي الصائم كذا قيل ، ويموز أن يكون على الوجه الذي تقدم .

الرابع : الطاعة ، قال الله : ﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣٥] ، ومثله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٠] ، أي : مطيعا كذا جاء في التفسير ، وهو وجه .

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، أخرجه البخاري (٢٧٨٧) ، ومسلم (١٨٨١) ، والترمذي (١٦١٩) ، والنسائي (٣١٢٤) ، وأحمد في مسنده (٩١٩٧) ، ومالك في الموطأ برواية يحيى الليثي (٩٧٣) .

القوة

أصلها التعاون ، ومنه قوي الحبل ، لأن كل واحدة منها تعين الأخرى ، وكل طاقة من الحبل قوة ، واستعمالها في صفات الله بمعنى أن أحدا لا يغلبه ، وليس معناه التعاون كما أن أصل التوبة في اللغة الرجوع ، تاب يتوب إذا رجع وكذلك تائبون ، وقولنا : ﷻ تَوَابَ ﴿سورة النور آية : ١٠ ، الحجرات : ١٢﴾ ، ليس يعني : به الرجوع .

والقوة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : العلة ، قال : ﴿وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [سورة هود آية : ٥٢] ، أي : عدة إلى عدتكم ، وذلك أن العلة تعبر على مغالبة العدو ، وقال : ﴿فَاعِزُّونِي بِقُوَّةٍ﴾ [سورة الكهف آية : ٩٥] ، أي : بعدد من الرجال ، والمراد أن فيما أعطاني الله من المال كفاية في بناء هذا السد ، ولكن ينبغي أن تعينوني بأنفسكم ليتعجل العمل ويقع الفراغ منه بسرعة ، والخير في هذه الآية الكفاية ، والناس يقولون : فلان بخير في كفاية ، وقيل : خير أي : خير لكم من خرجكم .

الثاني : الجدد ، قال الله : ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٦٢] ، أي بجدد ، ومثله : ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [سورة مريم آية : ١٢] ، أي : بجدد ، وقيل معناه أي : ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٦٣ ، ٩٣ ، الأعراف : ١٧١] ، من المقدرة وفي هذا دليل على أن القدرة على الأخذ معهم أخذوا أم لم يأخذوا .

الثالث : البطش ، قال الله : ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [سورة فصلت آية : ١٥] ، يعني : البطش ، والبطش الأخذ بالشدة والغلبة ، ويموز أن يكون بمعنى القدرة ، أي : من أقدر منا على الامتناع مما يراد بنا ، ويموز أن تكون القوة هنا العدة أيضا .

(١) (ق و ي) : قَوِيَّ يَقْوَى فَهُوَ قَوِيٌّ وَاجْتَمَعَ أَقْوِيَاءُ وَالْإِسْمُ الْقُوَّةُ وَاجْتَمَعَ الْقَوَى مِثْلُ غُرْفَةٍ وَغُرُفٍ وَقَوِيٌّ عَلَى الْأَمْرِ وَكَأَنَّ لَهُ بِهِ قُوَّةً أَيْ طَاقَةً وَالْقَوَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ الْقَفَرُ وَأَقْوَى صَارَ بِالْقَوَاءِ وَأَقْوَتْ الدَّارُ خَلَّتْ . [المصباح المنير : القاف مع الواو] .

الرابع : السلاح وهو راجع إلى معنى القوة ، قال الله : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٠] ، أي : من سلاح ، والدليل على هذا ما يتلوه من ذكر الخيل ، وذلك أن الخيل يذكر مع السلاح ، وليس يجوز أن يقال أن المراد بها القدرة ؛ لأنهم لا يقدرُونَ على فعل القدرة لأنفسهم .

الخامس : الشدة ، قال الله : ﴿ لَتَنُوَّ بِالْعُصَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ [سورة القصص آية : ٧٦] ، وتنوء بالعصبة ، أي : تغلبهم ولو ناموا بها لكانوا قد حملوها ولكن هي نات بهم ، أي : ارتفعت بهم فلم يطبقوها .

القضاء^(١)

الحتم ، ومنه أصله ، قيل القاضي لأنه يحتم على الناس الأمور ، ثم قيل : لكل شيء الحتمة ، وفرغت منه قد قضيته ، قال أبو ذؤيب :

وَعَلَيْهَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِعَ تَبَسُّعٌ

وذلك أن من عمل عملاً وفرغ منه فقد حتمه وقطعه ، والقضاء تأدية الفرض ، ومنه قضاء الدين ، وحده القضاء في اللغة فصل الأمر وإبرامه وبلوغ آخره على التمام والإحكام ، ومنه قوله للموت : قضاء الله لأنه آخر أمر الدنيا ، ومنه قوله : ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ [سورة الحاقة آية : ٢٧] ، ومنه التقضي والانتضاء .

وهو في القرآن على اثني عشر وجهاً :

الأول : الأمر ، قال الله : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء آية : ٢٢] ، أي : أمر أن نعبد الله وحده ، وفي هذا بطلان قول من يقول : أنه قضى أن نعبد الشيطان ، وقيل : فرض ، وهو قريب من الأول ، ولا يقال قضاء إلا فيما كان لازماً من الفروض ، فأما التوافل فلا يقال فيها القضاء .

الثاني : بمعنى العلم ، قال الله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [سورة القصص آية : ٤٤] ، أي : أعلمناه ، وإذا قلت : قضيت إليك ، فهو بمعنى العلم ، وقضيت عليك بمعنى الحكم ، ومثله : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [سورة الحجر آية : ٦٦] ، ثم فسر ما الأمر ، وقال : ﴿أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [سورة الحجر آية : ٦٦] ، كأنه قال : وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع ، ومثله : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤] ، أي : أعلمناهم ذلك ، ويجوز

(١) (ق ض ي) : (قضى) القاضي له عليه بذلك قضاء وقاضيته حاكمته (وفي حديث) الحذيتي وقاضاهم على أن يعود أي صالحهم (وقاضي) الحرمتين هو أبو الحسن يلميذ الكرخي وأبي طاهر الدباس مكدًا في كتاب الفقهاء واسم القاضي في الحثي عامر بن الظرب المدائني وقضته مستغصاة في المغرب (وقضيت) ديتة وتقاضيته ديتي ويدني واستغصبه طلبت قضاءه واقضيت منه حتى أخذته . [المغرب : القاف مع الضاد] .

أن يكون القضاء في هذه الآيات بمعنى الوحي ، قوله : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤] ، أي : أوحينا إلى أنبيائهم .

الثالث : الإتمام والفراغ ، قال الله : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] ، أي : أتمتموها وفرغتم منها ؛ ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] ، أي : لا تقطعوا ذكره لفراغكم من متعباتكم ، وكانت العرب إذا أرادت الصلح عن الحج وقفت بين المسجد والجبل بمعنى فذكرت محاسن آبائها ومناقبهم ، فأمر الله أن يذكره ويشوا عليه كذكرهم آبائهم ، ثم قال : ﴿ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] ، وأراد بل أشد ذكرا ، لأن نعم الله عليهم أكثر من نعم غيرهم ، ووقع أو موقع بل معروف ، ومنه قوله : ﴿ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٧] ، أي : بل يزيدون .

وقال بعضهم : أو يزيدون عنكم ، ومثله : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ ﴾ [سورة النساء آية : ١٠٣] ، ونظيره : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ وَلَوْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ [سورة الأحقاف آية : ٢٩] ، أي : فلما فرغ النبي صلى الله عليه من قراءة القرآن .

الرابع : بمعنى الفعل ، قال الله : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ [سورة طه آية : ٧٢] ، أي : افعل ما أنت فاعل ، ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [سورة طه آية : ٧٢] ، والحياة نصب على الظرف ، ويموز أن يكون القضاء هنا الحكم أي : احكم فينا بما أنت حاكم ، وقال : ﴿ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [سورة الأنفال آية : ٤٢] .

الخامس : بمعنى الإرادة ، قال الله : ﴿ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة غافر آية : ٦٨] ، أي : إذا أراد أمرا فإنما يقول له كن فيكون ، أي : إذا أراد أمرا لم يتعذر عليه فعله ، وليس هناك قول ، وإنما هو عبارة عن إيجاده الفعل من غير تعذر إذا لم يحتمل الكلام على هذا المعنى فسد ؛ لأنه لا يجوز أن يخاطب المعلوم ، ولا يجوز أن تقول للموجود كن ؛ لأنه كان ، وإنما هو كقول الشاعر :

قال جناحاه لیساً فیها جفاء

ولم يكن هناك قول ، بل هو إخبار عن سرعة اللحاق .

السادس : بمعنى الموت ، قال : ﴿ لَيَقْضِيَّ عَلَيْنَا رَبِّكَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٧٧] ،
أي : ليمتنا ، ومثله قوله : ﴿ فَوَكَّزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ [سورة القصص آية : ١٥] ،
ومثله : ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةَ ﴾ [سورة الحاقة آية : ٢٧] .

السابع : بمعنى الوجوب ، قال الله : ﴿ وَأَنْزَلْنَاهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة
مريم آية : ٣٩] ، أي : وجب العذاب ، وقال : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة
إبراهيم آية : ٢٢] ، والوجوب هنا الوقوع ؛ لأن العذاب كان وجب عليهم في الدنيا ، وإنما
يقع في الآخرة .

الثامن : الكتاب ، قال الله : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ [سورة مريم آية : ٢١] ، أي :
مكتوب في اللوح المحفوظ ، ويجوز أن يكون أمرا مقتضيا ، أي : مقدرا مفروغا .

التاسع : قضى بمعنى أتم ، قال : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ [سورة القصص آية :
٢٩] ، أي : أتم الشرط المشروط إلى الأجل ، ومثله : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [سورة طه آية : ١١٤] ، أي : من قبل أن يتم جبريل صلوات الله عليه
قرآنه عليك .

العاشر : قضى بمعنى فصل ، قال الله : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الزمر آية :
٦٩] ، وقال : ﴿ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٥٨] ، ونظيره : ﴿ إِنْ رَبِّكَ
يَقْضِي بَيْنَهُم ﴾ [سورة الجاثية آية : ١٧] .

الحادي عشر : قضى بمعنى خلق ، قال الله : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي
يَوْمَيْنِ ﴾ [سورة فصلت آية : ١١] ، أي : فخلقهن ، ويجوز أن يقال : أتم خلقهن فيكون على
الأصل .

الثاني عشر : قضى بمعنى حكم ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ [سورة غافر آية :
٢٠] ، وقريب منه ، قوله تعالى : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٥٧] .

وفي هذا دليل على أنه لم يقض الكفر ؛ لأنه ليس حق فقد قال : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٢] ، فدل على أن قتلهم ليس من قضائه لإخباره أنه لا يقضي إلا بالحق ، وإن زعموا أن قتلهم من قضائه لزمهم أن يقولوا أن قتلهم حق ؛ لأن قضاءه حق .

وقرئ ﴿ يقضي الحق ﴾ ، ويقضي أجود هنا ، لقولنا : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [سورة يوسف آية : ٤٠ ، ٦٧ ، الأنعام : ٥٧] ، والحكم والقضاء واحد ، وجميع هذه الوجوه راجع إلى ما قلنا من الأحكام ، والفراغ من نفس الشيء أو حكمه أو الخبر عنه .

القدر^(١)

القدر هو وجود الأفعال على مقدار الحاجة إليها والكفاية لما فعلت من أجله ؛ كان القدر هو الوجه الذي أودت إيقاع المراد عليه ، والمقدر للفعل هو الموجب له على ذلك الوجه .

وأصل القدر في العربية التوسط بين العلو والتقصير ، ومن ثم قيل : للقدرة قدرة ؛ لأن الفعل يقع على قدره ، وقيل : هذا على قدر ذلك ، وقدره أي : غير فاصل عنه ولا مقصر دونه ، ومنه قيل : القدر لأنك تطبخ فيها الطبخ بقدر ما تحتاج إليه ، أو بقدر ما تسعه .

وسمي قدر الله قدرًا لأنه يقع على قدر المصالح ، لا فضل ولا نقصان ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [سورة القمر آية : ٤٩] ، أي : هو على قدر الصلاح .

وقال بعضهم : أصل القدر هو وجود الفعل على مقدار ما أراده الفاعل وحقيقته في أفعال الله وجودها على قدر المصالح ، وأما قوله : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ٢] ، فإن اللفظ عام ، والمعنى خاص ؛ لأن المعاصي لم تدخل فيه ، والشاهد قوله : ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة النمل آية : ٨٨] ، والباطل ليس بمتمكن .

والدليل على أن كل شيء لغير معنى الإحاطة ، قوله : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة النمل آية : ٢٣] ، ونحن نعلم أنها لم تؤت لحية ، وقوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٤] ، وهو القدر ، والقدر ، ثم استعمل في التقصير ف قيل : قدر فلان على نفسه مثل قتر ونحوه ، : ﴿ فَظَنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٨٧] ، أي : ظن أن لن نصيق عليه ؛ كقوله : ﴿ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ ، ومنه : ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ [سورة الطلاق آية : ٧] ، أي : ضيق عليه .

ومن ذلك قولهم : رجل أقدر ، إذا كان قصير العنق ؛ وجاء أيضا في الزيادة ، فقيل : فرس أقدر للذي تتقدم موقع رجله موقع يده ، والخبر السابق بما يكون قدرة أيضا إذا كان

(١) [قدر] : الْقَدَرُ : القضاء الموفق ، يقال : قَدَرَهُ الله تقديرًا . وإذا وافق الشيء شيئًا قيل : جاء على قَدَرِهِ . وَالْقَدَرِيَّةُ : قوم يكذبون بِالْقَدَرِ . [العين : قدر] .

المخبر عنه ، ويكون على مقدار ما تقدم به الخبر ، ومنه قوله : ﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ قَدْ رَزَا إِنِّهَا لَمِنَ الْغَايِرِينَ﴾ [سورة الحجر آية : ٦٠] ، أي : أخبر عن ذلك ، بقوله : ﴿إِلَّا امْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [سورة هود آية : ٨٠] ، ومنه ، قول العجاج :

وأعلم بأن ذا الجلال قد قدر

أي أخبره ، وقيل : قدر وقدر لغتان بمعنى واحد ، وقرئ : ﴿قَدَّرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [سورة المرسلات آية : ٢٣] ، بالتثنية فجمع بين اللغتين ، [كما] قال الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت

والصحيح أن قدر الشيء بالتشديد وفي تكرير الفعل ، وقيل : التخفيف بمعنى القدرة والملك ، ومعنى قولهم : المقدور كائن ، أن ما أخبر الله بكونه كائن ؛ وليس أن المعنى المخلوق كائن ؛ لأن ذلك لا يشك فيه .

والقدر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الأمر والحكم ، قال الله : ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [سورة الأعلى آية : ٣] ، يعني : أنه أمر في الزاني بالرجم ، وفي القاذف بالجلد ، وفي السارق بالقطع ، وفي القاتل بالقتل ، وهدى بذلك إلى ما فيه نجاة الخلق .

وفي هذا دليل على أن المعصية ليست من قدر الله ، لقوله : ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [سورة الأعلى آية : ٣] ، ولم يقل : قدر فأضل وأعمى .

الثاني : الخلق على قدر ، قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [سورة المزمل آية : ٢٠] ، أي : يخلق كل واحد منهما بعد الآخر على قدر لا زيادة ولا نقصان .

وقال : ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لُيُسْتَقَرُّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سورة يس آية : ٣٨] ، أي : ذلك خلقه كذا قيل ، ويجوز أن يكون المعنى أنه قدر سيرها تقديرًا لا يتفاوت .

الثالث : التسوية ، قال الله : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [سورة يس آية : ٣٩] أي : سوينا له منازل يتزل فيها حالا بعد حال ، وهو راجع إلى الخلق كذا قيل ، ويجوز أن يكون المراد إنا قدرنا سيره في المنازل تقديرا لا يتفاوت .

قال أبو علي رحمه الله : القدر على وجهين :

أحدهما : أن يفعل الله الشيء مقدرًا ، والآخر : أن يقدر لخلقه بأن يعرفهم مقداره ووقت كونه ؛ كقولك لصاحبك : كم تقدر مقامك بالبلد ؟ وللخياط : ما يقدر أن تعطني الثوب ، ومعنى ذلك أن يعرفك مقداره .

قليل^(١)

القليل ما يقصر عن الكفاية ، وهو قل بمعنى قليل ، والقل أيضا القلة مثل النحل والنحلة ، والعذر والعذرة ، وقيل : قل فعل ولهذا جاء فاعله على فعيل ، مثل كرم ، وهو كريم ، وكثر وهو كثير ، وقيل هو فعل إلا أنه دخله معنى المبالغة فجاء فاعله على فعيل ، كما قيل : حرص وهو حريص وهذا هو الصحيح ، ويقال : هؤلاء قوم قليل وقليلون وكثير ، ولم يجيء كثيرون .

والقليل في القرآن على ثلاثة أوجه فيما ذكروا وبعضها عندنا داخل في بعض :

الأول : بمعنى اليسير ، قال : ﴿ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨٧] ، أراد أن أهل الكتاب تركوا العمل بكتابتهم وكموا ما يدل منه على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله ، لعرض نالوه من عرض الدنيا وذلك قليل .

الثاني : بمعنى الرياء فيما جاء عن بعضهم ، وهو قوله : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٢) [سورة النساء آية : ١٤٢] ، وهو والأول عندنا سواء ، والمراد أن المنافقين يذكرون الله إذا لقوا المؤمنين فذكروهم له قليل بالإضافة إلى ذكر المؤمنين له ؛ لأن المؤمنين يذكرونه على كل حال .

(١) الفرق بين القليل واليسير : أن القلة تقتضي نقصان العدد يقال قوم قليل وقليلون وفي القرآن " لشرذمة قليلون " يريد أن عددهم ينقص عن عدة غيرهم وهي نقيض الكثرة وليس الكثرة إلا زيادة العدد وهي في غيره إستعارة وتشبيه ، واليسير من الأشياء ما يتيسر تحصيله أو طلبه ولا يقتضي ما يقتضيه القليل من نقصان العدد ألا ترى أنه يقال عدد قليل ولا يقال عدد يسير ولكن يقال مال يسير لأن جمع مثله يتيسر فإن استعمل اليسير في موضع القليل فقد يجري إسم الشئ على غيره إذا قرب منه . [الفروق اللغوية : ١/ ٤٣٤] .

(٢) قال أبو جعفر : أما قوله : " وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا " ، فلعل قائل أن يقول : وهل من ذكر الله شيء قليل ؟

قيل له : إن معنى ذلك بخلاف ما ذهب : ولا يذكرون الله إلا ذكر رياء ، ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسياء وسلب الأموال ، لا ذكر موقن مصدق بتوحيد الله ، مخلص له الربوبية . فلذلك ساء الله "قليلًا" ، لأنه غير مقصود به الله ، ولا مبتغى به التقرب إلى الله ، ولا مراد به ثواب الله وما عنده . فهو ، وإن كثر ، من وجه نَصَب عامله وذاكره ، في معنى السراب الذي له ظاهرٌ بغير حقيقة ماء . [جامع البيان : ٩/ ٣٣١] .

الثالث : النفي ، قال الله : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ وقوله : ﴿ قَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٨٨] ، أي : لا يؤمنون ولا يشكرون أصلاً ؛ لأنه في صفة الكفار ، والعرب تقول :

قَلْتُ حِيلَتِي فِي كَذْيٍ إِذَا لَقِيتُ

وقال شاعرهم :

مَنْ كَانَ يَكْذِبُ مَا يَقُولُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ

أي ليس لي فيه حيلة .

القتل^(١)

إماتة الحركة ، وقيل : قتلت هذا الشيء علما إذا بلغت أقصى العلم به ، وناقة ذات قتال وكتال إذا كانت ذات خلق ، والفرق بين القتل والذبح ، أن الذبح عمل معلوم ، والقتل ليس بمعلوم ، ولهذا قال أصحابنا : إن استأجر الرجل رجلا على قتل رجل قصاصا ؛ إن ذلك لا يصح وإن استأجر على ذبح شاة صح .

والقتل في القرآن على وجهين :

الأول : القتل بعينه ، قال : ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩١] ، النساء : [٩١] .

الثاني : اللعن ، قال الله : ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [سورة عبس آية : ١٧] ، ومثله : ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ﴾ [سورة المدثر آية : ١٩] ، أي : لعن ، كيف قدر الباطل على النبي صلى الله عليه وعلى آله ، فقال : إنه ساحر .

(١) (ق ت ل) : قَتَلْتُهُ قَتَلًا أَرْمَقْتُ رُوحَهُ فَهُوَ قَتِيلٌ وَالْمَرْأَةُ قَتِيلٌ أَيْضًا إِذَا كَانَ وَضْعًا فَإِذَا حُلِفَ الْمُوصُوفُ جُعِلَ اسْمًا وَدَخَلَتْ الْهَاءُ نَحْوُ رَأَيْتُ قَتِيلَةً نَبِيَّ فُلَانٍ وَالْجَمْعُ فِيهَا قَتْلٌ وَقَتْلُ الشَّيْءِ قَتْلًا عَرَفْتُهُ وَالْقَتْلَةُ بِالْكَسْرِ ائْتِنْتُ يُقَالُ قَتْلَةٌ قَتْلَةٌ سُوءٌ وَالْقَتْلَةُ بِالْفَتْحِ الْمَرْءُ وَقَاتِلُهُ مُقَاتِلَةٌ وَقَاتِلًا فَهُوَ مُقَاتِلٌ بِالْكَسْرِ اسْمُ فَاعِلٍ وَالْجَمْعُ مُقَاتِلُونَ وَمُقَاتِلَةٌ وَبِالْفَتْحِ اسْمُ مَفْعُولٍ وَالْمُقَاتِلَةُ الَّتِي يَأْخُذُونَ فِي الْقِتَالِ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفِعْلَ وَاقِعٌ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ وَعَلَيْهِ فَهُوَ فَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَبِإِيجَارَةٍ يَسَّرَنِي فِي هَذَا الْبَابِ بَابُ الْفَاعِلِينَ وَالْمَفْعُولِينَ اللَّذَيْنِ يَفْعَلُ كُلُّ وَاحِدٍ بِصَاحِبِهِ مَا يَفْعَلُهُ صَاحِبُهُ بِهِ وَمِثْلُهُ فِي جَوَازِ الرَّجُلَيْنِ الْمَكَاتِبِ وَالْمُهَادَنَةِ وَهُوَ كَثِيرٌ وَأَمَّا الَّذِينَ يَضْلَحُونَ لِلْقِتَالِ وَلَمْ يَشْرَحُوا فِي الْقِتَالِ فَبِالْكَسْرِ لَا غَيْرَ لِأَنَّ الْفِعْلَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَكُونُوا مَفْعُولِينَ فَلَمْ يَجَزَّ الْفَتْحُ وَالْقَتْلُ يَفْتَحُ الِیْمُ وَالتَّاءُ الْمَوْضِعُ الَّذِي إِذَا أُصِيبَ لَا يَكَادُ صَاحِبُهُ يَسْلَمُ كَالْمُضْغِ وَيَقْتُلُ الرَّجُلُ لِحَاجَتِهِ قَتْلًا وَإِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ إِذَا تَأَنَّى هَا . [المصباح المنير : القاف والتاء] .

القول^(١)

عبارة عن جملة ما يتكلم به المتكلم على سبيل الحكاية ، والكلام عبارة عن جنس ما يتكلم به موجودا كان أو معدوما ، ومبتدأ أو محكيا ، وقد شرحنا هذا المعنى في التفسير .

ويقال : قال يقول من القول ، وقال يقيل من القيلولة ، والقيل دون الملك الأعظم والجمع أقيال ، والقيل شرب ونصف النهار ، وقد أقتال الرجل إذا صار قيلا ، واقتال شرب قيلا ، وكل ما يجيء بعد القول فهو مرفوع إلا أن يكون من القول ، تقول : قلت اليوم طيب فترفع ، لأن اليوم ليس من القول ، وتقول : قلت كلاما حسنا ، وقلت خيرا ؛ لأن الخير يقال ، ولا تقول : قلت ثوبا جديدا ؛ لأن الثوب ليس مما يقال .

والقاتل في القرآن على وجهين :

الأول : فاعل القول ، قال تعالى : ﴿ قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [سورة الصافات آية : ٥١] .

الثاني : من القيلولة ، قال : ﴿ أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤] ، [أي] نائمون في أنصاف النهار .

(١) (ق و ل) : قَالَ يَقُولُ قَوْلًا وَمَقَالًا وَمَقَالَةً وَالْقَالَ وَالْقِيلُ اسْمَانِ مِنْهُ لَا مَضَرَّانِ قَالَهُ ابْنُ السَّكَيْتِ وَيُعْرَبَانِ بِحَسَبِ الْعَوَامِلِ .

وَقَالَ فِي الْإِنْصَافِ : هُمَا فِي الْأَصْلِ فِعْلَانِ مَاضِيَانِ جُعِلَا اسْمَيْنِ وَاسْتَعْمِلَا اسْمَيْمَا الْأَسْمَاءِ وَأُتِيحَتْ فَتَحُهُمَا لِيَكُنَّ عَلَى مَا كَانَا عَلَيْهِ قَالَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا فِي الْحَدِيثِ ﴿ نَبِيٌّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قِيلٍ وَقَالَ ﴾ بِالْفَتْحِ وَحَدِيثٌ مَقُولٌ عَلَى النُّقْصِ وَتَقُولُ الرَّجُلُ عَلَى زَيْدٍ مَا لَمْ يَقُلْ أَدْعَى عَلَيْهِ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ . [المصباح المنير : القاف مع الواو] .

القائم

أصل القيام الاستواء ومنه ، قام الشيء لاستوائه مستصفاً ، وقومه سواء ، وقاومه استوى معه في القول أو الخصومة ، وقامت السوق لاستوائها في البيع والشراء ، وأقام أرزاق الجند ؛ إذا أجزاها على استواء ، وأقام الوزن سواء وعدله ، وقوم الثوب إذا ذكر ما يساويه من الثمن ، وأقام بالمكان يرجع إلى هذا .

والقائم في القرآن على وجهين :

الأول : بمعنى المديم للفعل ، قال الله : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾^(١) [سورة آل عمران آية : ١٨] ، أي : مديم لفعله ، والقسط العدل ونحوه : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧٥] ، أي : مديماً للتقاضي .

الثاني : القائم خلاف القاعد ، قال الله : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٩١] .

(١) قال الرازي : أما قوله تعالى : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ ففيه مسائل : المسألة الأولى : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ متصّب ، وفيه وجوه : الوجه الأول : نصب على الحال ، ثم فيه وجوه أحدها : التقدير : شهد الله قاتماً بالقسط وثانيها : يجوز أن يكون حالا من هو تقديره : لا إله إلا هو قائماً بالقسط ، ويسمى هنا حالاً مؤكدة كقولك : أنا عبد الله شجاعاً ، وكقولك : لا رجل إلا عبد الله شجاعاً .
الوجه الثاني : أن يكون صفة المنفي ، كأنه قيل : لا إله قائماً بالقسط إلا هو ، وهذا غير بعيد لأنهم يفصلون بين الصفة والموصوف . والوجه الثالث : أن يكون نصباً على المدح .
فإن قيل : ليس من حق المدح أن يكون معرفة ، كقولك ، الحمد لله الحميد . قلنا : وقد جاء نكرة أيضاً ، وأنشد سيويه :

ويأوي إلى نسوة عطل *** وشعثاً مراضع مثل السعالي

المسألة الثانية : قوله ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ فيه وجهان الأول : أنه حال من المؤمنين والتقدير : وأولوا العلم حال كون كل واحد منهم قائماً بالقسط في أفاء هذه الشهادة والثاني : وهو قول جمهور المفسرين أنه حال من ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ . المسألة الثالثة : معنى كونه ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ قائماً بالعدل ، كما يقال : فلان قائم بالتدبير ، أي يجريه على الاستقامة . [مفاتيح الغيب ٤/ ١٤٤] .

الباب الثاني والعشرون

فيا جاء من الوجوه والنظائر في أوله كاف

الكتب^(١)

أصل الكتب الجمع ، والكتبة العسكر الذي قد تكتب ، أي : تجمع ، وقيل : هي الذي اجتمع فيها ما تحتاج إليه للحرب ، وكتبت البغلة جمعت بين أشعرها بحلقة ، والكتبة الخرزة لأنها تجمع من طرفي الأديم ، وسمي الكتاب كتاباً ؛ لأنه جمع الحروف والمعاني ، والكتب أيضاً الخلق ، قال الهنلي :

كتب البياض لها وثور لونها فعيونها حتى الحواجب سود
أي خلقني بيضاء وعيونها وحواجبها سود ، ولما كان في خلقها بياض وسواد عبر عن ذلك بالكتب تشبيها ، ويقولون : كتب الله عليكم السلامة ، أي : خلقها لكم .

(١) (ك ت ب) : (كُتِبَ) كَتَبَ وَكِتَابًا وَكِتَابَةً وَقَوْلُهُ وَإِذَا كَانَتِ السَّرِيقَةُ صُحُفًا لَيْسَ فِيهَا كِتَابٌ أَيْ مَكْتُوبٌ (وَيَافِي حَدِيثِ أَبِي نُبَيْسٍ) وَاحْكُمُ بِكِتَابِ اللَّهِ أَيْ بِمَا قَرَضَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ عَلَيْهِ كَذَا إِذَا أَوْجِبَهُ وَقَرَضَهُ (وَمِنْهُ) الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى﴾ فَقِيلَ الْمُرَادُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿أَذْهَبْنَاهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ وَمَوَالِيكُمْ فِيهِ أَنَّهُ نَسَبَهُمْ إِلَى مَوَالِيهِمْ كَمَا نَسَبَهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ فَلَمَّا لَمْ يَخْرُجِ التَّحْوِيلُ عَنِ الْأَبَاءِ لَمْ يَخْرُجْ عَنِ الْأَوَّلِيَاءِ وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِكِتَابِ اللَّهِ قَضَاؤُهُ وَحُكْمُهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْوَلَاءَ لَمِنْ أَعْتَقَ (وَأَكْتَبَ الْعَلَامَ وَكُتِبَ) عَلِمَهُ الْكِتَابُ (وَمِنْهُ) سَلَّمَ عَلَامَةً إِلَى مُكْتَبٍ أَيْ إِلَى مُعَلِّمٍ الْخَطِّ رُويَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (وَأَمَّا الْمَكْتُوبُ) وَالْكِتَابُ فَمَكَانُ التَّعْلِيمِ وَقِيلَ الْكِتَابُ الصِّبْيَانُ (وَكُتِبَ) حَبْنَةُ مَكَاتِبَةٍ وَكِتَابًا قَالَ لَهُ خَزَنَتُكَ بَدَأَ فِي الْحَالِ وَرَقَبَةٍ عِنْدَ أَدَاءِ الْمَالِ (وَمِنْهُ) قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ﴾ وَقَدْ يُسَمَّى بَدَلُ الْكِتَابَةِ مَكَاتِبَةً وَأَمَّا الْكِتَابَةُ فِي مَعْنَاهَا فَلَمْ أَجِدْهَا إِلَّا فِي الْأَسَاسِ وَكَذَا تَكَاتَبَ الْعَبْدُ إِذَا صَارَ مَكَاتِبًا وَمَتَارُ التَّرْكِيبِ عَلَى الْجَمْعِ (وَمِنْهُ) كِتَابُ النَّعْلِ وَالْقِرْبَةِ (خَزَنَتَاهَا) (وَالْكِتَابُ الْخَزَرُ) الْوَاحِدَةُ كُتِبَ (وَمِنْهُ) كِتَابُ الْبَغْلَةِ إِذَا جَمَعَ بَيْنَ مَفْرَتَيْهَا بِحَلْقَةٍ (وَالْكُتَيْبَةُ) الطَّائِفَةُ مِنَ الْجَنَاحِ مَجْتَمِعَةٌ (وَبِمَا سُمِّيَ) أَحَدُ حُصُونٍ خَيْرَ (وَقَوْلُهُمْ) سُمِّيَ هَذَا الْعَقْدُ مَكَاتِبَةً لِأَنَّهُ ضَمَّ حُرُوفَ الْيَدِ إِلَى حُرُوفِ الرَّقَبَةِ أَوْ لِأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ تَجَنُّبَيْنِ فَصَاعِدًا ضَمِيفَ جَدًّا وَإِنَّمَا الصَّوَابُ أَنْ تَكَلَّمَ مِنْهَا كِتَابٌ عَلَى نَفْسِهِ أَمْرًا هَذَا الْوَفَاءُ وَهَذَا الْأَدَاءُ . [المغرب : الكاف مع التاء] .

وكتب قدر والمكتوب بمعنى معلوم وبمعنى محدد ، قال أبو عبيدة : كتب قضى ، وكتب حفظ .

والكتب في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الفرض ، قال الله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٩] ، أي : فرض ، وإنما جعل الفرض كتبا ؛ لأنه فرضه في الكتاب وهو في القرآن ، ومثله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٣] ، ومثله كثير .

الثاني : كتب قضى ، قال الله : ﴿ لَاغْلِبِنَا أَتَا وَرُسُلِي ﴾ [سورة المجادلة آية : ٢١] ، ومثله : ﴿ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [سورة التوبة آية : ٥١] ، ومثله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ﴾ [سورة الحج آية : ٤] أي : قضى وبين ؛ لأن كل من تولاك ضال ، وقال : ﴿ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٥٤] ، أي : قضى وذلك أن الله يقضي عليهم بالموت عند القتل لا محالة ، فجعل القتل من قضائه لأنه سبب لما يقضيه ، وهو الموت .

وليس ذلك بموجب أن يكون الذين قتلوا المؤمنين كانوا لا يقدرّون على أن يقتلّوهم ؛ لأنهم لو كانوا كذلك ما نهاهم الله عن قتلهم ، ولكن كان في المعلوم أنهم سيختارون قتلهم مع قدرتهم على تركه ؛ كما أن ما كتب أو أخبر أنه سيفعله فهو سكون لا محالة ، وأن الله قادر على أن لا يفعله .

ونزلت هذه الآية في قصة أحد لما أصيب بها المسلمون ، فقال المنافقون : لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا هاهنا ، أي : لو كان ما يزعمه محمد حقا ما قتل إخواننا هاهنا ؛ يعنون السلطان والغلبة ، فجعل قتل إخوانهم وأوليائهم قتلا لهم ، لأنهم منهم فأجابهم الله بقوله : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٥٤] ، أي : لو قعدتم في بيوتكم أرادته السلامة لخرج منكم الذين كتب الله ؛ وعلم أنهم يقتلون إلى مضاجعهم ، أي : مصارعهم ، ولم يرد القتل عنهم فعودكم ، لأن خلاف ما علمه لا يكون .

الثالث : اجعل ، قال الله : ﴿ فَاتَّخِذْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٥٣ ، المائدة : ٨٣] ، أي : اجعلنا ، ويجوز أن يكون فاتخذنا مع الشاهدين في اللوح المحفوظ ؛ لأن كل شيء يفعله الله مكت فيه ، وقال : ﴿ فَاتَّخِذْنَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٥٦] ، أي : سأجعلها ، وقيل أتشاهدون أمة محمد صلى الله عليه ، المؤمنون الذين يشهدون على الناس بأعمالهم ، ويجوز أن يكونوا الأنبياء لأنهم يشهدون على أممهم بما شاهدوا من أعمالهم ، وقيل : ﴿ فَاتَّخِذْنَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٥٦] ، أي : سأجمعها وذلك أن رحمته ونعمته قد عمت الكافر والمؤمن في الدنيا ، وهو في الآخرة مجموعة للمؤمنين .

الرابع : الأمر ، قال الله : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢١] ، أي : أمركم بدخولها .

الخامس : الكتب المعروف ، قال الله : ﴿ إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : اكتبوا مبلغ الدين ؛ لأن لا ينسى ، ومبلغ الأجل لأن لا يزداد فيه أو ينقص ، ولا خلاف بين فقهاء الأمصار أن الأمر بالكتابة والإشهاد والرهن هاهنا ندب وإرشاد إلى الأحوط .

وقد نقلت الأمة عقود المداينات والبياعات بغير إشهاد ولا تكبير من الفقهاء .

وروي عن ابن جبير ، وعطاء ، وإبراهيم : أن الإشهاد على كتب المداينات والبياعات وقليلها واجب ، وليس ذلك بمعمول عليه .

وعن الحسن ، والشعبي : أن الشهادة والكتب كلانا واجبين فنسخا ، بقوله : ﴿ فَإِنْ أَمَرَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٣] .

وقال ابن عباس : لم ينسخ ذلك ، وأما قوله : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٥٤] ، فمعناه أنه حكم بها وأوجبها على نفسه ، وقال : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ [سورة المجادلة آية : ٢٢] ، أي : علامة الإيمان ، كما قال : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٣] ، أي : حب العجل ، فحذف .

٤٠٨ _____ في ما جاء من الوجوه والنيظائر في أوله يكاف

وكان بنان بن سميان يذهب إلى أن الله كتب على وجهه وسائر أعضائه الرحمة ، ويذهب

إلى أنه ليس في كلام الله مجاز ، وكان يقول أن الله يفنى سائرته ويبقى وجهه ، لقوله تعالى :

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص آية : ٨٨] .

الكفر

أصله التغطية ، ويقال : للليل كافر ؛ لأنه يغطي كل شيء بظلمته ، وكفر الغمام النجوم سترها ، والكافر الذي ليس فوق درعه ثوبا ، والزرايع كافر ؛ لأنه يغيب البذر في الأرض ، وكفر النعمة إذا لم يشكرها كأنه سترها ، ويقال : لوعاء كل ثمرة كافور ؛ لأنه يغطيها ، ويقال للطلع الكفرت ؛ لأنه في غطاء ، ويكفر الذنوب بسترها كالغفران ، ومعنى ذلك أن الله لا يفضح أصحابها بها .

والكفر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الجحد ، قال : ﴿ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٢١] ، أي : يمحذونه ، والجحد لا يكون إلا مع العلم مثل جحد الرجل حق صاحبه ؛ فأما من ينكر ما لا يعرف صحته فليس بجاحد ، ونظيره قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٨٩] ، أي : جحدوه فجعلوا الجحد مع المعرفة على ما ذكرنا .

(١) (ك ف ر) : (الكفر) في الأصل الستر يقال كَفَرَهُ وَتَكَفَّرَهُ إِذَا سَتَرَهُ (ومنه) الحديث في ذكر الجهاد هل ذلك مُكَفَّرٌ عَنْهُ خَطَايَاهُ يَغْنِي هَلْ يُكْفَرُ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذُنُوبُهُ فَقَالَ ﴿ نَعَمْ إِلَّا الَّذِينَ ﴾ أي إلا ذنب الذين فإنه لا بُدَّ مِنْ قَضَائِهِ وَالْكَفَّارَةُ مِنْهُ لِأَنَّهَا تُكَفِّرُ الذَّنْبَ (ومنها) كَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ وَأَمَّا كَفَرُ بِيَمِينِهِ فَعَامِي (والكافور) و (الكفري) يَصْمُ الْكَافُ وَتَقَعُ الْفَاءُ وَتَشْدِيدُ الرَّاءِ كَيْمُ النَّخْلِ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ مَا فِي جَوْفِهِ (والكفر) اسم شرعي وَمَأْخُذُهُ مِنْ هَذَا أَيْضًا (وَأَكْفَرُهُ) دَعَاهُ كَافِرًا (ومنه) لَا تُكْفِرْ أَهْلَ يَلْيُوكَ وَأَمَّا لَا تُكْفِرُوا أَهْلَ يَلْيُوكُمْ فَغَيْرُ تَبَيُّرٍ وَرَوَاةٌ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا لَفَعًا قَالَ الْكُفَيْتُ بِحَاطِبِ أَهْلِ الْيَمِّ وَكَانَ يَوْمًا وَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِعُيُوكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالُوا مَسِيءٌ وَمُذْنِبٌ وَيُقَالُ أَكْفَرُ فُلَانًا صَاحِبُهُ إِذَا أَجَاهَهُ بِسُوءِ الْمَعَامَلَةِ إِلَى الْعِصْيَانِ بَعْدَ الطَّاعَةِ (ومنه) حديث عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا تَتَّبِعُوهُمْ حَقُوقَهُمْ فَتُكْفَرُوهُمْ يُرِيدُ تَتَّبِعُوهُمْ فِي الْكُفْرِ لِأَنَّهُمْ رَبُّمَا ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ إِذَا مَيَّنُوا الْحَقَّ (وكافري) حَقِّي جَحْدُهُ (ومنه) قَوْلُ عَامِرٍ إِذَا أَقْرَبَ جَنْدَ الْقَاضِي يَشِيءُ ثُمَّ كَافَرَ (وَأَمَّا) قَوْلُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ رَجُلٌ لَهُ عَلَى آخَرٍ دَيْنٌ فَكَافَرَهُ بِهِ سَيِّئًا فَكَانَتْ حُكْمُهُ مَعْنَى الْمَهَاطَلَةِ فَعَدَاهُ تَعْدِيَةً (وقوله) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ كَفَّرَتْ يَمِينُ أَهْضَائِهِ لِلْقَلْبِ ﴾ فَالْصَّوَابُ الْإِنْسَانُ أَيْ تَوَاضَعَتْ مِنْ تَكْفِيرِ الذَّمِّ وَالْعِلْجُ لِلْمَلِكِ وَهُوَ أَنْ يُطَاطَمَ رَأْسُهُ وَتَنْحَنَى وَاصِمًا يَدُهُ عَلَى صَدْرِهِ تَطْطِئًا لَهُ وَلَفْظُ الْحَدِيثِ لِأَيِّ سَعِيدِ الْحَنْدَرِيِّ مَوْفُوفًا كَمَا قَرَأْتُهُ فِي الْفَاتِي ﴿ إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِرُ لِلْسَّانِ ﴾ الْحَدِيثُ (والكفر) الْقَرِيَّةُ (ومنه) قَوْلُ مُعَاوِيَةَ أَهْلُ الْكُفُورِ هُمْ أَهْلُ الْقُبُورِ وَالْمَعْنَى أَنَّ سُكَّانَ الْقَرَى يَسْتَرِلُ الْمَوْتَى لَا يَشَاهِدُونَ الْأَمْصَارَ وَالْجَمْعَ (وَلَا تُكْفَرُكَ) فِي (ق ن) . [المغرب : الكاف مع الفاء] .

٤١٠ _____ في ما جاء من الوجه والنظائر في نونه كاف

الثاني : كفر النعمة ، قال : ﴿ اَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٢] .
وقوله : ﴿ لِيَبْلُغُنِيَ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [سورة النمل آية : ٤٠] ، وكقول فرعون لموسى :
﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٩] ، أي :
لنعمتي .

الثالث : بمعنى البراءة ، قال الله تعالى : ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٤] ،
وقال : ﴿ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٢٥] ، وقال في : ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا
أَشْرَكْتُمُونِ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٢] أي : تبرأت .

كان

أصلها الحدوث ، كان الشيء إذا أحدث فهو كائن ، ثم كثر حتى وقع موقع صار ، وموقع لم تزل وموقع هو وغير ذلك مما يذكره .

وذلك على ما حكى أهل التفسير ، وقال النحويون : كان لا يتعدى ، ومعناه حدوث الشيء ، أي : خلق ، فهو في أنه غير متعد بمنزلة قام ؛ فلما احتج إلى ذكر المضي في المبتدأ أو الخبر ، أدخلت كان على قوله : زيد قائم ، فقيل : كان زيد قائما .

والمعنى زيد قائم فيما مضى ، فرفع بها المبتدأ أو نصب الخبر ، كما قيل : ضرب زيد عمرا ؛ فإن أردت في المبتدأ والخبر الاستقبال قلت : يكون ومن أخواته ليس ، وهو ينفي به الحديث ولا ينفي به إلا ما في الحال دون المستقبل والماضي ، وهو موضوع للعبارة عن هذه الجملة .

وما دام وهما كلمتان ويعبر بذلك عن المبتدأ والخبر أيضا إذا كان له دوام ، ويرفع به الاسم ويتصرف معمله كما يتصرف معمول كان ، إلا أن ما لا يجوز أن يقدم عليه المعمول ؛ لأن المعمول هو في الصلة ، والصلة لا تقدم على الموصول . ولكن تقدم بعض الصلة على بعض ، تقول : لا أكلمك ما دام زيد قائما ، وما قائما دام زيد وما زال ، وهما كلمتان إلا أن ما حرف نفي هاهنا وليس باسم ، وما في قولك ما دام اسم مبهم ناقص ودوام صلته ، وهو فعل وزال فعل منفي بيا ، ومعناه ضد دام .

فلما دخلت عليه ما النافية صار بمعنى دام ؛ لأن نفي النفي إيجاب ، وتقول في المستقبل يزال ويزول ، وأما أصبح وأمسى وظل وبات فإنهن أفعال بمنزلة كافي في العبارة عن بعض ، وفي أنها في الأصل غير متعدية إلا أن لكل واحد منها زيادة على ليست للآخر ؛ فأصبح يدل على وقت خاص وهو الصباح ، وأمسى تدل على وقت خاص وهو المساء ، وظل يدل على المكث في النهار ، وبات تدل على المكث بالليل .

وكان في القرآن على أربعة أوجه فيما قيل قالوا :

الأول : أن تكون بمعنى لم يزل ، قال : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ^(١) [سورة الفتح آية : ٧] ، أي : هو لم يزل كذلك ، ويجوز أن يكون دخول كان هاهنا للتوكيد ، وكذا في قوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ، ويكون المعنى أنه غفور غفرانا عظيما ، ورحيم رحمة كبيرة ، ويجوز أن يكون المراد أن الغفران وإحكام الأمور من فعله فيما مضى ، وهذا الوجه هو الصحيح .

الثاني : بمعنى صار ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا إِلَهٌ أَبَدِيٌّ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٣٤] ، وكذلك قوله : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ [سورة النبا آية : ١٩] ، وقال : ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا ﴾ [سورة الزمل آية : ١٤] ، أي : صارت ، وحقيقة المعنى أنها تصير كذلك ، ويجوز أن يكون معناه أنه إذا كان يوم القيامة صارت كذلك ، وهذا هو الصحيح ، وقوله : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهُلِيِّ ﴾ [سورة المعارج آية : ٨] ، أي : تصير .

الرابع : قراءته تفسيره ، قال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ [سورة مريم آية : ٥٤ - ٥٥] ، وقوله : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ غَضَبًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٧٩] ، وإذا جاء قبل كان حرف نفي كانا بمعنى لا ينبغي وهو ، قوله : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ﴾ [سورة مريم آية : ٣٥] ، أي : لا ينبغي له ذلك ، لأنه مستغن عنه ، وكذلك قوله : ﴿ مَا كَانَ لِيُؤْمِنَ أَنْ يَفْتَلَّ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا ﴾ [سورة النساء آية : ٩٢] ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٦١] .

(١) قال أبو جعفر : أما قوله : "وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" ، فإنه يعني : ولم يزل الله مستقما من أعدائه ، كانتقامه من الذين أخذتهم الصاعقة بظلمهم ، وكلعته الذين قصص قصتهم بقوله : "فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله" "حكيما" ، يقول : ذا حكمة في تدبيره وتصريفه خلقه في قضائه . يقول : فاحذروا أيها السائلون محمداً أن ينزل عليكم كتاباً من السماء ، من حلول عقوبتي بكم ، كما حل بأوائلكم الذين فعلوا فعلكم ، في تكذيبهم رسلي وافتراءهم على أوليائي ، وقد حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا محمد بن إسحاق بن أبي سارة الرؤاسي ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : "وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" ، قال : معنى ذلك : أنه كذلك . [جامع البيان : ٣٧٨ / ٩] .

كبير^(١)

أصل الصغر والكبر نقصان عن المعادلة والزيادة عليها ، ويقال الله كبير من جهة العظمة ، ولا يقال له : أنه صغير ولا قليل من جهة أنه واحد ؛ لأن الأصل في القليل أنه أنقص من غيره ، والصغير ما هو أصغر من غيره ، وهذا إنما يكون إذا كان غيره أكبر منه وأكثر .

ويجوز أن يكون الكبير في أساء الله تعالى بمعنى أنه سيد مالك الأشياء ؛ لأن سيد القوم كبيرهم ، ويجوز أن يسمى بذلك ؛ لأنه لا مثل له ، وكذلك تسميتنا بأنه عظيم وجليل .

وأصل الصفة بكبر كبر الشخص ثم استعمل في كبر الشأن ، والكبير الشأن هو الممتع من مساواة غيره بتضعيف أو غيره ، وذلك أن صفاته في أعلى مراتب التعظيم ، فيستحيل مساواتها الأصغر على وجه من الوجوه ، وهذه صفة الله .

والكبير الشخص ، هو الذي يمكن مساواته للأصغر بالتجزئة ، ويمكن مساواة الأصغر له بالتضعيف ، والصفة على هذا المعنى لا تجوز على الله ، ويذكر الشأن في صفاته ؛ لأنه يظهر به امتناع المساواة واستعماله على المجاز ، والله لم يزل كبيراً وأكبر من كل كبير ؛ لأنه يمتنع مساواة كبير غيره له ، ونظير الصفة تكبير عظيم ، والعظيم الشخص ، يمكن مساواة غيره له بالتضعيف .

ولا يصح في الجليل ؛ لأنه غلب عليه المدح ، والعظيم الشأن مثل الكبير الشأن ، لا يجوز مساواة غيره له ، والكبير في السن والشخص والشرف بالعلم يمكن مساواة الصغير له ؛ إما في السن فيتضاعف مدة البقاء ، وإما في الشرف بالعلم فباكتساب مثل ذلك العلم ، والكبير الشأن لا يمكن بمساواة الصغير الشأن له ؛ كفضيلة النبي بالنبوة لا يمكن أن يساويه في فضلها إنسان ، وكبر الشيء معظمه ، وقرئ في : ﴿ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾ [سورة النور آية :

(١) (ك ب ر) : (كَبُرَ) فِي الْقَدْرِ مِنْ بَابِ تَرَبَّ (وَكَبُرَ فِي السِّنِّ) مِنْ بَابِ لَيْسَ كَبِيرًا وَهُوَ كَبِيرٌ (وَكَبُرَ الشَّيْءُ وَكَبْرُهُ) مُعْظَمُهُ (وَقَوْلُهُمُ الْوَلَاءُ لِلْكَبِيرِ) أَيُّ لَا تُكْبِرُ أَوْلَادِ الْمُغْنَى وَالْمُرَادُ أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا لَا أَكْبَرُهُمْ سِنًا وَكَبْرِيَاءَهُ اللَّهُ عَظَمَتُهُ (وَاللهُ أَكْبَرُ) أَيُّ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَتَفْسِيرُهُمْ إِيَّاهُ بِالْكَبِيرِ ضَعِيفٌ (وَالْكَبَرُ) يَنْتَحِيزُ اللَّصْفُ بِالْعَرِيَّةِ وَمِنْهُ أَرَأَيْتَ شَرَابًا يُضَنُّ مِنَ الْكَثَرِ وَالشَّيْرِ وَالنَّاءُ الْمَثَلَةُ تَضَعِيفٌ . [المغرب : الكاف مع الباء الموحدة] .

[١١] ، أي : معظم هذا الإفك ، ومنه الكبر من السن ؛ لأن صاحبه يعظم في الصدور ، فأما الكبر فأعجمي .

والكبر وما يتشعب منه في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : الشديد ، قال الله : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الفرقان آية :

١٩] ، قال : ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤] ، كل ذلك بمعنى شديد كذا قيل ، ونحن نقول : أن حقيقة الشدة والكبر في الأعراس إنما هي الزيادة في المقدار ، فقولك : علا علوا شديدا أو كبيرا أي : علوا لئلا على علو من هو في درجته أو من جنسه أو ما أشبه هذا .

الثاني : المسن ، قال : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [سورة القصص آية : ٢٣] ، قال :

﴿ وَأَصَابَةُ الْكَبِيرِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٦] .

الثالث : الزيادة في العلم والفهم ، قال : ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ ﴾ [سورة

طه آية : ٧١] ، أي : أعلمكم وأفهمكم ، ومثله قال : ﴿ كَبِيرُهُمْ ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٠] ، الأنبياء : ٦٣] ، أي : أفضلهم رأيا ، ولم يعن أكبرهم سنا هكذا قيل ، ويموز عندنا أن يكون أراد أكبرهم في السن .

الرابع : بمعنى الكثير ، قال الله : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ [سورة

التوبة آية : ١٢١] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : مالا قليلا أو كثيرا ، ويموز أن يكون أراد صغيرا أو كبيرا في القدر .

الخامس : الكبير في أسماء الله تعالى ، ومعناه الذي تقدم وهو قوله : ﴿ الْكَبِيرُ

الْمُتَعَالِ ﴾ [سورة الرعد آية : ٩] ، وقوله : ﴿ إِنْ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [سورة النساء آية :

٣٤] ، والمتعال الذي يتضاعف ما يستحقه من علو الصفات ، ولم يزل الله متعاليا على هذا المعنى ، وكل شيء نسب إلى العلو ، وهو معظم الشأن ، لأن العالي ينال ولا ينال ، ويوصف الله بالتعالى أيضا على وجه آخر ، وهو أنه يتضاعف ما تنزه به عن صفات النقص ، نحو قوله تعالى : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٩٢] ، ولا يقال :

الله رفيع ؛ لأن الرفيع يختص بعلو المكان والعلي مشترك بين علو المكان وعلو الشأن ، ومن جهة القدر والاقتدار ، وفي الرفع أيضا معنى الزوال ، رفعت أي : أزلته إلى فوق ، ومنه يقال : ارتفع الشيء إذا زال وذهب ، وقال بعضهم : العلي هو الجليل بما يستحق من ارتفاع معاني الصفات .

السادس : الكبرياء وهو بمعنى الغلبة والسلطان ، قال الله : ﴿ وَتَكُونُ لَكُمْ أَعْيُنٌ عَلَىٰ رَبِّكُمْ فَلْيُكَفِّرْ بَعْضُهُمْ أَعْيُنَهُمْ بِبَعْضٍ ۚ وَلَئِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ ﴾ [سورة الحجر : ٩١] ، يعني : السلطان والملك والغلبة ، وقوله : ﴿ وَلَهُ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [سورة الجاثية آية : ٣٧] ، يعني : الملك والسلطان .

السابع : كبر ثقل ، قال الله : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٣٥] ، أي : ثقل ، وحقيقة المراد به أنه ينال منك منال الحمل الثقيل من حامله ، وذلك أن الكبير في أكثر الحال ثقل .

الثامن : من الطويل ، قال : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ [سورة الملك آية : ٩] ، قالوا معناه الطويل واستعمال الطول والكبر والثقل والعظم في الإعراض توسع إلا أن استعمال بعض هذه الصفات في بعض الإعراض أشهر ، فلماذا قالوا : أن الكبر في الضلال بمعنى الطول ، والمراد أنه ضلال يستمر صاحبه عليه ولا يفارقه .

كذب

أصل الكذب الترك ، ومنه قيل : كذب في الحرب إذا ترك الحملة ، وكذب الرجل في قوله ، إذا ترك العمل بما قاله .

وكذبت الرجل بالتخفيف ، أخبرته بكذب ، وكذبت بالتشديد أخبرت بأنه كاذب ، والمشكل في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ اَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢٤] .

ولا يجوز أن يكون في الآخرة كذب ؛ لأن أهلها ملجأون إلى ترك القبيح ، ولو لم يكونوا كذلك لكان القبيح قد أبيح لهم .

وإنما المراد أنهم ، يقولون في الآخرة : ﴿ وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢٣] ، أي : عند أنفسنا في الدنيا .

وقال : ﴿ اَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢٤] في الدنيا ، بقولهم : أنهم مصيبون فيما يشركون ، وليس هذا خبرا عن الآخرة ، وقيل : كذبهم على أنفسهم هو جحدهم على جهة النسيان ، وإنكارهم لما كانوا عليه في الدنيا .

(١) (ك ذ ب) : كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا وَيَكْذُوبُ التَّخْفِيفُ يَكْزُرُ الْكَافُ وَشُكُونُ الدَّالِّ فَالْكَذِبُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ سَوَاءٌ فِيهِ الْقِسْمُ وَالْجُحْلُ وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنِ الصَّدْقِ وَالْكَذِبِ عَلَى مَنْحَبِ أَهْلِ الشُّبُهَةِ وَالْإِنْسَانُ يَتَّبِعُ الْعَمْدَ وَأَكْذَبَ نَفْسَهُ وَكَذِبَهَا بِمَعْنَى اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ كَذَبَ فِي قَوْلِهِ السَّابِقِ وَأَكْذَبْتُ زَيْدًا بِالْأَلْفِ وَجَدْتُهُ كَاذِبًا وَكَذَبْتُهُ تَكْذِيبًا نَسَبْتُهُ إِلَى الْكَذِبِ لَوْ قُلْتُ لَهُ كَذَبْتَ قَالَ الْكَسَائِيُّ وَتَقُولُ الْعَرَبُ أَكْذَبْتُهُ بِالْأَلْفِ إِذَا أَخْبَرْتُ بِأَنَّ الَّذِي حَدَّثَ كَذَبَ وَرَجُلٌ كَاذِبٌ وَكَذَبٌ .

وفي التنزيل ﴿ قَالَ سَتُنَجِّى أَخَصَدْتُ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ فيه أدب حسن لما يلزم العظماء من صيانة ألقابهم عن مواجهة أصحابهم بمؤلم خطيئتهم عند اختلال خطيئتهم وصوابهم ومثله قوله تعالى حِكَايَةَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ ثُمَّ قَالَ ﴿ وَاللَّهِ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي في ضميرهم المخالف الظاهر لأنه قد يكون كاذبًا بالمثل لا في نفس الأمر فكان اللطف من قوله أَصَدَفْتُ أَمْ كَذَبْتُ وَمِنْ هُنَا يُقَالُ عِنْدَ اخْتِلَالِ الْكَذِبِ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَنَحْوُهُ فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ أَوْ غَلِطَ أَوْ لَبَسَ فَأَخْرَجَ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ وَهَذَا يَقُولُ الْمُفَقَّهُاءُ لَا تُسَلِّمُ وَلَكِنَّهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى الْمُطَالَبَةِ بِالذَّلِيلِ تَارَةً وَإِلَى الْخَطِإِ فِي النُّقْلِ تَارَةً وَإِلَى التَّوَقُّفِ تَارَةً فَإِذَا أَغْلَطُوا فِي الرَّدِّ قَالُوا لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ . [المصباح المنير : الكاف مع الدال] .

وجاء لفظ كذب في القرآن على وجهين :

الأول : الجحد ، قال : ﴿ وَكَذَّبَ بِآيَاتِنَا ﴾ [سورة الليل آية : ٩] ، أي : جحد الجنة ، وقوله : ﴿ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ ، أي : جحد وأعرض ، وقوله : ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ [سورة المطففين آية : ١٢] .

الثاني : تكذيب الرسول ، وهو القول بأنه كاذب ، قال الله : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٣٤] ، ومثله كثير .

وأما قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٣٣] ، فمعناه أنهم لا يكذبونك ولكنهم يكذبونني لأنني أنا المخبر لك ، وقيل : ﴿ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٣٣] ، بحجة ، بل هو جحد ومكابرة .

وقيل : المراد أنهم لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأهم به مما في كتبهم ؛ أنك كاذب فيه ، ويموز أن يكون المراد أنهم لا يكذبونك بقلوبهم ، ولكن يحدون أمرك بالسبهم ، وقرئ لا يكذبونك ، أي : لا يصادفونك كاذبا فيما أخبرت به عن المذكور في كتبهم .

ويموز أن يكون لا يصادفونك كاذبا إذا نظروا في أمرك حق النظر ، وأكذبت الرجل صادفته كاذبا ، وأبخلته صادفته بخيلا ، وقيل : ﴿ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا ﴾ [سورة الليل آية : ٩] ، أي : قصر به ، والعرب تقول كذب الرجل في الحرب إذا ترك الحملة .

الكريم^(١)

أصل الكرم الشرف والفضل ، ومنه سمي الكرم لفضله على غيره من الشجر ، والكرم أيضا قلادة معروفة تشبه خرزها بورق الكرم ، ثم جاء الكرم بمعنى العز ، قالوا : هو أكرم علينا ، أي : أعز ، وتسمية الله تعالى بأنه كريم يعني : أنه عزيز من صفات ذاته ، وقد يكون أيضا بمعنى الجواد المفضل ، فيكون من صفات فعله .

والكريم وما يتصرف منه في القرآن على سبعة أوجه :

الأول : أن يكون بمعنى الأفضل ، قال الله : ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات آية : ١٣] ، وفي قوله : ﴿كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة الإسراء آية : ٧٠] ، أي : فضلناهم على غيرهم من الحيوان ، وقال حكاية عن إبليس : ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتُ عَلَيَّ﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٢] ، أي : فضلت ، وقال : ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [سورة الفجر آية : ١٥] ، أي : فضله .

الثاني : الشرف ، قال الله : ﴿وَنُذْخِلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [سورة النساء آية : ٣١] ، أي : شريفا قرئ ندخلكم من أدخل ، وما كان من أفعّل فإنه يميء فيه مفعّل ، وقرئ مدخلا ، وهو من دخل مدخلا ، وكذلك قوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [سورة الدخان آية : ٥١] ، إذا جعلته من قام فتحته ، وإذا جعلته من أقام ضمته ، ويجوز أن يكون المدخل موضع الإدخال ، والمراد به الجنة ، كما قال تعالى : ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِثْرًا مَثَرًا﴾ [سورة المؤمنون آية : ٢٩] .

الثالث : الصفوح ، قال الله : ﴿إِنْ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [سورة النمل آية : ٤٠] .

(١) (ك ر م) : كَرَّمَ الشَّيْءُ كَرَمًا نَفْسَ وَعَزَّ فَهُوَ كَرِيمٌ وَالْجَنُّعُ كِرَامٌ وَكُرْمَاءُ وَالْأُنْثَى كَرِيمَةٌ وَجَمَعَهَا كَرِيمَاتٌ وَكُرَائِمٌ وَكُرَائِمُ الْأَمْوَالِ نَفَائِسُهَا وَخَيْرُهَا وَأَكْرَمَتُهُ إِكْرَامًا وَاسْمُ الْمَقْعُولِ مُكْرَمٌ عَلَى الْبَابِ وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ وَمِنْهُ مُكْرَمٌ مِنْ بَنِي جَعْفَرَةَ كَانَ الْحُجَّاجُ يَبْتَثُّ مَعَهُ عَشْرًا فَأَقَامَ بِالشُّكْرِ عَلَى قُرْبَى الْأَهْوَاءِ وَأَخَذَتْ بِهَا الْبَنَاتُ وَعَمَرَهَا فَتَبَيَّنَتْ إِلَيْهِ وَقِيلَ لَهَا عَشْرٌ مُكْرَمٌ وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ شَسْرَةٍ عَلَى نَحْوِ ثَلَاثَةِ قَرَابِصٍ وَبِهَا الْقَرَابُ الْمَشْهُورَةُ بِسُرْعَةِ الْقَتْلِ بِلَذِغِهَا . [المصباح المنير : الكاف مع الراء] .

الرابع : العزيز ، قال الله : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [سورة الانفطار آية : ٦] ، أي : العزيز الذي لا يغلب ولا يفوته شيء ، فما الذي غررك به فعميت .

الخامس : الكثير ، قال الله : ﴿ رَزَقَ كَرِيمٌ ﴾ ، قالوا : هو كثير ، ويمجوز أن يكون معناه أنه يأتي صاحبه من غير امتهان ، والمراد كريم صاحبه .

السادس : الحسن ، قال : ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [سورة لقمان آية : ١٠] ، أي : حسن ، وهو مثل قوله : ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [سورة الحج آية : ٥ ، ق : ٧] ، ومثله : ﴿ وَقُلْ لَهَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٢٣] ، أي : حسنا .

السابع : الجواد ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [سورة الدخان آية : ٤٩] ، أي : كنت كذلك في الدنيا كذا قيل ، ويمجوز أن يكون معناه أنك كنت كذلك عند نفسك ، وروي أنه قال : " أنا أعز أهل الرادي وأكرمهم ، فقال الله له في جهنم ذو إنك أنت القاتل هذا " ، ويمجوز أن يكون المعنى أن ملائكته يقولون له ذلك ، وقيل : أراد إنك الدليل المهين ، ومعنى ذلك أنه أهل للذل والهوان لكفرك .

الكلمة^(١)

اشتقاق الكلمة من الكلم ، وهو الجرح ، لأن تأثير الحروف في مخارجها وفي السمع كتأثير الجرح في المجروح ، وإن كانت أثارها أخفى ، وتقارب المعاني وتشابهها بحيث تتقارب الألفاظ ، فإذا قلت : كلمته تكليما ، فإننا أدخلت التشديد في الفعل لتدل على تكرير الفعل ، ألا ترى أن الكلمة الواحدة أقل الكلام .

وهي لا تخلو من حروف وحركات ، وكان كل واحد من ذلك كلمة من الكلوم ، لأنها أثر بعد أثر تقع في مخارج الحروف وفي السمع ، فلذلك قيل : كلمته تكليما ، وقد يجوز كلمته كلاما ؛ لأنه يعلم أنه لا يكون مصدر كلمته إلا التكليم ، ولا مصدر تكلمت إلا التكلم ، وإن كلاما إنما ناب عن ذلك وقام مقامه ، وإن كان على غير لفظ الفعل ، لأنهم لم يستعملوا الفعل منه بغير تشديد ما لم تحمل الكلمة ، وإن قل عدد حروفها من التكرير ؛ ولأنهم كرهوا التباس هذا الفعل ما هو من الجرح أيضا .

والكلمة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الخبر ، قال الله : ﴿ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [سورة يونس آية : ١٩] ، أي : لولا الخبر السابق بأن الاستئصال لا ينزل بهذه الأمة لأنزلته بها .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ [سورة الكهف آية : ١٠٩] ، قيل : يعني : مقدوراته ، وقيل : نعمه وعطاياه ، وعلمنا أنه أراد بكلماته وعده لأهل الجنة ووعد له أهل النار ، وهو مثل قوله : ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [سورة الكهف آية : ٢٧] ، الأنعام : ١١٥] ، والمراد أنه لو يفعل ما وعد به أهل الجنة وأوعد به أهل النار حالا بعد حال ، فيما يستقبل وكتب ذلك بما في البحر ، وقد جعله مدادا وزاد عليه في مثله لنفد قبل نفاذ

(١) [كلم] : الكلم : الجرح ، والجميع : الكلوم . كلمته اكليمه كليا ، وأنا كام ، وهو مكلوم . أي : جرحته .

وكليمتك : الذي يكلّمك وتكلّمه .

والكلمة : لغة حجازية ، والكلمة : تسمية ، والجميع : الكلّم والكلم ، هكذا حكى عن رؤية : لا يسمع الركبُ به رجوع الكلّم . [العين : الكاف والنون والفاء] .

ذلك ، وإنما أراد الإخبار عن كثرة ما أعدّه للفرّيقين ، وقيل : كلماته معلوماته ما خلق . وما يريد أن يخلق والجملة أنه لم يرد الموجود ، وإنما يريد ما يستأنف ، لأن ما حصل في الوجود معروف قدره .

الثالث : قوله : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ [سورة النساء آية : ١٧١] ، قيل : أراد أمره ، والمعنى عندي يرجع إلى الخلق ، أي : خلقه في رحمها من غير ذكر . وسمي في رحمها من غير ذكر وسمي ليس أيضا في موضع آخر كلمة ، وهو قوله : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٥] ، وذلك أن الناس يتفعون به كما يتفعون بكلام الله ، ويجوز أن تكون الكلمة هنا من ، قوله : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، وهو راجع إلى الخلق على ما ذكرنا ، ويجوز أن تكون كلمته ألقاها ، أي : بشارته ألقاها إلى مريم على لسان ملك ، كما قال لنا : ﴿ سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [سورة المزمل آية : ٥] ، وقيل ألقاها عليها أي : خلقه في بطنها ، وكان الله أخبر به في الكتب المتقدمة ، فلما ولد من غير ذكر ، قال الله لها : أن تلك الكلمة ، أي : المعنى بالكلمة ، وأما الكلمات في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢٤] ، فمعناه أمره إياه وابتلاؤه بها تكليفه إياه طاعته فيها وسمي التكليف ابتلاء على مقتضى العرف ، وذلك إنا لا نعرف ما يأتي الرجل منا ، وما نذر حتى يكلفه ، والله عالم بنفسه غير محتاج إلى اجتلاب العلم بالابتلاء ولكنه على ما ذكرته .

الباب الثالث والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله لام

اللباس^(١)

اللباس واللبس : ما يلبس واللبس المصدر ، وسمي الخلط لبسا لأن وجه الصواب مستمر معه ، وأصل اللبس السر ، واللبوس مثل اللباس ، قال الشاعر :

لُبُوسًا وَمَطْعَمًا

وجاء في القرآن بمعنى الدرع ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٨٠] .

واللباس في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : قوله : ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ هُنَّ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٧] ، جاء في التفسير أنهم سكن لكم ، وأنتم سكن هن ، وقيل : معناه أن الرجل والمرأة يتضامان فيصير كل واحد منهما بمرتلة اللباس للآخر ، ومن الأول قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴾ [سورة النبا آية : ١٠] ، أي : سكنا .

الثاني : الثبات ، قال الله : ﴿ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُم لِيَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٦] ، ومعنى قوله : ﴿ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُم ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦] ، أعطيناكم ، كما قال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٦] ، والحديد إنما يستار من الأرض ، وعبر عن الإعطاء بالإنزال ، كما يعبر عن الجعل بالرفع ، فتقول : رفعنا أمرنا إلى الوالي ، وقيل : إنما قال : ﴿ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُم لِيَاسًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٦] ، لأن أصول اللباس ينبت كماء السماء ، وقيل : بذرة كان من السماء .

(١) (ل ب س) : لَبَسْتُ الثَّوبَ مِنْ بَابِ تَعِبْتُ لَبَسًا يَفْصُمُ اللَّامَ وَاللَّبْسُ بِالْكَسْرِ وَاللَّبَاسُ مَا يُلبَسُ وَلِيَّاسٌ الْكَفْمَةُ وَالْهُودُجُ كَذَلِكَ وَجَمَعَ اللَّبَاسُ لُبْسٌ مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتِبَ وَيُعَدَّى بِالْهَمْزَةِ إِلَى مَفْعُولٍ ثَانٍ فَيَقَالُ أَلْبَسْتُ الثَّوبَ وَالْمَلْبَسُ يَفْتَحُ الْمِيمُ وَالْبَاءُ مِثْلُ اللَّبَاسِ وَجَمْعُهُ مَلَابِسٌ . [المصباح المنير : اللام مع الباء] .

الثالث : قوله : ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٦] ، قالوا معناه : العمل الصالح ، وهو على هذا التأويل مرتفع على الابتداء ، وذلك من صفته ، وقيل معناه أن ستر العورة لباس المتقين ، وقيل : رفع ياضمار هو والمعنى ، ولباس التقوى وهو خير ، وقيل : لباس التقوى اللباس الخشن الذي يلبسه من يختار العبادة ، وأشير به إلى الصوف ، وبالأول إلى الكتان والقطن ، وقيل : هو لباس الصلاة ، لأن الصلاة أحق ما يسمى بالتقوى ، وقيل : أنزلنا عليكم الوحي الذي فيه لباس التقوى ، ولباس التقوى على هذين التأويلين منصوب ، وقال ابن الكلبي : لباس التقوى العفاف ؛ لأن المؤمن لا تبدوا عورته وإن كان عاريا ، والفاجر لا يزال تبدوا عورته وإن كان كاسيا ، وذكر اللباس هاهنا الذكر عن بني آدم .

لولا^(١)

لولا كلمتان يعدهما النحويون من حروف الرفع على المساعدة ، وإنما يرتفع ما بعدهما على الابتداء وضم لا إلى لو للمعنى الحادث بينهما ، وهو الدلالة على الشيء لا يقع من أجل غيره ، كقولك : لولا زيد لخرجنا ، فزيد مبتدأ لم يعمل فيه لو ولا لا ، وأما قولهم لولاك فغير جائز عند المحققين .

والصواب لولا أنت لكان كذا على الابتداء والخبر ، فإذا قلت : لولا زيد تأخذه ، فزيد متصّب بفعل مضمر ، والظاهر تفسير ، ويسمى هذا تحضيضاً ، والتحضيض توكيد الأمر والمعنى ، لولا تأخذ زيداً تأخذه ، وقال القتيبي : لولا تكون في بعض الأحوال بمعنى هلا ، وذلك إذا رأيتها بغير جواب تقول : لولا فعلت كذا تريد هلا ، قال الشاعر :

تعدون عقر البيت أفضل مجدكم بني ضوء طري لولا الكمي المقنع

يريد ولا تعدون الكمي المقنع ، فإذا رأيت لولا جواباً كقوله : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٣-١٤٤] ، فهي التي تكون لأمر لا يقع لوقوع غيره .

وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : على قول بعض المفسرين بمعنى لم ، وهو قوله : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ ﴾ [سورة يونس آية : ٩٨] ، معناه أنهم لم يؤمنوا يعني : أهل القرية ، ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله ؛ ألا ترى أن ما بعد إلا في الجحد يتبع ما قبلها ، فيقول : ما قام أحد إلا زيد ، وإذا قلت : ما فيها أحد إلا كلباً وحماراً نصبت ؛ لأنها منقطعان عما قبل ، إلا وكذلك قوم يونس منقطعون من قوم غيره من الأنبياء ممن لم ينفعه إيمانه ، ولو كان الاستثناء هاهنا قد وقع على طائفة منهم لكان رفعا ، وقيل : ﴿ إِلَّا قَوْمٌ

(١) "لَوْلَا" مَتَعَيَّنَ أَحَدُهُمَا "هَلَا" وَالْآخَرُ "لَوْ لَمْ يَكُنْ" . وَوَقَعَ الْقَوْمُ فِي لَوْلَايَ شَدِيدَتَهُ : إِذَا تَلَاوَمُوا فَقَالُوا : لَوْلَا وَلَوْلَا . [المحيط في اللغة : ما أوله الام] .

يُونُسَ ﴿سورة يونس آية : ٩٨﴾ ، مردود إلى قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس آية : ٩٦] ، إلا قوم يونس .

ويكون على أن يؤمن أهل قرية بأسرها ، حتى لا يشتد منهم أحد إلا قوم يونس ، يقول : فهلا كانت القرى كذلك ، وهذا الوجه أجود من الأول ، وقال بعضهم : إلا هاهنا بمعنى سوى ، أي : فهلا أهل قرية سوى قوم يونس آمنوا فنفعهم إيمانهم وزال عنهم العذاب ، وعندنا أنهم آمنوا قبل أن يروا من العذاب ما يقع به العلم الضروري ؛ بأنهم لو صاروا إلى ذلك كانوا ملجأين ، والملجأ غير محمود على فعل الخير .

قال الثاني : بمعنى هلا ، قال الله : ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ [سورة هود آية : ١٦١] ، وقوله : ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [سورة الأنعام آية : ٤٣] ، وقوله : ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [سورة الواقعة آية : ٨٦] وكذلك لو ما في قوله تعالى : ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾ [سورة الحجر آية : ٧] ، أي : هلا وهذا الأول عندنا سواء .

الثالث : التي تكون لأمر لا يقع لوقوع غيره ، قال الله : ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلِئَلَّتْ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة يس آية : ١٤٣-١٤٤] ، وقيل : المسبحون المصلون ، وقد ذكرناه ، ويموز أن يكون من التسيح .

لَمَّا وَلِمَا

لما تكون بمعنى لم وبينهما فرق ، ويدخل فيه الألف للتوكيد ، وإذا كان مخففاً كان بمعنى إلا ، فالذي هو بمعنى لم ، قوله : ﴿بَلْ لَمَّا يَلُوْثُوْا عَذَابٌ﴾^(١) [سورة ص آية : ٨] ، والمخفف الذي يكون دخوله بمعنى إلا ، وقوله : ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [سورة يس آية : ٣٢] ، وقوله : ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [سورة الطارق آية : ٤] ، أي ما كل نفس إلا عليها حافظ ، وهي لغة لهذيل ، والمشدد أيضاً بمعنى حين ، قال الله : ﴿فَلَمَّا أَسْفَوْنَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٥] ، وفي المخفف وجه آخر .

قال سيويه : سألت الخليل عن قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَجَعَلْنَاكُمْ﴾ [سورة آل عمران آية : ٨١] إلى قوله : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٨١] ، فقال : ما هنا بمنزلة الذي ، ودخلتها اللام كما دخلت على أن حين قلت : لمن فعلت ؟ لأفعلن ، ودخلت على نية اليمين ، واللام الثانية للجواب ؛ كقوله : ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٨] .

وقال الكسائي : هو على مذهب الجزاء ، قال الله : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ [سورة آل عمران آية : ٨١] ، جواب لقوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة آل عمران آية : ٨١] .

وقال الفراء : قرئ : ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾ [سورة آل عمران آية : ٨١] ، بكسر اللام ، والمراد إذ أخذت ميثاقكم بهذا الكلام ، يعني : قوله : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [سورة آل عمران آية : ٨١] . والفرق بين لما ولم أن لما يوقف عليها نحو قد جاء زيد ، فتقول : لما ، أي : لم

(١) قال الرازي : أما قوله تعالى : ﴿بَلْ لَمَّا يَلُوْثُوْا عَذَابٌ﴾ فموقعه من هذا الكلام أنه تعالى يقول هؤلاء إنما تركوا النظر والاستدلال لأنني لم أذقهم عذابي ، ولو ذاقوه لم يقع منهم إلا الإقبال على أداء المأمورات والانتباه عن المنهيات وثانيها : أن يكون المراد من قوله : ﴿بَلْ لَمَّا يَلُوْثُوْا عَذَابٌ﴾ هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من عذاب الله لو أصروا على الكفر ، ثم إنهم أصروا على الكفر ، ولم ينزل عليهم العذاب ، فصار ذلك سبباً لشكهم في صدقه . [مفاتيح الغيب ١٦٥/١٣] .

يحيى ، ولا يجوز ذلك في لم وفي كلامهم كاد ولما ، أي : كاد يفعل ولم يفعل ، ولما جواب قد فعل ولم جواب فعل ، لأن قد للتوقيع . قال سيويه : ليست ما في لما زائدة ، لأن لما تقع في مواضع لا يقع فيها لم ؛ فإذا قال القائل : لم يأتني زيد فهو نفى لقوله : أتاني وإذا قال : لما يأتني فمعناه أنه لم يأت وأنا متوقعه .

اللغو^(١)

أصل اللغو الصوت ، وسواء كان له معنى أو لم يكن بمعنى ، ثم سمي ما يتكلم به كل جيل لغة ، وأصلها لغوة ، كما قيل : أن بك قفة ، والأصل قفوة ومثال هذا كثير ، ثم قالوا : لغو الطائر ثم لما رأوا ذلك صوتا لا معنى له ، جعلوه أصلا في كل شيء لا معنى له ، فقالوا : لغى فلان يلغوا ؛ إذا تكلم بكلام لا معنى له ، ومنه قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَاللَّغْوِ فِيهِ ﴾ [سورة فصلت آية : ٢٦] ، أي : عارضوه بكلام لا معنى له لتشغلوه به عن قرآنه ؛ ثم سمو المسقط الملغى لغوا ؛ لأنه في سبب ما لا معنى له ، وقيل : ألغيت الشيء إذا أسقطته ، وقال جرير :

ويذهب بينها المري لغوا كما ألغيت في الدية الحوارا

ثم سمو الباطل لغوا تشبيها بالمسقط الملغى ؛ لأن الباطل يسقط مع الحق ؛ فلا يكون له ثبات ، ويقال للفحش لغو ؛ لأنه ساقط من الكلام مطرح لا يلتفت إليه ، ويقال : هو لغو ولغا ، وقيل : اللغو في اليمين ؛ لأنه لا إثم فيه ، فكانه ساقط لا معنى له ، ويموز أن تكون اللغة من قولهم لغى الشيء يلغى إذا يعلو به فأما اللهجة فهي من قولهم : لهجت بالشيء إذا لزمته .

واللغو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : اللغو في اليمين ، قال الله : ﴿ لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٥] قالوا : هو قول لا والله ، وبلى والله مما يقوله الرجل ولا يعتمد ، وقيل : هي اليمين الكاذبة التي يرى صاحبها أنه صادق فيها ، وليس فيها كفارة ولا إثم ، وقال

(١) (ل غ و) : لَغَا الشَّيْءُ يَلْغُو لَغْوًا مِنْ بَابِ قَالَ بَطَلَ وَلَغَا الرَّجُلُ تَكَلَّمَ بِاللُّغْوِ وَهُوَ أَخْلَاطُ الْكَلَامِ وَلَغَا بِهِ تَكَلَّمَ بِهِ وَالْقَيْتُ أَبْلَغُهُ وَالْقَيْتُ مِنَ الْعَدَدِ أَسْقَطُهُ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُلْغِي طَلَّاقَ الْمَكْرَهَةِ أَيْ يُسْقِطُ وَيَبْطِلُ وَاللُّغْوُ فِي الْيَمِينِ مَا لَا يُعْقَدُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ كَقَوْلِ الْقَائِلِ لَا وَاللَّهِ وَبَلَى وَاللَّهِ وَاللَّغْوُ مَقْصُورٌ مِثْلُ اللَّغْوِ وَاللَّاعِيَةِ الْكَلِمَةُ ذَاتُ لَغْوٍ وَمِنْ الْفَرْقِ اللَّطِيفِ قَوْلُ الْحَلِيلِ اللَّغَطُ كَلَامٌ لَيْتِي لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ وَالْكَذِبُ كَلَامٌ لَيْتِي تَعْرِ بِهِ وَالْمَحَالُ كَلَامٌ لَيْتِي شَيْءٌ وَالْمُسْتَعْيِمُ كَلَامٌ لَيْتِي مُسْتَعْيِمٌ وَاللُّغْوُ كَلَامٌ لَيْتِي لَمْ تُرَدِّهِ . [المصباح المنير : اللام مع الغين] .

سعيد بن جبير : اللغو أن يحلف الرجل على الحرام ؛ فلا يؤاخذ الله بتركه ، وهذا موافق لتأويل من تأول قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٤] ، هو أن يمتنع باليمين عن فعل مباح أو يقدم على فعل محظور ، وعند الكوفيين : أن الضموس لا كفارة فيها ، لأنها يمين و لا يتقرب برها ولا حثها فهي كاللغو ، والمواخذة المعاقبة ، ويقال : لا آخذك الله أي : لا عاقبك .

الثاني : الباطل ، قال الله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٣] ، وقال : ﴿ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كِرَامًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ٧٢] ، أي : بالباطل ، وقيل : يراد باللغو هاهنا جميع ما يلغى أي : يطرح ، وقيل : أراد أنهم إذا ذكروا النكاح كبوا عنه ، وقوله : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [سورة القصص آية : ٥٥] ، وقيل : يعنى به هاهنا الكفر .

الثالث : مكروه الكلام ، قال : ﴿ لَا تَسْمَعْ فِيهَا لَأَهِيةً ﴾ [سورة الغاشية آية : ١١] ، : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ [سورة الواقعة آية : ٢٥] ، واللاغية مصدر مثل العافية ، والعاقبة .

اللام المكسورة

أجمع أهل العربية أن الحروف حقها البناء على السكون ؛ فإذا وقع الحرف أولاً امتنع النطق به ساكناً ؛ فاضطر الناطق إلى حركتها فحركت كلها بالفتح ؛ لأنه أخف الحركات إلا حرفين الباء واللام ، فقيل : مررت بزيد ؛ وهذا لزيد فأما الباء فعلة كسرهما إنها لا تنتقل عن باب الجر إلى غيره ، فالزيم الكسر لأن عملها الكسر ؛ ولأنها لا تتغير عن حالها كما تتغير اللام والكاف ، وذلك أن اللام قد تكون توكيداً والكاف تكون اسماً وحرفاً وكونها اسماً ، قال الشاعر :

وَصَالِبَاتٍ كَكَمَا يُؤْتَفِينَ

فالكاف الثانية اسم لدخول الكاف الأولى عليه ؛ لأن الحرف لا يدخل على الحرف فالزيم الباء الكسر لما فارقت أخواتها ؛ وأما لام الجر فإنها كسرت لإزالة الالتباس ، وذلك إنك لو قلت : إن هذا لزيد ففتحت اللام لم يعرف لزيد التوكيد والتعليك ؛ ألا تراهم لما ارتفع الالتباس في المضمر فنحوها ، فقالوا : هذا لك وله .

واللام المكسورة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى كي ، قال الله : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ [سورة يس آية : ٦] ، أي : كي تنذرهم .

الثاني : بمعنى أن ، قال : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٧٩] ، وقوله : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٣] ، وقوله : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٤٦] ، أي : أن تزول .

قالوا الثالث : في موضع لأن لا ، قال : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [سورة النحل آية : ٥٥] ، أي : لأن لا تكفروا ، وهو مثل قوله : ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [سورة النساء آية : ١٧٦] ، قيل : لأن لا تضلوا ، وليس لا عند المحققين النحويين مما يحذف في هذا الموضع ، وإنما المعنى في ذلك كراهة أن تضلوا ، ومعنى قوله : ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٥-٦٦] ، أنهم أشركوا معنا غيرنا فعبدوه دوننا ليكفروا

نعمننا عليهم ، ويطرحوا شكرها وليتمتعوا في الدنيا بإطراح عبادتنا ، وذلك أن العبادة فيها على النفس مشقة ، فهم أطرحوها حبا للتمتع وللترفة .

وقال بعضهم : معناه جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم سببا إلى الكفر ، واللامات ثمانية : لام القسم ، ولام الابتداء ، ولام الإضافة ، ولام الأمر ، ولام كي ، ولام الأصل ، ولام التعريف ، ولام الاستغاثة ، ولام القسم : لأمر لقد ولا يجوز أن تكون لام الابتداء ؛ لأن لام الابتداء لا تلحق إلا الاسم ، وما كان بمنزلة الاسم من الفعل المضارع في باب إن ، ولام الإضافة كقوله : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [سورة الروم آية : ٤] ، ولزيد الثوب ، ولام الأمر كقوله : ﴿لِيُنْفِذْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [سورة الطلاق آية : ٧] ، ولام كي مثل : ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ [سورة الأنعام آية : ١١٣] ، ولام الأصل : ﴿أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [سورة التكاثر آية : ١] ، ولام التعريف : ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [سورة البقرة آية : ٥٣] ، ولام الاستغاثة ، قول الشاعر :

يَا بَنِي بَكْرِ أَبْشِرُوا لِي كَلِيَا

الباب الرابع والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ميم

ما ومن

قال أهل العربية ما ومن أصلهما واحد ؛ جعلت من لمن يعقل ، وما لغير من يعقل ، ونحيء ما بمعنى لا ، وبمعنى ليس ، وبمعنى الاستفهام ، وبمعنى من ، وبمعنى الذي .

وهي في القرآن على هذه الوجوه كلها ؛ لمجيئها بمعنى لا ، قوله : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [سورة فصلت آية : ٤٣] ، قيل هي : بمعنى لا ، ويجوز أن تكون بمعنى لم ، أي : لم يقل لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، وكذلك : ﴿ مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٧] ، هي هاهنا بمعنى لم لا غير .

ومجيئها بمعنى ليس ، قوله : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٩] ، أي : ليس لكم ذلك .

ومجيئها في لفظ الاستفهام وهو تقريع ، قوله تعالى : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [سورة الانفطار آية : ٦] .

ونحيء بمعنى التوكيد ، في قوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٥٩] ، أي : فبرحمة عظيمة ، لأن دخولها في هذا الموضع وأمثاله لا بد أن تكون بمعنى ، وليس هاهنا معنى سوى التوكيد ، وتدخل بمعنى من ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ [سورة الشمس آية : ٥] ، أي : ومن بناها ، والعرب تقول : سبحان ما سبح الرعد بحمده ، وقيل : المراد السماء وبنائها ، وكذلك : ﴿ الْأَرْضِ وَمَا طَحَاها ﴾ [سورة الشمس آية : ٦] ، أي : وطحوها .

ونحيء بمعنى الذي ، وهو قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ
وَالْهُدَى﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٩] ، وقوله : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة
الأنفال آية : ٥] .

وقال أبو عبيدة : مجازه مجاز اليمين ، كأنه قال : الذي أخرجك ربك ؛ كقوله : ﴿وَمَا
خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [سورة الليل آية : ٣] ، إنها هو الذي خلق الذكر والأنثى .

قال الفراء : جوابه : ﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [سورة الأنفال آية : ٥] ،
تقول فامض لأمرك في الغنائم على ما شئت كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وهم كارهون
فافعل ذلك .

وقال الكسائي : قد يكون قوله : ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦] ، هو
والجواب فمجادلتهم الآن كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، ومرادنا فيما ذكرناه من أن ما
يجيء بمعنى لا وبمعنى ليس وغير ذلك إنما تقع موقع ذلك ، ويفيد فائدة ليس إن معنى ما
معنى ليس وغيره مما ذكرناه .

المس^(١)

أصل المس اللصوق ، مسسته بيدي ثم قيل على وجه التمثيل مسه الضر ، وقيل : مسه النار ، ومس الرجل المرأة إذا جامعها ، والمس الجنون ، ورجل ممسوس مجنون ، وما مسوس نالته الأيدي ، والفرق بين المس واللمس ، أن اللمس يكون باليد لتعرف الخشونة أو اللين أو غير ذلك ، ويكون المس باليد والحجر وغيره ، وقد ذكرنا ذلك .

والمس في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الجماع ، قال الله : ﴿ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُمْ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤٩] ، وقوله : ﴿ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٧] ، وإنما سمي الجماع مسا ؛ لأنه مع المس يكون .

الثاني : الإصابة ، قال الله : ﴿ مَسَّ آبَاءَنَا الضُرَّ وَالسَّاءَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩٥] ، أي : أصابتهم الشدة والرخاء ؛ فجعل المس هنا موضع الإصابة ؛ ليدل على قصر مدة ما أصابهم من ذلك ، وتعرف به أن مدة المكروه والمحبوب في الدنيا قصيرة ، وقال : ﴿ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [سورة ص آية : ٤١] ، وقال : ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٨] .

الثالث : الجنون ، قال الله : ﴿ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٧٥] .

الرابع : المس بالجراحة ، قال الله : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [سورة الواقعة آية : ٧٩] ، أراد بالمطهرين الملائكة ، وهو التطهير من الذنوب ، وقيل : لفظه لفظ خبر ، ومعناه النهي ، أي : لا يمسه إلا ظاهر .

(١) قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : النَّفْسُ الْمَسُّ بِالْيَدِ وَإِذَا كَانَ النَّفْسُ هُوَ الْمَسُّ فَكَيْفَ يَفْرُقُ الْفُقَهَاءُ بَيْنَهُمَا فِي مَسِّ الْخَشْيَةِ وَيَقُولُونَ لِأَنَّهُ لَا يَجْلُو عَنْ مَسِّ أَوْ مَسِّ وَتَمَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الْمَلَأَمَةِ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ إِذَا لَمَسْتُ نَوْبِي وَلَمَسْتُ نَوْبَكَ فَقَدْ وَجِبَ الْبَيْعُ بَيْنَنَا بِكَذَا وَعَلَّلُوهُ بِأَنَّهُ قَرَّرَ وَقَوْمُهُمْ لَا يَرُدُّ يَدَ لَا مِسٍّ أَيْ لَيْسَ فِيهِ مَنَعَةٌ . [المصباح المنير : اللام مع الميم] .

المعروف^(١)

قد ذكرنا أصله ، وهي في القرآن على أربعة أوجه :

(١) قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التلويل في "المعروف" الذي أذن الله جل ثناؤه لولاه أموالهم أكلها به ، إذا كانوا أهل فقر وحاجة إليها . فقال بعضهم : ذلك هو القرض يستقرضه من ماله ثم يقضيه . ذكر من قال ذلك : حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مقرَّب قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني أنزلت مَال الله تعالى مني بمنزلة مال اليتيم ، إن استغثت استعفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، فإذا أيسرت قضيت .

واختلف قائلو هذا القول في معنى : "أكل ذلك بالمعروف" . فقال بعضهم : أن يأكل من طعامه بأطراف الأصابع ، ولا يلبس منه . ذكر من قال ذلك : حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن السدي قال ، أخبرني من سمع ابن عباس يقول : "ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف" ، قال : بأطراف أصابعه .

وقال آخرون : بل "المعروف" في ذلك : أن يأكل ما يسدُّ جوعه ، ويلبس ما وازى العورة . ذكر من قال ذلك : حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم قال : إن المعروف ليس بلبس الكتان ولا الخلل ، ولكن ما سدَّ الجوع ووارى العورة .

وقال آخرون : بل ذلك "المعروف" ، أكل تمره ، وشرب رطل ماشيته ، بقيامه على ذلك ، فأما الذهب والفضة ، فليس له أخذ شيء منها إلا على وجه القرض . ذكر من قال ذلك : حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن القاسم بن محمد قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إن في حجري أموالاً أيتام ؟ وهو يستأفنه أن يعصب منها ، فقال ابن عباس : ألت تبغي ضالتها ؟ قال : بلى ! قال : ألت تنها جزيهاها ؟ قال : بلى ! قال : ألت تُلطُّ حياضها ؟ قال : بلى ! قال : ألت تفرط عليها يوم وزدها ؟ قال : بلى ! قال : فأصِب من رسلها يعني : من لبنها .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : "المعروف" الذي عناه الله تبارك وتعالى في قوله : "ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف" ، أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة إليه ، على وجه الاستقراض منه فأما على غير ذلك الوجه ، فغير جائز له أكله .

وذلك أن الجميع مجمعون على أن والي اليتيم لا يملك من مال يتيمة إلا القيام بمصلحته . فلما كان إجماعاً منهم أنه غير مالكة ، وكان غير جائز لأحد أن يستهلك مال أحد غيره ، يتيمًا كان ربُّ المال أو مدركاً رشيداً وكان عليه إن تعدَّى فاستهلكه بأكل أو غيره ، ضمانه لمن استهلكه عليه ، بإجماع من الجميع وكان والي اليتيم سيِّله سبيل غيره في أنه لا يملك مال يتيمة كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضاؤه إذا أكل منه ، سيِّله سبيل غيره ، وإن فارق في أن له الاستقراض منه عند الحاجة إليه ، كما له الاستقراض عليه عند حاجته إلى ما يستقرض عليه ، إذا كان قتيلاً بما فيه مصلحته . [جامع البيان : ٥٩٤ / ٧] .

الأول : القدر المستحق بحق الولاية ، قال الله : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة النساء آية : ٦] ، أي : من كان غنيا من أولياء اليتامي فليستغن بئاله عن مال اليتيم ، ولا يتناول منه شيئا ، ومن كان فقيرا فليأخذ منه القدر الذي يستحقه بقيامه عليه من غير تجاوز له .

وقال بعضهم : يأخذ منه القليل على جهة القرض ، قال : والمعروف هاهنا الفرض ، وكذلك في قوله : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [سورة النساء آية : ١١٤] ، أي : بصدقة أو قرض .

قال أبو علي رضي الله عنه : له في المال القليل أجره مثله من غير تجاوز ، وليس له في المال الكبير أجره مثله ؛ لأنها تكون أكثر من نفقته ونفقة عياله ، والله تعالى جعل له الأكل بالمعروف ؛ فإن كان أكله بالمعروف أكثره من أجره مثله لم يحل له ذلك ، وهذه الآية وهي الأصل في الحرج على المفسد لما له ؛ لأن اليتيم إذا بلغ ولم يؤنس رشده ؛ منع من التصرف في ماله فغيره ممن يجري مجراه في إفساد ماله مثله .

الثاني : التزين ، قال الله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ هِيَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٤] ، أي : إذا بلغن انقضاء عدتهن ؛ فلا إثم عليكم في تركهن والتزين والتطيب وطلب الأزواج من وجه يحسن ويؤلف ولا ينكر وكل ما كان حسنا مألوفاً فهو معروف .

الثالث : القول الحسن ، قال الله : ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [سورة النساء آية : ٥] ، أي : أعطوهم ما يعطونهم إياه وعدوهم بعد ذلك وعدا حسنا جميلا ، أراد أن أعطوهم في لين مس وحسن قول من غير انتهاز وهذا على وجه الترغيب دون الإيجاب ؛ وإن كان اللفظ لفظ أمر ، ومثله قوله : ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾ [سورة الحج آية : ٧٧] ، وليس ذوي القرى هاهنا بالوراث .

والشاهد أنه قريبهم باليتامي والمساكين ، وقال بعضهم : نسخ أمر المشركين الفرض في القسمة وإياحة الثلث للميت يجعله حيث يريد ، ونحن نقول : أن النسخ لا يكون في

التوافل ، وإنما هو في الفروض ، وقوله : ﴿ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٥] ، والمعنى إباحة التعريض للمرأة المعتدة بالنكاح دون التصريح .

الرابع : قدر الإمكان من نفقة العدة ، قال : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٤] ، يعني : نفقة العدة ، وهو حق على المتقي وغير المتقي ، ولكنه خص المتقين تشريفا لهم ، وقد تكلمنا في هذه الآية ما فيه كفاية .

من

قال النحويون : من تدخل لابتداء الغاية ، وهو قولك : سرت من البصرة ، فأعلمت أن ابتداء سيرك كان منها ، وقولك : من فلان إلى فلان ، قال : وأخذت منه درهما ، وسمعت منه حديثا ، أي : هو أول هذا الذكر .

وتدخل للتبويض في قولك : أكلت من طعامك ، وأخذت من مالك ، وقيل : معنى ذلك أنه جعل ماله ابتداء غاية ما أخذ منه ، فدل على التبويض من حيث صار ما بقي إمهاله والأصل واحد .

قال المبرد : وتكون لإضافة الأنواع إلى الأسماء ؛ كقوله : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٩٠] ، وقوله : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ [سورة الحج آية : ٣٠] ، والرجس يجمع الأوثان وغيرها ؛ فإذا قلت : من الأوثان وغيرها فإنها معناه الذي ابتداءه من هذا الصنف ، قال : وكذلك قول سيويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية ؛ لأن الكلام يكون عجميا وعربيا فأضاف النوع إلى اسمه الذي بين فيه ، وهو العربية ، وقيل : لما كان في الوثن رجس وغير رجس ، قال : من الأوثان فحرم الرجس منها ، وهو عبادتها ، ولم يحرم أجسامها ، ودخلت من على هذا التقدير ، وقالوا : يكون دخولها كسقوطها في قولك : ما جاءني من أحد .

وقول الله : ﴿ أَنْ يَتَزَلَّ عَلَيْكُمُ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٠٥] ، وعند المحققين من النحاة إنها هاهنا ليست زيادة ؛ لأن الزيادة في الكلام من غير فائدة عيب ، ولما هاهنا معنى صحيح ، وهو أنك إذا قلت : ما جاءني أحد فجاز أن تكون أحد هاهنا بمعنى واحد ، وجاز أن تكون أحد الذي هو بمعنى الجنس ؛ فإذا دخل من زال اللبس فصار المعنى من الناس كلهم ؛ إذا كانوا واحدا واحدا ، وإذا لم يدخل من جاز ، لأن لا يبيته واحد ويبيته اثنان فما فوق .

وقال ابن درستويه : إنها أفادت هاهنا أنه لم يبيته من هذا الجنس شيء ، وإذا لم تدخل من ، كان المعنى أنه لم يبيته هذا الجنس كله ، ولما كان بمعنى التكرير في الوجهين ، والعموم موجودا ظنوا أن من لا معنى لها .

وجاء في القرآن على أربعة أوجه فيما قيل :

الأول : مجيئه بمعنى الباء ، قال : ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [سورة غافر آية : ١٥] ، وقال : ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد آية : ١١] .

الثاني : بمعنى في ، قال الله : ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [سورة فاطر آية : ٤٠] ، أي : في الأرض .

الثالث : بمعنى على ، و قال الله : ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [سورة الأنبياء آية : ٧٧] ، أي : عليهم ، وعندنا أن ذلك يقال على المساحة والمقاربة ، فإذا أردت هذه الوجوه إلى أصل من في العربية صحت ؛ فقوله : ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد آية : ١١] ، أي : ابتداء حفظه من ذلك ، وهكذا قوله : ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [سورة غافر آية : ١٥] ، أي : أمره ابتداء الخلية ، وقوله : ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [سورة الأحقاف آية : ٤] ، أي : ماذا خلقوا بعض الأرض .

الرابع : الوجه الذي ذكر أنه زيادة ، وهو على ما ذكرناه ، قال الله : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [سورة النور آية : ٣٠] ، وقوله : ﴿مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٥] ، وقوله : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠١] ، قالوا : دخل من هاهنا لتختص هذا الملك من سائر الأشياء ، وكذلك قوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [سورة إبراهيم آية : ١٠] ، وإذا كان لدخوله معنى خرج من أن تكون زيادة ؛ فقوله : ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [سورة إبراهيم آية : ١٠] ، أي : بعض ذنوبكم ، وهو الذي يتولون منه ، وقوله : ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [سورة النور آية : ٣٠] ، فإن من للتبعض ، أي : بعض أبصارهم يريد ما حرم عليهم النظر إليه ، وقيل : هو للتيين لأنه لما قال : ﴿يَغُضُّوا﴾ [سورة النور آية : ٣٠] ، احتمل أشياء كثيرة ، فبين المراد بمن فقال : ﴿مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [سورة النور آية : ٣٠] ، وأما قوله : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ [سورة النور آية : ٤٣] ، بمعنى قوله : ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ [سورة النور آية : ٤٣] ،

أي : من جهة السماء من جبال يعني : السحاب ، وهو شبه الجبال فجعلها جبالا على التشبيه ، كما تقول للشديد المقدام : أنه لأسد ، أي : كالأسد ، وقال فيها : ﴿ مِنْ بَرْدٍ ﴾ [سورة النور آية : ٤٣] من هنا للتبعيض ، وذلك أن ما أنفع من البرد في هذا الوقت غير ما يقع في الوقت الآخر ، كما يقع في هذا الوقت هو بعض البرد .

وقال المبرد : أراد من جبال في السماء وتلك الجبال من البرد وإلى نحو من ذلك ، ذهب أبو علي رحمه الله .

وقال الزجاج : أراد من جبال برد ، كما يقال : خاتم في يدي من حديد ، والمعنى خاتم حديد في يدي ، والوجه هو الذي قلناه ، وقيل أيضا : من الأولى لا ابتداء الغاية ؛ لأن ابتداء الإنزال من السماء ، والثانية للتبعيض ؛ لأن البرد بعض الجبال التي في السماء ، والثالثة لتبيين الجنس إذا كان جنس تلك الجبال البرد .

المدة^(١)

أصل المد إتياع بعض الشيء بعضاً ، ومنه مدت الجيش ومد الحبل ومدة الشيء وأمد الجرح ؛ كأنه اتبع فساداً بفساد ، ومنه مادة الشيء ، وهو ما يتشعب منه .
وهو في القرآن على سبعة أوجه :

الأول : التعمير ، قال الله : ﴿ وَنُحَدِّثُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥] ، أي : يمد لهم الأيام ، وهم في ضلالهم يتحIRON ، كما قال : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ [سورة مريم آية : ٧٥] ، أي : يمد له العمر ، وهو في ضلاله ويمس منه ذلك ؛ لأن العبد يصل اختياراً وهو قادر على الهداية .

وليس يجب على الله أن يحول بينه وبين الاستكثار من المعاصي ، كما لا يجب عليه أن يحول بينها وبينه أصلاً .

ويموز أن يكون معناه أنه يمنعه الطاعة ، وفوائده التي يؤتيها المؤمنين ، وذلك أن تسوية المعاصي بالمطيع مفسدة وإغراء بالازدياد من المعصية .

الثاني : الإعطاء ، قال الله : ﴿ أَلَيْسَ لَكُم مَّا تُعْبَدُونَ ﴾ [سورة النحل آية : ١٧] ، وقال : ﴿ وَنُحَدِّثُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ ﴾ [سورة نوح آية : ١٢] .

الثالث : من مدد الجيش ، قال : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمدِّدَ رَبُّكُمْ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٢٤] ، وقوله : ﴿ يُنْدِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٢٥] ، كذا

(١) [مد] : المَدُّ : الجَذْبُ . وَكَثْرَةُ الْمَاءِ أَيَّامَ الْمَدْوِدِ ، يُقَالُ : مَدَّ النَّهْرُ ، وَامْتَدَّ الْحَبْلُ . وَمَدَّ غَيْرَ آخَرٍ . وَالْمَدَدُ : مَا أَمْدَدْتَ بِهِ قَوْمًا فِي الْحَرْبِ . وَمَدَدْتُ الْقَوْمَ : صَرَفْتُ لَهُمْ مَدَدًا . وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِغَيْرِنَا . وَالْمَادَّةُ : كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ مَدَدًا لغيره . وَالْمَدَّاءُ : الْخَبْرُ الْمَدْوُونَةُ أَيْ لَا يَقْطَعُ . وَالتَّمْدُدُ : كَتَمْدُدِ السَّيَّارِ . وَالْإِمْدَادُ : الطُّولُ ، اِمْتَدَّ بِهِمُ السَّيْرُ . وَالْمَدَادُ : الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ ، وَمُدْنِي : أَعْطَيْتِي مَدَّةً ، وَمَدَدْتُ الدَّوَاةَ ، وَأَمْدَدْتُهَا : لَعَنَ . وَلَعَبَةُ لِلصَّيَّانِ يُسَمُّوْنَهَا : مِدَادَ قَيْسٍ . وَخَيْطُ الْبِنَاءِ . وَالْمَدَالُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : بَنَوْا يُؤْتِيهِمْ عَلَى مِدَادٍ وَاحِدٍ . [المحيط في اللغة : ٣٤٠ / ٢] .

جاء في التفسير ، وهذا الوجه والذي قبله سواء ، ولا فرق بين أن تقول أمدّه بعطيه ، وأمدّه بجيش ، ويقال : أمد النهر ، ومدة نهر آخر .

الرابع : البسط ، قال الله : ﴿ وَظِلٌّ مَخْلُودٌ ﴾ [سورة الواقعة آية : ٣٠] ، أي : مبسوط ، ومنه مددت الثوب والبساط ، أي : بسطته .

الخامس : الدوام ، قال الله : ﴿ وَنُحْدِلُ لَهٗ مِنَ الْعَذَابِ مَدًا ﴾ [سورة مريم آية : ٧٩] ، أي : يديمه .

السادس : الإدراج ، قال الله : ﴿ مَا لَا تَحْدُوكَا ﴾ [سورة المدثر آية : ١٢] ، أي : دارا لا تنقطع في شتاء ولا صيف .

السابع : التسوية ، قال الله : ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ [سورة لانشقاق آية : ٣] ، قالوا : معناه و ألقى ما على ظهرها من الجبال حتى استوت ، وقيل : معناه غيرت عن هيئتها وبदلت .

المستقر^(١)

أصل الاستقرار السكون ، ومنه قيل : لبطن الوادي قرار ، لأن الشيء إذا صار إليه سكن ، والقرة البرد ، لأن الناس يسكنون معه ، ويقال للشيء : يوضع في موضعه صابت بقر ؛ لأنه إذا وضع في موضعه لزمه ، ولم يزايله فشبّه بالساكن ، ويقال : للهودج قد لبثاته على ظهر البعير ؛ كأنه سكن قوته ، وأما قولهم : قر عليه دلوا من ماء ، فليس من هذا وإنما حكوا صوت الماء عند انصبابه ، وأما قرّت عينه ، فهو راجع إلى البرد ، وهو خلاف سخنت .
والمستقر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : قوله : ﴿فَمُسْتَقَرٍّ وَمُسْتَوْدَعٍ﴾ [سورة الأنعام آية : ٩٨] ، قالوا : المستقر أرحام النساء ، والمستودع أصلاب الرجال ، والمرفّع على معنى قبلكم مستقر ومستودع وقرئ فمستقر بكسر القاف ، ومستودع بفتح الدال لا غير ، أي : فمنكم مستقر في الرحم ومنكم مستودع في الصلب .

وقيل : مستقر في الدنيا ، ومستودع في الأصلاب وقيل : مستقر في الأحياء ، ومستودع في الشرى .

الثاني : قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ ذَايَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [سورة هود آية : ٦] ، أي : حيث مستقر بالليل ومستودعها حيث يموت ، هكذا قيل .

وقيل : مستودعها كالولد في البطن والنطفة في الظهر ، وقال : ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورة هود آية : ٦] ، أي : كتب ذلك مع أنه عالم به لما للملائكة فيه من العبر .

الثالث : المنتهى ، قال الله : ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٧] ، أي : منتهى ، وقيل : أن لأخذنا إياكم بالإيمان جريا وقسرا ، مستقر أي : وقت ، وسوف تعلمون

(١) (ق ر ر) : قَرَّ الشَّيْءُ قَرًّا مِنْ بَابِ ضَرَبَ اسْتَقَرَّ بِالْمَكَانِ وَالْإِسْمِ الْقَرَارُ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ يَوْمُ الْقَرِّ لِأَنَّ النَّاسَ يَقْرُونَ فِي يَمْنَى لِلنَّحْرِ وَالْإِسْقَرَارُ التَّسَكُّنُ وَقَرَارُ الْأَرْضِ الْمُسْتَقَرُّ النَّابِتُ وَقَاعٌ قَرَقَرَأَ أَيُّ مُسْتَوٍ . [المصباح المنير : القاف مع الراء] .

في الآخرة ، ومثله قوله : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [سورة يس آية : ٣٨] ، أي : لمنتهى لها ، وهو القيامة ، والمعنى أن لها أجلا تصير إليه ، وقرئ لا مستقر لها ، أي : هي تسير أبدا لا تستقر ، وقيل : ﴿ لِمُسْتَقَرٍّ ﴾ أي : لا بعد مطالعها ومنازلها في الغروب ، وقيل : لمقدار من السير قد استقرت عليه لا تجاوزه ، وقيل : مستقرها وقوفها عن السير في الليلة التي تطلع في صحبتها من المغرب عند دنو الساعة .

المشي

أصله من الزيادة والمشاء البناء ، والمشي الإسهال ؛ لأنه زيادة عن الحاجة ، ومشى بفلان مشيا ومشوا ، وهو الدواء المسهل ، وقيل للماشية ماشية ؛ لأن الغالب على حركتها المشي دون العدو .

والمشي في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : مجيئه بمعنى المضي ، قال : ﴿ كَلِمًا أَهْلَاءَ هُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠] ، أي : مضوا .

الثاني : بمعنى المرور ، قال الله : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ ﴾ [سورة طه آية : ١٢٨] ، أي : يعمرون على قرائهم وترونها خرابا بعد إن كانت عامرة .

الثالث : السير ، قال الله : ﴿ فَاَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [سورة الملك آية : ١٥] ، أي : سيروا ، وهذه المعاني كلها متقاربة ، يجوز أن يقع بعضها مقام بعض .

الرابع : البناء ، قال الله : ﴿ اَمْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِكُمْ ﴾ [سورة ص آية : ٦] ، قال معناه : أنموا ، قال الشاعر :

مثلي لا يحسن قولاً فمفع والشاة لا تمشي مع الحملع

(١) (م ش ي) : (المشي) السَّيْرُ عَلَى الْقَدَمِ سَرِيعًا كَانَ أَوْ غَيْرَ سَرِيعٍ وَالسَّيْرُ الْعَدُوُّ وَمِنْهُ ﴿ إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاقْشِرُوا بِأَيْدِيكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ ﴾ وَاسْتَفْسَى أَيْ شَرِبَ مَشُوا أَوْ مَشَا وَهُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي يُسَهِّلُ (وَقَوْلُهُ) وَكَذَلِكَ إِذَا دَخَلَ الْمَخْرَجُ أَوْ جَامَعَ أَوْ اسْتَفْسَى قَالُوا الْإِسْنَاءُ كِتَابَةٌ عَنِ التَّغَوُّطِ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مُتَرَجِّحًا إِلَّا أَنَّ رَوَايَةً مَنْ رَوَى اسْتَفْسَى أَوْجَعَهُ (وَمَشَتْ الْمَرْأَةُ مَشَاءً) كَثُرَ أَوْ لَادَهَا وَنَاقَةُ مَايِبَةٍ كَحَبْرَةُ الْأَوْلَادِ (وَمِنْهُ) الْمَايِبَةُ وَالْمَوَاضِي عَلَى التَّضَاوُلِ وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ الَّتِي تَكُونُ لِلنَّسْلِ وَالْفَيْئَةِ . [المغرب : الميم مع الشين] .

أي لا تنمي ، وقيل : أراد أن بعضهم قال لبعض : امشوا أي : امضوا ، واصبروا أي :
انطلقوا وهم يقولون هذا القول ، ويقال : مشيت الماشية مشاء ، وفشت فشاء ، ونمت نهاء ،
وضنت ضناء ، وأمشى أصحابها وأفشوا وأنموا وأضنوا .

المرض^(١)

أصله من الضعف ، ومنه قيل : امرأة مريضة الأحاط والنظر أي : ضعيفها ، وسمي المرض مرضاً ؛ لأنه يضعف الجسم ، ومنه قيل : مرض في القول إذا ضعف قوله ، والتمريض القيام على المريض .

والمرض في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الغم ، في قوله : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٠] ، أي : غما بما يرزقه من التأييد حالاً بعد حال ، وسمي الغم في القلب مرضاً تشبيهاً بمرض الحسد ، لأنه يغيره عن حاله .

الثاني : النفاق ، قال الله : ﴿ قَبِطَمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣٢] ، أي : نفاق وشك .

الثالث : المرض المعروف ، قال الله : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٤] ، أراد فمن كان كذلك وأفطر عليه فصاعداً الأيام التي أفطر فيها ، فحذف أفطر ، كما قال : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٦] ، يريد فمن كان كذلك محلق فعليه فدية ، وقال : ﴿ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [سورة النور آية : ٦١] .

(١) (م ر ض) : مَرَضَ الْحَيَوَانَ مَرَضًا مِنْ بَابِ تَعَبٍ وَالْمَرَضُ حَالَةٌ خَارِجَةٌ عَنِ الطَّبِيعِ ضَارَّةٌ بِالْفِعْلِ وَيُعْلَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْأَوْرَامَ وَالْأَوْزَامَ أَغْرَضَ عَنِ الْمَرَضِ .
وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ : الْمَرَضُ كُلُّ مَا خَرَجَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ حَدِّ الصَّحَّةِ مِنْ عِلَّةٍ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ تَقْصِيرٍ فِي أَمْرٍ وَتَمَرَضَ مَرَضًا لَفَةً قَلِيلَةً الْإِسْتِعْمَالُ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قَرَأْتُ عَلَى أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَقَالَ لِي مَرَضٌ يَا غُلَامُ أَيْ بِالسُّكُونِ وَالْفَاعِلُ مِنَ الْأَوَّلَى مَرِيضٌ وَجَمْعُهُ مَرَضَى وَمِنْ الثَّانِيَةِ مَارِضٌ قَالَ لَيْسَ بِمَهْزُولٍ وَلَا بِمَارِضٍ وَيُعَدَّى بِالْمُهْزَةِ يُقَالُ أَمْرَضَهُ اللَّهُ وَمَرَضَتْهُ تَمَرَضَتْ تَكْفَلْتُ بِمُدَاوَاتِهِ . [المصباح النير : الميم مع الراء] .

المحصنات^(١)

أصل الكلمة من المنع ، ومنه الحصن لمنعه لما فيه ، وامرأة خسان لمنعها فرجها وفرس خسان لا متاع فلوسيه به ، والعرب تسمى الخيل حصونا به ، قال الأشقر :

ولقد علمت على توقي السردى إن الحصون الخيل لا مدر القرى

وأوصى بعضهم بهال في الحصون فجعل في الخيل ، وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ [سورة النور آية : ٤] ، والإحصان على ضربين :

(١) (ح ص ن) : (المُحْصَنُ) بِالضَّمِّ الْغَفَّةُ وَكَذَا الْإِحْصَانُ وَأَصْلُ التَّرْكِيبِ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْمَنَعِ (وَمَنَعَهُ) الْحِصْنُ بِالْكَسْرِ وَمَوْ كُلُّ مَكَانٍ مَحْمِيٍّ مُحَرَّرٌ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَى مَا فِي جُوفِهِ وَيَوْمَ سُمِّيَ وَالِدُ عَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ الْقَرَارِيِّ وَكَتَبْتُ بِنِ حِصْنِ الْقُرَيْشِيِّ (وَيُضَعِّفُهُ) سُمِّيَ حُصَيْنٌ بِنِ حَبِيبِ الْقُرْطَلَسِيِّ (وَحُصَيْنٌ) تَضْعِيفٌ وَأَمَّا سُفْيَانُ بْنُ حُصَيْنٍ كَمَا ذَكَرَ خَوَاهِرُ رَأْفَةٍ فِي حَدِيثِ صَوْمِ الطَّلُوحِ وَقَالَ ضَعَفَهُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَالضَّرْبُ سُفْيَانُ بِنِ حُصَيْنٍ بِالشَّيْنِ كَمَا ذَكَرَ فِي تَلْرِيجِ الْبُخَارِيِّ وَهُوَ مُؤَدَّبٌ لِلْهَيْدِيِّ وَقَالَ صَاحِبُ الْخَرْجِ عَنْ يَحْيَى بِنِ مَعِيٍّ هُوَ ثِقَةٌ وَعَنْ وَالِدِهِ هُوَ صَالِحُ الْحَدِيثِ يُكْتَبُ حَدِيثُهُ وَلَا يُجْتَنَّبُ بِهِ وَقَدْ حَصَّنَ الْمَكَانَ حَصَانَةً فَهُوَ حَصِينٌ (رَبِّهِ) كَتَبِي أَبُو حَصِينٍ عَثَانُ بْنُ عَاصِمٍ بِنِ الْمُحْصَنِ الْأَسَدِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ الزُّبَيْرِ وَالنَّخَعِيِّ وَعَنْ الثَّوْرِيِّ وَشُعْبَةَ وَشَرِيكَ وَضَمُّ الْحَاءِ تَحْرِيفٌ عَنْ ابْنِ مَآكُولٍ وَغَيْرِهِ وَفِي نُسْخَةِ سَمَاعِيٍّ مِنَ الشَّيْرِ وَمَنْ الْأَخْلَافُ أَبُو الْحَصِينِ عَنْ الشَّعْبِيِّ وَعَنْ الثَّوْرِيِّ وَهُوَ فِي بَابِ مَبْعَثِ الشَّرَايَا وَحَصْنَةً صَاحِبُهُ (وَأَحْصَنَةً) (وَمَنَعَهُ) ﴿ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ﴾ أَيْ لِنَمْنَعَكُمْ وَنَحْرَزَكُمْ وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْغَفَّةِ حُصْنٌ لِأَنَّهَا تُحْصِنُ مِنَ الرَّيْبِ (وَامْرَأَةٌ حَاصِنٌ وَحَصَانٌ) بِالْفَتْحِ وَقَدْ أَحْصَنَتْ إِذَا عَقَّتْ وَأَحْصَنَتْ زَوْجَهَا إِذَا عَقَّتْ فِيهِ مُحْصَنَةً بِالْفَتْحِ وَأَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فِيهِ مُحْصَنَةً بِالْكَسْرِ وَأَرِيدَ بِالْمُحْصَنَاتِ ذَوَاتُ الْأَرْوَاجِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ وَالْحَرَاثُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ وَالْمَقَاصِفُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ يَعْنِي الْكِتَابِيَّاتِ وَشَرَاهُطُ الْإِحْصَانِ فِي بَابِ الرَّجْمِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ سِتَّةُ الْإِسْلَامِ وَالْحَرِيَّةُ وَالْعَقْلُ وَالْبُلُوغُ وَالتَّرَوُّجُ يَنْكِاحٌ صَحِيحٌ وَالذُّخُولُ فِي بَابِ الْقَذْفِ الْأَرْبَعُ الْأَوَّلُ وَالْغَفَّةُ (وَالْحَصَانُ) بِالْكَسْرِ الذَّكَرُ مِنَ الْخَيْلِ إِذَا لَانَ ظَهْرُهُ كَالْحِصْنِ لِرَاكِبِهِ (وَمَنَعَهُ) إِنْ الْخُصُونَ الْخَيْلَ لَا مَدْرَ الْقَرَى وَإِنَّمَا لِأَنَّ مَاءَهُ مُحْصَنٌ مُحَرَّرٌ يُصْنُ بِهِ فَلَا يَنْزِي إِلَّا عَلَى حَبَرٍ كَرِيمَةٍ وَالْجَمْعُ بِضَمِّتَيْنِ حُصْنٌ (فِي الْحَدِيثِ) ﴿ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾ أَيْ مَنْ ضَبَطَهَا عِلْمًا وَإِنَّمَا يَنْبَغِي الْخَصَانُ فِي (ن ب) . [المغرب : الحاء مع الصاد] .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ميم
أحدهما : ما يتعلق به وجوب الرجم على الزاني ، وهو أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما ،
وقد تزوج امرأة نكاحا صحيحا ودخل بها وهما كذلك .

والآخر : الإحصان الذي يجب به الحد على قاذفه ، وهو أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما
عفيفا ولا نعلم خلافا بين الفقهاء في هذا ، وخص قاذف المحصنات ، وأجمعوا على أن قاذف
المحصنين مثله ، واتفقوا على أن المراد القذف بالزنا دون القذف بالسرق وشرب الخمر والكفر
وغير ذلك .

والمحصنات في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الحرائر ، قال الله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ [سورة
النساء آية : ٢٥] ، يعني : الحرائر ، أي : من لم يتسع حاله ليتزوج الحرائر لما يحتاج إليه من
زيادة النفقة والمهر تزوج الإماء ؛ لأن مهرهن أقل ونفقتهن على مواليهن ، وسميت الحرة
محصنة ؛ لأنها تحصن أي : تمنع وليست كلامه بتبذل وتمتهن .

الثاني : ذوات الأزواج ، قال الله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ٢٤] ، وذلك أن أزواجهن أحصوهن فعتطف بهن على قوله :
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ٢٣] ، أي : وذوات الأزواج محرمات
عليكم ، : ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ٢٤] ، يعني : سبايا المشركين ،
فإنهن محلات لكم إذا استبرأتموهن ، وإن كان هن أزواج في بلاد الشرك .

الثالث : العفاف ، قال الله : ﴿ مُحْصَنَاتٌ غَيْرُ مُسَافِحَاتٍ ﴾ [سورة النساء آية : ٢٥] ،
أي : عفيفات ، وكذلك قوله : ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرُ مُسَافِحِينَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥] ، أي :
أعفاء غيره زناه ، وقوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [سورة
المائدة آية : ٥] ، أراد أنه أحل لكم طعام أهل الكتاب ، وأحل لكم العفاف من المؤمنات ،
والعفاف من اليهود والنصارى .

وقال بعضهم : أراد اللاتي كن على اليهودية والنصرانية ثم أسلمن وهذا غلط ؛ لأنه ذكر
المؤمنات ، فلم يكن لذكرهن ثانية وجه ، قال الشعبي : إحصان الكتابية أن تغتسل من الجنابة

وتحصن فرجها من الزنا ، قالوا : وأما قوله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢١] ، فإن إطلاق اسم الشرك لا يتناول أهل الكتاب ، وإنما يتناول عباد الأوثان ؛ لأن الله فرق بينهم في قوله : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [سورة البينة آية : ١] ، فعطف المشركين على أهل الكتاب .

الرابع : المسلمات ، كذا قال بعض أهل التفسير ، ولم يقل : الذين يرمون المحصنين ، لأن قوله : ﴿ الْمُحْصَنَاتُ ﴾ ، دليل عليهم ، وذلك أن المرأة ترمى بالرجل ، كما قال : ﴿ سَرَّابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ [سورة النحل آية : ٨١] ، ولم يذكر البرد ، لأنها إذا وقت الحر وقت البرد ، وخص المحصنات بالذكر لأن ذلك اتسع ، وأكثر أهل التفسير على أن المحصنات هاهنا العفاف .

المثل^(١)

المثل في الأصل يشتمل على ذكر أمثال الشين كقولهم : كما تدين تدان ، وهو من قولك : هذا مثل الشيء ، ومثله كما تقول شبهه وشبهه ، وبين المثل والشبه فرق ذكرناه في كتاب "البدیع في الفروق" ثم جعل كل حكمة وسائرة ومثلاً ، وقد يأتي القائل بما يحسن أن يتمثل به ، إلا أنه لا يتفق له أن يسير فلا يكون مثلاً .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الشبه ، قال الله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٦] ، وقال : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اخْتَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٤١] ، وقوله : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ [سورة التحريم آية : ١١] ، النحل : ٧٦ ، ١١٢ ، أي : وصف شبهها ، وضرب المثل جعله يسير في البلاد من قولك ضرب في الأرض إذا سار فيها .

الثاني : العبرة ، قال الله : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٦] ، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٩] ، والمعنى أنه صارت له شهرة كشهرة الأمثال السائرة ، وأراد أن من بعدهم يتمثل بهم إذا رأى مثل حاكمهم .

الثالث : على ما قبل الصفة ، قال الله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ [سورة محمد آية : ١٥] ، أي : صفتها أن فيها أنهارا .

(١) (م ث ل) : (المثل) وَاحِدُ الْأَمْثَالِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ أي فَعَلَيْهِ جَزَاءٌ مِمَّا قَتَلَ مِنَ الصَّيْدِ وَهُوَ قِيَمَةُ الصَّيْدِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَعِنْدَ مُحَمَّدٍ وَالشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ مِثْلُهُ نَظِيرُهُ مِنَ النَّعَمِ فَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ عُدِلَ إِلَى مَلْعَبِ أَبِي حَنِيفَةَ فَمِنْ النَّعَمِ عَلَى الْأَوَّلِ بَيَانٌ لِلْهَذِي الْمَشْتَرَى بِالْقِيَمَةِ وَعَلَى الثَّانِي لِلْمِثْلِ وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ لِأَنَّ التَّخْيِيرَ بَيْنَ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ عَلَيْهِ ظَاهِرٌ وَاتِّصَابٌ هَذَا عَلَى أَنَّهُ حَالٌ عَنْ جَزَاءٍ لِأَنَّهُ مَوْصُوفٌ أَوْ مُضَافٌ عَلَى حِسَابِ الْقِرَاءَتَيْنِ أَوْ عَنِ الضَّمِيرِ فِي يَهُ (وَمِثْلُ يَهُ مُثْلَةٌ) وَذَلِكَ بِأَنَّهُ يُقَطَّعُ بَعْضُ أَعْضَائِهِ أَوْ يُسَوَّدُ وَجْهُهُ . [المغرب : الميم مع الثاء] .

وقال بعضهم : أن مثل ما يوعدون من أنهار الماء واللبن والخمر في الجنة ما يعرفون من هذه الأشياء في الدنيا ، كأنه قال : مثل الجنة التي توعدون في الآخرة والجنة التي تعقلونها بهذه الصفة ، وهذا هو الوجه المختار .

الرابع : السنن ، قال الله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٤] ، يعني : سنن الذين من قبلكم ، أي : ما أخرجوا عليه في الدنيا من السراء والضراء وهذا بعيد .

والوجه أن يقال : أنه أراد ولما يصيبكم مثل ما أصابهم من السراء والضراء ، وقيل : الشبه والمثل في الشبه والمثل في الهيئة في أكثر الكلام ، وقد يقال فيه : مثل ومثل لغتان ، والشبه في التماثلين من كل شيء ، وبيان ذلك مشروح في كتابنا في الفروق ، وليس هذا موضع الإطالة فيه ، وعندنا أن المماثلة تكون بين الذوات والمشابهة بين الصفات ، ومثله قوله : ﴿ وَمَقْصَى مَثَلِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨] ، أي : سننهم .

ومثله قوله : ﴿ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٣٤] ، يعني : سنن العذاب ، كذا قيل ، والصحيح أنه أراد : ﴿ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٣٤] ، أي : أخبارا تكون لكم مثلاً ، وعبرة تعتبرونها فتستفهمون بها في آيات الدين والدنيا ، وهكذا معنى قوله : ﴿ وَمَقْصَى مَثَلِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨] ، أي : مضى في القرآن من أخبارهم ما يكون مثلاً .

المتاع^(١)

أصله الطول والامتداد ، ومنه قيل : متع النهار إذا امتد ، وتمتع بالشيء إذا طال تملكه

به .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : المدة ، قال الله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٣٦] ، أي : مدة تمتد إلى حين ، كذا جاء في التفسير ، ويجوز أن يكون المراد المتعة أي : لكم مستقر ومنفعة إلى حين .

الثاني : ما يتضع به من آلة ، قال الله : ﴿ وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ ﴾ [سورة الرعد آية : ١٧] .

الثالث : المتعة ، قال الله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴾ [سورة الواقعة آية : ٧٣] ، يعني : النار جعلها الله تذكرة بنار جهنم ، ومنفعة للمقيمين .

قال أهل العربية : للمقوي الضعيف ، والقوي وهو من الأضداد ، وقيل : للمقوي الذي صار إلى القواء ، وهو القفر من الأرض ، ومثله : ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ [سورة النازعات آية : ٣٣] ، وقال الله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٢٩] ، أي : متعة يعني : أنها تقيكم من الحر والبرد ، ومنه متعة المطلقة وهي أن تطلق المرأة قبل تسمية المهر ، والدخول .

قال أصحابنا : المتعة في هذا واجبة لقوله تعالى : ﴿ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٦] ، فأمر بها ، والأمر على الوجوب ثم أكد بقوله : ﴿ حَقًّا عَلَىٰ

(١) (م ت ع) : (المتاع) في اللغة كُلُّ مَا أُتِمَّ بِهِ وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ عِيْسَى سَبَّحَ التَّجَارِمَا يَصْلُحُ لِلانْتِمَاعِ بِهِ فَالطَّعَامُ مَتَاعٌ وَالزَّيْتُ مَتَاعٌ وَأَثَاتُ النَّبِيِّ مَتَاعٌ قَالَ وَأَصْلُهُ النَّفْعُ الْحَاضِرُ (٢٤٨ / ١) وَهُوَ مُصَدَّرُ (أَمْتَعَهُ إِنْمَاتَهَا) وَ (مَتَاعًا) قُلْتُ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ اسْمٌ مِنْ (مَتَعَ) كَالسَّلَامِ مِنْ سَلَّمَ وَالْمُرَادُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ ﴾ أَوْعِيَهُ الطَّعَامَ وَقَدْ يَكْنَى بِهِ عَنْ الذِّكْرِ وَمَا قَالَهُ مُحَمَّدٌ فِي تَفْسِيرِ الْمَتَاعِ مُبْتَدًى فِي الشَّرِّ (وَمُتْعَةً) الطَّلَاقِ وَمُتْعَةً الْحَجِّ وَمُتْعَةً النِّكَاحِ كُلُّهَا مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهَا مِنْ النَّفْعِ أَوْ الْإِنْتِفَاعِ . [المغرب : الميم مع التاء] .

المُحْسِنِينَ ﴿سورة البقرة آية : ٢٣٦﴾ ، وليس في ألفاظ الإيجاب أوكد من هذا ؛ لأنه جعلها من شرائط الإحسان ، وعلى كل أحد أن يكون محسناً ، وإذا وجبت عليهم وجبت على غيرهم ، لأن أحدا لا يفرق بين المحسن والمسيء في الفروض ، ولا يجوز أن تكون ندبا ؛ لأن الندب لا يختلف فيه المحسنون وغيرهم ، وعند أصحابنا أن المتعة لا تكون أكثر من نصف مهر المثل ، وفيه كلام كثير أوردهنا في التفسير .

وأما قوله : ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالمُعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤١] ، فالمتاع هنا نفقة العدة ، وأوردنا هذه الوجوه على ما جاء عن السلف ، وعندنا أن المراد بجميع ذلك المتفعة مع التلذذ ، ومثله : ﴿بَلْ مَتَعْنَا هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٤٤] .

وقال بعض أهل اللغة : أصل التمتع التزود ، والمتاع الزاد ، وتستعمل في التلذذ ، وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٦] .

قال المفضل : إلى هاهنا بمعنى مع ، والتمتع بالعمرة إلى الحج ، وهو أن يأتي بعمرة في أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة ، حتى إذا قضاها حل من إحرامه ثم أحرم من عامه بالحج فعليه ما استيسر من الهدى ، واستيسر وتيسر واحد مثل استأخر وتأخر ، وأدنى ذلك شاة ، ويجوز مثلها في الأصاحي ، وكذلك القادر ، وليس على المفرد هدي ، وأما متعة النساء فحرام ، ومن خالف فيه فهو خارج من الإجماع ، والإجماع قد سبق بتحريمه ، ونهى عمر رضي الله عنه عنها لنهي رسول الله صلى الله عليه وآله عنها ، والشاهد ما روى أبو هريرة "أن النبي صلى الله عليه وآله حرم المتعة بالطلاق والنكاح" ، وقول الله عز وجل : ﴿فَمَنْ ابْتَنَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧] ، والمتعة هي وراء ذلك ، وأما متعة الحج فإن النبي صلى الله عليه وآله أحله بثلاثة أيام ثم حرمه ، وكان ابن عباس يحل المتعة فقال له علي عليه السلام : "أنت أمرؤ تائه نهي رسول الله صلى الله عليه وآله عن متعة النساء ، وأكل حرم الأهلية بخير" ، فرجع ابن عباس عن هذا القول ، ونادى يوم عرفة بأعلى صوته : "أنا عبد الله بن العباس إلا أن المتعة حرام كالميتة والدم" .

(١) أخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة (٤١٤٩) .

المولى^(١)

المعتق ، والمعتق ، والعصبة ، وابن العم ، والحليفة ، والصاحب ، والولي ، والأولى بالشيء ، قال رسول الله صلى الله عليه : "أية امرأة نكحت بغير إذن مولاهم فنكاحها باطل"^(٢) ، أي : بغير إذن وليها ، ويقال لمن تولاه الرجل وإن لم يكن قريباً له مولى . وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الولي ، قال الله : ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ١١] ، أي : لا ولي لهم ، وقوله : ﴿ لَيْسَ الْمَوْلَى ﴾ [سورة الحج آية : ١٣] ، أي : لبس الولي ، وقيل : لا مولى لهم أي : ناصر لهم ، وقيل : المولى هو المتولي للتبدير لمن ولاه ، تقول : نصر الله النبي والمؤمنين بما تولى لهم من التبدير ، : ﴿ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ١١] ، أي : لا متولي لأمرهم عند أخذ الله إياهم .

الثاني : العصبة قال الله : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾ [سورة مريم آية : ٥] ، يعني : العصبة ، ومثله : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ [سورة النساء آية : ٣٣] ، كذا قيل ، ويجوز أن يكون المولى هاهنا بمعنى الأولى بالشيء ، والمعنى أن لكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون وارثاً هو أولى به من غيره ، ومنه قيل للمالك : العبد مولاه ؛ لأنه أولى به .

الثالث : ابن العم ، قال الله : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥] ، أي : وبنو أعمامكم ، ويجوز أن يكون المعنى : ﴿ وَمَوَالِيكُمْ ﴾

(١) المولى : من لا يمكن له قربان امرأته إلا بشيء يلزمه . ومولى المولاة ، بيانه : أن شخصاً مجهول النسب آخى معروف النسب ووالى معه ، فقال : إن جنت يدي جنابة فتجب دينها على عاقلتك ، وإن حصل لي مال فهو لك بعد موتي ، فقبل المولى هذا القول ، ويسمى هذا القول : مولاة ، والشخص المعروف : مولى المولاة . [التعريفات : ٧٩/١] .

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها (٢٠٨٣) ، وابن ماجه (١٨٧٩) ، وأحد في مسنده (٢٣٦٨٤) ، والدارمي (٢١٨٤) ، وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري أخرجه الترمذي (١١٠٢) .

أولياءكم في الدين ، ويجوز أن يقال : أراد أنهم أصحابكم ؛ لأنكم تستعينون بهم في بعض أموركم ، وهم أيضا منضافون إليكم ، وصاحب الرجل متضاف إليه ، قال الشاعر :

ولست مولى سواه أدعي لها فإن لسوات الأمور مواليا

مَا بَيَّنَّ أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلَقَهُمْ ، ومن بين أيديهم ومن خلفهم

جاء هذا الحرف في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٥] ، أي : ما كان

قبلهم ، وما يكون بعدهم .

الثاني : في سورة مريم : ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ [سورة مريم آية : ٦٤] ، يعني :

الآخرة ، : ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ [سورة مريم آية : ٦٤] ، ما يكون من أمور الدنيا ، ومثله ما

حكاه عن إبليس في قوله : ﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧] ،

قال : لأخبرهم أن لا بعث وما خلفهم أن أزين لهم الدنيا وقريب منه ، قوله : ﴿ وَإِنَّا قِيلَ لَهُمُ

اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ [سورة يس آية : ٤٥] ، يعني : عذاب الآخرة وعذاب

الدنيا ، وقال : ﴿ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ﴾ [سورة يس آية : ٤٥] ، من صبح الله في الأمم

الخالية ، : ﴿ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ [سورة يس آية : ٤٥] ، يعني : عذاب الآخرة .

(١) قال الرازي : أما قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ففيه مسألان :

المسألة الأولى : قال صاحب «الكشاف» : الضمير لما في السموات والأرض ، لأن فيهم العقلاء ، أو لما دل عليه ﴿ مَن ذَا ﴾ من الملائكة والأنبياء .

المسألة الثانية : في الآية وجوه أحدها : قال مجاهد ، وعطاء ، والسدي ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ما كان قبلهم من

أمور الدنيا ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ما يكون بعدهم من أمر الآخرة والثاني : قال الضحاك والكلبي ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني الآخرة لأنهم يقدمون عليها ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم والثالث :

قال عطاء عن ابن عباس ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من السماء إلى الأرض ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ يريد ما في

السموات الرابع ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ بعد انقضاء آجالهم ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي ما كان من قبل أن يخلقهم

والخامس : ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك .

واعلم أن المقصود من هذا الكلام : أنه سبحانه عالم بأحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق العقاب

والثواب ، لأنه عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية ، والشفعاء لا يعلمون من أنفسهم أن لهم من

الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله تعالى ، ولا يعلمون أن الله تعالى هل أذن لهم في تلك

الشفاعة وأنهم يستحقون المقت والزجر على ذلك ، وهذا يدل على أنه ليس لأحد من الخلائق أن يقدم على

الشفاعة إلا بإذن الله تعالى . [مفاتيح الغيب : ٣/ ٤٥٠] .

الثالث : بمعنى قبل وبعد ، قال الله : ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ نَارٍ يَدَيْنِ يَدَيْنِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾
 [سورة الأحقاف آية : ٢١] ، أي : قبل مبعثه وبعده ، يعني : هوذا عليه السلام .

المنسك^(١)

أصل النسك : الذبيح ، والنسيكة الذبيحة ، ثم كثر ذلك حتى قيل لكل عبادة نسك ، وكل عابد ناسك ، ومنه مناسك الحج .
والمنسك في القرآن على وجهين :

الأول : المراد به الذبائح ، وهو قوله : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا ﴾ [سورة الحج آية : ٣٤] ، أي : جعلنا لكل أمة من الأمم التي بعث فيها الأنبياء ذبائح يتقربون بها إلى الله ، والشاهد قوله تعالى : ﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ [سورة الحج آية : ٣٤] ، وأصل المنسك المصدر فعبر به عن الذبائح ، وفي قوله : ﴿ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ﴾ [سورة الحج آية : ٣٤] ، دليل على بطلان قول المجبرة إذا قالوا : أنه تعالى جعل للكفار منهم ذلك ليذكروا عليه اسم الأصنام .

الثاني : الضرب من العبادات ، وهو قوله : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا ﴾ [سورة الحج آية : ٣٤] ، هم ناسكوه أي : جعلنا لكل أمة بعثنا فيها نبيا ضربا من العبادات والشرائع ، وقال بعضهم : المنسك الموضع الذي يجب أن يتعهد ، وقرئ منسكا أي : مكان نسك ، مثل المجلس لمكان الجلوس .

(١) (ن س ك) : (نَسَكَ) اللَّهُ تَعَالَى نَسَكًا وَمَنَسَكًا إِذَا ذَبَحَ لِوَجْهِهِ (وَالنَّيْكَةُ) الذَّيْبَةُ (وَالنَّيْكَ) بِالْكَسْرِ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُذْبَحُ فِيهِ وَقَدْ تَنَسَّى الذَّيْبَةَ نُسَكًا يُقَالُ مَنْ فَعَلَ كَذَا فَعَلَيْهِ نُسْكٌ أَيْ دَمٌ يَهْرِيقُهُ بِمَكَّةَ ثُمَّ قَالُوا لِكُلِّ عِبَادَةٍ نُسْكٌ (وَمَنَةً) ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ (وَالنَّاسِكُ) الْعَابِدُ الرَّاهِدُ (وَمَنَاسِكُ) الْحَجَّ عِبَادَتُهُ وَهَذَا مِنَ الْخَاصِّ الَّذِي صَارَ عَامًّا (وَقَوْلُهُ) فِي أَصْحَابِي جَبْرِ الْخَوَارِزْمِيِّ ﴿ وَلَيُجِدَنَّ شَفْرَتَهُ وَبُرْجَ مَنَسَكِهِ ﴾ الصَّوَابُ وَبُرْجٌ نُسْكُهُ أَوْ نَيْبِكْتُهُ عَلَى أَنَّ الْمَذْكُورَ فِي الْأَصْلِ ذَيْبَتُهُ وَالْمَعْنَى الْحُثُّ عَلَى إِسْرَاعِ الذَّبْحِ وَقِيلَ الْمُرَادُ أَنْ يُؤَخَّرَ سَلَحُهُ حَتَّى يَبْرُدَ (انْقِطَاعُ النَّسْلِ) فِي (ر س) . [المغرب : النون مع السين المهملة] .

المصيبة

أصل الإصابة القصد ، وفي المثل : أصاب الصواب فأخطأ الجواب أي : أراد ، ومنه قوله : ﴿رُحَاةٌ حَيْثُ أَصَابَ﴾ [سورة ص آية : ٣٦] ، أي : أراد وصاب الشيء إذا نزل من علو إلى سفلى ، كأنه يقصد الوجهة التي يمر فيها ، وكذلك في إصابة السهم .

والمصيبة في القرآن على وجهين :

الأول : مكاره الدنيا من القحط والجذب والمرض ، قال الله : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [سورة الشورى آية : ٣٠] ، وقوله : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٢] ، فالمصيبة في الأرض الجذب ، وفي الأنفس المرض ، ودليل هذا قوله : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٣] ، ولو أراد بالمصيبة الطاعة ، والمصيبة على ما يقوله المجبرة لم يقل : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٣] ، وقوله : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة التغابن آية : ١١] ، يعني : هذه المكاره ، وقال : ﴿أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى آية : ٢١] ، فهذا دليل على أن المصيبة ليست بالمصيبة ، إذا ذكر أنه لم يأذن بالمصيبة ، وأذن بالمصبة ، والمصائب من الله حسنة ، والأذن على هذا التفسير الأمر ، وهو أن يأمر الملك بإنزال المصيبة فيهم ، ويموز أن يكون بمعنى العلم ، والمراد أن الله يعلمها ويمارهم عليها بالحسنى .

الثاني : الهزيمة والقتل ، قال الله : ﴿وَإِنْ تُضِيقْ مُصِيبَةٌ بِقَوْلُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة التوبة آية : ٥٠] ، يعني : أنكم إن هزمت استصوب المنافقون بخلفهم عن القتال معكم ، والأصل في هذه الوجوه واحد وهو الخلة المكروهة الشديدة الكراهة يترك الإنسان .

المقام

المقام يكون مصدرا يقال : قام للرجل مقاما حسنا ، أي : قياما ، ويكون موضع القيام ويجمع مقامه ، ومنه : ﴿ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢٥ ، آل عمران : ٩٧] ، وأصله من الاستواء ، قوم الشيء إذا سواه وأقام الوزن أي : عدله ، وقام الرجل لاستوائه منصبا ، ويقال : مقام ومقامة مثل مكان ومكانة هذا قول ، وقول آخر أن المكانة الطريقة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ اَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٥] ، أي : على طريقته في الكفر والمقامة الجماعة ، قال زهير :

وَفِيهِمْ مَقَامًا حَسَنًا وَجُوهُهُمْ

والمقامة بالضم المجلس يوكل فيه ، والمقامة بالفتح المجلس يتحدث فيه ، والمقام الإقامة ، وفي قوله : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢٥] ، خلاف .

قال ابن عباس ، ومجاهد : يعني : الحج كله ، وروي عن مجاهد أيضا أنه قال : أي مصلى أو مدعى من صليت إذا دعوت .

وروي عن ابن عباس أيضا قال : هو المقام بعرفة ، وقال قتادة : هو الأمر بالصلاة عند المقام وإلى هذا ذهب أبو علي رضي الله عنه وقال : هو الحجر الذي فيه أثر قدم إبراهيم صلى الله عليه ، فأما المقام فالإقامة أقام إقامة ومقاما .

والمقام في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : قوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ ^(١) [سورة الدخان آية : ٥١] ، قال : معناه مساكن أمن أهلها ، ومثله : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [سورة الدخان آية : ٢٥-٢٦] ، يعني : مساكن حسنا ، وقيل : المقام الكريم المنابر .

(١) قال الرازي : اعلم أن المسكين إنما يطيب بشرطين أحدهما : أن يكون آتيا عن جميع ما يخاف ويحذر وهو المراد من قوله ﴿ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ قرأ الجمهور في مقام بفتح الميم ، وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم ، قال صاحب «الكشاف» المقام بفتح الميم هو موضع القيام ، والمراد المكان وهو من الخاص الذي جعل مستعملا

الثاني : القيام ، قال الله : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٣] ، أي : لا يقومون لهم ، فهذا على هذا التأويل مصدر ، ويحوز أن يكون المكان ، وقرئ : ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٣] ، بضم الميم ، أي : لا إقامة لكم ، يقال : أقمت بالبلد مقاما وإقامة ونحوه : ﴿ وَلَئِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِثَانًا ﴾ [سورة الرحمن آية : ٤٦] ، يعني : من خاف القيام بين يدي ربه في الحساب ، فترك المعصية ، وقيل : من خاف مقام الله عند المعصية عرفت فذكر أنه يسأل عنها فتركها ، وحقيقة ذلك مقام العبد بحيث بدله الله عاصيا .

الثالث : المكان ، قال الله : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٦٤] ، أي : مكان يعبد فيه ربه ، والمعنى ما منا إلا من له مقام معلوم ، فحذف من ، كما قال الشاعر :

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهِ لَمْ يَدَعْ جِمْ لِفَضْلُهَا فِي حَسْبٍ وَمَشِينُمْ

وقد مر ذلك .

في المعنى العام وبالمضم هو موضع الإقامة ، والأمين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن ، فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنه يخون صاحبه والشرط الثاني : لطيب المكان أن يكون قد حصل فيه أسباب التزعة وهي الجنات والعيون ، فلما ذكر تعالى هذين الشرطين في مساكن أهل الجنة فقد وصفها بما لا يقبل الزيادة . [مفاتيح الغيب : ١٤ / ١٧] .

المفتاح

قد ذكرنا أصل هذه الكلمة فيما تقدم ، وهو في القرآن على وجهين :

الأول : جمع مفتح ، وهو الذي يفتح به القفل وغيره ، قال الله : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُتُوءِ بِالْعُصْبَةِ ﴾ [سورة القصص آية : ٧٦] ، وقيل : المفاتيح هاهنا الكنوز ، واحداها مفتح .

الثاني : قوله : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، قال ابن عباس : أراد الرجل يوكل بضیعة الرجل فرخص له أن يأكل من ثمرها أو مواشيه فرخص له أن يشرب من ألبانها .

وقال أبو علي : أراد الثبوت التي مفاتيحها بأيديكم وأنتم مؤمنون عليها ، فجعل من الوجه الأول .

(١) [فتح] الفتح معروف ، وهو أيضاً افتتاح دار الحرب . والفتح أن تحكم بين قوم يجتصمون إليك ، من قوله عز وجل " رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا " . وقوله " إِنْ تَسْتَجِيبُوا دَعْوَانَا فَتُفْتَحْ لَنَا دَارُ الْجَنَّةِ " أي تستجيبوا فقد جاءكم الفتح أي تستجيبوا فقد جاءكم النصر . والفتاح الحايك . والفتاحة والفتاحة المحاكمة . والفتحة تفتح الإنسان بما عنده من مال . وقواتح القرآن أوائل السور . وافتتاح الصلاة الكبيرة الأولى . وباب فتح واسع ، ومفتوح . وقارورة فتح لا صتام ها . والمفتح الخزانة ؛ ويقال مفتوح أيضاً ، والجميع المفتاح . وقيل هي الكنوز . وفتحة الكتاب الحمد لله . وقال الفراء يذعى مجرى السخ من القذح الفتح ، وجمعه فتوح . وناقته فتوح وهي التي تشعب أخلاؤها إذا مشت . ويسمى مطر الوسمي الفتح ، والجميع الفتوح لأنه يفتح الشهر بالمطر . والفتاح حجر الأرض ثم حزنها . وفتاح كاشف . وقوله فاتح السبع تاجر أي باشره ، وقال أبو سعيد أسط في السوم . والمفتاح سعة بالفخذ والعني . [المحيط في اللغة : ٢١٥/١] .

الباب الخامس والعشرون

فيما جاء من الوجوه والتطائر في أوله نون

الناس^(١)

أصل الناس : أناس أسكنت الهمزة منه فأدغمت اللام ، كما قيل : لكننا ، وقيل : الناس لغة مفردة ، والأناس لغة أخرى ، ولو كان أصله أناسا لقيل في التصغير أنيس ، وإنما يقال : نويس وتجمع أناس على أناسي ، وقيل : أناسي جمع أنسي واشتقاقه من الأنس ، خلاف الوحشية ، لأن بعضهم يأنس ببعض ، والناس جماعة لا واحد لها من لفظها ، وواحدتها إنسان على المعنى .

وهو في القرآن على ستة أوجه :

الأول : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، جاء في التفسير أنه أراد النبي عليه السلام ، قيل : وهو مثل قوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٧٣] ، وكان الذي أخبرهم بجمع أهل مكة نعيم بن مسعود الأشجعي ، ويجوز عندنا أن يكون معنى قوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، النبي صلى الله عليه والمؤمنين ، فقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٧٣] ، لفظ عام ، والمعنى مخصوص ؛ لأن الناس كلهم لم يخبروهم ولم يجمعوا لهم أنصار ، وبيان هذا مستقضي في كتابنا في التفسير ،

(١) الفرق بين الناس والخلق : أن الناس هم الانس خاصة وهم جماعة لا واحد لها من لفظها ، وأصله عندهم اناس فلما سكنت الهمزة أدغمت اللام ، كما قيل لكننا وأصله لكن أنا ، وقيل الناس لغة مفردة فأشتقاقه من النوس وهو الحركة ناس ينوس نوسا إذا تحرك ، والانس لغة أخرى ولو كان أصل الناس اناسا لقيل في التصغير انيس وإنما يقال نويس فأشتقاق اناس من الانس خلاف الوحشة وذلك أن بعضهم يأنس ببعض ، والخلق مصدر سمي به المخلوقات والشاهد قوله عز وجل " خلق السموات بغير عمد ترونها " ثم عدد الاشياء من الجهاد والنبات والحيوان ثم قال " هذا خلق الله " وقد يختص به الناس فيقال ليس في الخلق مثله كما تقول ليس في الناس مثله ، وقد يجري على الجماعات الكثيرة فيقال جاءني خلق من الناس أي جماعة كثيرة . [الفروق اللغوي : ١/ ٥٢٧] .

ويذهب بعضهم إلى أنه لا صيغة للعموم في اللغة ، قال : لأن كل لفظ صيغته صيغة العموم ، قد جاء مثله في الخصوص ، وليس الأمر كذلك ؛ لأن صيغة العموم معروفة ، ولا يخص إلا دلالة وحيث لا دليل فهو على أصل العموم ، ألا ترى أن قوله : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨٥] ، لا يجوز أن تخص ، لأنه لا دليل فيه فهو على العموم ، وصيغته صيغة العموم ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة النمل آية : ٢٣] ، فقد دل على أنه مخصوص ، فكأنه قال : قد أوتيت أكثر الأشياء فهذا الأصل ، والأول مجاز ، وإذا خرج شيء عن الأصل ؛ فإن الأصل لا يطل به ، وكل شيء موقوف على دليله ، وألفاظ العموم من فيمن يعقل وما فيها لا يعقل ، وأين في الأمكنة ، ومتى في الأزمنة ، وكل فيمن يعقل وفيما لا يعقل ، وغير ذلك فيما ذكره العلماء .

الثاني : المؤمنون خاصة ، قال الله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٦١] ، يعني : أن المؤمنين يلعنونهم فاللفظ عام ، والمعنى خاص ، ويجوز أن يعني : أن بعضهم يلعن بعضا في الآخرة مع لعن المؤمنين لهم ، فيكون معنى الآية على ظاهره ، وتأويل هذا قوله تعالى ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٨] .

وقال الربيع : يراد لعن المؤمنين لهم ويخرج هذا على قولك المؤمنون هم الناس ؛ كأنه لا يعتد بغيرهم ، ومثل هذه الآية قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٣] ، أي : كما آمن غيركم من الناس ، وقيل : يعني بالناس هاهنا عبد الله بن سلام وأصحابه .

الثالث : بنو إسرائيل خاصة ، قال الله : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٦] .

الرابع : من كان على عهد آدم وأهل سفينة نوح عليه السلام ، قال الله : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٣] ، وقد مضى هذا القول في هذا .

الخامس : أهل مصر خاصة ، قال الله : ﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٤٦] ، وقال : ﴿ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ﴾ [سورة يوسف آية : ٤٩] .

السادس : الناس كلهم ، قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحْكَمُ بِالنَّاسِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٠] ، أي : هو قادر على جميع الناس لا يفوته ولا يعجزونه ، والمحيط في أسماء الله تعالى بمعنى القادر القاهر الغالب .

وقيل : الناس هاهنا أهل مكة خاصة ، ومن العام الذي معناه العموم قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ يَكُلُ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، ولو جاء بصروف العموم عن ظاهره بغير دليل يجاز في هذا لأن علمه ، وإن كان محيطاً بالأشياء كلها ، فقد يجوز أن يخبر عن بعضها أنه عالم به ، كقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾ [سورة غافر آية : ١٩] ، وقوله : ﴿ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٣] ، وأما العام الذي بمعنى الخصوص ؛ فقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ [سورة الحج آية : ١] ، النساء : ١ ، لقمان : ٣٣ وذلك أن المراد المكلفون والخاص الذي بلفظ الخصوص : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤١] ، ٦٧ ، والعام الذي جاء بلفظ الخصوص .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ [سورة الانشقاق آية ٦] ، وقوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [سورة التين آية : ٤] ، ويكون عام يدخله الخصوص على غير هذا الوجه ، كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٢٣] .

وقد دلت السنة والإجماع على أن طائفة إذا أقاموا بذلك سقط عن الآخرين على أن جميع المؤمنين مأمورين به ، إن عليهم ذلك ما لم يقم به بعضهم ، والعرب تقول : أحمّر البشر ، وإن لم يحمر جميعه ، لأن منه ما هو أصفر ، وغسلت ثيابي وإن لم يرد كل ثوب وكساء وجبة ، وإنما أراد هذا أوان أحمّر البشر ، وهو أوان فراغي من الغسل .

النار

أصل النار والنور واحد ، والألف في النار أصلها واو ، ولذلك يقال : تنورت النار إذا أبصرتها ، ويسمون السمة نارا ؛ لأنها بالنار تكون ، قال الراجز :

قَدْ سَبَقَتْ آبَاءَهُمْ بِالنَّارِ إِلَى النَّارِ

أي لما رأى أهل الماء سماتها خلوا لها الماء حتى شربت ، وأصل الكلمة البيضاء ، ومنه قيل : النورة لبياضها .

وهي في القرآن على وجهين :

الأول : مثل وهو قوله تعالى : ﴿ كَلِمًا أَوْ قَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ ^(١) [سورة

المائدة آية : ٦٤] ، والعرب تشبه الحرب بالنار ، ويقولون : فلان عشى حرب ، إذا كان يقوم بأمرها ، وأصل الحش الإيقاد .

الثاني : النار بعينها ، قال الله : ﴿ آتَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾ [سورة القصص آية : ٢٩] .

[٢٩]

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿ كَلِمًا أَوْ قَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ أي كلما جمعوا للحرب جمعاً وأعدوا له عتة شتت الله جمعهم ، وذهب برجمهم ، فلم يظفروا بطائل ولا عادوا بفائدة ، بل لا يحصلون من ذلك إلا على الغلب لهم ، وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب ويمعمون عليها ، ثم يطل الله ذلك ، والآية مشتملة على استعارة بليغة ، وأسلوب بديع . [فتح القدير ٢/ ٣٣٢] .

النسيان

أصله الترك ، وسمي خلاف الذكر نسيانا ؛ لأن الناسي للشيء تارك له ، قال الله تعالى : ﴿ وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّتَّيَا ﴾ [سورة مريم آية : ٢٣] ، أي : مغفولا عني متروكا ، والنسيان الذي هو خلاف الذكر يفعله الله في الإنسان عند اشتغاله عن حاجته ، وصرف الاهتمام عنها ، ونسبه الله إلى الشيطان في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنَسَيْنِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ ^(١) [سورة الكهف آية : ٦٣] ، لأنه كان نسيها عند وسوسته إياه .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الترك ، قال الله : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنِ ﴾ [سورة طه آية : ١١٥] ، ولم يذكر أنه نسي نهي الله إياه عن أكل الشجرة ؛ لأنه لو كان كذلك ، لم يكن له ذنب ولا عليه إثم ، وإنما المعنى أنه أكل من مثل الشجرة التي نهي عنها ، وظن أن النهي مقصور عليها ، وترك الدليل الذي لو اعتمد لدله على أن النهي عام في جميع الجنس فصار ذنبه ترك الدليل ، ومثله : ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٧] ، أي : استعملوه ولا تتركوه ، وقال : ﴿ تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [سورة التوبة آية : ٦٧] . أي : تركوا طاعته فصارت عليهم بمنزلة المنسي فتركهم من رحمته .

(١) قال الرازي : ﴿ وَمَا أَنَسَيْنِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ فيه مباحث :

البحث الأول : أنه اعتراض وقع بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير فإني نسيت الحوت واتخذ سيله في البحر عجباً ، والسبب في وقوع هذا الاعتراض ما يجري مجرى العذر والعلة لوقوع ذلك النسيان .

البحث الثاني : قال الكعبي : ﴿ وَمَا أَنَسَيْنِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ يدل على أنه تعالى ما خلق ذلك النسيان وما أراده وإلا كانت إضافته إلى الله تعالى أوجب من إضافته إلى الشيطان لأنه تعالى إذا خلقه فيه لم يكن لسعي الشيطان في وجوده ولا في عدمه ، أثر قال القاضي : والمراد بالنسيان أن يشتغل قلب الإنسان بوساوسه التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لأن ذلك لا يصح أن يكون إلا من قبل الله تعالى .

البحث الثالث : قوله ﴿ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ بدل من الهاء في ﴿ أَنَسَيْنِي ﴾ أي : وما أنساني ذكره إلا الشيطان . [مفاتيح الغيب : ٢٢٩ / ١٠] .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله نون

وأصل الترك في الله مجاز وحقيقته هاهنا أنه أوجب لهم العذاب ، ويموز أن يكون المراد أنهم تركوا ذكر الله فمنعهم الله الخير وذلك أن خيرك لا يبلغ من أنت ناسيه ، ويموز أن يكون معناه أنهم تركوا طاعته فعاقبهم الله بنسيانهم إياها فسمي الجزاء على النسيان نسيانا .

الثاني : بمعنى التخليد في العذاب ، قال الله : ﴿ قُلُّوْهُوَآ يٰٓا نَسِيْتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا اِنَّا نَسِيْنٰكُمْ ﴾ [سورة السجدة آية : ١٤] ، المعنى خلدناكم في العذاب ، وجعله نسيانا ؛ لأنه جزاء بالنسيان ، وهو ترك العمل للقاء ذلك اليوم ، وليس هو خلاف الذكر ، لأن ذلك فعل الله ، ولا يجوز أن تفعله بهم ويعذبهم عليه على أنه يجوز أن يسمى سبب النسيان الكائن منهم نسيانا ، ويذكر أنه يعذبهم على النسيان ، وهو يريد أن يعذبهم على سببه .

الثالث : خلاف الذكر ، قال الله تعالى : ﴿ سَنَقِرُّكَ فَلَا تَنْسَى اِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ ﴾ [سورة الأعلى آية : ٦ - ٧] ، خبر وليس ينهي ، وقوله : ﴿ لَا تَوَاضِعُنِي يٰٓا نَسِيْتُ ﴾ [سورة الكهف آية : ٧٣] ، وأراد بقوله : فلا تنسى الإخبار بفضيلة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن جبريل يقرأ عليه ، وهو أُمي فيحفظه ولا ينسى منه شيئا ؛ ثم يقرأ أصحابه ، وقيل : إلا ما شاء الله أن ينسخه بعد العمل فينسه النبي عليه السلام أمير المؤمنين ، ومنه قوله : ﴿ مَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ اَوْ نُنسِهَا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٠٦] .

النشوء^(١)

أصله الابتداء ومنه نشأت السحابة ؛ إذا ابتدأت ترتفع من الأفق ، وهو نشوء حسن ، والنشوء من الناس الإيقاع يقع على الذكر والأنثى ، قال نصيب :

وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ صَبَا نُصِيبُ لَقَلْتُ نَفْسِي النُّشُوءَ الصَّغَارُ
بِنَفْسِي كُلِّ مَهْضُومِ الْحَشَايَا إِذَا ظَلِمْتُ فَلَيْسَ لَهَا انْتِصَارُ
إِذَا مَا الذُّلُّ صَاعَفَنَ الْحَشَايَا كَفَاهَا إِنَّ بُلَانَ لَهَا الْأَزَارُ

وقد نشأت إنشاء إذا شئت ، والمشيء في أسماء الله تعالى المبتدئ في الأشياء على غير مثال .

والنشوء في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الخلق ، لأنه يبدأ به ، قال الله : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٣١] ، وقال : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ [سورة الواقعة آية : ٣٥] ، وقوله : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ ﴾ [سورة الملك آية : ٢٣] .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ أَوْمَرُنَّ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٨] ، يعني : البنات ، : ﴿ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٨] ، أي : الأنثى لا يكاد يستوفي الحجة ، وجاء عن السلف لا تكاد تحتج المرأة بحجة إلا عليها ، أي : جعلوا الله بنات والبنات هذه صفتها .

الثالث : قوله : ﴿ إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، يعني : ساعات الليل ، وقال الأصم : ناشئة الليل هو أن منشوء من منامك لصلاتك ، وقال بعضهم : الليل كله

(١) (ن ش أ) : (النَّشْءُ) مُضَدَّرُ نَشَأَ الْغُلَامُ إِذَا سَبَّ وَأَيْقَعَ فَهُوَ نَاشِئٌ وَحَقِيقَتُهُ الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْ حَدِّ الصَّبَا وَقَرَّبَ مِنَ الْإِدْوَاكِ مِنْ قَوْلِهِمْ نَشَأَ السَّحَابُ إِذَا ارْتَفَعَ ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ النَّسْلُ فَقِيلَ هَؤُلَاءِ نَشْءُ سُورٍ وَفُلَانٌ مِنْ نَشْءٍ صَدِيقٍ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ قَطَعَ النَّشْءَ وَقَدْ جَاءَ النَّشْءُ فِي مَضَرِّهِ أَيْضًا عَلَى فُعُولٍ وَقَوْلُهُ وَحُرْمَةُ الرِّصَاعِ إِنَّمَا تَبْتَثُ بِاللَّبَنِ الَّذِي يَفْرُغُهُ الصَّغَارُ لِلنَّشْءِ وَالنُّمُو عَلَى الْقَلْبِ وَالْإِدْغَامِ لِلْأَزْدِوَاجِ . [المغرب : النون مع الشين] .

ناشئة ، وقال آخرون : بعد صلاة العشاء ناشئة ، : ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، أي : أشد لمواطأة القلب السمع لخلو البال بالليل ، ومن هذا قولهم : أمن عمل بليل ، وقرئ : ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، ومعناه أبلغ في القيام ، وأبلغ في القول ، ويجوز أن يكون معناه أغلظ على الإنسان من القيام بالنهار ، لصعوبة السهر ، وقال بعضهم : ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، أثبت في همك لما تقرأ : ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، لأنه لا يشغلك شيء فيعرف صواب ما يقول ، وفي النهار عوارض تشغلك عن ذلك ، وقال بعضهم : ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، أثبت في الدين ، : ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، أثبت في القراءة .

النفس^(١)

النفس الدم ، ومنه قيل : النفساء سيلان الدم منها ، وقال السموأل :

تسيل على حد السيف نفوسنا وليست على غير السيف تسيل

ثم سميت الروح نفسا ؛ لأن الإنسان يعيش بها كما يعيش بالدم ، وأما النفس فالسعة ، وفي الحديث الريح من نفس الله أي : من سعة رحمته على عبادة ، ومنه قولهم : فلان في نفس من أمره ، أي : في سعة ، ومنه قوله : ﴿ وَالصَّبْحَ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [سورة التكويد آية : ١٨] ، إذا اتسع ضوؤه ، وكل هذا يرجع إلى النفاسة ، وهي أصل الكلمة وأولها .

والنفس في القرآن على ستة أوجه :

الأول : ذكر النفس ، والمعنى لحملة الإنسان ، قال الله : ﴿ وَتَعَلَّمْ مَا تَوْسَّوْهُ بِهِ نَفْسَهُ ﴾ [سورة ق آية : ١٦] ، أي : يتوسوس به هو ، وهذا مثل قولهم : كسبت يده ورأت عينه .

والمعنى أنه كسب هو ورأى ، ومثله : ﴿ وَمَا أَكْبَرُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ ﴾ [سورة يوسف آية : ٥٣] ، أي : ما أبرءوني ، ونفس الشيء حقيقته يقال : هلكت نفس زيد ، أي : هلك هو ، وعلى هذا فسر قوله : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٦] ، أي : تعلم ما أعلم ، ولا أعلم ما تعلم .

(١) (ن ف س) : (النَّفَاسُ) مَصْدَرُ نَفَسَ الْمَرْأَةُ بِضَمِّ التَّوْنِ وَتَحْجَهَا إِذَا وَلَدَتْ فَهِيَ نَفْسَاءُ وَهِيَ نِفَاسٌ (وَقَوْلُ) أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ أَسْمَاءَ نَفَسَتْ أَيْ حَاضَتْ وَالْقِسْمُ فِيهِ خَطَأٌ وَكُلُّ هَذَا مِنَ النَّفْسِ وَهِيَ الدَّمُ فِي قَوْلِ النَّخَعِيِّ كُلُّ شَيْءٍ لَبَسَتْ لَهُ (نَفْسٌ سَائِلَةٌ) فَإِنَّهُ لَا يَنْجَسُ الْمَاءُ إِذَا مَاتَ فِيهِ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْسَ الَّتِي فِيهَا اسْمُ جَمَلَةِ الْخَيَاطَانِ قِيَامُهَا الدَّمُ (وَقَوْلُهُمْ) النَّفَاسُ هُوَ الدَّمُ الْخَارِجُ عَقِيبَ الْوَلَدِ تَسْمِيَةً بِالْمُضْدَرِّ كَالْخَيْضِ سَوَاءً وَأَمَّا اسْتِغْفَافُهُ مِنَ تَنَفُّسِ الرَّجِيمِ أَوْ خُرُوجِ النَّفْسِ بِمَعْنَى الْوَلَدِ فَلَيْسَ بِذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْسَ الَّتِي يَفْتَحَتَيْنِ وَاجِدَ الْأَنْفَاسِ وَهُوَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَيِّ حَالِ التَّنَفُّسِ وَمِنْهُ لَكَ فِي هَذَا (نَفْسٌ) أَيْ سَعَةٌ (وَنَفْسَةٌ) أَيْ مَهْلَةٌ (وَنَفْسٌ اللَّهُ كَرَمَتَكَ) أَيْ فَرَجَهَا وَيُقَالُ (نَفْسَ اللَّهِ عَنْهُ) إِذَا فَرَجَ عَنْهُ (وَنَفْسَ عَنْهُ) إِذَا أَمْنَهُ عَلَى تَرْكِ الْقَمُولِ (وَأَمَّا قَوْلُهُ) فِي كِتَابِ الْإِقْرَارِ لَوْ قَالَ نَفْسِي فَقُلْ تَفْسِيحِي مَعْنَى أَمْنِيهِ أَوْ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ أَيْ نَفْسُ كَرَمِي أَوْ عَمِّي (وَشَيْءٌ نَفِيسٌ وَنَفِيسٌ) . [المغرب : النون مع الفاء] .

ويجوز أن يكون معنى ذلك إنك تعلم ما أخفيه ، ولا أعلم ما تخفيه عني ، وجعل النفس عبارة عن هذا المعنى ؛ لأنه ما يخفيه الإنسان يخفيه في نفسه ؛ فأخرج الكلام على العرف ، ويجوز أن يكون المعنى تعلم غيبي ، ولا أعلم غيبك ؛ لأن ما في النفس غيب فلما ذكر النفس قابله بمثله ليحسن نظم الكلام ، والمعنى معروف .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٢٨] ، أي : منكم .

الثالث : مجيء الأنفس بمعنى الإخوان ، قال الله : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، أي : على إخوانكم ، وهو قريب من الأول : ﴿ نَحْيَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، لأن الله بينها ، : ﴿ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، أي : يقي أجراها وطيبها لكم ، والبركة البقاء والثبات .

الرابع : مجيئها بمعنى الإنسان ، قال الله : ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٥] ، أي : الإنسان بالإنسان ، وفي هذا دليل على أن الحر يقتل بالعبد ؛ لأن شرائع من قلناه ثابتة الحكم علينا ، ما لم يثبت نسخها ، ودليل هذا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٦] .

وقال رسول الله صلى الله عليه : "المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وقد استوى الحر والعبد في الإيمان" (١) .

وعند أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد ، وزفر : أنه لا قصاص بين الحر والعبد إلا في النفس .

وعند ابن أبي ليلى : أنه يجب بينهما في النفس وفي جميع الجراحات التي تستطيع فيها القصاص .

(١) أخرجه النسائي من حديث علي بن أبي طالب (٤٧٤٦) ، وفي السنن الكبرى (٨٦٢٨) ، وأحمد في مسنده (٩٦٢) ، وله شاهد من حديث أم المؤمنين عائشة أخرجه الدارقطني (٣٢٢٢) .

وعند مالك : أنه لا قود بين الحر والعبد في شيء من الجراح ، والعبد يقتل بالحر ، والحر لا يقتل بالعبد .

وقال الشافعي : من جرى عليه قصاص في نفس جرى عليه القصاص في الجراح ، ولا يقتل الحر بالعبد ، ولا نقيض منه فيما دون النفس ، وقول الله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ، يوجب القصاص على المؤمن في كل قتل العموم لفظه ، فإن قال قوله : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ، يدل على أن المراد القتل من المؤمنين ، لأن الكافر لا يكون أخا للمؤمن ، قلنا : يحتمل أن يذكر لفظا عاما ثم يعطف عليه بحكم خاص ، كما قال : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٨] ، وهو عام في المطلقة ثلاثا ، وما دونها ، ثم قال : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٨] ، فعطف عليه بحكم يختص ببعض المطلقات على أن يكون العبد أخا للحر في الإيثار ، فإن قيل : ﴿ الْحَرُّ بِالْحَرِّ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ، يدل على ما ذكرنا ، قلنا : لا خلاف أن الحكم ليس بمقتصر على هذا دون غيره ، لاتفاق الجميع على جواز قتل العبد بالحر ، وقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٥١] ، يعني : الإنسان ، لأن النفس على الحقيقة لا تقتل ، والحق هاهنا القصاص ، أي : لا تقتلوه قصاصا .

الخامس : الروح ، قال : ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٩٣] ، أي : أرواحكم ، والمعنى إنا نخرجها ، كما تقول للرجل وأنت تقتله : أنزع الآن روحك ، وليس نزع روحه إليه .

السادس : آدم عليه السلام ، قال الله : ﴿ خَلَقَكُم مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [سورة النساء آية : ١] ، الأعراف : ١٨٩ ، الزمر : ٦ ، فأنت على اللفظ ، وهو الوجه ، وأنت تقول : أنا إنسان واحد يعني : امرأة ، وشربت شرابا طيبا ، وأنت تريد الخمر .

النصيب^(١)

أصله ما يخص الإنسان عن مقاسمة كأنه تصد له ليأخذه ، ثم استعمل في غير ذلك ، والفرق بينه وبين الحظ ، أن الحظ ما يرتفع به الإنسان ، ولهذا يقال : لفلان حظ في التجارة ، ولا يقال : له نصيب فيها .

والنصيب في القرآن على وجهين :

الأول : الحصة من الثلث ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ [سورة النساء آية : ٣٣] ، قد تم الكلام عند ذلك ، : ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ يعني : التركات ، والموالي : أقارب الميت ، لأنهم أولى بالميراث ، وفي الآية حذف ، فالمراد : لكل شيء من الميراث أصحابهم أولى فأقصروه عليه ثم ابتدا ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ٣٣] ، يعني : من الثلث ، ويريد الحلقاء ، وهو مثل قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٦] ، وقيل : يعني : نصيبهم من النصر والموازرة .

الثاني : الجزاء ، قال : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ [سورة النساء آية : ٣٢] ، أي : لهم جزاء بما عملوا ونحوه ، : ﴿ أُولَٰئِكَ هُم نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٢] ، يعني : الثواب ، وقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ يَتَاَمُّهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٧] ، يعني : العقاب ، وفي هذه الآية وجوه أخرى ذكرناها في التفسير .

(١) الفرق بين النصيب والقسط : أن النصيب يجوز أن يكون عادلا وجائرا وناقصا عن الاستحقاق وزائدا يقال نصيب مبخوس وموفور ، والقسط الحصة العادلة مأخوذة من قولك أقسط إذا عدل ويقال قسط القوم الشئ بينهم إذا قسموه على القسط ، ويجوز أن يقال القسط إسم للعدل في القسم ثم سمي العزم على القسط قسطا كما يسمى الشئ بإسم سببه وهو كقولهم للنظر رؤية ، وقيل القسط ما استحق المقسط له من النصيب ولا بد له منه ولهذا يقال للجوهر قسط من المساحة أي لا بد له من ذلك . [الفروق اللغوية : ١/ ٥٤١] .

النكاح^(١)

أصل النكاح الجماع ، ومنه قول العرب في بعض أمثاله : أتكح من خوات أي : أكثر مجامعه ، وله حديث معروف ويروى عن بعض نسائها أنه كان يقال لها خطيب ، فيقول نكح يريد الجماع ، ثم استعمل في التزويج ، ومنه قول حكيمها المناكح :
الكريمة مُدْرَجَةٌ لِلشَّرَفِ

ويقال : أتكح الرجل المرأة إذا جامعها ، ونكحت المرأة الرجل إذا تزوجته من قوله :
﴿ فَلَا تَغْضُلُوهُمْ أَنْ يَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٢] ، وجاء في القرآن على وجهين :

فأما ما جاء بمعنى التزويج ، فقوله تعالى : ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤٩] ، أي : تزوجتموهن ؛ لأنه ذكر عدم الدخول

(١) (ن ك ح) : (أَصْلُ النِّكَاحِ) الْوَطْءُ وَمِنْهُ قَوْلُ النَّجَاشِيِّ (وَالْمُكَيِّنِ) يَشْطُرُ دِجْلَةَ الْبَرَاءِ وَقَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ (وَمَنْكُوحَةٍ) غَيْرُ مَهْمُوزَةٍ وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا قَادِمًا بِغَيِّ الْمُسِيئَةِ الْمُوْطُوءَةُ ثُمَّ قِيلَ لِلتَّزْوِجِ (نِكَاحًا) مَجَازًا لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِلْوَطْءِ الْمُبَاحِ قَالَ الْأَعْمَشِيُّ (لَا تَنْكِحَنَّ) جَارَةً إِنْ بَرَّهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ (فَانكِحَنَّ) أَوْ تَابَهَا أَيْ فَتَزَوَّجْ أَوْ فَتَوَحَّشْ وَتَعَفَّفْ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ أَنَا مِنْ نِكَاحٍ وَلَسْتُ مِنْ سِفَاحٍ ﴾ وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ الرَّأْيُ لَا يَنْكِحُ إِلَّا رَأْيَهُ ﴾ أَيْ لَا يَتَزَوَّجُ وَقِيلَ لَا يَطْلُقُ قَالَ وَهَذَا يُعَدُّ لِأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ شَيْءٌ مِنْ دَوْرِ النِّكَاحِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا عَلَى مَعْنَى التَّزْوِيجِ وَأَيْضًا فَلَمَعْنَى لَا يَقُومُ عَلَيْهِ وَقَوْلُهُمْ (النِّكَاحُ) الْقَسَمُ مَجَازٌ أَيْضًا إِلَّا أَنْ هَذَا مِنْ بَابِ تَنْسِيَةِ الْمُسَبِّ بِاسْمِ السَّبِّ وَالْأَوَّلُ عَلَى الْمَكْسِ وَمِمَّا اسْتَشْهَدُوا بِهِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّئِيِّ (أَنْكِحْتُ) صُمٌّ حَصَاةً خُفَّ يَغْمَلُهُ تَغْمِشَرْتُ بِإِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ (يُقَالُ) انكِحُوا الْحَصَا أَنْخَفَافَ الْإِبِلِ إِذَا سَارُوا (وَالْيَغْمَلَةُ) النَّاقَةُ النَّحِيْبَةُ الْمُطْبُوعَةُ عَلَى الْعَمَلِ (وَالْتَغْمِشَرُ) الْأَخْذُ قَهْرًا بِغَيِّ أَخَذْتُ بِهَا فِي طَرِيقِ السَّهْوَةِ وَالْحَزُونَةِ وَيُقَالُ (نَكَحَ) الرَّجُلُ وَنَكَحَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَابِ حَرَبَ (وَأَنْكِحَهَا) وَلَيْسَ فِي الْقَوْلِ (أَنْكِحْنَا الْفَرَا فَتَرَى) قَالَ رَجُلٌ لِامْرَأَتِهِ جِبْنَ خَطَبَ إِلَيْهِ ابْنَةُ رَجُلٍ وَأَبَى أَنْ يَزَوِّجَهُ إِيَّاهَا وَرَضِيَتْ أَلَمَ بِتَزْوِيجِهِ فَقَلَبَتْ الْأَبَ حَتَّى زَوَّجَهَا إِيَّاهُ بِكَرِهٍ مِنْهُ وَقَالَ أَنْكِحْنَا فَتَرَى ثُمَّ أَسَاءَ الزَّوْجَ الْبِشْرَةَ فَطَلَّقَهَا بِغُرْبٍ فِي التَّخْذِيرِ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَإِنَّمَا قَلِبَ الْهَمْزُ الْفَاءَ لِإِلَازِمِ زَوَاجٍ (وَالْفَرَا) فِي الْأَصْلِ الْجِمَارُ الْوُخْشِيُّ فَاسْتَعَارَهُ لِلرَّجُلِ اسْتِخْفَافًا بِهِ وَفِي الْحَدِيثِ ﴿ لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يَنْكِحُ ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ فِي مَعْنَى النِّهْيِ وَفِي حَدِيثِ الْخَنَازِئِ انكِحِي مَنْ شِئْتَ بِكَسْرِ الْهَمْزِ وَالْمَرْأَةُ تَأْتِي فِي نَبِيٍّ فَلَا يَنْكِحُ أَيَّ ذَاتِ زَوْجٍ . [المغرب : النون مع الكاف] .

فلا نشك في أنه أراد التزويج ، وقال : ﴿ فَانكِحُوهُمْ بِأَذْنِ أَهْلِيهِمْ ﴾ [سورة النساء آية : ٢٥] أي : تزوجوهن لأن الزوج لا يلزم أن يجامع امرأته بإذن أهلها .

والوجه الآخر : قوله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾^(١) [سورة النساء آية : ٢٢] ، أراد الجماع ، وذلك أن الرجل إذا مات وله امرأة قال وارثه : قد ورثت امرأته كما ورثت ماله وألقى عليه ثوبا فيملك بذلك نكاحها على الصداق الأول بغير عقد ثان ، والتزويج إنما هو اسم ، وكان الولد الذي يكون بينهما يقال له : المقتى . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا ﴾ [سورة النساء آية : ٢٢] ، والمقت اسم يجمع للبغض والاستباح ، ومقت فلان نفسه إذا ذمها على قبيح ، والمعنى أن ذلك معصيته يمقتها الله .

وقال أبو الحسن : جميع ما في القرآن من ذكر النكاح فهو التزويج إلا حرفا واحدا في سورة النور وروى عن بعضهم أنه أراد الجماع ، وهو عند غيره أراد التزويج .

قال أبو هلال رحمه الله هو قوله : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [سورة النور آية : ٣] ، قال أبو بكر : لا تخلوا الآية من أن تكون خبرا أو نيبا ، وقد علمنا أنه ليس بخبر ؛ لوجودنا رأينا بتزويج غير الزانية فثبت أنه أراد النهي ثم لا تخلوا أن تكون نيبا عن الوطء أو العقد أو عنهما جميعا ، ولا يجوز أن يكون المراد العقد ، لأن حقيقة النكاح الوطء .

ولا يجوز حمل الكلام على المجاز دون الحقيقة من غير دلالة فثبت أن المراد الوطء على ما يقوله ابن عباس ، ومن تابعه أو تكون الآية منسوخة على ما يقوله سعيد بن المسيب ، وغيره ، وقال في قوله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء آية : ٢٢] ، حقيقة النكاح الوطء ، فكأنه قال : ولا تنكحوا ما وطئ آبؤكم في كل وطء حراما كان أو حلالا ؛ كما أن الضرب والقتل ولا يختص بالحلال من ذلك دون الحرام .

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ نهي عما كانت عليه الجاهلية من نكاح نساء آبائهم إذا ماتوا ، وهو شروع في بيان من يجرم نكاحه من النساء ومن لا يجرم . ثم بين سبحانه وجه النهي عنه ، فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سِيْلًا ﴾ هذه الصفات الثلاث تدل على أنه من أشد المحرمات وأقبحها ، وقد كانت الجاهلية تسميه نكاح المقت . قال ثعلب : سألت ابن الأعرابي ، عن نكاح المقت ، فقال : هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها ، أو مات عنها ، ويقال لهذا الفيزن ، وأصل المقت البغض ، من مقت يمقتة مقتا ، فهو محمقوت ، ومقبت . [فتح القدير ١٠٨/٢] .

ويدل على أن الاسم حقيقة في الوطى ، ومجاز في العقد ، أن سائر العقود من البياعات والهبات ولا يسمى نكاحا ، وإن كان قد يتوصل بها إلى وطى الجارية ، إذ لم تختص هذه العقود بإباحة الوطى ؛ لأنها تصح فيمن يخطر وطؤها كالأخت من الرضاة ، ومن السبب وكأم الزوجة ، وسمي العقد المختص بإباحة الوطى نكاحا إذ من لا يحل للرجل وطؤها ؛ لا يحل له نكاحها .

ويدل على هذا ما قاله غلام ثعلب ، قال : الذي حصلناه عن ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين أن النكاح من الجمع بين الشيئين ، تقول العرب : أنكحنا الفراء فسنرى ، وهو مثل ضربوه في الأمر يجتمعون على المشورة فيه ، ثم ينظر عن ماذا يصدر من منه ، والمعنى جمعنا بين الحمار والأتان لننظر ما يتبع هذا الجمع إذا كان اسما للجمع ، فهو حقيقة في الوطى ؛ لأنه هو الجمع حقيقة دون العقد .

النظر^(١)

أصله في العربية المقابلة ، يقال : داري ينظر إلى دارك ، أي : يقابلها ، والدار أن يتناظران أي : يتقابلان ، والنظر بالعين الإقبال بها حيال المرئي ، ونظر القلب الإقبال إلى أحوال ما تطلب معرفته .

وقال علي بن عيسى : النظر طلب ظهور الشيء ، والناظر الطالب لظهور الشيء ، والله ناظر لعباده بظهور رحمته إياهم ، ويكون الناظر الطالب لظهور الشيء بإدراكه من جهة حاسة البصر أو غيرها من حواسه ، ويكون الناظر إلى لين هذا الثواب من لين غيره .

والنظر بالقلب نظر العلم من جهة الفكر والتأمل لأحوال الأشياء ، ألا ترى أن الناظر على هذا الوجه لا بد من أن يكون مفكراً ؛ إذا المفكر على هذا الوجه سمي ناظراً ، وهو معنى غير الناظر والمنظور فيه ، ألا ترى أن الإنسان يفصل بين كونه ناظراً وكونه غير ناظر ، ولا يوصف القديم بالنظر ؛ لأن النظر لا يكون إلا مع فقد العلم ، ومعلوم أنه لا يصح النظر في الشيء ليعلم إلا وهو مجهول ، والنظر يشاهد ، ولهذا نفرق بين نظر الغضبان ونظر الراضي .

والنظر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : النظر بالعين ، وهو قوله : ﴿ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٣] ، وقوله : ﴿ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٣] ، فكان موسى يعلم أن الله لا يرى بالابصار ، ولكن سأل ذلك ليجيء الجواب من الله ؛ لتكون أوكد للحجة على قوم من أمته سألوه ذلك .

(١) [نظر] : نَظَرَ إِلَيْهِ يَنْظُرُ نَظَرًا ، ويموز التخفيف في المصدر تحمله على لفظ العامة في المصادر ، وتقول : نَظَرْتُ إِلَى كَذَا وَكَذَا مِنْ نَظَرِ الْعَيْنِ وَنَظَرِ الْقَلْبِ .

وقوله تعالى : " وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَي لَا يَرَحُّهُمْ .

وقد تقول العرب : نَظَرْتُ لَكَ ، أَي عطفت عليك بها عندي ، وقال الله - عز وجل : " لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ " ، ولم يَقُلْ : لَا يَنْظُرُ لَهُمْ فَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّعَطُّفِ .

ورجلٌ نَظُورٌ : لَا يَفْضَلُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا أَمَّه . [العين : نظر] .

الثاني : الإمهال والتأخير ، وهو قوله : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٠] ، وناظرة هاهنا مصدر وفاعله في المصادر كثير مثل العافية والعاقبة والكاذبة في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾ [سورة الواقعة آية : ٢-٣] ، والواقعة ورفع ناظرة على إضمار كأنه قال : فالواجب ناظرة أو فعلتكم ناظرة ، ومثله : ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٤] ، وقرئ : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٠] ، وهي التأخير ، وقد أنظرتة أخرته لينظر في أمره ؛ أي : إن كان الذي عليه أصل المال معسرا ، فالواجب عليه تأخيره إلى أن يوصى ، وأن تصدقوا بالمال على المعسر خيرا لكم ، قال مجاهد : كانوا إذا جل دينهم وصادفوا المديون معسرا أزدادوا فيه وأنظروه فأمره الله بالإنظار ، وأبطل الزيادة .

الثالث : النظر بمعنى الرحمة ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧٧] ، أي : لا يرحمهم ، كقول العربي انظر إلي نظر الله إليك ، أي : ارحمني رحمك الله ، وعدى النظر يلى ، وإن كان بمعنى الرحمة فكذلك عداه يلى في قوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [سورة القيامة آية : ٢٣] ، وإن كان بمعنى الانتظار .

النجم^(١)

أصل النجم الطلوع ، نجم القرآن إذا طلع ، وسمي النجم نجما لطلوعه ، والنجم من النبات ما ليس له ساق تبقى في الصيف ، والشجر ما له ساق يبقى في الصيف ، وأصل الكلمة الظهور والبروز ، ومنه أنجم السحاب إذا أفلح فظهر أديم السماء ومنجما القوس ، العظمان الناتيان دون العرقوبين ، وسميا بذلك لظهورهما .

والنجم في القرآن على وجهين :

الأول : الكوكب ، قال الله : ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [سورة الطارق آية : ٣] ، والثاقب المضيء مأخوذ من ثقب النار ، وهو ضوءها ، وقيل : ثاقب كأنه يثقب الأفق ؛ فيطلع ، وقوله : ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَسْتُنُونَ﴾ [سورة النحل آية : ١٦] ، والعلامات الجبال والرمال والروابي ، وما شاكل ذلك ، وقوله : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [سورة الواقعة آية : ٧٥] ، أي : أقسم برب مواقع النجوم ؛ وهي مساقطها في المغرب ، ومنه : ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٩] ، معناه لأن لا يعلموا ولا يدخل في هذا الموضوع توكيدا ؛ كأنه قال : أقسم قسما بعد قسم ولأن لا يعلم أهل الكتاب علما بعد علم ، هذا قول وأجود منه أن يقال : لا يأتيه ، والمعنى أن الأمر الذي ذكره أمر ظاهر ثابت في العقول ؛ إلا أحتاج أن أقسم عليه ، وستكلم في قوله : ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٩] ، وقيل : ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ [سورة النحل آية : ١٦] ، أي : وبالنجوم هم يستدون ، ويجوز أن يكون أراد الشريا ، واسمها عند العرب النجم ، وربما قالوا لها : النظم قال بعض المفسرين : أراد نجوم القرآن ، وذلك أنه كان تنزل الآية ، والإتيان .

(١) (ن ج م) : (النَّجْمُ) هُوَ الطَّالِعُ ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ الزَّمَنُ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَقْلُ (التَّاجِلِ) نَجْمَانِ أَيَّ شَهْرَانِ ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ مَا يُؤَدَّى فِيهِ مِنَ الزَّوْطِيفَةِ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَطَّ مِنْ مَكَاتِبَ لَهُ أَوَّلَ نَجْمٍ حَلَّ عَلَيْهِ أَيَّ أَوَّلَ زَوْطِيفَةٍ مِنْ وَطَائِفِ بَدَلِ الْمَكَاتِبِ ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا مِنْهُ فَقَالُوا نَجْمُ الدَّيَّةِ أَذَاهَا نُجُومًا وَمِنْهُ قَوْلُهُ (التَّنْجِيمُ) لَيْسَ بِضَرْطٍ وَدَيْنٍ (مَنْجَمٌ) يُجْعَلُ نُجُومًا وَأَصْلُ هَذَا مِنْ نُجُومِ الْأَنْوَاءِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَغْرِفُونَ الْحِسَابَ وَإِنَّمَا يَحْفَظُونَ أَوْقَاتَ السَّنَةِ بِالْأَنْوَاءِ (وَالنَّجْمُ) خِلَافُ الشَّجَرِ . [المغرب : النون مع الجيم] .

قال : ومثله : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [سورة النجم آية : ١] يعني : نجوم القرآن إذا هوى به جبريل صلى الله عليه وآله نزل وليس هذا بوجه مختار ؛ لأن الظاهر لا يترك لغير علة .

الثاني : النبت ، قال الله : ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [سورة الرحمن آية : ٦] أي : يدلان على خالقهما بآثار الصنعة فيهما فكأنهما يسجدان له ، وقيل : سجودهما دوران الظل معهما كما قال : ﴿يَتَّبِعُ ظِلَّاهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ [سورة النحل آية : ٤٨] ، وإنما ذكر السجود ؛ لأنه أبين أحوال الخضوع وهو مشاهد ، ومن عادة العرب أن يشبه الشيء الذي بها يقع عليه البصر بما يقع عليه البصر حتى يكون السامع به كالرائي له ، وعلى هذا جاء ، قوله تعالى : ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٦] أي هو بمنزلة من قد استمسك بالعروة الشديدة المأمونة الانقطاع ، ومن ذلك قولهم : فلان من شجرة صالحة لما كانت الشجرة على أصل يتشعب منه غصونها ، شبه أبو العشيرة التي تجمعها بها وجعلت أغصانها كولدته ، ونحوه قوله : ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة هود آية : ٨٠] وتأويله العز والمنعة كما يفعل الأركان .

النشوز

أصل النشوز الارتفاع ، والنشز الأرض المرتفع ، وقرئ : ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٩] أي : ترفع بعضها على بعض حتى تستوي القامة ، فكان المرأة إذا نشزت عن زوجها كأنها ارتفعت عنه ، فلم ينلها الزوج .
والنشوز في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : نشوز المرأة على زوجها ، وهو عصيانها له ، قال : ﴿وَاللَّاتِي يَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [سورة النساء آية : ٣٤] وقد تكلمنا في هذه الآية .

الثاني : الأثرة ، قال الله : ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [سورة النساء آية : ١٢٨] وهو أن يؤثر عليها غيرها من نساءه يقول : لا إثم عليها أن يتصلحها على أمر يتفقان عليه مثل أن يصطلحا على إثارة غيرها عليه ولا يفترقا : ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [سورة النساء آية : ١٢٨] أي : المرأة تشح على نصيبها من زوجها ، ويشح الزوج بنصيبه من الأخرى .

قال أبو علي رحمه الله : الصلح أن تدفع المرأة إلى زوجها شيئا ترضاه به وله أن يأخذ ذلك إذا لم يكن في الأصل ظلما لها .

وقال غيره : أراد الاصطلاح على مال يدفعه الرجل إلى امرأته الكبيرة ليترك حفظها منه للشابة .

وقال غيره : أراد النشوز إذا وقع من الرجل استكثارا للصدقات فلا جناح عليهما أن يصطلحا على بعضه ، وقيل : هي المرأة يكرهها الرجل فتقول : لا تطلقني وأنت في حل من أمري .

(١) (ن ش ز) : (النَّشْرُ) بِالْحَرَكَةِ وَالشُّكُونُ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ وَالْجَمْعُ نُشُورٌ وَأَنْشَارٌ وَقَوْلُهُ لَوْ كَانَ عَلَى مَوْضِعِ (نَشْرٍ) ضَعِيفٌ سِوَاةٍ وَصَفَتْ أَوْ أَصَفَتْ وَمِنْهُ رَأَى قُبُورًا مُسَنَّمَةً (نَاشِرَةً) أَيْ مُرْتَفِعَةً مِنَ الْأَرْضِ وَمِنْهُ (نَشْرَتِ الْمَرْأَةُ) عَلَى زَوْجِهَا فِيمَا نَاشِرَةٌ إِذَا اسْتَنْصَحَتْ عَلَيْهِ وَأَبْغَضَتْهُ وَعَنِ الرَّجَالِ (النُّشُوزُ) بِكَوْنِهِ مِنَ الزَّوْجَيْنِ وَمَوْ كَرَاهَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ . [المغرب : النون مع الشين] .

والنشوز يكون من المرأة يمنع البضع ومن الرجل حنو الطرف ومنع النفقة والامتناع من المباشرة ، والصلح خير يعني أنه خير له من الفرقة ، وقد استقصينا بيان هذا في التفسير .

الثالث : النهوض من المجلس ، قال الله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا ﴾ [سورة المجادلة آية : ١١] أي : إذا قيل لكم : انهضوا فانهضوا ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ ﴾ [حديث] [سورة الأحزاب آية : ٥٣] وقيل : معناه إذا قيل مكنوا لإخوانكم في المجلس فافعلوا ، ويقال : فرس نشز إذا كان فارسه لا يكاد يستقر عليه .

النور^(١)

قد ذكرنا أن أصل النار والنور واحد وهو البياض ، وإنما غير البناء لاختلاف المعنى .
وهو في القرآن على ثنائية أوجه :

الأول : الإسلام ، قال الله : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٢] .

وقوله : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة النور آية : ٣٥] والهداية هاهنا بمعنى الألفاظ يعطيها الله من يشاء على قدر المصالح ، وكذلك قوله : ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [سورة المائدة آية : ١٦] .

الثاني : بمعنى المنور ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة النور آية : ٣٥] أي : منورهما بالهداية إلى الدين فلما كان أهل السماوات والأرض يستدون بالله في ذلك كما

(١) (ن و ر) : النُّور الضُّوءُ وَهُوَ خِلَافُ الظُّلْمَةِ وَالْجَمْعُ أَنْوَارٌ وَأَنَارَ الصُّبْحُ إِنَارَةً أَضَاءَ وَنَوَّرَ تَنْوِيرًا وَاسْتَنَارَ اسْتِنَارَةً كُلُّهَا لَازِمَةٌ بِمَعْنَى وَنَارَ الشَّيْءُ يَنْوُرُ نِيَارًا بِالْكَسْرِ وَيَبِي سُمِّيَ أَضَاءً أَيضًا فَهُوَ نَبِيٌّ وَهَذَا يَتَعَدَّى بِالْمَعْمُورَةِ وَالتَّضْعِيفِ وَنَوَّرْتُ الْمَصْبَاحَ تَنْوِيرًا أَزْهَرْتُهُ وَنَوَّرْتُ بِالْفَجْرِ تَنْوِيرًا صَلَّيْتُهَا فِي النَّوْرِ قَالَبًا لِلتَّغْدِيَةِ مِثْلَ أَصْفَرْتُ بِهِ وَغَلَّيْتُ بِهِ . [المصباح المنير : النون مع الواو] .

وعند ابن فارس (ن و ر) : النون والواو والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على إضاءة واضطراب وقلة ثبات . منه النور والنار، سميًّا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطرباً سريع الحركة. وتَنَوَّرْتُ النَّارَ: تَبَصَّرْتُهَا. قال امرؤ القيس:

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَفْرَعَاتِ وَأَهْلُهَا *** يَثْرِبُ أَدْنَى دَارِهَا نَظْرًا عَالِي

ومنه النَّورُ: نَوَّرَ الشَّجَرُ وَنَوَّارُهُ. وَأَنَارَتِ الشَّجَرَةُ: أَخْرَجَتْ النَّوْرَ. والمَنَارَةُ: مَفْعَلَةٌ مِنَ الاسْتِنَارَةِ، وَالْأَصْلُ مَنَوَّرَةٌ. ومنه مَنَارُ الْأَرْضِ: حُدُودُهَا وَأَعْلَامُهَا، سُمِّيَتْ لِبَيَانِهَا وَظُهُورِهَا. والذي قُلْنَا فِي قِلَّةِ الثَّبَاتِ امْرَأَةٌ نَوَّارٌ، أَيُ عَفِيفَةٌ تَنَوَّرُ، أَيُ تَنْفِرُ مِنَ الْقَيْحِ، وَالْجَمْعُ نُورٌ. وَنَارَتْ: تَغَرَّتْ نَوْرًا. قال:

* أَنَوَّرَ سَرَعَ مَاذَا يَا قَرُوقُ *

وَنَزَّتْ فَلَانًا: تَغَرَّتْهُ. وَالنَّوَارُ: النَّفَارُ.

ومما شَدَّ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ التَّوَوُّرُ: دُخَانُ الْفَتِيلَةِ يَتَخَذُهُ كُحْلًا وَوَشْمًا. وَنَوَّرْتُ اللَّتَّةَ: غَرَزْتُهَا بِإِبْرَةٍ ثُمَّ جَعَلْتُ فِي الْغَرَزِ الْإِثْمَدَ.

يهتدون بالنور قال أنه : ﴿ تَوْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ على وجه المجاز ، وقد دلت العقول على أنه ليس بنور على الحقيقة ؛ لأنه خالق الأنوار ، ولو كان الله نورا على الحقيقة لما أظلمت الدنيا أبدا ؛ لأن الله موجود ومع وجود النور لا تكون الظلمة ثم شبه نوره بمصباح أي : مثل دلالاته الخلق في وضوحها كمثل المصباح ، ولا يجوز أن يشبه نفسه بالمصباح ؛ لأنه لا شبه له .

الثالث : النهار ، قال الله : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١] يعني : الليل والنهار .

الرابع : ضوء القمر ، قال الله : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا ﴾ [سورة نوح آية : ١٦] .
وقال أهل العربية : يجوز أن يكون : ﴿ فِيهِ نُورًا ﴾ وهو في السماء الدنيا ؛ لأنهم كالشيء الواحد .

وجاء في التفسير أن وجه الشمس تضيء لأهل الأرض وظهرها لأهل السماء ، وقال بعضهم : ﴿ فِيهِ نُورًا ﴾ أي : معهن ضياء يستضيء به أهل الأرض .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ [سورة الحديد آية : ١٣] ، وقوله : ﴿ يَسْأَلُ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الحديد آية : ١٢] وهو نور يجعله الله للمؤمنين يمشون فيه إلى الموقف وعلى الصراط .

السادس : بيان الحلال والحرام ، قال الله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٤] ، ومثله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٩١] .

السابع : القرآن ، قال : ﴿ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ [سورة التغابن آية : ٨] ، وقال : ﴿ اتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٥٧] ، وقوله : ﴿ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ [سورة الشورى آية : ٥٢] وسمي نور اللبيان الذي فيه ؛ لأنه يهتدي به كما يهتدي بالنور .

الثامن : العدل ، قال الله : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٩]
 أي : يعدله ، وإذا كان الظلم وغيره من الشدائد يشبه بالظلمة فنقول : هذا يوم مظلم إذا كان
 فيه شر ، والوجه أن يشبه العدل بالنور ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم " الظُّلُمُ ظِلْمَاتُ يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ " (١) .

نور

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر ، أخرجه البخاري (٢٤٤٧) ، ومسلم (٢٥٨٢) ، والترمذي (٢٠٣٠) ،
 وأحمد (٥٧٨٩) ، وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله أخرجه مسلم (٢٥٨١) .

الباب السادس والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله واو

الوكيل^(١)

أصله التوكيل جعل الأمر إلى الغير ، ورجل وكل أي ضعيف يتكل في أموره على غيره ، والوكيل في أسماء الله بمعنى الكافي وبمعنى الحافظ ، وقيل : هو على التشبيه له بالوكيل منا ، وذلك أن جميع ما يفعله من الخير إنما يفعله منفعة للعباد ما أن جميع سعي الوكيل إنما هو للموكل .

والوكيل في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الحافظ ، قال الله : ﴿ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [سورة النساء آية : ١٠٩] أي : إن حفظوا وذبح عنهم في الدنيا فمن الذي يحفظهم ويذبح عنهم في الآخرة ، ومعنى لفظ الاستغهام هاهنا أنه ليس للعصاة يوم القيامة ناصر ينجب عنهم ، وقال : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٥] أي : حفيظا .

الثاني : بمعنى الرب ، قال : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٢] ، وقال : ﴿ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [سورة المزمل آية : ٩] وهو يرجع إلى الحفظ ؛ لأن رب الشيء يحفظه .

(١) (و ك ل) : (الْوَكِيلُ) الْقَائِمُ بِمَا قُوِّضَ إِلَيْهِ وَالْجَمْعُ الْوُكَلَاءُ وَكَانَتْ فِعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ لِأَنَّهُ مُؤَكَّدٌ إِلَيْهِ الْأَمْرُ أَيْ مَقْضًى إِلَيْهِ (وَالْوَكَاةُ) بِالْكَسْرِ مَضَرٌّ الْوَكِيلُ وَالْوَكَاةُ بِالْفَتْحِ لُغَةٌ وَمِنْهُ (وَكَلَّهُ) بِالنَّيِّعِ فَتَوَكَّلَ بِهِ أَيْ قَبِلَ الْوَكَاةَ لَهُ وَقَوْلُهُ لِلْمَأْثُودِ لَهُ أَنْ يَتَوَكَّلَ لِغَيْرِهِ أَيْ يَتَوَلَّى الْوَكَاةَ وَهُوَ قِيَّاسٌ عَلَى التَّكَلُّفِ مِنَ الْكِفَالَةِ وَقَوْلُهُمْ (الْوَكِيلُ) الْحَافِظُ (وَالْوَكَاةُ) الْحِفْظُ فَذَلِكَ مُسَبَّبٌ عَنِ الْإِغْتِيَادِ وَالْتَّوَكُّلِ وَمِنْهُ (رَجُلٌ وَكَلٌ) ضَعِيفٌ جَبَانٌ يَكُلُ أَمْرَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ أَيْ عَلَيْكَ التَّبْلِيغُ وَالِدَّعْوَةُ وَأَمَّا الْقِيَامُ بِأُمُورِهِمْ وَمَعَالِيهِمْ فَلَيْسَ إِلَيْكَ . [المغرب : الوار مع الكاف] .

(٢) قال الرازي : قال تعالى : ﴿ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ فقله : ﴿ أَمْ مَنْ يَكُونُ ﴾ عطف على الاستغهام السابق ، والوكيل هو الذي وكل إليه الأمر في الحفظ والحماية ، والمعنى : من الذي يكون عافظاً ومحمياً لهم من عذاب الله ؟ [مفاتيح الغيب : ٣٧٤ / ٥] .

٤٩٠ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ولو

الثالث : المسلط ، قال : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٧] أي

المسلط .

الرابع : الشهيد ، قال : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣] ، وقال :

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [سورة هود آية : ١٢] .

الوحي^(١)

أصل الوحي الإشارة ، يقال : وحيت إليه بطرفي أي : أشرت ، قال الله : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [سورة مريم آية : ١١] ثم صار كل شيء دللت به على شيء ، وحيا ، وحيت الكتاب وأوحيت إذا كتبه ؛ لأنك تشير بالكتابة إلى المعاني التي تريدها ، وهو بمعنى الإلهام ، وبمعنى الإرسال وبمعنى الرؤيا ، ويميز أن يكون أصله السرعة ، ومنه الوحي يقصر ويمد يقال : الوحا الوحا يراد السرعة ، ويقال : من الوحي وحا ، وأوحى . وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الإرسال ، قال : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ ﴾ [سورة النساء آية : ١٦٣] ، وقوله : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لَا تَذَرُوهُ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٩] أي : أرسل به إلي .

الثاني : الإلهام ، قال الله : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ ﴾ [سورة المائدة آية : ١١١] أي : ألهتهم الإيمان ، ومثله : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [سورة النحل آية : ٦٨] جمع واحدة نحلة مثل : نحل ونحلة ، والمعنى أنه ألهمها اتخاذ المساكن وادخار العسل كما في غيرها من الحيوان التصرف في وجوه منافعها واجتناب أسباب مضارها ، ومثله قوله : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [سورة الزلزلة آية : ٥] .

الثالث : الإشارة ، قال الله : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [سورة مريم آية : ١١] أي : أوما ودليل هذا ، قوله : ﴿ آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ الْغُرُورَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤١] والرمز تحريك الشفتين والحاجبين والعينين ، وقال بعضهم : الوحي هاهنا الكتاب أي : كتب إليهم وقال ذلك لأن الإشارة لا تنتهي عن الصلاة بكرة وعشيا .

(١) (و ح ي) : الْوَحْيُ الْإِشَارَةُ وَالرَّسَالَةُ وَالْكِتَابَةُ وَكُلُّ مَا أَلْقَيْتُ إِلَىٰ غَيْرِكَ لِتَعْلَمَهُ وَحْيِي كَيْفَ كَانَ قَالَهُ ابْنُ قَارِسٍ وَهُوَ مُضَرَّرٌ وَحْيٌ إِلَيْهِ نَحْيٌ مِنْ بَابٍ وَعَدٌ وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ بِالْأَلْفِ مِثْلُهُ وَجَمْعُهُ وَحْيٌ وَالْأَصْلُ فَعُولٌ مِثْلُ قُلُوسٍ وَتَغْفُصُ الْقَرْبَ يَقُولُ وَحَيْتُ إِلَيْهِ وَوَحَيْتُ لَهُ وَأَوْحَيْتُ إِلَيْهِ وَلَهُ نُمُ غَلَبَ اسْتِعْمَالَ الْوَحْيِ فَيَتَأَلَّقَىٰ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَقَدْ أَلْقَيْنَا الْقُرْآنَ الْقَاسِيَةَ أَوْحَىٰ بِالْأَلْفِ . [المصباح المنير : الواو مع الحاء] .

الرابع : الأمر ، قال الله : ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ صَبَإٍ مُّثَرَّهَا ﴾ [سورة فصلت آية : ١٢]
أي : أمر أهلها بما يصلح الأمر به . .

الخامس : الوسوسة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ [سورة
الأنعام آية : ١٢١] أي : يوسوسون إليهم ، ومثله : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
الْقَوْلِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١١٢] وقال بعضهم : تقليد هذا بمعنى الأمر ، أي : يأمر
بعضهم بعضا بذلك .

الولي

الولي خلاف العدو ، والاسم الولاية بالفتح والولاية بالكسر ولاية الأعمال وقد مضى من كلامنا في هذا الحرف ما فيه كفاية .

والولي في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الولد ، قال : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ ^(١) [سورة مريم آية : ٥] أي : ولدا ، وسمي الولد وليا لقربه من أبيه في النسب ، وأصل هذه الكلمة القرب ، ومنه ولي الشيء يليه إذا قرب منه .

الثاني : الصاحب ، قال الله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١١١] قالوا : معناه صاحب يتصر به فيعز ، ومثله : ﴿ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ [سورة الكهف آية : ١٧] ، وقوله : ﴿ فَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٩٧] أي : أصحابا ، ويموز أن يكون المعنى في ذلك كله خلاف العدو .

الثالث : القريب ، قال : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [سورة هود آية : ٢٠] قالوا : يعني : الأقرباء ، وهذا والأول عندي سواء .

الرابع : بمعنى رب ، : ﴿ قَالَ قُلْ أَعِزَّ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤] أي : ربا ، ومثله كثير .

الخامس : خلاف العدو ، قال الله : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥١] ، وقال : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [سورة الممتحنة آية : ١] أي : اتخذوهم أعداء حتى لا تتاصحوهم ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

(١) قال الشوكاني : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ أي أعطني من فضلك وليا ، ولم يصرح بطلب الولد لما علم من نفسه بأنه قد صار هو وامراته في حالة لا يجوز فيها حدوث الولد بينهما وحصوله منهما . وقد قيل : إنه كان ابن بضع وتسعين سنة ، وقيل : بل أراد بالولي الذي طلبه هو الولد ، ولا مانع من سؤال من كان مثله لما هو خارق للعادة ، فإن الله سبحانه قد يكرم رسله بما يكون كذلك ، فيكون من جملة المعجزات الدالة على صدقهم . [فتح القدير ٤/ ٤٤٠] .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله واول .
[سورة النساء آية : ١١٩] ، وهم لم يتولوا الشيطان على الحقيقة ، ولكن لما كانت أعمالهم
أعمال من يتولى الشيطان قال : إنهم أولياؤه ، وأنت تقول لصاحبك : أنت ولي الشيطان وأنت
تعلم أنه ليس بولي له ولكن تقول ذلك ؛ لأنه يفعل ما يريد .

السادس : بمعنى الناصر ، قال الله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [سورة المائدة آية :
٥٥] فهو في الله بمعنى الناصر وفي الرسول بمعنى الهادي المرشد ؛ لأن الولي ينصر وليه
ويهديه ، وقال : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٧] أي : ناصرهم
ومرشدهم ومتكفل بأمورهم كولي الطفل يكفيه أمره ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ
إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتُونُ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٤] فمعناه أنه أي : شيء لهم في رفع العذاب
عنهم يوم القيامة وهم يصلون عن المسجد الحرام أراد أمر الحديبية ، وما كانوا أولياء المسجد
ما أولياؤه إلا المتون وهم النسي والمؤمنون ، وذلك أن الله لم يجعل ولايته إليهم وإنما جعلها
للمتقين ، وولي البيت من يلي إصلاحه وعمارته كولي الطفل يلي إصلاح أمره وتتمير ماله ثم
شرح ذلك بقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ [سورة التوبة آية :
٢٨] وفي هذا دليل على أن ما يجعله الله لبعض عباده يجوز أن يغلبه عليه غيره ؛ لأنهم كانوا
يتصرفون في المسجد الحرام ولم يجعله الله لهم .

الوجه^(١)

أصله التخدم ، يقال : توجهت في الشيء إذا تقدمت فيه ووجه كل شيء أوله ، ومنه وجه النهار أي : أوله ثم كثر حتى قيل : وجه الشيء لنفسه ، تقول : هذا وجه الرأي أي : هو الرأي .

والوجه في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : مجيء بمعنى الشيء نفسه ، قال : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص آية : ٨٨] أي : إلا هو ، ولو كان له وجه غيره على ما يوجه ظاهر الآية وعلى ما يقوله المشبهة لكان ينبغي أن يفنى جميعه ويبقى وجهه وليس هذا قولاً لأحد إلا لبيان بن سمعان ، وليس هو مما يعتد به لبيان بطلانه ودلالة العقل والإجماع على خلافه ، ومثله : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [سورة الإنسان آية : ٩] أي : الله .

الثاني : مجيء بمعنى الأول ، وهو قوله : ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧٢] أي : أوله ، وإنما قيل ذلك ؛ لأن أول ما يلقاه من الشيء وجهه .

الثالث : بمعنى الدين ، قال : ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء آية : ١٢٥] أي : أخلص دينه ، وقوله : ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة لقمان آية : ٢٢] ، والإسلام الإخلاص على ما تقدم ذكره ، ويجوز أن يكون : ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي : استسلم كما نقول : أعطى يده إذا استسلم ، وقيل : الوجه العمل ، و : ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي : أخلص عمله ، وقالوا : الوجه في قوله : ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [سورة الليل آية : ٢٠] وهو الثواب

(١) (وج هـ) : وَجْهٌ بِالضَّمِّ وَجَاهَةٌ فَهِيَ وَجْهٌ إِذَا كَانَ لَهُ حَظٌّ وَرُبْنَةٌ وَالْوَجْهُ مُسْتَقْبَلُ كُلِّ شَيْءٍ وَرُبَّمَا عُبِّرَ بِالْوَجْهِ عَنِ الدَّائِثِ وَيُقَالُ وَاجْهَتْ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ وَجْهَهُ بِوَجْهِكَ وَوَجْهْتُ الشَّيْءَ جَعَلْتُهُ عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ وَوَجْهْتُهُ إِلَى الْفِيلَةِ فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا وَالْوَجْهَةُ بِكَسْرِ الْوَاوِ قِيلَ مِثْلُ الْوَجْهِ وَقِيلَ كُلُّ مَكَانٍ اسْتَقْبَلْتُهُ وَتَحَدَّفُ الْوَاوُ فَيُقَالُ جِهَةٌ مِثْلُ جِدَةٍ وَهُوَ أَحْسَنُ الْقُرْمِ وَجْهًا قِيلَ مَغْنَاهُ أَحْسَنُهُمْ حَالًا لِأَنَّ حُسْنَ الظَّاهِرِ يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الْبَاطِنِ وَشَرَكَةُ الْوُجُوهِ أَصْلُهَا شَرَكَةُ بِالْوُجُوهِ فَعُدِّقَتْ الْبَاءُ ثُمَّ أُضِيفَتْ مِثْلُ شَرَكَةِ الْأَبْدَانِ أَيْ بِالْأَبْدَانِ لِأَنَّهُمْ يَذَلُّوا وَجُوهَهُمْ فِي السَّيِّئِ وَالشَّرِّاءِ وَيَذَلُّوا جَاهَهُمْ . [المصباح المنير : الواو مع الجيم] .

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أولمواد
أي : لم يفعل ذلك مجازاة ليد أسديت إليه إلا طلباً لثواب الله ، والآية نزلت في أبي بكر رضي
الله عنه حين أعتق بلالا .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١١٥] أي :
الوجه الذي يريد الله ، وجاء في التفسير أنه أراد فتم القبلة وخص المشرق والمغرب في هذه
الآية ؛ لأنها أشهر الجهات ، وأراد ما بين المشرق والمغرب وذلك الدنيا كلها ، والمراد أن
الجهات وما فيها لله فأينما تستقبلوا من الوجوه المأمور باستقبالها فتم الوجه الذي تقرّبون به
إلى الله ، وقيل : أراد فأينما وليتم وجوهكم وكونوا قاصدين للوجه الذي أمركم الله تعالى به
فإذا عرفتم الكعبة فلتكن العرض ، وإن لم تفعلوا به في ظلمة أو غيرها فالتحدي لإصابتها ،
والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ١١٥] أي : موسع
على عباده غير مضيق عليهم ، وهذا على مذهب الكوفيين ، وقال الشافعي : من اجتهد فصل
إلى جهة ثم عرف أن القبلة غيرها استأنف ، وفي هذه الآية كلام كثير وليس ذا موضع ذكره .

الباب السابع والعشرون

فما جاء من الوجوه والنظائر في أوله هاء

الهدى^(١)

أصله التقدم ومن ثم قيل للعتق : الهادي لتقدمه الجسد ثم استعماله في الإرشاد ثم جعل من الإرشاد في الدين والإرشاد في الطريق فرق في المصدر ، فقالوا : في الدين هدى وفي الطريق هداية ، وسمي الهدي هدياً ؛ لأنه تقدم للنحر ، والهدية تقدم أمام الحاجة ، والعروس هدى ؛ لأنها تقدم إلى زوجها وتبعتها أهلها ، والفرق بين الهدي والإرشاد أن الهدي يكون في الخير والشر يقال : هداه إلى السوء والمكره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٣] ، ولا يكون الإرشاد إلا إلى الخير .

والهدي في القرآن على اثني عشر وجها :

الأول : البيان ، قال : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٥] أي : على بيان ، وقال : ﴿ وَأَمَّا تُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ [سورة فصلت آية : ١٧] أي : بينا لهم ، وقال : ﴿ أُولَئِكَ يَهْدِي اللَّهُ لِلَّذِينَ يَرْثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٠٠] ، وقوله : ﴿ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُدًى ﴾ [سورة طه آية : ١٢٣] أي : بيان والمعنى به الكتاب والرسول ، ومثله : ﴿ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْفَتْحُ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٩٤] أي : البيان والمعنى به القرآن ، ومثله كثير .

(١) (هدي) : (الهدى) السيرة السوية (والهدى) بالضم خلاف الضلالة (ومنه) حديث ابن مسعود " رضي الله تعالى عنه ﴿ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَاتِ فَإِنَّهَا مِنْ سُنَنِ الْهَدَى ﴾ وَرَوَاهُ مَنْ رَوَى بِفَتْحِ الْهَاءِ وَسُكُونِ الدَّالِ لَا تَحْسُ (وفي) حديث أبي بكر ﴿ فَخَرَجَ مَادَى بَيْنَ اثْنَيْنِ ﴾ أي يمشي بينهما مُتَمَتِّعًا عَلَيْهِمَا لِضَعْفِهِ (والهدى) ما يهدي إلى الحرم من شاة أو بقرة أو بعير الواحدة هذية كما يقال جذي في جذية السرج ويقال (هدي) بالتشديد على فعيل الواحدة هذية كعطية ومطية ومطابا . [المغرب : الهاء مع الدال] .

الثاني : الطريق ، قال : ﴿ إِنَّكَ لَعَلَّ هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴾ [سورة الحج آية : ٦٧] أي : على طريق قويم وهو الإسلام ، ومثله : ﴿ قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢٠] أي : السبيل الذي أمر الله سلوكها هو السبيل المرضي ، وهو مثل ومعناه الإسلام أيضا كذا جاء عن السلف وهو عندنا والأول سواء ؛ لأنه يقال : أنه لعل هدى ، أي : على بيان .

الثالث : اللطف ، قال : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [سورة محمد آية : ١٧] أي : الذين اهتدوا إلى الإيمان بالطافتنا زدناهم الطافتا ثوابا لأعمالهم ليزدادوا إيماناً .

الرابع : الإيمان ، قال الله : ﴿ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٤٩] أي : مؤمنون .

الخامس : الهادي وهو المرشد ، قال : ﴿ إِنَّا أَنْتَ مُنِيرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [سورة الرعد آية : ٧] أي : مرشد يريده أنك هاد ومرشد لكل أحد ، وفيه وجه آخر وهو أنك مرشد ولكل قوم مرشد ، وقوله : ﴿ أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [سورة طه آية : ١٠] أي : رشداً ، ويجوز أن يكون بيانا فيكون من القسم الأول ، ومثله : ﴿ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الشورى آية : ٥٢] أي : لترشد .

السادس : الدعاء ، قال الله : ﴿ وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَتَّبِعُونَ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٨١] أي : يدعون ، وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَتَّبِعُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [سورة السجدة آية : ٢٤] ، وقال : ﴿ يَتَّبِعُونَ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٨١] ، أي : يدعون وقال : ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ [سورة الجن آية : ٢] أي : يدعو ، وقوله : ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَنَّةِ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٣] أي : ادعواهم ، ويجوز أن يكون المعنى فودعهم ، ويجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ يَتَّبِعُونَ بِالْحَقِّ ﴾ أي : يرشدون بالقول الحق ، وكذلك قوله : ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٧٣] .

السابع : المعرفة ، قال الله : ﴿ نَكُرُوا لَهَا عَزَّشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النمل آية : ٤١] أي : تعرف ، ونحوه : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل آية : ١٦] أي : يعرفون الطرق .

الثامن : أمر محمد صلى الله عليه ، قال : ﴿ إِن الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَهُدًى ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٩] ، ومثله : ﴿ وَشَاقُوا الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى ﴾ [سورة محمد آية : ٣٢] يعني : ما بين الله في التوراة والإنجيل من أمر محمد عليه السلام .

التاسع : الدين ، قال : ﴿ إِن تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ ﴾ [سورة القصص آية : ٥٧] يعني : دينه وهو راجع إلى البيان ، وقيل : هو التوحيد وكانوا لا يسمونه هدى ، وإنما قالوا ذلك على ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ، أي : الهدى بزعمة ، وكذلك قالوا في قوله : ﴿ أَرْسَلَ رَسُولُهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ [سورة الفتح آية : ٢٨] أي : بالتوحيد ، ويجوز أن يكون الهدى هاهنا البيان بربك المعجز .

العاشر : الاستئذان بسنن الماضين ، قال الله : ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٢٢] أي : مستنون .

الحادي عشر : الإصلاح ، قال : ﴿ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٥٢] أي : لا يصلحه بمعنى أنه لا يخبر بأنه صلاح .

الثاني عشر : الإلهام ، قال : ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [سورة طه آية : ٥٠] قالوا : صور الخلق وألهمه أمر معاشه ، وعندنا أنه أراد إلهام المعاش لمن يلهم ذلك وإعلامه من يعلم ، وقد دخل ذلك في قوله : ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾ ومعنى هدى : أنه هدى المكلفين أي : بينه لهم .

هل

يكون للاستفهام ويدخلها معنى التقرير ، والتقرير على ضربين :

تقرير على فعل يوجب المقرر كقوله : هل أكرمتك ؟ وهل أحسن إليك ؟ وهل أوثرك وأقضي حاجتك ؟ .

وتقرير على فعل لنفيه كقولك : هل كان من شيء كرهته ، وهل عرفت مني غير الجميل .

وقد يتضمن هذان الوجهان معنى التوبيخ أيضا في بعض الأحوال .

وجاء في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : مجيئه بمعنى ما ، قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] و : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [سورة النحل آية : ٣٣] و : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٦٦] قال أهل التفسير : هذا كله بمعنى ما ينظرون إلا ذلك ، وهو عند أهل العربية بمعنى الزجر والتهديد .

الثاني : بمعنى قد ، قال الله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ [سورة النازعات آية : ١٥] ، وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ﴾ [سورة الإنسان آية : ١] قال الزجاج : معناه قد أتى أي : لم يأت على الإنسان ، وقوله : ﴿ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [سورة الإنسان آية : ١] معناه أنه كان شيئا غير مذكور أي : كان ترابا ونطفة ، وقال بعضهم : أتى على آدم الدهر وهو لا شيء ولا يجوز أن يكون لا شيء يأتي عليه الدهر .

وقال المبرد : هل في هذا الموضع بمعنى قد ، وكذلك في قوله : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفَى ﴾ [سورة ص آية : ٢١] .

قال سيويه : قد تكون حروف الاستفهام لغير الاستفهام إلا الألف وأم لا تدخل على الألف ؛ لأنها الأصل ويدخل على هل ؛ لأنها قد تكون لغير الاستفهام ، وأنشد :

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته — أثر إلا حبه يوم البين مشكور

الثالث : بمعنى ألا ، قال الله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ [سورة طه آية : ١٢٠] ، و : ﴿ هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ ﴾ [سورة الصف آية : ١٠] معناه : ألا أدلكم .

الرابع : بمعنى التوبيخ ، قال الله : ﴿ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [سورة الروم آية : ٤٠] ، وقوله : ﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [سورة الروم آية : ٢٨] ومعنى هذه الآية : الرد على عبدة الأوثان يقول : جعلتم الذي هو ملك الله مثله ، وأنتم لا تعملون عماليكم أمثالكم .

٥٠٢

الهلاك^(١)

يقال : هلك الرجل إذا وقع في أمر شديد وإذا مات أيضا ، والمستقبل يهلك بالكسر ولا يجوز الفتح ، وإن كانت العامة قد أولعت به وهو الهلك والهلاك .
وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الموت ، قال الله : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ﴾ [سورة النساء آية : ١٧٦] .

الثاني : الفناء ، قال الله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص آية : ٨٨] .

الثالث : العذاب ، قال الله : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ [سورة الكهف آية : ٥٩] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٢٠٨] ، وقال : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [سورة هود آية : ١١٧] ، ومثله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى ﴾ [سورة القصص آية : ٥٩] .

الرابع : الذهاب ، قال الله : ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾ [سورة الحاقة آية : ٢٩] .

الخامس : الفساد ، قال الله : ﴿ وَيَهْلِكُ الْحُرْتُ وَالنَّسْلُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٥] ، وقال : ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبًّا ﴾ [سورة البلد آية : ٦] ، وقال أهل التفسير : أي : أفسدت ، ويجوز أن يكون بمعنى الإتلاف .

(١) (ه ل ك) : (الهلك) الشَّقُوطُ وَقِيلَ الْفَسَادُ وَقِيلَ هُوَ مَصِيرُ الشَّيْءِ إِلَىٰ حَيْثُ لَا يُنْزَىٰ أَيْنَ هُوَ (وَالْهَلَكَةُ) مِثْلُهُ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ لَا يُغَادِرُ رُسُلِي فَهْلَكَ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ ﴾ أَيِ اسْتَهْلَكُوهُ يَقَالُ هَلَكَ الشَّيْءُ فِي يَدِهِ إِذَا كَانَ يَغْتَرِ صُنْعُهُ (وَهَلَكَ عَلَىٰ يَدِهِ) إِذَا اسْتَهْلَكَهُ قُلْتُ كَأَنَّهُ قَاتَهُ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ قِيلَ فَلَانٌ عَلَىٰ يَدِ فَلَانٍ وَمَاتَ فِي يَدِهِ وَلَا يَقَالُ مَاتَ عَلَىٰ يَدِهِ وَيُقَالُ لِمَنْ ارْتَكَبَ أَمْرًا عَظِيمًا (هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ) (وَفِي) خَدِيبِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ﴿ لَا تَسْتَعْمِلُوا الْبِرَاءَ عَلَىٰ جَيْشِي الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ هَلَكَةٌ ﴾ مَنْ أَهْلَكَ رُؤْيَىٰ بِالتَّخْرِيكِ يَوْمَئِذٍ هُمَزَةٌ وَلَمَزَةٌ أَيِ يَهْلِكُ أَتْبَاعُهُ لِجَرَائِيهِ وَشَجَاعَتِهِ وَرُؤْيَىٰ بِالسُّكُونِ أَيِ يَهْلِكُونَ مِنْهُ بِغَنِيٍّ بِسَبِّهِ كَالضُّحْكَةِ لِمَنْ يَضْحَكُونَ مِنْهُ وَفِي نُسْخَةٍ سَمَاعِي هَلَكَةٌ بِفَتْحَيْنِ كَأَنَّهُ جَعَلَ جِلَّتَهُ مَلَاكًا مُبَالِغَةً فِي ذَلِكَ وَكُلُّ ذَلِكَ تَضَجُّجٌ لِلرَّوَايَةِ وَتَحْرِيجٌ لَهَا وَلَمْ يُذَكَّرْ فِي أَصُولِ اللَّغَةِ إِلَّا الْهَلَكَةُ بِكسرِ الهاءِ وَسُكُونِ اللّامِ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ فَلَانٌ هَلَكَةٌ مِنْ الْهَلِكِ أَيِ سَاقِطَةٌ مِنَ السَّوَاقِطِ بِغَنِيٍّ هَالِكٌ وَمَهْلِكٌ إِنْ صَحَّ غَرِيبٌ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ جَرِيءٌ يَقْدَامُ بِالْمُسْلِمِينَ فِي الْمَهَالِكِ وَالْمَتَالِفِ . [المغرب : الهاء مع اللام] .

الباب الثامن والعشرون

في ذكر لا

لا^(١)

إذا أدخلتها على نكرة رفعتها ونونتها ونصبها بلا تنوين تقول : لا رجل في الدار فإن نعت النكرة لا رجل ظريف نصب بلا تنوين ، ويجوز أن يقال : لا رجلا ظريفا ، وإن شئت قلت : لا رجل ظريف والرفع مع التنوين لا غير فإن دخلت على الاسم المعرفة لم يكن فيه إلا الرفع ، تقول : لا زيد في الدار ولا عمرو ، فإن عطف بلا على اسم قد تقدمه لا كان ذلك على خمسة أوجه كقولك : لا رجل في الدار ولا امرأة ، نصب بغير تنوين ولا رجل في الدار ولا امرأة ترفعها جميعا ، ورفع الأول ونصب الثاني لا رجل ولا امرأة ، ونصب الأول بغير تنوين ونصب الثاني بتنوين لا رجل في الدار ولا امرأة .

ولا في القرآن على وجهين :

الأول : مجيئه بمعنى لم ، قال : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ [سورة القيامة آية : ٣١] أي : لم يصدق ولم يصل ، وقال : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ [سورة البلد آية : ١١] أي : لم يقتحم ، وقال قائل للنبي صلى الله عليه : أرأيت من لا شرب ولا أكل ، وقال الراجز :

وَأَيُّ فِعْلٍ مَيَّ لَا فَعَلَهُ

أي لم يفعله ، والأصل في هذا أن الأحرف تنفي الماضي كما تنفي المستقبل ، إذا قلت : لا أقوم ولا أذهب .

الثاني : مجيئه على الأصل ، قال الله : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ١٠١] ، وأما قول من قال : أن لا تحيء زائدة في مثل قوله : ﴿ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا

(١) " لا " : حَرْفٌ يُجْعَلُ وَيُنْفَى بِهِ . وَتَكُونُ زَائِدَةً . وَهَذِهِ لَا مَكْتُوبَةَ يُمَدُّونَهَا ، وَتَصْغِيرُهَا لَيْتَ . وَلَوْ يُتَّى لَا : حَسَنَةً ، وَلَا مَلَوَةً . وَقَوْلُهُمْ : كَلَّا وَلَا : مَعْنَاهُ الشَّرْعُ . وَ " لا " يَكُونُ بِمَعْنَى " لَمْ " نَحْنُ قَوْلُكَ : لَا خَرَجَ زَيْدٌ : أَي لَمْ يَخْرُجْ زَيْدٌ . [المحيط في اللغة : ما أوله اللام] .

٥٠٤ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في ذكر لا

يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴿ [سورة الحديد آية : ٢٩] فَإِنْ ذَلِكَ عِنْدَنَا غُلُطٌ ، وَمَعْنَاهُ
لأن لا يعلم أهل الكتاب أن المسلمين لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله ، أي : هم قادرون
على ذلك ، وإنما جاء بنفيين ليثبت ، ونفي النفي إثبات ، وأما قول الشاعر :

فِي بَثْرٍ لَا حُورٍ سَرَى وَمَا شَعَرَ

فليس لا فيه زائدة ، وإنما معناه في بثر لا رجوع أي : من وقع فيها ، لا ترجع وجوز فعل

من جاز يجوز .

الباب التاسع والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله باء

اليسير^(١)

أصل اليسير السهولة ونقيضه العسير وهو الصعوبة ، واليسار الغني ؛ لأن صاحبه في سهولة من العيش والفقر العسر ؛ لأن صاحبه في صعوبة ، وياسرت الرجل ساهلته ، واليد اليسرى ؛ لأنها لا تعاني ما تعانيه اليمنى ، وكأن اليمنى في صعوبة واليسرى في سهولة ، أو لأن الذمي والطعن والضرب على اليسار أسهل منها على اليمين وإن كانت باليسار أصعب وميسور الأمر ما ينهل منه ومعسور ما يتعصب ويكون الميسور المصدر مثل المعقول ، وهو بمعنى اليسر سواء .

وجاء اليسير في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : حيث بمعنى الهين ، قال تعالى : ﴿ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [سورة الحج آية :

[٧٠] .

الثاني : قوله : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ٤٦] قالوا : يعني : خفيا ، ويموز أن يكون معناه السهولة ، أي : قبضا سهلا لا صعوبة فيه علينا .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ [سورة يوسف آية : ٦٥] قالوا : معناه سريع .

(١) (ي س ر) : (اليسر) خلاف العسر ويتضغيره سمي والد سليمان بن يسر في كتاب الصّرف وروي أسير ويُسِيرُ تَصْغِيفٌ (وَالْيَسَارُ) اسْمٌ مِنْ أَيْسَرَ لِيَسَارًا إِذَا اسْتَفْنَى (وَبِهِ) سُمِّيَ وَالِدُ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَخُو عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ الْمُرِّي الَّذِي تَرَلَّ فِيهِ ﴿ وَلَا تَعْظَلُوهُمْ ﴾ وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ مِنْ فَقْهَاءِ الْمَدِينَةِ وَالتَّيْسِيرُ التَّسْهِيلُ (وَمَنْ) قَوْلُهُ فِي الدَّعْوَى لَيْسَتْ بِمُهَيَّأَةٍ أَوْ بِمُيَسَّرَةٍ وَمُصَيَّرَةٌ رَكِيكٌ وَبَغَيْرِ الْهَاءِ (الْيُسْرُ) الرُّمَازُودُ وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ نَوَالِهِ كَأَنَّهُ مُؤَلَّدٌ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ اخْتَاذَهُ سَهْلٌ مُيَسَّرٌ وَعَلَيْهِ سَأَلَةُ الْوَاقِعَاتِ حَلْفٌ لَا يَأْكُلُ يَسْرًا فَأَكَلَ مُيَسَّرًا (وَالْيَسَارُ وَالْيُسْرَى) خِلَافُ الْيَمِينِ وَالْيَمْنَى وَمَنْ رَجُلٌ (أَعْسَرُ يَسْرًا) يَفْعَلُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ وَبِهِ كُنِيَ أَبُو الْيَسْرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو الْأَنْصَارِيُّ يَمُنْ شَهِدَ بَذْرًا وَأَخُوهُ الْحَبَابُ بْنُ عَمْرٍو (وَالْيُسْرُ) قِمَارُ الْقَرْبِ بِالْأَزْلَامِ وَتَفْسِيرُهُ فِي الْمَغْرِبِ . [المغرب : الباء مع السين] .

قال أبو هلال رحمه الله : معنى ذلك أن الملك يكيل لنا يسر وسهولة ولا يحبسنا كما يحبس غيرنا ، وفيه وجه آخر ، وهو أن الذي حملناه من الميزة يسير في جنب ما تحملنا إذا نفذ معنا أخونا . وقوله : ﴿ وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ [سورة يوسف آية : ٦٥] يعني : البعير الذي يركبه أخوهم يوفر لهم ، والمراد ما يكال ويحمل على البعير ، والبعير من الإبل تقع على الذكر والأنثى ، مثل الإنسان من الناس .

اليوم

ذكر بعضهم أصل اليوم أعجمي معرب ، ولا أدري ما صحة ذلك ، ولا أعرف له اشتقاقا ، وأظنه اسما أول .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : اليوم من أيام السنة ، قال الله : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [سورة فصلت آية : ٩] ، ويوم القيامة يجري مجراه .

الثاني : الحين ، قال الله : ﴿ يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ [سورة النحل آية : ٨٠] يعني : حين ذلك ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الظعن ليلا ، وإنما أراد حين الظعن فذكر اليوم ؛ لأن اليوم حين .

(١) (ي و م) : الْيَوْمُ أَوَّلُهُ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ وَهَذَا مَنْ فَعَلَ شَيْئًا بِالنَّهَارِ وَأَخْبَرَ بِهِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يَقُولُ فَعَلْتُهُ أَمْسٍ لِأَنَّهُ فَعَلَهُ فِي النَّهَارِ الْمَاضِي وَاسْتَحْسَنَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَقُولَ أَمْسٍ الْأَقْرَبُ أَوْ الْأَخَذْتُ وَالْيَوْمَ مَذَكَّرَ وَجَمَعَهُ أَيَّامٌ وَأَصْلُهُ أَيَّامٌ وَتَأْنِيْتُ الْجَمْعَ أَكْثَرَ فَيَقَالُ أَيَّامٌ مُبَارَكَةٌ وَشَرِيفَةٌ وَالتَّذْكِيرُ عَلَى مَعْنَى الْحَيْنِ وَالزَّمَانِ وَالْعَرَبُ قَدْ تُطْلَقُ الْيَوْمَ وَتُرِيدُ الْوَقْتَ وَالْحَيْنَ تَهَارًا كَانَ أَوْ لَيْلًا فَتَقُولُ دَخَرْتُكَ هَذَا الْيَوْمَ أَيَّ هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي افْتَقَرْتُ فِيهِ إِلَيْكَ وَلَا يَكَادُونَ يَقْرَأُونَ بَيْنَ يَوْمَيْنِ وَجَبْتِيذٍ وَسَاعَتَيْنِ . [المصباح المنير : الياء مع الواو] .

اليَدُ^(١)

أصل اليَدِ يَدِي والدليل على ذلك قولهم : أيد لأن قولهم أيداً فعل وأفعل جمع فعل ، مثل : فلس وأفلس في النسبة إلى اليَدِ يمين ترد ما ذهب ، وهو الياء ثم تحرك موضع العين ، وإنما دعاك إلى تحريكه أنك تفرق بينهما وبين ما لم يتحرك قط نحو : باطني وميم رمي فيقول في طي : طي ، وفي رمي رمي ، وكذا في ثدي ثدي ، وأما اليَدُ قد تحركت عينها بالحركات الثلاث فقليل : هذه يد ، ومررت بيد ورأيت يدا .

واليَدُ في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بمعنى النعمة ، قال الله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٦٤] ، وهو جواب قول اليهود : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [سورة المائدة آية : ٦٤] أي : هو بخيل ولم يريدوا أنها مغلولة على الحقيقة ، وهذا مثل قوله : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا

(١) اليَدُ : الجَارِحَةُ ، مَعْرُوفَةٌ ، وَجَمْعُهُ أَيْدٍ ، وَيُقَالُ : يَدًا - بَوْرَانٍ رَحًا - وَيَد - بَوْرَانٍ يَم - . وَالتَّعْمَةُ السَّابِقَةُ ، وَجَمْعُهَا أَيْدٍ وَيَدَي . وَيُقَالُ يَدَانِ عَلَى الْأَصْلِ . وَيَدُ الْفَاسِي : نِصَابُهَا ، وَالْقَوْسُ : سَيْبُهَا . وَيَدُ الدَّهْرِ : أَي مَدَى زَمَانِهِ . وَأَنْصَارُ الرَّجُلِ وَجَمَاعَةُ قَوْمِهِ . وَجَاهُهُ وَقَدْرُهُ . وَيَدُ الشَّيْءِ : مِلْكُهَا . وَهَذِهِ الضَّيْعَةُ فِي يَدِي : أَي مِلْكِي . وَيَدِي فُلَانٍ مِنْ يَدِهِ : أَي شَيْءٌ . وَرَجُلٌ مَيْدِي : مَقْطُوعُ اليَدِ . وَأَيْدِيَتُ عَلَى فُلَانٍ يَدَا نِيَّصَاءَ : أَي مَنَّةً . وَهُوَ ذُو مَالٍ يَدِي بِهِ وَيَتَوَعَّدُ : أَي يَسْطُ بِه يَدَيْهِ وَيَاعَهُ .

و " ذَهَبَ الْقَوْمُ أَيْدِي سَبَا " و " أَهَادِي سَبَا : أَي مُتَرَقِّقِينَ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَالنَّسَبُ إِلَى اليَدِ : يَدِي . وَتَوَبَّ الصَّبَا يَدِي : أَي وَاجِع ، وَقِيلَ : جَلِيدٌ كَأَنَّهُ رُفِعَتْ عَنْهُ الْأَيْدِي سَاعَتِيذ ، وَقِيلَ : بَلِ الْأَيْدِي تَتَعَاوَرُهُ . وَتَجَمُّعُ اليَدِ أَيْدَيْنِ . وَلَا يَدَ لِي بِفُلَانٍ : أَي لَا طَاقَةَ . وَمَالِي بِهِ يَدَانِ . وَقَوْلُهُ : يُؤَدِّي الْكَرِيمَ فَيَحْضِي بَعْدَ إِيدَاءِ يُؤَدِّي : يَضْطَعُ يَدًا مِنَ الْمَعْرُوفِ ، يُقَالُ : أَيْدِي يُؤَدِّي وَيَدِي يَدِي . وَيَادِيَتُهُ مَيَادَاةٌ : أَي جَارَتُهُ يَدًا يَدًا . فَأَمَّا قَوْلُهُ : فَإِنَّكَ قَدْ مَلَأْتَ يَدًا وَشَامَا يُرِيدُ : الْيَمَنَ . وَأَخَذَ بِهِم يَدَ الْبَحْرِ : أَي طَرِيقَهُ . وَيَقُولُونَ : ابْتَعْتَهَا الْيَدَيْنِ : أَي بِشَتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ أَرْحَصَ وَأَعْلَى .

وَأَقْبَنَهُ أَوَّلَ ذَاتِ يَدَيْنِ أَي أَوَّلَ شَيْءٍ . وَخُذْهُ آخِرَ ذِي يَدَيْنِ وَذَاتِ يَدَيْنِ . وَفِي الْمَثَلِ : " لَأَنْتَ أَضْعَفُ مِنْ يَدٍ فِي رَجِيمٍ " . و " سَقِطٌ فِي يَدِهِ " : نَدِيمٌ . وَهُوَ أَطْوَلُ يَدًا مِنْ فُلَانٍ : أَي أَسْخَى مِنْهُ . وَيَدِي لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَجَاهِدَنِي . وَأَلْقَى يَدًا فِي عَمَلٍ كُنَّا : إِذَا أَخَذَ فِيهِ فَايْتَدَا . وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : " حَتَّى يُغْطُوا الْجُزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ " أَي يُغْطَوْنَ كَمَلًا لَا يَغْطَوْنَهَا . وَرَجُلٌ يَدِي : رَفِيقُ الْيَدَيْنِ . وَيَدُ الْقَيْنِصِ : كُفُّهُ . وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : " قَرَدُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ " أَي عَضُوا عَلَيْهَا غَيْطًا . [المحيط في اللغة : ما أوله ياء] .

تَبْسُطُهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴿ [سورة الإسراء آية : ٢٩] بِأَمْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّوَسُّطِ فِي النِّفْقَةِ وَالْعَطِيَّةِ وَلَمْ يَرِدِ الْغُلُّ وَلَا الْبَسْطُ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَقَالَ : ﴿يَلَّ يَلَّةُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أَي : نِعْمَتَاهُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ ، أَوْ نِعْمَتُهُ فِي بَابِ الدِّينِ وَنِعْمَتُهُ فِي بَابِ الدُّنْيَا مَبْسُوطَتَانِ عَلَى الْخَلْقِ يَنْفَقُ كَيْفَ يَشَاءُ يَتَوَجَّهُ إِلَى نِعْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا أَي : يَرْزُقُ مِنْهَا مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ .

الثاني : بمعنى التوكيد ، وهو قوله تعالى : ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [سورة ص آية : ٧٥] أي : خَلَقْتُ أَنَا ، كَمَا تَقُولُ : هَذَا مَا كَسَبْتَ يَدَكَ فَتَذَكَّرُ الْيَدَ تَوْكِيدًا ، وَالْمَعْنَى : أَنْتَ كَسَبْتَ .
الثالث : بمعنى الجارحة ، قَالَ اللَّهُ : ﴿وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٢] .

الرابع : بمعنى القدرة ، قَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧٣] أَي : هُوَ الْقَادِرُ عَلَيْهِ : ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧٣] أَي : يَعْطِيهِ مَنْ يَرِيدُهُ إِذَا كَانَ يَصْلَحُ لَهُ ، وَقِيلَ : الْفَضْلُ هَاهُنَا النُّبُوَّةُ ، وَقِيلَ : هُوَ الْإِحْسَانُ وَالنِّعْمَةُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَالْيَدُ أَيْضًا فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ السُّلْطَانُ فِي قَوْلِهِمْ : لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ يَدٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ ، وَجَاءَتْ أَيْضًا كُنَايَةً عَنِ الْمَلِكِ ، فِي قَوْلِهِمْ : هَذَا فِي يَدِي أَي : فِي مَلِكِي ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي ابْتِدَاءِ الْعَمَلِ فِي قَوْلِهِمْ : وَضَعَ يَدَهُ فِي الْعَمَلِ أَي : ابْتَدَأَهُ .

واليد البركة في قوله عليه السلام " يَدُ اللَّهِ عَلَى الشَّرِيكَيْنِ " (١) . أَي : بَرَكَتُهُ ، وَنَجْوَى صَلَةٍ فِي قَوْلِهِمْ : لَا كَلِمَتَكَ يَدُ الدَّهْرِ ، وَالْيَدُ الْحِفْظُ وَالْكَلاَةُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ " لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ اللَّهِ مَا لَمْ يَمُتْ فِي كَذَا شَيْءٍ " (٢) ذَكَرَهُ وَقَدْ أَنْسَبَتْهُ .

(١) أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي السَّنَنِ مَرْسَلًا مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ حَيَّانَ التَّمِيمِيِّ (٢٩١١) .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ مَرْسَلًا مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ الْبَهْرِيِّ (٨٢١) ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْعُقُوبَاتِ (٤) ،

وَالدَّهَانِيُّ فِي السَّنَنِ الْوَارِدَةِ فِي الْفَتَنِ (٣٣١) .

اليقين^(١)

أصله العلم يقع بالشيء بعد إن لم يكن واقعا به ، ولهذا لا يقال : الله أنه متيقن ، وهو اليقين واليقن ، ولا يقال إلا علما يثلج معه الصدر ، ولهذا يقال : ثلج اليقين ، ولا يقال : ثلج العلم ، ومن أجل ذلك أيضا لا يوصف الله به وهو أبلغ من العلم ، ألا تراهم يقولون : أعلم وأيقن ومن عادتهم أن يؤخروا الأبلغ .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : العلم ، قال الله : ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة النمل آية : ٣] أي : يعلمون .

الثاني : الموت ، قال الله : ﴿ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [سورة الحجر آية : ٩٩] يعني : الموت .

قالوا الثالث : القرآن ، قال الله : ﴿ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [سورة الحجر آية : ٩٩] وأضاف الحق إلى اليقين لاختلاف اللفظين ، وهما واحد كما قال : ﴿ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [سورة ق آية : ١٦] وهذا مذهب بعض أهل العربية ، وهو عند المحققين منهم خطأ ، والصواب أن يقال : معناه أنه لمحض اليقين كما تقول : هذا حق الشيء ، ولو كان اليقين هنا لم يجر أن يضاف إليه كما لا يقال : هذا رجل الظريف إنما هو كقوله : ﴿ عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ [سورة التكاثر آية : ٧] كما قال الله تعالى : ﴿ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ .

(١) (ي ق ن) : الْيَقِينُ الْعِلْمُ الْحَاصِلُ عَنْ نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ وَلَيْسَ لَا يُسَمَّى عِلْمًا اللَّهُ يَقِينًا وَيَقِينُ الْأَمْرُ يَنْقَرُ يَقَنًا مِنْ بَابِ تَعِبَ إِذَا تَبَتَّ وَوَضَحَ فَهُوَ يَقِينٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ وَتُسْتَعْمَلُ مُتَعَدِّيًا أَيْضًا بِتَفْسِيهِ وَيَأْتِيهِ فَيَقَالُ يَقْتُلُ وَيَقْتُلُ بِهِ وَأَيَقَنْتُ بِهِ وَيَقْتَلُهُ وَاسْتَقْتَلْتُهُ أَيْ عَلِمْتُهُ . [المصباح المنير : الباء مع القاف] .

اليمين

أصلها القوة ، وقيل : اليد اليمنى لقوتها على اليسرى ، واليمين القسم ؛ لأنه قوة لدفع
الدعوى وأصلها أنهم إذا تحالفوا تصافقوا بأيمانهم فسمي الحلف يمينا ، وهي في اللغة تأكيد
القول بذكر عظيم عند القاتل كقولك : بأبي وأمي ، وهي في الشريعة تأكيد القول بذكر الله
أو بإيجاب قربه في المال أو على النفس بدلالة قوله عليه السلام " إذا حلفتُم فاحلفوا بالله
واصدقوا " ، واليمين تدخل فيما ينوي فيه الصدق ، والكذب من الكلام دون غيره .

وهي في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى القسم ، قال الله : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ [سورة
البقرة آية : ٢٢٥] .

الثاني : القوة ، قال الله : ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ [سورة الحاقة آية : ٤٥] أي :
لانتقمنا منه بقوة ، ومعنى ذلك : أنا قادرون عليه ، ومنه قول الشماخ :

إِذَا مَا رَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٧] أي :
بقدرته ، ويجوز أن يكون المعنى باليمين المبالغة كما قال : ﴿ خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾ [سورة ص آية :
٧٥] .

(١) اليمين : في اللغة : القوة ، وفي الشرع : تقوية أحد طرفي الخبر بذكر الله تعالى أو التعليق ، فإن اليمين بغير
الله ذكر الشرط والجزاء ، حتى لو حلف أن لا يحلف ، وقال : إن دخلت الدار فعبدني حر ، يحنث ، فتحريم
الحلال يمين ، كقوله تعالى : " لم تحرم ما أحل الله لك " إلى قوله تعالى : " قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم " .
ويمين الصبر : هي التي يكون الرجل فيها معتمداً الكذب ، قاصداً لإذهاب مال مسلم ، سميت به لصبر
صاحبه على الإقدام عليها ، مع وجود الزواجر من قبله . واليمين الغموس : هو الحلف على فعل أو ترك
ماضي كاذباً .

واليمين اللغو : ما يحلف ظاناً أنه كذا وهو خلافه ، وقال الشافعي رحمه الله : ما لا يعقد الرجل قلبه عليه .
كقوله : لا والله ، ويلى والله . واليمين المنعقدة : الحلف على فعل أو ترك آت . [التعريفات : ٨٥ / ١] .

(٢) له شاهد من حديث قتيلة بنت صفية الأنصارية بلفظ من حلف فليحلف برب الكعبة ، أخرجه أحد
(٢٦٥٥٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٣ / ٢١٦ .

الثالث : بمعنى الاحتواء والملك ، قال الله : ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ بِمَا آفَأَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴾

[سورة الأحزاب آية : ٥٠] يعني : ما حصل لك من الغنائم ، ونحوه : ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ٣٦] .

قد آتينا على الأبواب التي تقدم بها الشرط في أول الكتاب ، وشرحنا من مضمونها ما احتاج إلى الشرح في غير إكثار ولا إقلال ، ورغبنا إلى الله عز وجل في النفع بها عاجلا وآجلا ، وهو ولي المنة بذلك إن شاء الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلواته على نبيه محمد وآله المختارين .

وكتب عبد ذليل المولي فقد فرغ منه في شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وأربع مائة ، حامدا لله تعالى ومصليا على نبيه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى الأخيار من أمته .

وفرغ من تحريره محمد بن الحسن بن محمد الحافظ الدهقي غفر الله له ولآبويه ولين قل : آمين في العشر الأخير من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وخمس مائة حامدا ومصليا .

ثبت المصادر

- - المعجم الأوسط - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥ - تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .
- - الجامع الصحيح سنن الترمذي - محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .
- - الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب - الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري - دار الحكمة ، مكتبة الاستقامة - بيروت ، سلطنة عمان - ١٤١٥ - الطبعة الأولى - تحقيق : محمد إدريس ، عاشور بن يوسف .
- - الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ - الطبعة الثانية - تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني .
- - السنن الكبرى - أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١ - الطبعة الأولى - تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن .
- - السيرة النبوية لابن هشام - عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد - دار الجيل - بيروت - ١٤١١ - الطبعة الأولى - تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد .
- - الضعفاء الكبير - أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي - دار المكتبة العلمية - بيروت - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - الطبعة الأولى - تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي .
- - الفهرست - محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم - دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨ - ١٩٧٨ .
- - المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم - أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٦ - الطبعة الأولى - تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي .
- - المسند للشاشي - أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ١٤١٠ - الطبعة الأولى - تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله .

- - المصنف - أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣ - الطبعة الثانية - تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .
- - المعجم الكبير - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣ - الطبعة الثانية - تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي .
- - أدب الاملاء والاستملاء - عبدالكريم بن محمد بن منصور أبو سعد التميمي السمعاني - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠١ - ١٩٨١ - الطبعة الأولى - تحقيق : ماكس فايسفايلر .
- - إثبات عذاب القبر - أحمد بن الحسين البيهقي أبو بكر - دار الفرقان - عمان الأردن - ١٤٠٥ - الطبعة الثانية - تحقيق : د. شرف محمود القضاة .
- - تاريخ مولد العلماء ووفياتهم - محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربيعي - دار العاصمة - الرياض - ١٤١٠ - الطبعة الأولى - تحقيق : د. عبد الله أحمد سليمان الحمد .
- - تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١ .
- - تهذيب الأسماء واللغات - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام - دار الفكر - بيروت - ١٩٩٦ - الطبعة الأولى .
- - تهذيب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤ - الطبعة الأولى .
- - تهذيب الكمال - يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠ - ١٩٨٠ - الطبعة الأولى - تحقيق : د. بشار عواد معروف .
- - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ .
- - جامع التحصيل في أحكام المراسيل - أبو سعيد بن خليل بن كيكليدي أبو سعيد العلاني - عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦ - الطبعة الثانية - تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي .

- - ذيل تذكرة الحفاظ - أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي - دار الكتب العلمية - بيروت - تحقيق : حسام الدين القدسي .
- - سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام - محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٧٩ - الطبعة الرابعة - تحقيق : محمد عبد العزيز الخولي .
- - سنن الدارقطني - علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي - دار المعرفة - بيروت - ١٣٨٦ - ١٩٦٦ - تحقيق : السيد عبد الله هاشم يمان المدني .
- - سنن الدارمي - عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧ - الطبعة الأولى - تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي .
- - سنن البيهقي الكبرى - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي - مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤ - تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
- - سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي - دار الفكر - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .
- - سنن سعيد بن منصور - سعيد بن منصور - دار العصيمي - الرياض - ١٤١٤ - الطبعة الأولى - تحقيق : د . سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد .
- - سير أعلام النبلاء - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣ - الطبعة التاسعة - تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي .
- - شعب الإيمان - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ - الطبعة الأولى - تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول .
- - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣ - الطبعة الثانية - تحقيق : شعيب الأرناؤوط .
- - صحيح ابن خزيمة - محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٠ - ١٩٧٠ - تحقيق : د . محمد مصطفى الأعظمي .

- - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري - دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- - صحيح مسلم بشرح النووي - أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢ - الطبعة الثانية .
- - طبقات الحفاظ - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣ - الطبعة الأولى .
- - علل الترمذي الكبير - أبو طالب القاضي - عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية - بيروت - ١٤٠٩ - الطبعة الأولى - تحقيق : صبحي السامرائي ، أبو المعاطي النوري ، محمود محمد الصعيدي .
- - غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة - خلف بن عبد الملك بن بشكوال أبو القاسم - عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ - الطبعة الأولى - تحقيق : د . عز الدين علي السيد ، محمد كمال الدين عز الدين .
- - فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - دار المعرفة - بيروت - ١٣٧٩ - - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب .
- - كتاب الوفيات - أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب - دار الأفاق الجديدة - بيروت - ١٩٧٨ - الطبعة الثانية - تحقيق : عادل نويهض .
- - كتاب دلائل النبوة - إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني - دار طيبة الرياض - ١٤٠٩ - الطبعة الأولى - تحقيق : محمد محمد الحداد .
- - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ - ١٩٩٢ .
- - لسان الميزان - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ - ١٩٨٦ - الطبعة الثالثة - تحقيق : دائرة المعارف النظامية - الهند .
- - مسند ابن الجعد - علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي - مؤسسة نادر - بيروت - ١٤١٠ - ١٩٩٠ - الطبعة الأولى - تحقيق : عامر أحمد حيدر .

- - مسند الإمام أبي حنيفة - أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني أبو نعيم - مكتبة الكوثر - الرياض - ١٤١٥ - الطبعة الأولى - تحقيق : نظر محمد الفاريابي .
- - مسند الإمام أحمد بن حنبل - أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني - مؤسسة قرطبة - مصر .
- - مسند الروياني - محمد بن هارون الروياني أبو بكر - مؤسسة قرطبة - القاهرة - ١٤١٦ - الطبعة الأولى - تحقيق : أيمن علي أبو ياني .
- - مسند الشافعي - محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي - دار الكتب العلمية - بيروت .
- - مسند الشاميين - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥ - ١٩٨٤ - الطبعة الأولى - تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي .
- - مسند الشهاب - محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦ - الطبعة الثانية - تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .
- - مسند المقلين من الأمراء والولاة - الإمام الحافظ أبي القاسم تمام بن محمد الدمشقي - دار الصحابة - مصر - ١٩٨٩ - الطبعة الأولى - تحقيق : مجدي فتحي السيد .
- - مسند أبي داود الطيالسي - سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي - دار المعرفة - بيروت .
- - مسند أبي عوانة - أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني - دار المعرفة - بيروت - ١٩٩٨ - الطبعة الأولى - تحقيق : أيمن بن عارف الدمشقي .
- - مسند أبي يعلى - أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي - دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ - ١٩٨٤ - الطبعة الأولى - تحقيق : حسين سليم أسد .
- - مسند إسحاق بن راهويه - إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي - مكتبة الإيوان - المدينة المنورة - ١٩٩٥ - الطبعة الأولى - تحقيق : د. عبدالغفور عبدالحق حسين بر البلوشي .

- - مسند بلال بن رباح المؤذن - الحافظ أبو علي الحسن بن محمد الصباح - دار الصحابة - مصر - ١٤٠٩ - ١٩٨٩ - الطبعة الأولى - تحقيق : مجدي فحي السيد .
- - مسند سعد بن أبي وقاص - أحمد بن إبراهيم بن كثير اللخوري أبو عبد الله - دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤٠٧ - الطبعة الأولى - تحقيق : عامر حسن صبري .
- - مسند عبد الله بن أبي أوفى - يحيى بن محمد بن صاعد أبو محمد - مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٨ - تحقيق : سعد بن عبد الله آل الحميد .
- - مسند عبد الله بن عمر - محمد بن إبراهيم الطرسوسي أبو أمية - دار التفائس - بيروت - ١٣٩٣ - الطبعة الأولى - تحقيق : أحمد راتب عرموش .
- - مشاهير علماء الأمصار - محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٥٩ - تحقيق : م . فلايشهر .
- - معجم الشيوخ - محمد بن أحمد بن جميع الصيدلاوي أبو الحسين - مؤسسة الرسالة ، دار الإيمان - بيروت ، طرابلس - ١٤٠٥ - الطبعة الأولى - تحقيق : د . عمر عبد السلام تدمري .
- - معجم الصحابة - عبد الباقي بن قانع أبو الحسين - مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة - ١٤١٨ - الطبعة الأولى - تحقيق : صلاح بن سالم المصراقي .
- - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد - عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣ - الطبعة الثالثة - تحقيق : مصطفى السقا .
- - موطأ الإمام مالك - - مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي - دار إحياء التراث العربي - مصر - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- - ميزان الاعتدال في نقد الرجال - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥ - الطبعة الأولى - تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود .

- - نزهة الحفاظ - محمد بن عمر الأصبهاني المدني أبو موسى - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ١٤٠٦ - الطبعة الأولى - تحقيق : عبد الرضى محمد عبد المحسن .
- - وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم من سنة ٣٧٥ - إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال أبو إسحاق - دار العاصمة - الرياض - ١٤٠٨ - الطبعة الأولى - تحقيق : محمود بن محمد الحداد .
- - الأمثال من الكتاب والسنة - أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي - ١ - دار ابن زيدون - بيروت - ١٩٨٥ - الأولى - د. السيد الجميلي - الأمثال من الكتاب والسنة - الحكيم الترمذي . .
- - كتاب جهرة الأمثال - أبي هلال العسكري - دار الفكر - دار الفكر - ١٩٨٨ - الثانية - محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش - كتاب جهرة الأمثال - أبي هلال العسكري .
- - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي - ٣٥٠ - ٤٢٩ - ١ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٥ - الأولى - محمد أبو الفضل إبراهيم - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - الثعالبي .
- - كتاب الأمثال في الحديث النبوي - أبي محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان - ٣٦٩ - ١ - الدار السلفية - بومباي الهند - ١٩٨٧ - الثانية - د. عبد العلي عبد الحميد حامد - كتاب الأمثال في الحديث النبوي - أبي الشيخ الأصبهاني .
- - المستقصى في أمثال العرب - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - ٤٦٧ - ٥٣٨ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧ - الثانية - المستقصى في أمثال العرب - الزمخشري .
- - فصل المقال في شرح كتاب الأمثال - أبو عبيد البكري - ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٣ - الثالثة - د. إحسان عباس و د. عبد المجيد عابدين - فصل المقال في شرح كتاب الأمثال - أبو عبيد البكري .
- - معجم السفر - أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي - ٥٧٦ - ١ - المكتبة التجارية - مكة المكرمة - عبدالله عمر البارودي - معجم السفر - أبو طاهر السلفي .

- أدب الكاتب - أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري - ٧١٣ - ٣٧٦ - ١ - المكتبة التجارية - مصر - ١٩٦٣ - الرابعة - محمد محي الدين عبد الحميد - أدب الكاتب - ابن قتيبة .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني - دار صادر - بيروت - ١٩٦٨ - د . إحسان عباس - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - المقرئ التلمساني .
- قرى الضيف - عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس - ٢٠٨ - ٢٨١ - ١ - أعضاء السلف - الرياض - ١٩٩٧ - الأولى - عبدالله بن حمد المنصور - ١ - الأدب - قرى الضيف - ابن أبي الدنيا .
- طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحي - ١٣٩ - ٢٣١ - دار المدني - جدة - محمود محمد شاكر - ١ - الأدب - طبقات فحول الشعراء - ابن سلام الجمحي .
- خزانة الأدب وغاية الأرب - تقي الدين أبي بكر علي بن عبدالله الحموي الأزراقي - ٧٦٨ - ٨٣٧ - ٢ - دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨٧ - الأولى - عصام شعيثو - ١ - الأدب - خزانة الأدب - ابن حجة الحموي .
- جهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة - أحمد زكي صفوت - ٣ - المكتبة العلمية - بيروت - ١ - الأدب - جهرة خطب العرب - أحمد زكي صفوت .
- المستطرف في كل فن مستظرف - شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيهي - ٧٩٠ - ٨٥٠ - ٢ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٦ - الثانية - د . مفيد محمد قميحة - ١ - الأدب - المستظرف في كل فن مستظرف - الأبيهي .
- البيان والتبيين - أبي عثمان عمرو بن بحر - ١٥٩ - ٢٥٥ - ٢ - دار صعب - بيروت - ١٩٦٨ - الأولى - المحامي فوزي عطوي - ١ - الأدب - البيان والتبيين - الجاحظ .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصل - ٦٣٧ - ٢ - المكتبة العصرية - بيروت - ١٩٩٥ - محمد محي الدين عبد الحميد - ١ - الأدب - المثل السائر - ابن الأثير .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا - أحمد بن علي القلقشندي - ٨٢١ - ٨ - دار الفكر - دمشق - ١٩٨٧ - الأولى - د. يوسف علي طويل - ١ - الأدب - صبح الأعشى في صناعة الإنشا - القلقشندي .
- الأغاني - أبي الفرج الأصفهاني - ٣٥٦ - ٢٤ - دار الفكر - بيروت - الثانية - سمير جابر - ١ - الأدب - الأغاني - الأصفهاني .
- مسائل خلافة في النحو - أبي البقاء العكبري - ١ - دار الشرق العربي - بيروت - ١٩٩٢ - الأولى - محمد خير الحلواني - ١ - الأدب - مسائل خلافة في النحو - العكبري .
- الأدب المفرد - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - ١٩٤ - ٢٥٦ - ١ - دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٩ - الثالثة - محمد فؤاد عبد الباقي - ١ - الأدب - الأدب المفرد - البخاري .
- دلائل الإعجاز - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني - ٤٧١ - ١ - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٩٥ - الأولى - د. محمد التنجي - ١ - الأدب - دلائل الإعجاز - الجرجاني .
- إتفاق المباني واقتراح المعاني - أبو الربيع سليمان بن بنين بن خلف بن عوض تقي الدين المصري - ٦١٤ - ١ - دار عمار - عمان - ١٩٨٥ - الأولى - يحيى عبدالرؤوف جبر - ١ - الأدب - إتفاق المباني واقتراح المعاني - سليمان بن بنين الدقيقي النحوي .
- إصلاح المنطق لابن السكيت - أبو يوسف يعقوب بن إسحاق - ١٨٦ - ٢٤٤ - ١ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٤٩ - الرابعة - أحمد محمد شاكر و عبدالسلام محمد هارون - ١ - الأدب - إصلاح المنطق - ابن السكيت .
- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام - علي بن بابي القسطنطيني - ٩٣٤ - ٩٩٢ - ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٣ - الثانية - د. حاتم صالح الضامن - ١ - الأدب - خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام - علي بن بابي القسطنطيني .

- المدمش - أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي - ٥٠٨ - ٥٩٧
- ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٥ - الثانية - د. مروان قباني - ١ -
الأدب - المدمش - إين الجوزي .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها - جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي -
٩١١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨ - الأولى - فؤاد علي منصور - ١ -
الأدب - المزهر في علوم اللغة وأنواعها - السيوطي .
- الإيضاح في علوم البلاغة - جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر
القزويني - ١ - دار إحياء العلوم - بيروت - ١٩٩٨ - الرابعة - ١ - الأدب -
الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني .
- الفوائد - محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - ٦٩١ - ٧٥١ - ١ - دار
الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٣ - الثانية - ١ - الأدب - الفوائد -
ابن القيم الجوزية .
- النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري - ٥٤٤ -
٦٠٦ - ٥ - المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - طاهر أحمد الزاوي
- محمود محمد الطناحي - ١ - الأدب - النهاية في غريب الأثر - ابن الأثير .
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - محمد بن حبان البستي أبو حاتم - ٣٥٤ - ١ - دار
الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٧ - ١٩٧٧ - محمد محي الدين عبد الحميد - ١ -
الأدب - روضة العقلاء - ابن حبان .
- مجمع الأمثال - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري - ٥١٨ - ٢ - دار
المعرفة - بيروت - محمد محي الدين عبد الحميد - ١ - الأدب - مجمع الأمثال -
أبو الفضل النيسابوري

الفهرس

٥	مقدمة في علم الوجوه والنظائر
١٢	ترجمة المصنف
١٩	صور المخطوطات
٢٥	مقدمة المصنف
٢٧	الباب الأول
٢٧	في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف
٢٧	إسم
٣١	الأمة
٣٨	الأخذ
٤٢	الاعتناء
٤٥	الأمر بالمعروف
٤٧	أدنى
٥٠	الإسلام
٥٣	الإيمان
٥٦	الاستغفار
٥٩	الأجل
٦٣	إقام
٦٥	الاستطاعة
٦٩	الأحزاب
٧١	الأمر
٧٦	الأرض
٨٠	الاشتراء
٨٢	الأحد
٨٤	الأكل
٨٦	أوى
٨٩	الاستئناس
٩١	الآية
٩٣	الآخرة

الأخ	٩٥
الإثم	٩٨
أنى	١٠١
أو	١٠٢
أم	١٠٤
الإذن	١٠٧
إلا	١٠٩
إلى	١١٥
الاستواء	١١٦
الاستفهام	١١٩
الباب الثاني	١٢١
في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله باء	١٢١
البوء	١٢١
البصر	١٢٣
الباء	١٢٥
البأس	١٢٧
البطلان	١٢٩
البر	١٣١
البرهان	١٣٤
البعل	١٣٦
بل	١٣٨
الباب الثالث	١٤١
في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله تاء	١٤١
التأويل	١٤١
تولى	١٤٤
التقى	١٤٧
التمني	١٤٩
الترقي	١٥١
التسيح	١٥٢
الباب الرابع	١٥٥

٥٢٥	الفهرس
١٥٥	فما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ثاء
١٥٥	الثواء
١٥٧	الباب الخامس
١٥٧	فما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جيم
١٥٧	الجبار
١٥٩	الجعل
١٦٤	الجناح
١٦٥	الجهاد
١٦٧	الجدال
١٦٩	الجن
١٧١	الباب السادس
١٧١	فما جاء من الوجوه والنظائر في أوله حاء
١٧١	الحسنة
١٧٥	الحيل
١٧٧	الحسنى
١٧٩	الحسن
١٨٠	الحكمة
١٨٣	الحشر
١٨٥	الحق
١٨٩	الحساب
١٩١	الحياة
١٩٤	حين
١٩٦	الحرج
١٩٨	حتى
٢٠٠	الحرام
٢٠١	الباب السابع
٢٠١	فما جاء من الوجوه والنظائر في أوله خاء
٢٠١	الخزي
٢٠٣	الخوف

٥٢٦	الموجوه والنظائر لأبي هلال العسكري
٢٠٥	اخران
٢٠٦	اخلق
٢٠٨	اخطأ
٢١٠	اخيث
٢١٢	اخير
٢١٥	الحيانة
٢١٦	واخصيم
٢١٧	الباب الثامن
٢١٧	فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله دال
٢١٧	الدين
٢١٩	الدعاء
٢٢١	الباب التاسع
٢٢١	فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ذال
٢٢١	الذكر
٢٢٦	الباب العاشر
٢٢٦	فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله راه
٢٢٦	الرحمة
٢٢٩	الروح
٢٣١	الرجاء
٢٣٣	الرقبة
٢٣٤	الرجم
٢٣٦	الرؤية
٢٣٩	الباب الحادي عشر
٢٣٩	فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله زاي
٢٣٩	الزخرف
٢٤٠	الزبر
٢٤٠	الزوج
٢٤٥	الباب الثاني عشر
٢٤٥	فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله سين

٥٢٧	الفهرس
٢٤٥	سواء
٢٤٧	السوء
٢٤٩	السمي
٢٥١	السوي
٢٥٢	السب
٢٥٤	السمع
٢٥٥	السلطان
٢٥٦	السلام
٢٥٩	السينات
٢٦١	السيل
٢٦٥	الباب الثالث عشر
٢٦٥	فيا جاء من الوجوه والنظائر في أوله شين
٢٦٥	الشرك
٢٦٧	الشفاق
٢٦٨	الشهادة
٢٧٤	الشيخ
٢٧٧	الباب الرابع عشر
٢٧٧	فيا جاء من الوجوه والنظائر في أوله صاد
٢٧٧	الصدق
٢٧٩	الصف
٢٨١	الصبيحة
٢٨٢	الصاعقة
٢٨٣	الصلاح
٢٨٦	الصراط
٢٨٨	الصلاة
٢٩١	الصوم
٢٩٣	الباب الخامس عشر
٢٩٣	فيا جاء من الوجوه والنظائر في أوله ضاد
٢٩٣	الضحى

الضرب	٢٩٤
الضر	٢٩٧
الضلال	٢٩٩
الباب السادس عشر	٣٠٣
فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ظاء	٣٠٣
الطهارة	٣٠٣
الطاغوت	٣٠٦
الطمأنينة	٣٠٨
الطيبات	٣١٠
الطعام	٣١٣
الطغيان	٣١٥
الطمس	٣١٧
الطائر	٣١٩
الباب السابع عشر	٣٢١
فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ظاء	٣٢١
الظلمات	٣٢١
الظلم	٣٢٣
الظالمون	٣٢٥
الظهور	٣٢٧
الظلال	٣٣١
الظن	٣٣٢
الباب الثامن عشر	٣٣٥
فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله عين	٣٣٥
القول في العالمين	٣٣٥
العمى	٣٣٨
العلم	٣٤٠
العز	٣٤٢
العبادة	٣٤٤
العدوان	٣٤٦
العفو	٣٤٨

٥٢٩	الفهرس
٣٥٠	العدل
٣٥٢	العهد
٣٥٤	العرض
٣٥٦	الحين
٣٥٩	الباب التاسع عشر
٣٥٩	فيا جاء من الوجوه والنظائر في أوله غين
٣٥٩	الغي
٣٦١	الغيب
٣٦٣	الباب العشرون
٣٦٣	فيا جاء من الوجوه والنظائر في أوله فاء
٣٦٣	الفضل
٣٦٥	الفرقان
٣٦٧	العرض
٣٧٠	الفاحشة
٣٧٢	الفرار
٣٧٣	في
٣٧٥	الفتح
٣٧٧	فوق
٣٨٠	الفتنة
٣٨٣	الفرح
٣٨٥	الفضل
٣٨٩	الباب الحادي والعشرون
٣٨٩	فيا جاء من الوجوه والنظائر في أوله قاف
٣٨٩	قانتون
٣٩١	القوة
٣٩٣	القضاء
٣٩٧	القدر
٤٠٠	قليل
٤٠٢	القتل

٤٠٣	القول
٤٠٤	القائم
٤٠٥	الباب الثاني والعشرون
٤٠٥	فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله كاف
٤٠٥	الكتب
٤٠٩	الكفر
٤١١	كان
٤١٣	كبير
٤١٦	كذب
٤١٨	الكريم
٤٢٠	الكلمة
٤٢٣	الباب الثالث والعشرون
٤٢٣	فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله لام
٤٢٣	اللباس
٤٢٥	لولا
٤٢٧	لئلا
٤٢٩	اللغو
٤٣١	اللام
٤٣٣	الباب الرابع والعشرون
٤٣٣	فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ميم
٤٣٣	ما
٤٣٥	المس
٤٣٦	المعروف
٤٣٩	من
٤٤٢	المد
٤٤٤	المستقر
٤٤٦	المشي
٤٤٨	المرض
٤٤٩	المحصات
٤٥٢	المثل

٥٣١	الفهرس
٤٥٤	المتاع
٤٥٦	المولى
٤٥٨	ما بين أليم وما خلقهم
٤٦٠	لنفسك
٤٦١	المصية
٤٦٢	المقام
٤٦٤	المقاتح
٤٦٥	الباب الخامس والعشرون
٤٦٥	فما جاء من الوجوه والتظائر في أوله نون
٤٦٥	الناس
٤٦٨	التلو
٤٦٩	النسيان
٤٧١	النشوء
٤٧٣	النفس
٤٧٦	النصيب
٤٧٧	النكاح
٤٨٠	النظر
٤٨٢	النجم
٤٨٤	النشوز
٤٨٦	النور
٤٨٩	الباب السادس والعشرون
٤٨٩	فما جاء من الوجوه والتظائر في أوله واو
٤٨٩	الوكيل
٤٩١	الوحي
٤٩٣	الولي
٤٩٥	الوجه
٤٩٧	الباب السابع والعشرون
٤٩٧	فما جاء من الوجوه والتظائر في أوله هاء
٤٩٧	الهدي

٥٣٢	الوجوه والنظائر لأبي حلال العسكري
٥٠١	هل
٥٠٢	الهلاك
٥٠٣	الباب الثامن والعشرون
٥٠٣	في جاء من الوجوه والنظائر في أوله لا
٥٠٣	لا
٥٠٥	الباب التاسع والعشرون
٥٠٥	فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ياء
٥٠٥	اليسير
٥٠٧	اليوم
٥٠٨	اليد
٥١٠	اليقين
٥١١	اليمين
٥١٣	المصادر
٥٢٣	الفهرس